الملك لله دخل في خط عبده الحاجي
بشير آغاي دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان وخمسين
ومائة وألف

١٢

كتاب أنوار التنزيل
وأسرار التأويل للإمام العلامة
عبد الله بن عمر قاضي القضاة
البيضاوي رحمه الله تعالى

هذه النسخة الجليلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
باذل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفاتيح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغا دار السعادة الحاج بشير
وفقه الله للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير
حرره الفقير الى الله الملك الكبير محمد بن
المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفي له

باسمه سبحانه

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • فتحدى باقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا • وافحم من تصدى
لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا • ثم بين
للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب
تذكيرا • فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا • وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها
تفكيرا • ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات والماعها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا • فمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد • فهو في الدارين حميد وسعيد • ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه
يعش في الدنيا ذميما ويصلى سعيرا • فيا واجب الوجود • ويا فائض الجود • ويا غاية
كل مقصود • صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه
تقريرا • وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا و
عليهم تسليما كثيرا • وبعد فان اعظم العلوم مقدارا • وارفعها شرفا ومنارا •
علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها • ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق
لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها و
فروعها • وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها • ولطال

ما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من
عظماء الصحابة وعلماء التابعين • ومن دونهم من السلف الصالحين • وينطوي
على نكت بارعة • ولطائف رائقة • استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين
واماثل المحققين • ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية
المشهورين • والشواذ المروية عن القراء المعتبرين • الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن
الاقدام • ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام • حتى سنح لي بعد الاستخارة ما
صمم به عزمي على الشروع فيما اردته • والاتيان بما قصدته • ناويا ان اسميه بعد ان
اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل • فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول
وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل •

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبداه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا
او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده
او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة
الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها
او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء لكل داء و
السبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم و
منهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة
وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني
وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما و
ابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك و
الاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد
ابن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله ولنا احاديث كثيرة منها ما روى
ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن
الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع

على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في
تجريد القران حتى لم تكتب آمين والباء متعلق بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي
يتلوه مقروه وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا
لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع
كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان
الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه الصلوة والسلام
كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم
الله اقرا وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على
نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها
بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما
وبين لام التاكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة
الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل
لان من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء
واسامي وسمي وسميت ومجي سمي كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمي مباركا
آثرك الله به ايثاركا. والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى و
شعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل
ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم
وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه. والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى
لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار و
يتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو
المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما
يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث
وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر. الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده

عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال باسم الله
ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم
تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها
والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله
بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود
بحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله
وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه
لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر
نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من
اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله
اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها
استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة
وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع على كل شي وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر. كحلفة من ابي رباح
يسمعها لاهه الكبار. وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه
لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا
لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق انه
وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا
والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال
الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا
يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله
تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد
اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول
المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال
اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه

لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر
الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان
بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في
اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها
على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى
باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة
لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية
كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من
الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به
غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان
من سواه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة
الجنسية وحب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها
والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي
بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما
دل على جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف
له او للمحافظة على رؤس الاي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه
بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص
التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور
هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه
بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد
به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها و
المدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا

اعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم
منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه
الصلاة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد
والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما
عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى
ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله لله اذ ما من خير الا
وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى
حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال
اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب
العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف
به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم
ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله
ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء
منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة
والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل
واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء
او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال
حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما
سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده

قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في
الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال
ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع
والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة • ولم يبق
سوى العدوان دناهم كما دانوا • اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى
المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور
يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة وله الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار
لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة
والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ
الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما
عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب و
العقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه
فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من
لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على
بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات
او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص
فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد
واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها
عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه
نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى
العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول
مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر و

الفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه
وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل
المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر
تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم و
بالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس • تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي
ولم ترقد • وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العاير الارمد • وذلك من نبا جاءني
وخبرته عن ابي الاسود • وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف
والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء
في انت والكاف في ارايتك قال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر
وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا
لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان
في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب
المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار
الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف
الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل
ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي ويقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او
في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة و
حاضري الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط
حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما •

اي لا يجوز شرعا ولا عقلا فعل العبادة الا لله لانه المستحق لاقصى غاية الخضوع من يكون موليا لاعظم النعم من الوجود وتوابعه ولهذا يحرم السجود لغير الله لان وضع اشرف الاعضاء على اهون الاشياء وهو التراب غاية الخضوع

فان الفعل الموقوف عليها لا يتاتى بدونها

معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد
ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة
صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف
انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه
لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك
فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال
ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان لا غير وقدمت
العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب
الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك
تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة
ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك
مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة
سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها • اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة
فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة
بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع
انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها
يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد
واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام او المنامات الصادقة وهذا قسم
يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم

فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب
اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف
الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا
لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط
السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء
في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ
ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة
قريش والثابت في الامام وجمعه صرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث
والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام • صراط الذين
انعمت عليهم بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته
التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه
لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون
طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل
الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت
لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول
قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من
القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول
الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر
فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر • غير المغضوب عليهم ولا الضالين
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة

لهم مبيّنة او مقيّدة على معنى انهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة
من الغضب والضلال وقيل المعنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال
وذلك انما يصح باحد التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود
كالمحلى باللام في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور
والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين و
الغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله اريد به المنتهى والغاية
على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما
في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا
غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ
وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض
والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من
لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلين
بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له
من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ ولا الضألين بالهمز على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل
الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله عن معناه فقال افعل
بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا
قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران وفاقا لكن
يسن ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة
الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب
العالمين ختم به دعاء عبده ويقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر

حجر انه عليه الصلوة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن
ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم
يؤمن معه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة
تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والزبور
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه
ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من
صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية

كلها وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر
الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي تركب منها الكلم لدخولها في حد
الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها
وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام قال من
قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف
حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به
بعرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا
وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب
لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك
قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها

لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي يتركب منها افتتحت السور بطايفة منها ايقاظا
لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو
كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه
وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة
كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق في
فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد
فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على
انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك
خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها
يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك
ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء و
الظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند
خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا
ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف و
الصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي
المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره
ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين
وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط
وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى
صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم
في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء و
الميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها
الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف و
الكاف والراء والسين والنون واللام لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة

الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء
نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة
رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في
الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة
التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم و
تراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها
مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي
اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في
ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات
لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن
وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء
من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من
جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلث عشر سورة تنبيها على
ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين و
خماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل
ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة
التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف
او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها
كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي
مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني
باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره
وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في
لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف

آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر
في قوله . قلت لها قفي فقالت قاف . لا تحسبي انا نسينا الايجاف .
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه
والميم ملكه وعنه الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله
اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه
صلى الله عليه وسلم لما اتاه اليهود تلى عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف
ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها
ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها
بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دلالة على الحروف المبسوطة
مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا
وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة
اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر
الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم
تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث
انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنهما
فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة
الا ترى انه عدّ كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون
غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل
فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه
يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا

اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا
وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف
المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته
ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف
التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود
بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب و
القران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص ويا حمعسق
ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف
اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان
يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله وقيل انها سر استاثره الله بعلمه وقد روي
عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله
ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها
اسماء الله او السور او القران كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر
او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار
حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل
والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان
ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء
او الخبر كما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين
في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا
منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها و
ليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه و
طسم ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة
او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى

وحكاية ما

ونظير هذا التركيب زيد ليس احد الا اياه وفي الدار
فالصفة كون الا احد في الدار والموصوف الضمير
الراجع الى زيد فيكون من قبيل قصر الصفة ...
فالاولى ان يقال زيد ليس احد في الدار الا اياه
لكن فيما نحن فيه لو قدم الخبر يكون الكلام هكذا والحكاية
ليست فيما عدا ذلك الا اياها تامل ٥٤

صار متباعدا وتذكيره متى اريد بالم ...

البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو
او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني
للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل
الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه
الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم
الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى
اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه
للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في
الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك
فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم
الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى
البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال
مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون
بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس
او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات
وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله

بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل
اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل وجوها من الاعراب
ان يكون الم مبتدا على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك
خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به
المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب
صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته
وريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة
عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي
بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي
الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على
الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم
عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على
معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر
الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم
يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون
منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على
كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا رابعة تؤكد كونه
حقا لا يحوم الشك حوله وتستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول
وبيانه انه نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
ثم استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب
باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي
الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة
الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين

باعتبار الغاية وتسمية للمشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون
بالغيب اما موصول بالمتقين على انها صفة مجرورة مقيدة لان فسر التقوى بترك
ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر
بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين
والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقامة
الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح
منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء و
خبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق ماخوذ
من الامن كان المصدق امن من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف
وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن منه ما امنت وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب اما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد
صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد
وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر
عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه
التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان
وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه
عمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الآية
اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف
لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى

تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم
الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله عالم الغيب والشهادة
والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد
الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان لا دليل عليه وهو المعني
بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع
المفعول به وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم
يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي عن ابن مسعود انه قال والذي لا اله
غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب و
المعنى يؤمنون بقلوبهم لكن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية
وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها
ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من
قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه
واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور
ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد
او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع
والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه
على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة
من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون و
لذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما
سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله
في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول

لا يقدح في تعلقه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له ومما رزقناهم ينفقون الرزق
في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء
بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من
الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق
ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم
لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم
الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به
طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء
وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى
الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان
او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو
شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية
عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي
رزقهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام ان علما
لا يقال به ككنز لا ينفق منه والى هذا ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه معطوف على الذين يؤمنون بالغيب داخلين معهم في
جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار
وبهولاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله
وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون
باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

فالآيب على انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه
من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول
تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم
مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشادة بذكرهم وترغيبا لامثالهم
والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات
الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل ان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن بحذافيره
والشريعة وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد
او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن
لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ نزل كله وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة
والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون
بتفاصيله فرض لكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وتشويش المعاش
وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا
يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة و
اختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وهل هو دائم او منقطع وفي تقديم الصلة
وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة
غير مطابق ولا صادر عن ايقان العلم بنفي الشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف
به العلم القديم ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله
تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن
المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما لهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين
يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات
المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره

احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة
الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من
بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في
على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا
به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ
الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى
للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله
والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون
كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من
الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف
مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى
فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب
كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ
وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين
بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
تنبيه تامل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه
شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم
كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة
عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بذكر اضدادهم
العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على

قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما
في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء
على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك
اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه
وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية
للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك
عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل
عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او
للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر
لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام
الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يكاد يجترئ
عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي
على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم
بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين
كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم
والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ
او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد

كقوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي
خير من أن تراه وإنما عدل هنا من المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن
دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى
الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص
في قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والإنذار التخويف من عذاب الله
وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس من
حيث إن دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة
بعدم النفع أولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين
بين وقلبها ألفا وهو لحن لأن المتحرك لا يقلب ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على
غير حده وبتوسط الألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين
وبحذف الاستفهامية وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون
جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل
عنه أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز التكليف
بما لا يطاق فإنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو
آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان
والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث إن الأحكام لا تستدعي غرضا
سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة
عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع
إلزام الحجة وحيازة الرسول فضل الإبلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك
كما قال لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وفي الآية إخبار بالغيب
على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه
والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاه وبنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة
ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم

على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في
التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف
استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لها في الأنفس
والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار وسماها
على الاستعارة ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب
بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالإغفال في قوله ولا تطع من أغفلنا
قلبه وبالإقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة
إلى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت إليه ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة
صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الأول أن القوم
لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه
الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم
الله عليها ونظيره سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته الثالث أن ذلك في الحقيقة
فعل الشيطان أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسند إليه إسناد الفعل
إلى المسبب الرابع أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم
سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فإنه سد لإيمانهم وفيه إشعار
على تمادي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما
واستهزاء بهم كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الآية السادس أن ذلك في الآخرة
وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم
وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله من طبع وإضلال
ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق
على الوقف عليه ولأنهما لما اشتركا في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما

الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها
عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال
كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين و
قد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو
لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما
في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند
الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم
غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ
بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به
ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب
كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون
الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر
بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي
عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم
وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر
وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم
وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة
على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض

حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم
يستانسون بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا
لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون
وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة والمراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه
فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع
بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء
بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون
انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون
بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا
يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم
امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم
لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على
المسلمين وتهكما بهم وتكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول
هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي
والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** انكار ما ادعوه ونفي ما
انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون
الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ
من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا
من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان
وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم

يخادعون الله والذين آمنوا الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه
لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب إذا توارى في جحره وضب خادع وخدع إذا
أوهم الحارس إقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة
والأخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس
على ظاهره لأنه لا تخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله
على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال من يطع الرسول
فقد أطاع الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وإما أن صورة صنيعهم مع
الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين
عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم وامتثال
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أمر الله بإخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام
مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون
يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة
فاعلت للمبالغة فإن الفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض و
مبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك
أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من
الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى
منابذيهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد وما يخدعون إلا أنفسهم قراءة
نافع وابن كثير وأبي عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم
في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأماني
الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخادعون لأن
المخادعة لا تتصور إلا بين اثنين وقرئ يخدّعون ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون
على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته
ثم قيل للروح لأن نفس الحي به وللقلب لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم لأن
قوامها به وللماء لفرط حاجتها إليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث
عنها أو يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالأنفس هاهنا ذواتهم ويحتمل حملها

ويخادعون

حملها على أرواحهم وآرائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق
وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس و
الشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل
في أفعاله ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد
والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة من نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية
والآية تحتملهما فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما
يرون من ثبات أمر الرسول واستعلاء شأنه صلى الله عليه وسلم يوما فيوما وزاد الله غمهم
في إعلاء أمره وإشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة
النبي عليه الصلاة والسلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف وتكرير
الوحي وتضاعف النصر وكان إسناد الزيادة إلى الله تعالى فزادتهم رجسا لكونها
سببا ويحتمل أن يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين
وإمداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الأعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب أليم أي
مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم
ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قرأ عاصم وحمزة والكسائي
والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذب
لأنهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم وإذا خلوا إلى شياطينهم
أو من كذب الذي هو للمبالغة أو التكثير وموتت البهائم أو من كذب الوحشي إذا جرى
شوطا ووقف لينظر ما وراءه فإن المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء خلاف ما
هو به التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
عطف على يكذبون أو يقول وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد
أن أهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة
بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده
وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الأرض هيج الحروب والفتن

بمحاداة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد
ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال
بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله
تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب
لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا
الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده
مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح
لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا. الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره
بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي
افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى
به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الامرين الاعراض عما لا ينبغي وهو
الايمان بمجموع
المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما امن
الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس
للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل
لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال
به والمقصودة
زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله
اذ الناس ناس والزمان زمان. او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا
بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق
وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما امن السفهاء الهمزة
فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم
وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء

فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس
بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم
على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه
الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا
لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما
النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم
وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي و
اصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ
بيد عمر وقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول
الفارق بين الحق والباطل
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه و
سلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان
واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين
ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر
او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من
شطن اذا بعد فانه بعيد من الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة على انه من
شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين
بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث
الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة
وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان

على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار. انما نحن مستهزؤن
تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر
الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم
ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء
السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة
من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي
تسرع وتخف. الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه
كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع
وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم
الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين
عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة
فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم
يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم
وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم
ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين
وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين. ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى
باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام
على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم
وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين
انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى
اسناد الفعل الى المسبب مجازا واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه
على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشيطان اطلق الغي وقال واخوانهم

اوكانهم

اخوانهم يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا و
يطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في
قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك
يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه
في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار
بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه. اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله
اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بائع و
لذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا. وبالطويل العمر عمرا جيدرا. كما اشترى المسلم اذ تنصرا
ثم استعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله (اتسع فيه م)
لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا
الضلالة واستحبوها على الهدى. فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل
الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن
داية. وعشش في وكريه جاش له صدري. والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء
والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو
لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب
الربح والخسران. وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين
عن الربح فاقدين للاصل. مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم

عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد
لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام
الانبيا والحكما والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد
وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي
بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما
جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة
التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين
جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة
الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه
فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان
يكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشيا واماكن او الى ضمير النار وما موصولة
في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران
وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي و
جمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره
او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب
الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفا حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح
او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالبا دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب

والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له
ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه
بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر
ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل
بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في
ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او
ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة متراكمة ومفعول
لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا
من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته
الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى
المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال
المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود
عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم و
الاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم و
افشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا
كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله
حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى
ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين

السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام • ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء • وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق
ونظيره • اسد علي وفي الحروب نعامة • فتخاء تنفر من صفير الصافر • هذا اذا
جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين
فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة
ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من
مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة
صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون الصماخ
مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم
البصر عما من شانه ان يكون بصيرا وقد يقال لعدم البصيرة • فهم لا يرجعون: لا
يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون
لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء
للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم • او كصيب
من السماء: عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم
واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك
مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي
فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب
ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه
بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب و
هو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ • واسحم دان صادق الرعد
صيب • وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء
للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما
ان كل طبقة منها سماء وقال • ومن بعد ارض بيننا وسماء • امد به ما في الصيب
من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف
الماهية • فيه ظلمات ورعد وبرق: ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه

تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه
ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها
بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور
ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق
ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون اصابعهم في آذانهم: الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه و
اقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون
من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل • حيث ذكر الضمير
لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل
كيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق: متعلق بيجعلون اي من اجله يجعلون كقولهم سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو
شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من
الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب
مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد و
التاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة • حذر الموت: نصب
على العلة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره • والموت زوال الحيوة وقيل
عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة • والله محيط بالكافرين: لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا
يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها • يكاد البرق يخطف ابصارهم
استئناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة
وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او
لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها
مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان ليوكده

بالدلالة على الحال وقد دخل عليه حملا لها على عسى كما يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرى يخطف بكسر الطاء ويخطّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف. كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا: استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول كقول ابي تمام • هما اظلما حالَيَّ ثمّت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب • فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم: اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته • ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرى لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين

الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور له والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين

ويمكن جعلها

لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة
الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات
الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف
صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لا خلاص م
لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق
كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم
اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم
السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لانفسهم فانه على ما يشاء
قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف
امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما
بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء
البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب
ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى
نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما
كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه
اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي
من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد
وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا
بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع و
اسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد
بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس واستدلال الصحابة
بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد

سيوجد معنى لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ان مقتضى خطابه واحكامه شامل
للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء
نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار
ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها
والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه
من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان
الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه
والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم و
التعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي
والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله
التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول
كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم
والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ
من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كما اقحم جرير في قوله
يا تيم تيم عدي لا ابا لكم • تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون
حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك
المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان
التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله تعالى وان العابد
ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا
يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن
قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب
المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم
لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة

منه والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة
هو النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما
وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل
الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا
خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال التي تجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله: فقد جعلت قلوص بني سهيل ... من الاكوار مرتعها قريب. وبمعنى اوجد
فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى
الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول
او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما
في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت
مهياة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة
لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء
بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار
والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او
منه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار
بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة
لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما
او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار
وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار
عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن للابتداء سواء اريد
بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدا من السماء الى السحاب
ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء
الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن للتبعيض بدليل

قوله تعالى واخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل
من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين
ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات
والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه
ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض كقوله
كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد
القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا
اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي
منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها
في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت
على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه
لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام
ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير: اتيما تجعلون الي ندا ... وما تيم لذي
حسب نديد. من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في
الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله
اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم
لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها
ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم
من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا
قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل: اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور ... تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير. وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا و
مفعول تعلمون مطرح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تاملتم

ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال
عن مشابهة المخلوقات او منوي فيه معناها انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم و
قصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين
هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه
رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه
خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس
فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا
لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه
وتعالى اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى
تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن
بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار
فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا. وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة. لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق
وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في
المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه
ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع
على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما
للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ
عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة
التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة

بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء
سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار. لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها
مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن السورة التي هي البقية من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق
الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة
نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها
اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم
ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد. من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من
مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة
للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على
حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد
والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق النظم و
الترتيب ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم
ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه
لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته و
لا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم
ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام
وكأنه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات
او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة
حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض
من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد
دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى

حد وتحكم امرا اي امر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك
دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلق
بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم و
جنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او وادعوا من دون
الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من
ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم بمعناه وادعوا الذين اتخذتموهم
من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون
لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت و
التهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه
المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد
بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه
محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه
كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول
الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان
الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا
اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه
معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب
فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل
لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد
وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي
اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم

معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان
العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه
وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ
اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند
سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان
وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم
المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا من يقول وقدت
النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان
فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد
المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها
وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا
يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما و
يغترون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال المقصود
اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها و
الكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله
عنهما فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك كحجارة الكبريت لسائر النيران
ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا
وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها
يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال

باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدر الفصل بينهما
بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان
بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم في الفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل
المهج والثاني تضمنهما الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع
خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه
صلى الله عليه وسلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة
ان يعارض فيدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة
لهم الان. وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف
على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقران ووصف ثوابه على
حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب
بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل
نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا
لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب
العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء
وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم
ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفار تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا
ويهنوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا
والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه
فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي
من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة. كيف الهجاء
وما تنفك صالحة. من ال لام بظهر الغيب تاتيني. وهي من الاعمال ما سوغه الشرع

على الايمان مع

الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين
والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس و
العمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين
وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه و
لا هو داخل فيه. ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور
باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب
على الستر سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة
واحدة قال. كان عيني في غربي مقتلة. من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما
فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها
لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع. جنة الفردوس وجنة
عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون.
وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب تفاوت العمال والاعمال
واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح
لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل
بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى
يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام لئن اشركت ليحبطن عملك
واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء بها. تجري من تحتها
الانهار: اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على
شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود
هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بالفتح والسكون

المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد
بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله
تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم
جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما
نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من
ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون
من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا
كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد منه
بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى
هذا مثل الذي رزقناه ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا
لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره
ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك
او في الجنان لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون
واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر
لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا و
الداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم
في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه

عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في
الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من
اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم
واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا
آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا
انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد
نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما
يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء
الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس
هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من
جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع و
فائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم
الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات
والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها
في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي
والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان
وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله
حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل عدمهما

بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان
لكن المراد به الدوام هنا عند الجمهور لما يشهد له الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة
من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة
بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها
على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن
هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف
البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل
جليل اذا قارنه خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات
بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور. ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب
ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة
التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما
يصار اليه لكشف معنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه
العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك
شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم
كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة
واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين
بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل

من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما
يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به
بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح
وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فيقال حيي الرجل
كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما
جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم
يستحيي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد
به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف و
المكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء
يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من
التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في
كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر
وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها
طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي
في قوله فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان
بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة
وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب
ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخرى ان تكون موصولة حذف
صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك و
محلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان

يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينارا ودينارا ن و
البعوضة فعولة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلبا على هذا النوع
كالخموش. فما فوقها: عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها
في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
من ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا و
هو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله
عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم
كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النمل لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النمل. فاما الذين آمنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم: اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء
فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على
الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدأ
عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم
بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت
الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج. واما الذين
كفروا فيقولون: كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل
قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية
ليكون كالبرهان عليه. ماذا اراد الله بهذا مثلا: يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية
وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبرا وان يكون ما مع ذا اسما واحدا
بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع
على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها

ميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع
الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف
في معنى ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم
تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه
يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه
بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل
وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة
الله لكم آية. يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا: جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء
كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده و
الانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم
لا بالقياس الى مقابليهم فان المهتدين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال وقليل
من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
باعتبار الفضل والشرف كما قال: قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا * وقال *
ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا * وما يضل به
الا الفاسقين: اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة: فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق في الشرع الخارج عن
امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها
احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال
بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام
وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي
او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة
عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده وجعلوه قسما ثالثا

نازلا بين منزلة المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزوا به وقرئ يضل به على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع. الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه الله على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه. من بعد ميثاقه: الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق. ويقطعون ما امر الله به ان يوصل: يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المومنين والتفرقة بين الانبياء

عليهم الصلوة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يومر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى. ويفسدون في الارض: بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه. اولئك هم الخاسرون: الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب. كيف تكفرون بالله: استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون. وكنتم امواتا: اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة. فاحياكم: بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي. ثم يميتكم: عند تقضي آجالكم. ثم يحييكم: بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسوال في القبور. ثم اليه ترجعون: بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه. فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى

لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من
اعادته او مع الضالين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على
الايمان اوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور
الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية
المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
كانت من النعم العظيمة مع ان المعدودة عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد من الجمل فان بعضها ماض
وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة
عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي
جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم
الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان
حيوانا في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من
الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت
بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه
بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على
الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم
احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط
او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة
والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث

حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص
بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل
واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو
وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من
قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء و
اصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى
بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم
كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله والارض بعد ذلك
دحيها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها
الا ان تستأنف بدحيها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف
الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة
من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع
والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل
اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك
وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق
خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق
ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا
النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها
بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم
من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع
اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها
كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات

خلق

وقد رتب عليها ثانيتين الاثنتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع و
الحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما
بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية فانه تعالى عالم بها وبمواقعها
قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتها بانه تعالى قادر على ابدائهم و
ابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه
خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعا فيه مصالحهم و
سد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقد سكن نافع برواية قالون وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها
له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد
لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان
امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع
فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة
لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر
الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية
قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل
عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على
خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل
والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط
بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم
بعد اتفاقهم انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم
كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة الشريفة المفارقة للابدان

للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون
والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء
وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون و
هم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم اجمعون لعموم اللفظ وعدم المخصص و
قيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم
في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر
والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره
وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه
وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره
فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره
بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا
ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى
عليه الصلاة والسلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير
ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل
الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك
او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر
ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة
قوله تعالى للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته و
لقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوا

وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير الى غير ذلك. قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. تعجب من
ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة
اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم من معلمه عما يختلج في صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم
ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا
ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن
انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة
والسفح في الصب من اعلى والشن الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي
يسفك الدماء فيهم. ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال
كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى ايستخلف عصاة
ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع
منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا ان
المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان الى الفساد و
سفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا
ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة
مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف
ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود
من الاستخلاف واليه اشار اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون. والتسبيح

التسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس
في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن
الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح و
سفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل
نقدسك واللام مزيدة. وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها
فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل
يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر و
شالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض
لما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها
وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس و
الاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مفردا
او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول
لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى
خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها
واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها. ثم عرضهم على
الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس
شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء
سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ و

تذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلا وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض
مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة و
الوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون
من باب التكليف بالمحال والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد
منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقا بالخلافة بعصمتكم او ان خلقهم و
استخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم
والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار
وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت. قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف
بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه
قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما
عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان
مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله
وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل
مفتاح التوبة وقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام
سبحانك اني كنت من الظالمين. انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية
الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد
للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع
يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا
خبره ما بعده والجملة خبر ان. قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم و
قرئ بقلب الهمزة يا وحذفها بكسر الها فيهما. فلما انباهم باسمائهم قال الم
اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه
فانه تعالى لما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة

علم ما

الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان
يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون
استبطانهم انهم احقا بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا
من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة في قوله الم اقل لكم للانكار دخلت
حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف
الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها
وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه
بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او
عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة
وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم
الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة
وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكما منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم
منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى
يعلم الاشيا قبل حدوثها. واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم بالاسماء
وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا
فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف
السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة
باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع
تطامن قال الشاعر. ترى الاكم فيه سجدا للحوافر. وقال فقلنا له اسجد لليلى
فاسجدا. يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة
والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم
تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة

الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات و وصلا الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب و
الدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته و باهر آياته و شكرا لما
انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان: اليس اول من صلى لقبلتكم
واعرف الناس بالقران والسنن. او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس و
اما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف عليهم السلام
له او للتذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم و يتم به كمالهم والكلام
في ان المامورين بالسجود: الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق. فسجدوا الا ابليس
ابى واستكبر: امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه
ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار و
التكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع. وكان من الكافرين
اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل
والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده والاية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه
وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد
على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن
الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان ضربا من الملائكة يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ من اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر
الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم
ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه
قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان
الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل
ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس رضي

في الصحاح المتشبع المتزين

الله عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار
لما روت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجن
من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك
غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى
جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب
واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار
وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره و
ان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة
اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا
ابي الحسن الاشعري رحمه الله. وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة:
السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح
العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف
عليه تبع والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها
لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه
الله امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله
تعالى اهبطوا مصرا. وكلا منها رغدا: واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما: اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعذر في
التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر. ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين: فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من
مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان
القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو
مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم
عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم

بارتكاب القبائح او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد
السببية سوا جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او
التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية
لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التا وهذا بالياء فازلهما
الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه
في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة
فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زل تقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن
الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة
وكيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من
الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلا
لآدم وحوى وقيل قام عند الباب فناديهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم
تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا
خطاب لآدم وحوى لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان
يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال
استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله
ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين
يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات
على انها استقبلته وبلغته وهو قوله ربنا ظلمنا انفسنا وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا

قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي الى
الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع و
البصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه
بالفا على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه و
العزم ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك
طوى ذكر النسا في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة
او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان
رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى
المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان
مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد ولاختلاف المقصود فان الاول
دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا
للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن
باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله فكيف بالمقترن بهما
ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول
من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ
تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب
والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك
واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر
لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسول واقتضاه العقل اي فمن تبع
ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه
ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفي عنهم

العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل و
لا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون عطف على من تبع قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله و
كذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات
القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او
من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية
كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات
المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا
عليهم الصلوة والسلام من وجوه الاول ان آدم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب
له عاص الثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على
الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى و
الجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني
ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له و
اما اسناد الغي والعصيان فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما
امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة
قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب
بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم
كما قال عليه الصلوة والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على
الجهل بشأنه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس

فيهما ما يدل على انه تناوله حين قاله ابليس فلعل ما قاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه
كف عنه نفسه مراعاة لحكم الله الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع
انه اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى
عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي
انه عليه الصلوة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور
امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده
وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى
مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم
قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار
بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار
بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله
وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء
خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده
في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه
فقال يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب
ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال
بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي
بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع
فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم
الله عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله
عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا

وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها. {واوفوا بعهدي} بالايمان والطاعة
{اوف بعهدكم} بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف
الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب
الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدم والمال
وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله
الفوز باللقا الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول
والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين في سورة المائدة في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم
جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة {واياي فارهبون} فيما تاتون وتذرون
وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه
مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه
قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني فالرهبة خوف معها تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المومن ينبغي ان لا يخاف
احدا الا الله {وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم} افراد للايمان و
بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة في الوفاء بالعهود وتقييد المنزل
بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او
مطابق لها في القصص والمواعيد والدعا الى التوحيد والامر بالعبادة و
العدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها
حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا

حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض
بقوله {ولا تكونوا اول كافر به} بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم
كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول
كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم
اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم
مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك
اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه
فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له
وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اأول من آل
فقلبت همزته واوا {ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا} ولا تستبدلوا بالايمان
بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما
يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا
منهم فخافوا عليها لو اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا
ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه {واياي فاتقون} بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت
بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة
التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو
منتهاه {ولا تلبسوا الحق بالباطل} عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشي
مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز
بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تاويله {وتكتموا الحق} جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال مع
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان
على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف
ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق {وانتم تعلمون} عالمين بانكم لابسون كاتمون

فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة : يعني صلوة المسلمين
وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم
باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما
فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة
فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل • واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم
فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس
وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد
الى ما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع
يوما والدهر قد رفعه • اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر
التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة
بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب • وتنسون
انفسكم • وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه
وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون • وانتم تتلون الكتاب
تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك
البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون • قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل
لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به
الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس
تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه
وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما
تابى عنه شكيمته • والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل
ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور
بهما لا يوجب الاخلال بالآخر • واستعينوا بالصبر والصلوة : متصل بما قبله
كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال
عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله

تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس و
التوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة
القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب روي انه صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان
يراد بها الدعاء • وانها • اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها
لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة
شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا على الخاشعين • اي المخبتين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد
ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب • الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون • اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم
يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان
الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر
فارسلته مستيقن الظن انه • مخالط ما بين الشراسيف جائف • وانما لم تثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله
مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلوة والسلام وجعلت
قرة عيني في الصلوة • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم •
كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها • واني فضلتكم • عطف على نعمتي على العالمين
اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان
يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعل فيهم انبياء وملوكا
مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك • واتقوا يوما • اي ما فيه من
الحساب والعذاب • لا تجزي نفس عن نفس شيئا • لا تقضي عنها شيئا من الحقوق
او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى

على هذا تعين ان يكون مصدرا او اراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف المجرور
قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او
مال اصابوا. ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية
او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه
اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره و
الاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو
ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا
بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها
سويت بالمفدي وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء. ولا هم ينصرون
يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في
سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص
من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في
الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم
ان اباءهم تشفع لهم. واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة و
قرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء
والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم
ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان
وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة
يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء
سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء
ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما. يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم

نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا
بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه
فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا. وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار ولكن لما كان اختبار الله عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما. من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما
عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من
الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك
بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله. تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به
وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن
ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق
يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا وروي انه تعالى
امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على
شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا و
تسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين. اعلم ان هذه الواقعة من اعظم نعم الله على بني اسرائيل ومن
الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع القديم الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم
اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة
والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر
من معجزاته عليه الصلاة والسلام امور نظرية مثل القران والتحدي والفضائل
المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها الاذكياء واخبار

صلى الله عليه وسلم من جملة معجزاته على من تعزيره ❊ واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع و عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجرم من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر بالآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض عن مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برئ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة و كانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند باريكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم باريكم وذكر البارى و

وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة والافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون من اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث عليهم الجنوب السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانهم لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى

موسى م

عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة و
قيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم
ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ
كخطايع عند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند
الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا
محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة
والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور
او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما
يعاف منه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه
مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا
في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا
مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط
وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه ادم من الجنة
ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل
وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في
الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى
ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه
به اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا

اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان
ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع في طول موسى من اس الجنة وله شعبتان
تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره
فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي
يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم
من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت
منه ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان
غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله
ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية
جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل
ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب
الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن
نصبر على طعام واحد يريدون به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا
تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه
ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا
الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه
يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة
مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن
للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع
الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي
تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم و
هو لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون
قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف و

الرفعة فقيل لبعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة. بالذي هو خير يريد
به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي. اهبطوا مصرا
انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ
بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه
لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل
اصله مصرائيم فعرب. فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت
بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او
على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم. وباءوا بغضب من الله رجعوا به
فصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة. ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم
بالمعجزات التي من جملتها ما عدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال
المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية
الرجم التي فيها نعت محمد عليه الصلوة والسلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم
قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون: اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب
كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب تؤدي الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة
بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في
الضمير قول رؤبة. فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست

ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع. ان الذين آمنوا بألسنتهم يريد به المتدينين
بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في
سلك الكفرة. والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود
اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا
فكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام. والنصارى جمع
نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح
او لانهم كانوا في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها. والصابئين — معه
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة
الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ
نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من
سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل. من آمن بالله واليوم الآخر و
عمل صالحا: من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام
دخولا صادقا. فلهم اجرهم عند ربهم: الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون. حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل
من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع
سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم. واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسى والعمل بالتورية. ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي
ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا. خذوا على
ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة: بجد وعزيمة. واذكروا ما فيه
ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب واعملوا به. لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يعلق بالقول

المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا وارادة ان تتقوا. ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن
الوفا بالميثاق بعد اخذه. فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد
صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك
في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشي لامتناع
غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والاسم الواقع
بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب
مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف. ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في
السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل
يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج
خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليه الجداول وكانت الحيتان
تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد. فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت
صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا
كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز. فجعلناها
اي المسخة او العقوبة. نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد. لما
بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى
وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها
وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها. واذ قال موسى لقومه ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء
بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كا ن

كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا
يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبر بقاتله
قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزؤ او اهله او مهزوا بنا والهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص
عن عاصم بضم الزاء وقلب الهمزة واوا. قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عنه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها و
صفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا
لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شي من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ولم يروا مثله. قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا
يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب
البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة. عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون
بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف
الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان
المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان
المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ
قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني
ظاهر اللفظ والمروي عنه صلى الله عليه وسلم لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا
ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او
امركم بمعنى مأموركم. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر
فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها
فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي

من صفر اولادها كالزبيب . ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانه من مقدماته
اولان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا يؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من
السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسوال الاول واستكشاف زايد
وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثير فاشتبه علينا وقرى ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر و
البواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث
وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه
ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة
الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة
والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى
الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى
والفعلان صفتا ذلول كانه قال لا ذلول مثيرة وساقية وقرى لا ذلول بالفتح
اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا
اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر
وشاه شية ووشيا اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق
اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرى الان بالمد على الاستفهام و
لان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعتهم
او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا منهم
كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها لابنى حتى يكبر وكانت
وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا و

وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا
فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال
ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا
ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى
الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم
فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه
الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما
اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم
وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها
اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن و
قيل بالعجب كذلك يحيى الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب
مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
كلها او لكى تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط
لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثماية دينار وان المؤثر فى
الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها ومن اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين
زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى
طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى النفس
فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ
والنزاع ثم قست قلوبكم والقسوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر
وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد

قوله

ذلك يعني احياء القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب
فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه ويعضده قراة الجر بالفتح عطفا على الحجارة
وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال
المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل
للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها لما يتشقق فينبع منه الماء
وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب
هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن
الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها
وبين ان النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك
وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم
او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم
يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد عليه الصلوة والسلام
وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان
استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من
بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم
مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة
فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في
ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق
ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي

الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين
لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا
للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا
عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما
يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم
او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها
افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم
يحاجوكم به فيحجوكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء
المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله
عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعون التوراة ويتحققوا ما فيها او التوراة
الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان
في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى لكن
يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم
من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله
اول ليله تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان
هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم
على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد و
الزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في
جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل الويل له ولعله سماه بذلك مجازا
وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون

الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تاكيد
كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به
عوضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب
الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به
واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة
قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما و
بعضهم قال مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل
اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار
الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم
عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام
تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين
كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير
والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه
اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة
قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة
تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة
على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه و
شملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في
شان الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة
به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه
استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه
الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا
ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته

خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون
دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة
وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده
بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه
عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى
النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من النهي لما فيه من ايهام ان
المنهي سارع الى الانتهاء فهو مخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف
قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذفت
ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا
فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى وندمان وهو قليل ومسكين مفعيل من
السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين
وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم
على طريق الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه
الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم
وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض
الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون

صح ه

ين احسانا

دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم: على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضكم
بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا اودينا
او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من
دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا
تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون: توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل
انتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم
مجازا ثم انتم هؤلاء: استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك
انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار
ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم و
تخرجون فريقا منكم من ديارهم: اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان
لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته
والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ
عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارها وتظهرون
بمعنى تتظهرون وان يأتوكم اسارى تفادوهم: روي ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في
القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم
بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى
وقيل هو ايضا جمع اسير وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو
محرم عليكم اخراجهم: متعلق بقوله تخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض
والضمير للشأن او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع لما دل عليه تخرجون من المصدر

المصدر واخراجهم تأكيد او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون
ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة
الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون: تأكيد للوعيد اي الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان
الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة: آثروا
الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب: بنقص الجزية في الدنيا و
التعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون: بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى
الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل
كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه
من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى بن مريم البينات: المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى
بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال
قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه
قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس: بالروح المقدسة كقولك حاتم
الجود ورجل صدق واراد به جبريل عليه السلام وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها
به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافه الى نفسه او
لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم
الذي كان به يحيي الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم: بما لا تحبه يقال هوي بالكسر
هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين
الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم
ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان

واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية
والتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او
للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك
سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا
يصل اليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله
غلُف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا
تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق لكن الله خذلهم بكفرهم
فابطل استعدادهم وانها لم تأب قبول ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم
بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى
العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم و
قرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل
عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او
يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل سال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا و
خوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على
انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا
اوليا لان الكلام فيهم بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء
مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب
ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل
الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون

دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله و
قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء
من عباده على من اختاره للرسالة فباءو بغضب على غضب للكفر والحسد
على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام او
بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب
العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة
باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التورية ويكفرون بما وراءه حال عن
الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد
القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق
التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض
عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده
اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله
مهموزا في كل ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء
موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا
لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم
مع موسى لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد و
اسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في
قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل
الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله
انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية
ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم

به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به

ایمانکم ای بالتوریة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما یعمه وغیره من
قبائحهم المعدودة فی الآیات الثلث الزاماً علیهم ان کنتم مؤمنین تقریر للقدح
فی دعویهم الایمان بالتوریة وتقدیره ان کنتم مؤمنین بها ما امرکم بهذه القبائح
ورخص لکم ایمانکم بها او ان کنتم مؤمنین فبئس ما امرکم به ایمانکم بها لان المؤمن
ینبغی ان لا یتعاطی الا ما یقتضیه ایمانه لکن الایمان بها لا یأمر به فاذاً لستم
بمؤمنین. قل ان کانت لکم الدار الآخرة عند الله خالصة: خاصة بکم کما قلتم
لن یدخل الجنة الا من کان هوداً ونصبها علی الحال من الدار. من دون الناس
سائرهم او المسلمین واللام للعهد فتمنوا الموت ان کنتم صادقین: لان
من ایقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص الیها من الدار ذات
الشوائب کما قال علی رضی الله عنه لا ابالی سقطت علی الموت او سقط الموت
علی وقال عمار بصفین الآن الاقی الاحبة محمداً وحزبه وقال حذیفة حین احتضر
جاء حبیب علی فاقة لا افلح من ندم ای علی التمنی سیما اذا علم انها سالمة له لا
یشارکه فیها غیره. ولن یتمنوه ابداً بما قدمت ایدیهم من موجبات النار کالکفر
بمحمد صلی الله علیه وسلم والقرآن وتحریف التوریة ولما کانت الید العاملة مختصة
بالانسان آلة القدرة بها عامة صنائعه ومنها اکثر منافعه عبر بها عن النفس تارة
والقدرة اخری وهذه الجملة اخبار بالغیب وکان کما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر
فان التمنی لیس من عمل القلب لیخفی بل هو ان یقول لیت کذا وان کان بالقلب لقالوا
تمنینا وعن النبی صلی الله علیه وسلم لو تمنوا الموت لغص کل انسان منهم بریقه
فمات مکانه وما بقی علی وجه الارض یهودی. والله علیم بالظالمین تهدید لهم
وتنبیه علی انهم ظالمون فی دعوی ما لیس لهم ونفیه عمن هو لهم. ولتجدنهم احرص الناس
علی حیوة: من وجد بعقله الجاری مجری علم ومفعولاه هم واحرص وتنکیر حیوة
لانه ارید فرد من افرادها وهی الحیوة المتطاولة وقری باللام. ومن الذین اشرکوا
محمول علی المعنی فکانه قال احرص من الناس ومن الذین اشرکوا وافرادهم بالذکر
للمبالغة فان حرصهم شدید اذ لم یعرفوا الا الحیوة العاجلة والزیادة فی التوبیخ
والتقریع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء علی المشرکین دل ذلک علی علمهم

بانهم صائرون الی النار ویجوز ان یراد واحرص من الذین اشرکوا فحذف لدلالة
علیه وان یکون خبر مبتدأ محذوف صفته یود احدهم علی انه ارید بالذین اشرکوا
الیهود لانهم قالوا عزیر ابن الله ای ومنهم ناس یود احدهم وهو علی الاول بیان
لزیادة حرصهم علی طریق الاستیناف. لو یعمر الف سنة حکایة لودادتهم ولو بمعنی
لیت وکان اصله لو اعمر فاجری علی الغیبة لقوله یود کقولک حلف بالله لیفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان یعمر الضمیر لاحدهم وان یعمر فاعل مزحزحه ای
وما احدهم بمن یزحزحه من النار تعمیره او لما دل علیه یعمر وان یعمر بدل منه او مبهم وان
یعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقیل سنهة کجبهة لقولهم سانهته و
تسنهت النخلة اذا اتت علیها السنون والزحزحة التبعید. والله بصیر بما یعملون
فیجازیهم. قل من کان عدواً لجبریل نزلت فی عبد الله بن صوریا سأل رسول الله
صلی الله علیه وسلم عمن ینزل علیه فقال جبریل فقال ذاک عدونا عادانا مراراً واشدها
انه انزل علی نبینا ان بیت المقدس سیخربه بخت نصر فبعثنا من یقتله فرآه ببابل فدفع
عنه جبریل وقال ان کان ربکم امره بهلاککم فلا یسلطکم علیه والا فبم تقتلونه وقیل دخل
عمر رضی الله عنه مدارس الیهود یوماً فسألهم عن جبریل فقالوا ذاک عدونا یطلع محمداً
علی اسرارنا وانه صاحب کل خسف وعذاب ومیکائیل صاحب الخصب والسلام و
قال وما منزلتهما من الله قالوا جبریل عن یمینه ومیکائیل عن یساره وبینهما عداوة فقال
لئن کانا کما تقولون فلیسا بعدوین ولانتم اکفر من الحمیر ومن کان عدواً لاحدهما
فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبریل قد سبقه بالوحی فقال صلی الله علیه وسلم لقد وافقک
ربک یا عمر وفی جبریل ثمان لغات قری بهن اربع فی المشهورة جبرئیل کسلسبیل قرأه
حمزة والکسائی وجبریل بکسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن کثیر وجبرئیل کجحمرش قرأه
عاصم بروایة ابی بکر وجبریل کقندیل قرأه الباقون واربع فی الشواذ جبرئل وجبرائیل
وجبرین وجبرائل ومنع صرفه للعجمة والتعریف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز
الاول لجبریل والثانی للقرآن واضماره غیر مذکور یدل علی فخامة شأنه کأنه لتعینه وفرط
شهرته لم یحتج الی سبق ذکره. علی قلبک فانه القابل الاول للوحی ومحل الفهم والحفظ وکان حقه علی
قلبی لکنه جاء علی حکایة کلام الله کأنه قال قل ما تکلمت به. باذن الله بامره او تیسیره

حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله
والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
وكفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب
المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب فى عداوته انه
نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدوه كما قال
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين
اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام
بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكين بالذكر
لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر
واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ
الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الكافرين
موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ
نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ
ميكئل وميكئيل وميكائيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على اعظمه كانه
متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة
للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا
نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق
لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وان
من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والتسليم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه و
نبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل لما مع الرسول وهو

القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر
لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين ولكن
يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيات على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا
بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم
لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون
بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب
السحر التى تقرأها او تتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان
اى عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا
اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك فى عهد
سليمان حتى قيل ان الجن يعلمون وان ملكه تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح
له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر و
ان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس
السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان فى تحصيله
بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه فى
الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر
عن النبى والولى واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او
يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه فى الاصل
لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء
من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة
فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء
بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر

وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة ملكين بالكسر وقيل ما انزل
معطوف على الكفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او
الضمير في انزل والمشهور انه بلدة من سواد الكوفة هاروت وماروت
عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما
اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له
انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا
تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري
على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم
لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به
غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود
لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء
علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به
انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على
اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل
الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لا يعلم ولو انهم امنوا
بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة
من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم
محذوف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها
وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى

المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة
وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
مما هم فيه لكنهم تركوا التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقنه حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه
به مريدين نسبته الى الرعونة او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا
بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار بمعنى الامهال
اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا
رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا
واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا
كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين
عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وسبوه ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة
المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في
كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من
يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله
ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس
لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت
لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر
بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب

المسلمون م

الهوج
الاتحاد

ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا
وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية
وقرا ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير
وابو عمرو ننسأها اي نوخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها
اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير
منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب
وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شي قدير فيقدر على
النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ اذ
الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان
الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل
ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك في اللفظ
والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب
بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته كقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم
ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شي قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك
العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك
اموركم ويجريها على مصالحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما
سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلم انه مالك الامور
قادر على الاشيا كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسوال كما
اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السما وقيل

قيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه ومن
يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى
الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويودي بكم الضلال الى البعد عن المقصد
وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم
لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا
مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق
بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او
بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه
حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر لان الامر غير مطلق
ان الله على كل شي قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر
وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة وصدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه
عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء
فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله
وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة
وهي ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او
الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة
ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه
من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو

وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له في عمله عند ربه ثابتا عنده ولا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها
معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما
قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا
ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون كعبدة
الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا
فان كلا من الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به
كل ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب
القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون بما يقسم لكل ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب
مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت
المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه و
سلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع
وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا
على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
من ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم
من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية
ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب

فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم

المغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر
بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او ثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل
فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في
صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة
فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت
لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب
الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم و
قرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبه والحاجة وسرعة الفنا
الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما
يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات
والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات
والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون
له ولدا لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال
قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما
فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما
بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء
على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع
السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع
او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد
عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على

ثم تبين له الخطاء م

الولد باثبات م

على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء
دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له
ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام
الشيء قولا كقوله وقضى ربك وفعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق
الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من
كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول
ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى
الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله
تعالى مستغن عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب
في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله
باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه
هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك
تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين
لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا آية على صدقك
والاول استكبار والثاني جحود بان ما اتاهم آيات استهانة بهم وعنادا كذلك
قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء
ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون
اي يطلبون اليقين ويوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى
انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا
ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب
لا تسأل على انه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم

تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع
خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم
فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم
ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى ان هدى الله الذي
هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم
الزائفة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى
راي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من
الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب
يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر
في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبره على ان المراد
بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر
به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام
بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم
الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة و
اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان
الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال
الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى التائبون العابدون وقوله ان المسلمين
الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت
بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج و

بالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر
وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعاه بكلمات مثل ارني كيف
تحيي الموتى واجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فأداهن
كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه
اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب
اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال
فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام
اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا
باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا
سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت
من الذر بمعنى التفريق او فعولا او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ
ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه
على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد و
الظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء
من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد
اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا
مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع
امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه
من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي
اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف
على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد وهو امر استحباب
ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا

ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم وروي انه صلى الله عليه
وسلم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام
ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله
وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه
الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل
امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول
يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين
حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين
جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا
امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من
امن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال
ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة
فنبهه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم
في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن
سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى
نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز
المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه
من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة
واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون
العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس

صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله
ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان
يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل
المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد و
تبيينها تفخيم لشانها. واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل
في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب. ربنا تقبل منا
اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا. ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه
وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن
ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخص بعضهم لما علما ان في ذريتهما
ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال على الله تعالى
فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد
صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين
وفصل بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات. وارنا مناسكنا
من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في
الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو
بالاختلاس. وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما
قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما. انك انت التواب الرحيم لمن
تاب. ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير
محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي. يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه

الآية من دلائل التوحيد والنبوة. ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي
لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له. ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته
الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه
بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم
رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا
من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي. ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه
في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا
وكان مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب
عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر. اذ قال له ربه اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كأنه
قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية
الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر. ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية
هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله
وفصاه اذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله
اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ. ويعقوب
عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره
رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة
اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب

اثني عشر روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشحون وزبولون ودنا
ونفتوني وكودا واوشر ويوسف وبنيامين. ان الله اصطفى لكم الدين
دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره
النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك
الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع
وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه
ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات
فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال
فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء
وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر
بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد
به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل
عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه فاذا سئل عن
وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد
اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم
الرجل صنو ابيه كما قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه
جمع بالواو والنون كما قال وقلنا بين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او
وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف
على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل
نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم
ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي به الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما

كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم
باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال صلى الله عليه وسلم لا ياتيني
الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا
هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة
ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اي
ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال
من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم
مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم
وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا وسبب للايمان
بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين
تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع
سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم و
اسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما
بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي
النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق
بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام
فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة
من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون
التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد
لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بسيئة مثلها والمعنى فان

آمنوا بما آمنتم به ايمانا مثل ايمانكم به والمثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا
عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة
فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية و
تسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم
اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة
او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه
صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها
حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر
قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة
ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا
معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك
النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه
نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فنزلت
وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب
ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء
واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص و
كما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل

اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة
للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا
بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل أأنتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله و
ما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية و
البراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة
وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن
للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم
وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في
الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس
الذين خف احلامهم عقولهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين
لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس
واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس
والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان
المتوجه اليه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان
لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما تقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة و
الكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط
المستقيم وجعلنا قبلتكم افضل القبلة جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين
بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم
استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد و

الجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس
علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى
ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين
كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون
بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم وروي ان الامم يوم القيمة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى
بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن
حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول
كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها
وهي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة
الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس
الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ
والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة
اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها
الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل
كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون
لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل لقوله ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول
والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن

ويكون الرسول شهيدا عليكم

ينقلب اى ليعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا
والضمير لما دل عليه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة
او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله
الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم
اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه وسلم لما
وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت
ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم
الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء
تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين
وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر و
لم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته
واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية
وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام
نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن شئ من شطر اذا انفصل ودار شطور
منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى
المحرم فيه القتال وممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه
عليه الصلوة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال
عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة
عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى
باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب
وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما له وايجابا
لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة و

ان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تخصيص كل
شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه
وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة
واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط
والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت
بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان
ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة و
النصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو
فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي
ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين
واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين
آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان
لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم
اي ليشهد الاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم ولا يلتبسون عليهم بغيرهم
وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا اعلم به مني بابني قال لم قال لست اشك في محمد صلى الله عليه وسلم انه نبي واما
ولدي فلعل والدته خانت به وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص
لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره
من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او
للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي
عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ
بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه

اي انه من ربك او كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم
عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا
يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة
ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه و
قرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد
جبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا
الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهي المسامتة للكعبة اين ما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا
من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا
من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة
يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت
للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرا ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم
لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها
كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ
من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا
يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا و
يتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا
منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم

يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى
قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة
راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم . بهن فلول من قراع الكتائب .
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا
تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف عنهم اي امرتكم باتمام النعمة عليكم
وارادة اهتدائكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم
او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت
على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر
القبلة وفي الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال
فاذكروني يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل
على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به
عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا
تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء و
لكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس
ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة
لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت

الآيات والسنن وعلى هذا فالتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله
ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء
وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله
بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما
يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم و
نقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول الله اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال
عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه را جعون
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله فانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما
ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى
التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل
له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر
الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج
لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على
المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج

١٥

اسم صنم

اسم صنم من حجر

المسلمون ان يطوفوا بينهما كذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة
وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله
فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في
معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك و
الشافعي انه ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من
حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه
معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم
مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد
صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به
من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا
الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك
وبينوا ما بينه الله تعالى في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التورية ليمحوا سمة
الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة
وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار اي لم يتب من الكافرين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل
الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على
محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولهم اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل
نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة و

والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح
ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لما يتوهم ان في الوجود
الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى
النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد
غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان
في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات
متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
لقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
انه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب
لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين
على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من
السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك و
السحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل
دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات
في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث
النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي
على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان
الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله و
اشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه الصلوة والسلام ويل لمن قرا هذه
الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل
منها بوجه مخصوص من وجوه مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها

كالارض وان يتحرك بعكس حركته وتحت تقبير المنطقة دايرة مارة بالقطبين وان
لايكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزايها
فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه حكمته ويقتضيه مشيته متعاليا
عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل
ان كان لهما لزم اجتماع موثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار
اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام
واهله وحث على البحث والنظر فيه • ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
من الاصنام وقيل من الرؤسا الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرا الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغل عن الله يحبونهم
يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه و
بينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه
الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتنا ء
بتحصيل مرضاته ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه
عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف
محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة يزول بادنى سبب ولذلك كانوا
يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدايد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه
الى غيره • ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه
كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب
لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين
ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله جميعا لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر
ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك
لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البنا للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا

كذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرا الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرا المتبوعون من الاتباع وقرئ
بالعكس اي تبرا الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال
وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرا
او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع و
الاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي
يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البنا للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا
كرة فنتبرا منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفا اي ليت لنا كرة
الى الدنيا فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الارا الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب و
الا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه
العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن
للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع والشهوة المستقيمة
اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في
اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وحمزة وابو عمرو بسكون
الطا وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة
جعلت ضمة الطا كانه عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن
يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء
والفحشا بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه
وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشا ما انكره
العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام
العاقل به وفحشا باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبايح والفحشا ما تجاوز

الحد في التبع من الكبائر وقيل الاول الاحد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند
الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على
ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يجيبون
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا
باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة
من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة
لانها ايضا تدعوا الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان
اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل
على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم
بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع
لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
على حذف المضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا
كبهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما
يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع
الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في
اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها كالبهائم التي تسمع الصوت
ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت
على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء
لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع
على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل لاخلالهم بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا

من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض
سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم
الا بالشكر ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير
ذكوة والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والدم ولحم
الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع
له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله
رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك
اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار
على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا
عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي و
قول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان
قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما
ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم
هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار
اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت
دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المال
اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في
بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة
عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا
يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض

الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار
من غير مبالاة وما تامة بمعنى شي مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر
اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب
بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب
اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد
والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها
او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم
فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد
لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة
حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال
ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المومنون وقيل عام لهم
وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا
بشانه عن غيره امرها ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة و
الكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن بالله او
ولكن ذا البر من امن وقرا حمزه ولكن البر بالنصب ويؤيده قراءة من قرا
ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران
وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال على حبه اي حب
المال كما قال عليه الصلاة والسلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان توتيه
وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر و
الجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم
ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاهم كما قال صلى الله عليه و
سلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة و
صلة والمساكين جمع مسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دايم السكون

السكون كالمسكير لدايم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما
سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجاهم
الحاجة الى السوال وقال عليه الصلوة والسلام للسايل حق وان جاء على فرسه
وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع
الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود
منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني
اداوها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا
كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في الباساء والضراء
نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري الباساء
في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين الباس وقت مجاهدة
العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون
عن الكفر وساير الرذايل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة
عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشيا صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن والى الثاني
بقوله واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الاية ولذلك
وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام
من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في
الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد و
الذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض
سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد

سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده
فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال
من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ
ما في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ
الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب
وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب و
كذلك كل فعل جاء في القران. فمن عفي له من اخيه شيء: اي شيء من العفو لان عفا لازم
وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى
ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى
بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا
عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن
جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنس
والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية
بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل
ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها
على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود
القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين
الدية تيسيرا عليهم وتقريرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك
قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا
محالة لقوله عليه الصلوة لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص
حياة: كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف

القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما
وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا
يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم
الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل
المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة
ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة او
حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة
او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب: ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل
في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون: في
المحافظة على القصاص او الحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت: اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك
خيرا: مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله
سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عايشة
رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف
فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين: مرفوع بكتب وتذكير فعلها
للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل
في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب
الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان
صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث
وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر
لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز
عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم
الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف: بالعدل فلا

يفضل الغني لا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما
اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذي
خاف وخالف الشرع فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء
جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم
باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على
النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن
المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر
الشهوة التي هي مبدأها كما قال صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
او الاخلال باداءه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم
او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام
لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان
او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب
على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم
في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد
فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن
كان منكم مريضا (اي مرضا) يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان
من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض
او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها
وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موصٍّ

ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم
فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام
وجمع المساكين وقرئ يطوقونه بالادغام ويتطوقونه ويطيقونه على ان اصلهما
يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءة يحتمل معنى
ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار و
الفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن
تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها
المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته
المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك
شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر
رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول ان تصوموا وفيه
ضعف والشهر من الشهرة او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض
اي احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون
كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه الصلوة والسلام
من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر
حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدأ
فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى
الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل
لثلث عشرة والزبور لثمان عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر

وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة

المبتدا او صفة والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه
اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات
واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن
شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا والاصل فمن شهد فيه
فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف
الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه
مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره
لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق
اي شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما
افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا
علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي
يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه
ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر و
برواية ابي بكر الخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي
عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد و
اقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهامهم وليؤمنوا

ليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة
الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام
الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين اذا امسوا كانوا ام
حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد العشاء فندم واتى النبي واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد
العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن
الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى
لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ
الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال
وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان
الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر
حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن
لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة صح
كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح
من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة و
شرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين غبش لم
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود
لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض

فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين
اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول
رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم
صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير
الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخره واخراج
الليل عنه ونفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون
فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن
قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل
على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه
ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي
ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا
ان يتخطى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومناهيه كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين
نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح وروي ان
عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه السلام ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي
دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل
بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه
فانما اقضي له قطعة من نار يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما
بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل
هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فأمره

فيشتبه

محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله ح

او الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا امرها الى الحكام ح

الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها
امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها خصوصا الحج فان الوقت مراعى
فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان
ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة و
الوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من
قراءة نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر
اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون
ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من
اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر
انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا
يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره
جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها
او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل وراءه
والمعنى وليس البر بان تعكسوا مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله
واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر وباشروا الامور من وجوهها
واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى
والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل
معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان
والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده و
يؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف
المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا
تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل
من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل وحرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما

قراءة ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ح

كان او علا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود. واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك
بمن لم يسلم يوم الفتح. والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج
من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في
الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام. فان قاتلوكم
فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد
كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا. فان انتهوا عن القتال
والكفر. فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب. فان انتهوا عن
الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن
ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر
عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء. الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم
المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا
ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به. والحرمات
قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص
فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم. وهو فذلكة التقرير و
اتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم. واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شأنهم. وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق
فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري
انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها

نصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى
البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى
لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك و
الهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه
لا تجعلوها آخذة بايديكم انفسكم الهالكة فحذف المفعول. واحسنوا اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج. ان الله يحب المحسنين. واتموا الحج والعمرة لله ائتوا
بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة
من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك يعارضه ما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه
اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك
ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب
بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب
الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل
منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا
فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه من المضي مثل صده واصده
والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية
ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض
او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من
قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله لضباعة بنت الزبير حجي
واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني. فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر
او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان
يتحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه ذبح
عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده
يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله. ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ
الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه

والتضرة والتسرة

عليه الصلاة والسلام

الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا
كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل
بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية
كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه الصلوة والسلام قال لكعب بن عجرة
لعلك آذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق
بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم الاحصار
او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج و
لا ياكل منه وقال ابو حنيفة دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة
في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى
اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب
ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة
الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن
سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة صفة مؤكدة
تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به
ينتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك
اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران
لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري

المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على
اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس و
غير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج و
اعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج
اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة
وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء
الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره
من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل و
اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام
فيهن عندنا او بالتلبية وسوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي
وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق
ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء
مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على
انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في
الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة
وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر
العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما
تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل
مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن
متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال
والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم
على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤوا عن كل شيء سواه و

مقتضى العقل المبرأ عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا: في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت
فاذا افضتم من عرفات: دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة
واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات
جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين
المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة
وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء
مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل
لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم
فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان
آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة
في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب
الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا
او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه
واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق. فاذكروا الله: بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلاة العشائين عند المشعر الحرام: جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح
وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه لما صلى الفجر
صلى الله عليه وسلم
يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته و
معنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر. واذكروه كما هداكم: كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة. وان كنتم من قبله: اي

اي الهدى لمن الضالين: الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي
الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين. ثم افيضوا
من حيث افاض الناس: اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا
يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم
وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل
من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر
اي الناسي يريد آدم من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا
تغيروه. واستغفروا الله: من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه. ان الله
غفور رحيم: يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه. فاذا قضيتم مناسككم: فاذا
قضيتم العبادة الحجية وفرغتم منها. فاذكروا الله كذكركم آباءكم: فاكثروا ذكره
وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل ويذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم. او
اشد ذكرا: اما مجرور معطوف على الذكر يجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى و
اذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او ذكرا اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه او كذكر م
الذكر بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره
او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم. فمن الناس من يقول: تفصيل للذاكرين
الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على
الاكثار والارشاد اليه. ربنا آتنا في الدنيا: اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا. وما له
في الآخرة من خلاق: اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة: يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير
وفي الآخرة حسنة: يعني الثواب والرحمة. وقنا عذاب النار: بالعفو و
المغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة
الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم و
العبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهو

والذنوب المؤدية الى النار امنية لمرادها. اولئك اشارة الى الفريق الثاني و
قيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله
سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او
يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح
القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في
يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار
عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم
عليه ومن تاخر في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز
تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد
على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي
ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا
انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس
من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله
بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا
واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان
او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على
ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام
شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم
كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة وقيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم و
يدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل

اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا
من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا
وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس
المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش
وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد
او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا
لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه
ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني
وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد
حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة و
الشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح
الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع
والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال
من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت
والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه
جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا
تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء و
الخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه
لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد

جاءتكم البينات والآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز
لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي و
لذلك جاء بعده الا الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك
فجاءهم بأسنا بياتا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله فان الله
عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام
السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب
كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من
حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة
ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه
وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على
الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء
للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب
على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمراد بهذا السؤال التقريع كم آتيناهم
من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي
الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او
الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل
نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها
سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته
بعدما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها
ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه
اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن
غيرها والمزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين
على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور

الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا
يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبدأ
منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او
لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم
في الدنيا وانما قال الذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون
وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة
واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين
على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي
علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلث مائة وثلثة عشر
والمذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به
الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب
يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق
شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا
فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما
انزل الله مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره
او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل
سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف
الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت

عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي
هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع
يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولهم مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله
استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي
فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول
الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد و
الرياضات كما قال عليه الصلوة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين و
الاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب
ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال
عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما
انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه
اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه
فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم كره
طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح
على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا
عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط
صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى و
انما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما

هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه صلى الله
عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر
بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم
يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه
الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما
نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس رضي
الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة
في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل
اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل
قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف فالاولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد صرف
ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات
وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام
كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد في الليل نارا ولا
يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف
على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد
وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو
خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه
من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون

صلى الله عليه وسلم

لكم

عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان
ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت و
هو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال
كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في
الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط
الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين
امنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة و
الجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه
اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما و
العبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال
الاجر والثواب يسالونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم
ان عمر ومعاذا رضي الله عنهما في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في
الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا
عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما
تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم
دعا عتبان بن ملك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في
الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي به عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا
كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما
اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه

ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار
لانه اخذ مال الغير ميسرا وسلب يساره والمعنى يسالونك عن تعاطيهما لقوله قل
فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور
وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ و
مصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية
الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع
المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسالونك ماذا ينفقون قيل سائله
ابنه عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق قل
العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق ما تيسر له
بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذ العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال
خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس
يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرا ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين
الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام
والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين
وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيلة والجمع لعلكم تتفكرون
في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتاخذون
بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم
ويسالونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
اعتزلوا عن اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم
لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث
على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل

المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن
خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم
اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم
يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما يقتضيه
الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ
بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى
قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب روي انه صلى الله عليه وسلم بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا
من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان
الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها
وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر
المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي اولياؤه يعني المؤمنين
حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم يدعوا الى الجنة و
المغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه
بتوفيق الله تعالى وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول
من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية
كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوهن كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان
سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء و

والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان
السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد
فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه
فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل
الاعاجم وهو اقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن
ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه
العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد
الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن
اى يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان
عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث
امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في
غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن
من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا
يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد
وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه
فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم
الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت
في الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف ان لا يتصدق على مسطح لافترائه على عائشة
رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا
يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق على ما يعرض

دون الشيء والمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه
من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها لقوله عليه الصلوة والسلام
لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز
ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي لا تجعلوا الله عرضة لان تبروا
لاجل ايمانكم به وعلى الثاني لا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به
ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي
انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على
الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله
سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله
ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة
بما لا قصد معه ولكن يواخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت
فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب
والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها
والله غفور حيث لم يواخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمواخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يولون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن
تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص
الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث
في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر
من اربعة اشهر ويويده فان فاءوا اي رجعوا اليهن بالحنث فان الله غفور
رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة
التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله

الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها و
حكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ
ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان
ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء
لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر
وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب
قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ زيادة
فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح
الى الرجال فامرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف
او مفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلوة
والسلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو
المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض
واما قوله عليه الصلوة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا
يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم
تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي
الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم
لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان
يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يومن بالله واليوم الآخر
ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المومن لا
يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن
الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير

اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع
بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت
او اقيم مقام المضاف المحذوف اي اهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل
في ذلك: اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا: بالرجعة لا اضرار المراة
وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف: اي لهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن
في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة
زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف
وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن
في غرض الازدواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز: يقدر على
الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم: يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان
اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل اين الثالثة
فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة •
فامساك بمعروف: بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او
تسريح باحسان: بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخر
حكم مبتدا وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا: اي من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله
ابي ابن
ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت ابن قيس فاتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه
في دين وخلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب
الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها
فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب الازواج و
ما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا

يخافام

يخافا: اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما
حدود الله: بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب على البناء
للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء
الخطاب فان خفتم: ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به: على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة
في اعطائه تلك حدود الله: اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها
فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب
للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من
غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام
عليها رائحة الجنة وما روي انه قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها
وازيد عليها فقال اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع
عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء و
اختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج
بقوله فان طلقها: فان تعقيب الخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة
رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان
اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى و
المعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد: بعد ذلك الطلاق حتى تنكح
زوجا غيره: حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي
ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت
طلاقي وان عبد الرحمن بن زبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال
لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة

صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم

ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكم
في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها
والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الآخر بالزواج
ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن
ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي
العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون
ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن
والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي
قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب
عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل
وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ويطلقها
ليطول العدة عليها ونهى عنه بعد الامر بضده للمبالغة ونصب ضرارا على
العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء
الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض
عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه
نهي عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول
كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلوة والسلام ثلث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها

جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد
وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا
ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها
اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه
بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة
ولا يتركونهن ان يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر
فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس و
التضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا
بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه
الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي
تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي
ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل واحد او
ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة
المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان يؤمن بالله و
اليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم
انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم
لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من
امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات و

فحي
منكم

عشرين وقيل لحفض بين اذ الكلام فيه حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما
يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له
وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز
ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له و
ينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة
عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم
ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف
ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا تكلف كل منهما
الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء
للفاعل او الفتح على البناء للمفعول فعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء
صلته اي لا تضر الوالدات بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره
يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على
انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضارا به و
يتضررا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي
اي يمون المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله
الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة
وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق و
الكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا

صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة
والشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا
جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان
يقدم احدهما على ما يضره لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اي تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه
كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا
جناح عليكم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما اتاكم الله
واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما
شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
اي ازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم
السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اجالهم وتانيث العشر
باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والاعوام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله
قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا
وقوله ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك في
ثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي
تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم انها تعتد
باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر

قوله والاطلاق يقتضي على ان الزوج
انه لا يصح منع الزوجة
من الارضاع اذا سلمتم م

ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن
لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض و
التلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالكسر والضم اسم الحالة غير ان المضمومة خصت
بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج
ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا
تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن و
عن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا
عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في
السر على ان المعنى المواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا
معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن
مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو
غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا
تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا
عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم
القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا
ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل

قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان
طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم
التاء ومد الميم في جميع القران او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا او الفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء
لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق
من مطالبة المهر اذا كانت غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه
المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية
ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخير
ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما
يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام طلق امراته المفوضة
قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب
الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص
ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن
ذكوان بفتح الدال متاعا اي تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع
والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع و
سماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة ذكر حكم قسيمها فنصف ما فرضتم
اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة تبعة
المهر وانه لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا
ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير
والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك

او وتفرضوا ٤

المطلقة ٤

تين

لانصاري صح

المتعة صح

لم يؤثر فيه ان هنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو
مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا
والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقدة نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة
وهو قول القديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو
الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق و
تسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن
طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير
ابن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان
الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد
والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى
بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه الصلوة والسلام يوم
الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا و
فضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر
لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله صلى
الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار
والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها
المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين
طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر
لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن
المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا

ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجالا جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام
وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا
يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا
الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع
وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم
تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون
منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون
منكم وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه
وقرأ الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او كتب عليكم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول
نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى
التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال
من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا
لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت
النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان
خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب و
ترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها
والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد
بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها
ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد
بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان اللام للعهد والتكرير للتأكيد او لتكرير القصة كذلك

اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه
سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم
تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع
بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه
صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا
ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا
حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة
وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع آلف او الف كقاعد وقعود والواو
للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا
كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تعالى ومشيئته
وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ولانه المحيي والمميت
على الحقيقة ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت
اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على
الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر
الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص
وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر و
الثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه
وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع
بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي
يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا
حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له

له فيضاعفه جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على
جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله
احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة
لا يقدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة واضعاف جمع ضعف ونصبه على الحال
من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر
على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض
ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلا يبدل حالكم
وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق
بسطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل
الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي
من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره
ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط
والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في
ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن
الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا
من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم
في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم

لما دعى الله تعالى ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت. قالوا انى يكون له الملك علينا: من اين يكون له ذلك ويستاهل
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال: والحال انا احق بالملك منه وراثة
ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا
او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت
النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين
خلق. قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله
يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم: لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة
العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تعالى فيهما وكان الرجل
القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان
يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق
بالملك من النسيب وغيره. وقال لهم نبيهم: لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى
اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت: الصندوق
فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس و
قلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما فى الهمس
والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا
من ثلثة اذرع فى ذراعين فيه سكينة من ربكم: الضمير للاتيان اى فى اتيانه
سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون وقيل
صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلوة والسلام و

وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر
العلم والوقار بعد ان لم يكن. وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون: رضاض الالواح و
عصى موسى وثيابه وعمامة هرون والهما ابناهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما
او انبياء بنى اسرائيل لانهم ابناء عمهما. تحمله الملائكة: قيل رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت
به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم الله ببلاء حتى
هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين: يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء
خطاب من الله تعالى. فلما فصل طالوت بالجنود: انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة
واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انه قال لهم لا يخرج
معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة فسألوا ان يجرى الله لهم نهرا. قال ان الله مبتليكم بنهر:
معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه. فمن شرب منه فليس منى: فليس من اشياعى
او فليس بمتحد معى ومن لم يطعمه فانه منى: اى من لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه
ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا. وانما علم ذلك
بالوحى ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبى. الا من اغترف غرفة بيده: استثناء
من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون
على الخبر فى قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والمعنى الرخصة فى
القليل دون الكثير وقرأ ابن كثير والكوفيون بضم الغين. فشربوا منه الا قليلا منهم
اى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء
او افرطوا فى الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى
معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل الاف وقيل الفا
روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة. فلما جاوزه هو والذين
امنوا معه: اى القليل الذين لم يخالفوه. قالوا: اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا

اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي
قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما
قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين
عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن
مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع
فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت
وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ
اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض
الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن
الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت
قيل كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم و
كان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء
وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته و
رماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل
ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد
وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و
لكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين
على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم
تلك ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه
المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة
قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا

فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله
تفصيل له وهو موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام كلم موسى
ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب
قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فان كلم الله
كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة
والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر
والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن
التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس
لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا عيسى بن
مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود و
النصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة
ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة
لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيقه
التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا و
يخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه
يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل و
ان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين امنوا
انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه و
لا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص
من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة
حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له

فلا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد
التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير و
يعقوب وابو عمرو على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون
للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا
بان ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله
لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة
خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان
يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا
تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال
يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس
المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما
فان من اخذه نوم او نعاس كان مؤوف الحيوة قاصرا على الحفظ والتدبير و
لذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض
تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا
في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات و
الارض وما فيهما من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه
لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان
يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او
بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة
او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات
والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من من الملائكة والانبياء ولا يحيطون

في بعض النسخ نعاس او نوم

بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان
مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره و
الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة و
لا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم
بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله صلى الله عليه وسلم
ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش
على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج
وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب
الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج
حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه
وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد
في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو
القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء
كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك
ويقدر لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث
الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال
عليه الصلاة والسلام من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ
مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في
الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا ولكن قد تبين

الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان
رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية و
العاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو
اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما و
قال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله
بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من
نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأي
القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله
سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا
محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان
والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف
مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين
او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات
او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلقه
بقدرته وارادته تعالى اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد و
تهديد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى
الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود ان آتاه الله الملك لان

وحاقته م

لان آتاه الله اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من
منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان
آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد و
قرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال
ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه
دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز
عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله
الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما
كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه و
حاج فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر و
الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر
على قرية تقديره او أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه
لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف
مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى
كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته
وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او
كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية
التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية
على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها
اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا
واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى
كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام

ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا
لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم
كقول الظان قيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله
لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما
افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا
وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام
والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية
للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا
عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك فقالوا
هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم
بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او
الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها
الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها
محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ
ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له ان الله على كل شيء
قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما
اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر مخاطبا له او
هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى انما ساله ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له
ان الاحياء برد الروح الى بدنها قال هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل
الى تقرير آخر ثم ساله به ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال

وقرأ حمزة والكسائي

فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده
تقديره فلما تبين له

وفي بعض النسخ
ان

قال او لم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك
وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون
قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا
وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء
النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس
والصولة المشهورة بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب
والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمامة وانما خص الطير لانه اقرب
الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن
اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك
بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال وكن اطراف الرماح
تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم
الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره
اذا جمعه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم
جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن
قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا
روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر
اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى آخر
حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة الى ان من اراد
احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها
ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعية العقل او الشرع
وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال
انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان
اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة
في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة

اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف مضاف

انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة

اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت
على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها
سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر
في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوت الاعمال في مقادير الثواب و
الله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلا
وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة
والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه
وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط
ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد
جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما
وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء
حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله تعالى
ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر
او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء
فمثله اي فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه
وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما
كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار
المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج دماؤهم والله

الله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض على ان الرياء والمن و
الاذى من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة
اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم ربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها
وابل اي مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون
للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد
بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم
منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان
نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار
ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على
الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله
بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه
للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما
وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع
الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن
فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على
المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف
على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصف تنعكس من الارض

الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما
يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها
ووجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت
وترقى بفكره الى جانب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى
ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون اي تتفكروا فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض
اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمرات والمعادن فحذف المضاف
لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه اي ولا تقصدوا الردي منه اي من المال
او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا
تيمموا تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون
الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه
في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض
بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا
عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله
واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شايع في
الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي
والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا
خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع بفضله لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول
اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود
وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير
الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر

اى واسع الفضل م

كالمتذكر لما اودع الله تعالى في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو
العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من
نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او
غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين
اي الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا
يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من العقاب ان تبدوا
الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون
وكسر العين على الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين و
روي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم
يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله
عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفرض
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم وقرا
ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم في رواية ابن عياش بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية
معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على
محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك
ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن
القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح
بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من
خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه
ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما
تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا

تخفوها وم

ويعقوب ع

وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجه الله م

مضاعفة فهو تأكيد للشرط المسابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه
الصلوة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من
المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا
لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه
الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق
بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا
نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم
عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم
المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي الامرين كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال
او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون
الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر و
عشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله تعالى عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل
الله تعالى والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
خبر للذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين
ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين ح

ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو
زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع
احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشوا
من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب
اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع
في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما
الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع و
الفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي
درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ و
تبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد
على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام
فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا
يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها
ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله يقبل الصدقة
فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكوة من مال

والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات
اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على
ساير الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ات ولا هم يحزنون
على فايت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا
بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم
به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا
فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش عنه فآذنوا اي فاعلموا بها
غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك
يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره
روي انه لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من
الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه ان لم يتوبوا فليس
لهم راس مالهم وهو سديد على قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان
كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة
فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره
على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب
وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرا عاصم
بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل
دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر
الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم
الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم

اثمهم ع

او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار ع

ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص
ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلث
ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول
داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفايدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين
المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج
فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضي
الله عنه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم
كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين
باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب
ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثايق
او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن
الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا
ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع بها مطلقة ثم الامر بها
مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس منه
شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل
مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير
مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير
مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم
او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان
من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب

ولا ينقص ع

عامة العلماء، وقال ابو حنيفة رضي الله عنه تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض
فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او
فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود و
القصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان
ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما
كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه
وكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان
عقلهن وقلة ضبطهن، وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير و
ابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء
الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة
ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او
الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او
مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة
الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون
على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط و
قويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا و
اقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر
بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين ودين وادارتها بينهم تعاطيهم
اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد الا ان تتعاملوا يدا بيد فلا بأس ان لا
تكتبوه لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر
والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا . اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا . ورفعها الباقون

اي قتالنا . اذا كان اليوم يوما تقديره در

الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة
وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن
ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما
مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله و
الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق
بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله
احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلاث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم
لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم
تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ
رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك
لانه عليه الصلوة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من
شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي
هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو و
فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن
الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان
المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق
وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم و
الجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين
زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الاعمال

وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث

بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان او الخطا من تفريط وقلة مبالاة او باعيانهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له قد فعلت • وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الايتين من اخر سورة

البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة
وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال صلى الله عليه و
سلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية

وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح
الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل
على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر
بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه صلى الله عليه و
سلم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي
القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق
في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا
لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما
اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية من قبل
تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا
والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها
فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال و
انزل سائر ما يفرق به الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له
مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا

منزلا وتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا
بآيات الله من كتب المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله
عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة
عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان
او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم
الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل
على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة
كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم بانه تعالى فعله في خلق الجنين وتصويره
وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه
ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته
قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما
احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها
غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة
واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا
بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها
وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر احكمت فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله
كتابا متشابها فمعناه يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر
جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان
معناه ان القياس ان يعرف ولا يعرف لا انه في معنى المعرف او عن اخر من

كتاب م

فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه
منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس
عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله
وطلب ان ياولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع
الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب الاول يناسب المعاند والثاني يلائم
الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم
اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله
بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد
يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر
ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده
وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر و
اشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن
غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم
وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى
بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله
فتعين ان يكون هو ابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب
ومن غيرها او بانه صوره في الرحم والمصور لا يكون ابا المصور ربنا لا
تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن
نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب
ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان
بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه
بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب

الوهاب لكل سؤله وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى
وانه المتفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس
ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر و
الجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد
والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود
لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا
عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على
معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم
بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره
داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح
فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف
كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير
حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل
للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه صلى الله
عليه وسلم جمعهم يوم بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش
فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا
نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي
بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين

في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم يرى المشركون المومنين مثلي عدد المشركين وكان قريب الف
او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك بعد ما قللهم في اعينهم
حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا
من الله تعالى للمومنين او يرى المومنون المشركين مثلي المومنين وكانوا ثلثة
امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بها
على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا. راي العين
رؤية ظاهرة معاينة. والله يؤيد بنصره من يشاء. كما ايد اهل بدر ان
في ذلك. اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح
وكون الواقعة اية يحملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله
عليه وسلم لعبرة لاولي الابصار. لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم
زين للناس حب الشهوات. اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة و
ايماء على انهم انهمكوا في حبها حتى احبوا شهواتها كقوله احببت حب الخير
والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه
يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم
وفرق الجبائي بين المباح والمحرم. من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث. بيان
للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك
ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية
من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك
متاع الحيوة الدنيا. اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي

المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات
المخدجة الفانية. قل اؤنبئكم بخير من ذلكم. يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات
الدنيا. للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها. استيناف
لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة
من جرها بدلا من خير. وازواج مطهرة. مما يستقذر من النساء. ورضوان من
الله. قراءة عاصم في رواية ابي بكر في جميع القران بضم الراء وهما لغتان والله
بصير بالعباد. اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا
فلذلك اعد لهم الجنات وقد نبه بهذه الاية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها
رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين
يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. صفة للمتقين
او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل
على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها. الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار. حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما
بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما
بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان
المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال
كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان
الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة اشق والنفس اصفى والروع اجمع
سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد
الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات
الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها
شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط. مقيما للعدل
في قسمة الارزاق وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز افراده بها ولم

يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من
هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد بها او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح
او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او
حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا
هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة
وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم
العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل
شهد وقد روي في فضلها انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول
الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله تعالى سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ
الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل
الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني
واعتراض الاول او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما
اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب
الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص
بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى
اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر
او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة
لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل
اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين
القويم الذي قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس

النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن
عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب و
الاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت
لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم
بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان
اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك
اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان
الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين
يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره
قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ
حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت و
ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما
لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب
يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى
الله عليه وسلم وكتاب الله تعالى القرآن او التورية لما روي انه عليه الصلوة والسلام
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على اي دين انت فقال على
دين ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا
وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف
فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى
التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب

تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب اولاده
الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق
بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع
يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان
العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في
النار ولا قبل دخولها فاذن هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل
نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان
وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء
القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو
نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء صح
تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه
وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل
من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقتضي بالذات والشر
مقتضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق
وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها
فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت
مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب

ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على
كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر
من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق ونبه ان
الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب
عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله
دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه
والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب
او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها
وامانتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا
يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية و
نحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو و
سائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان
في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء
فليس من الله في شيء اي من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين
لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه او اتقاء و
الفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز
كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى
الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد
عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب
يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او
تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تبدوها

ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء
قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم
الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات
كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من
معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها
من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر
نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور
على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا
يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتاكيد والتذكير والله
رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة
لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته
فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله تعالى وبالله والى الله لم
يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك
فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه و
سلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب
للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من
جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها
نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران
لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله

الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على
العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على
ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله تعالى عقب
ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم
اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل
عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يود بن زرب بابل بن
ساليان بن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن منشكن بن حازقي بن احاز
ابن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن ابيا بن رحبعم بن سليمان
ابن داود بن ايشا بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذب بن رام
ابن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمان
مائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح
اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع باقوال الناس عليم
باعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران
عليم بنيتها اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا
اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران
ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة
زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة
من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رات طائرا

يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير
او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشي او مخلصا للعبادة
ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم فلما وضعتها — بقولي ونيتي صح
قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى و
جاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد
او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشي الذي
وضعت وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها
وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها
اي ولعل لله تعالى فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها
وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر و
الانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على
ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى
العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها
بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل
مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن
يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها
قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة و

خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه
النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني
ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه
اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا
على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى
وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء
حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان
الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب
اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد — او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت صح — في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في
الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي
في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء و
جعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان
يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة رضي الله تعالى عنها اهدت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي
يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو بالخبز واللحم فقال لها انى لك
هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني

اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها. هنالك دعا زكريا
ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى
كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى. قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على
الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل عليه
السلام وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم
يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر
او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع
وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا
بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدة وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم
بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر
في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من
الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة
قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظام وتعجب
او استفهام عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان
له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من
العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد وكذلك

او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له

كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له
قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة و
الشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا تقدر
على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله
وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز
للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا
بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس
بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف. روانف اليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد
الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب
وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى
الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها
شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا
لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى
وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من
النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها
آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت
بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على
الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب
او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا و

قانتا وبالسجود الصلوة لقوله وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي
لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم
للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد
تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة
والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام
باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض
او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن
مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا
ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح
بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل عليه
السلام ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم
لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد
المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز
عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان
يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها
تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام
الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان
كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله تعالى وقيل اشارة الى علو درجته
في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا
اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت بعد نزوله

نزوله وذكر احوال المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين
حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني
بشر تعجب واستبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال
كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها قول الله تعالى اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء
مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة و
التورية والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف
اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل
اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق و
كانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد
على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب
على بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى
اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله تعالى نبه به على ان
احياءه من الله تعالى لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او ممسوح
العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم
يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن
الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم
بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا
على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا و
لاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى

وقرا نافع ههنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة فيه

مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في
شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت و
هو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية
كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله
ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو
قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي
والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم
والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا
الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها
بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة العملية فانه
اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه
ملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين
ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة
والسلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم
عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او
ذاهبا او ضاما ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي
من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او
اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص
ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم
ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار
دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين
تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فا

فاكتبنا مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبيا الذين يشهدون لاتباعهم
او امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين
احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع
عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والا زدواج
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا
يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك
يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما
اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ
روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم
الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت
النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من
الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين
كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من
امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم و
لم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب
المخاطب على الغايبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم
وتفصيل له وقرا حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك
ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه
عليك من الايات خبر بعد خبر او حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره
نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل
اليه يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم الا

شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما
له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو
اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له
كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه
ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى
فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات
او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا
صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم ما ترى
فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما
باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا
تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية
الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل
من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص الحق

الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم حق دون ما
ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها
ان تدخل على المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق بالجملة
تاكيد للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه
يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان
الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي
عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس
بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا
يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق
العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما
احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول
الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم هو ذاك فان
تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه
الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج
في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية
ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى
المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى
ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل

يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة
م

الا من بعده: تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انهم انه م
وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل
موسى بالف سنة وعيسى بالفي سنة فكيف يكون عليهما. افلا تعقلون: فتدعون
المحال. ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف التنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم عليه السلام وقيل هؤلاء بمعنى
الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم
فقلبت الهمزة هاء. والله يعلم: ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون: وانتم جاهلون
به. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا: تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان
ولكن كان حنيفا: مائلا عن العقائد الزائغة مسلما: منقادا لله تعالى وليس المراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام. وما كان من المشركين: تعريض
بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة
ابراهيم. ان اولى الناس بابراهيم: ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب
للذين اتبعوه: من امته. والذين امنوا: لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وهذا النبي م
وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم. و
الله ولي المؤمنين: ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم. ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم: نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى
اليهودية ولو بمعنى ان. وما يضلون الا انفسهم: وما يتخطاهم الاضلال ولا
يعود وباله الا عليهم او يضاعف به عذابهم. او ما يضلون الا امثالهم و
ما يشعرون: وزره واختصاص ضرره بهم. يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله: بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في

الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق. يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل: بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ
تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله
كلابس ثوبي زور. وتكتمون الحق: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم
تعلمون: عالمين بما تكتمونه. وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار: اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار
واكفروا اخره لعلهم يرجعون: واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم
ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة
الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان
يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا
وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه
يشكون فيه. ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم: ولا تقروا عن تصديق قلب الا
لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى
واهم. قل ان الهدى هدى الله: يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم: متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم
ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله
اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من
الهدى وقراءة ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي
ألان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم. او
يحاجوكم عند ربكم: عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث

معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى
الجمع اذ المراد به غير اتباعكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال
لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه
اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا
استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ
الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
وقرا حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء
وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع الكسرة
على الاصل الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا
في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء
المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا عتاب وذم في شان من ليسوا من اهل الكتاب
ولم يكونوا على ديننا ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون
انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في
التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما
نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين
استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن وعموم
المتقين قام مقام رجوع الضمير من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر [illegible]
وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء

الوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به و
لننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا
يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او
لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن
التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا
يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت في احبار
حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات و
غيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي
في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل
الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة
همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند
الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك
تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عند الله وهذا لا يقتضي ان لا
يكون فعل العبد فعل الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون
الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان
نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول
الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد

الله

من دون الله ولكن اكرموا انبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين
ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف و
النون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون: بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم
دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من
التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان القراءة المشهورة
ايضا بهذا المعنى على تقدير وما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا: نصبه ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب عطفا على ثم
يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله
ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة
على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه
وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال أيأمركم
بالكفر: انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون: دليل على ان
الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون بان يسجدوا له واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه: قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به
اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم
عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى و
اذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على
حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في
لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما
مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله

وقرا ابو عمرو على اصله من رواية الدوري باختلاس الضمة

الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم
رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما
بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري: اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا: اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن
تولى بعد ذلك: بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون: المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون: عطف على
الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره
ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل
بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند
الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا و
كرها: اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى
الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين
كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي
عليهم واليه يرجعون: وقرأ حفص ويعقوب بالياء على ان الضمير لمن
قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل
عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب
اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى
لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل
على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق
والتكذيب ونحن له مسلمون: منقادون او مخلصون في عبادته

وقرا نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا

ومن يبتغ غير الاسلام دينا: اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى فلن
يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين: الواقعين فى الخسران والمعنى
المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال
الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام
اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما
يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات: استبعاد لان يهديهم
الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا
عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار
قد من فاعل كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين: الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم
اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم
مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف
غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد
عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها: فى اللعنة او العقوبة او النار وان
لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك: اى من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا
ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى دخلوا فى الصلاح فان الله غفور يقبل
توبته رحيم: يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على
ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية
فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا

ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا بمحمد عليه الصلوة
والسلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا
كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهاره لن تقبل
توبتهم: لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم
قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء
فيه واولئك هم الضالون: الثابتون على الضلال ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا: لما كان الموت
على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشىء
ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف
ولو افتدى به: محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء
الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين فى حكم شىء واحد اولئك لهم عذاب اليم: مبالغة فى التحذير
واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق بلغ
لن تنالوا البر: لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذى هو
الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون: اى من المال او ما يعمه وغيره كبذل
الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحاء فضعها
حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين
وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذا فى سبيل الله فحمل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به
فقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان

انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا
من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه
كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم
وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال
الله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل و
البانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك
احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان
يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء من قبل
ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم
عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة
على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على
من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل
والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم
وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه لما قاله
صلى الله عليه وسلم لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته
فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله تعالى بزعمه انه حرم ذلك
قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم
الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون
الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله تعالى
صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة
الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية
التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم

طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى
ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط
والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهو لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب
ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك
اعناق الجبابرة روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة و
قيل اول من بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم ثم هدم فبناه
قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت
يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله
ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم
ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير
والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في
الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما
قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى
الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها
وان كل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال
اخرى مقام ابراهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او
بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم
في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من
بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء عليهم الصلوة والسلام و
حفظه مع كثرة اعدائه الوف سنين ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد
وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع
الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية

كالنبيط وا ص

وقيل هو اول من بناه ادم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم ص

معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من
دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات
الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الذكرين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او
قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس
حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وحفص
في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من
الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد و
الراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على
الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من
قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير
في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر
وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى
في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية و
تكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في
هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه
لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط
لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن
الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج

الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل يا
اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون
بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال
انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب
والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد
من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق
المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون ويحرشون بينهم حتى اتوا
الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا
لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين
لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع
النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا
بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله
تعالى والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد
لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد
ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من
الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم
بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع
القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من

القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر
الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان
يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى
الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او
يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى
لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها
وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب
واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا
ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام
اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو
الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا
بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن
حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن
الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه
الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة

نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى
التآلف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين
قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في
الله تعالى وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله تعالى بالاسلام و
الف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين
على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة
ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك
فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن
من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل
حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو
فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني
او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على
العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح روي انه عليه الصلوة والسلام سئل من خير الناس فقال آمرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع
ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى غيره عما يرتكبه لا

مرون بالمعروف

وف

يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في
الاصول دون الفروع لقوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه
الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر
وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه
وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين
يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا
حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء
لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب
المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة
الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن
قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك
بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم
منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على
الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الا

وتمكنوا

الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما
مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كما في قوله وكان الله غفورا رحيما كأنه قيل
وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت
للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به
كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان
يؤمن به لان الايمان انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به
وانما اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل على ان الاجماع
حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما
للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل
الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون
في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم
ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم
عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال
كانت الدبرة عليهم ثم اخبر انه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا
على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية
من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني
قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله تعالى او كتابه الذي آتاهم وذمة
المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب
من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم

بهذه الاية م

ثم الا اذى

احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين ذلك اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم
الانبياء ذلك اى الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر و
الاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستحقاق
الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس
الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ليسوا سواء في المساوي
والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي
الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا
منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في
تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ
في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما
روى انه صلى الله عليه وسلم اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة
فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم
منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته
واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون
عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون بتلك الصفات
ممن صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا
من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما
سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ
حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار

بان التقوى

اشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب
او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة
كالصرصر وهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك
برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار
ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه
المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل ريح مهلك
وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث
باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن انفسهم يظلمونها
ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله وكلن من يبصر جفونك
يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل
اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال صلى الله عليه وسلم
الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا
او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون
لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يتعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين
كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم
وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم اى في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي
صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات
الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان
كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز

ان يكون الثلثة لاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم
اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم
وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال و
العامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون
الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا
لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا
بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم
من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما
هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم
ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من
ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او
على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان
المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على
الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون
في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من
اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي و

تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له
وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق
وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال
هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا
فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء
والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج
فقال صلى الله عليه وسلم رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا
ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في
درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا
وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم فقالوا
اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة
الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن
جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت متعلق
بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج
وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا
روي انه صلى الله عليه وسلم خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا
فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال
ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله تعالى فمضوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما

اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما
تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكلوا عليه لا يتوكلوا على غيره
لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل
وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال
من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف
الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون
ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان
من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر و
التقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله
عليه وسلم لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا
بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد لهم
الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا و
تتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في
الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي
لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين من
التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله
وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة

العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد
لهم بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر
وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا متعلق بنصركم اى ما النصر وان كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و
اسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او
وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا
منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب
عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد
مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان
اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء
او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شيء الا ان
يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من
يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صرح
في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور
رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص
بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة
واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي

اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار
بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل و
عسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا
واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة و
الاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه
دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة
او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة
من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
كظم الغيظ وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب
المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين
اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله
استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم
المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما
فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلاة والسلام ما

اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اي لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة
لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة
للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول
يدل على ان لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية
وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل اياتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله
وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل
اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل
بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل
لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر
العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع
سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا راى مثلكم في سالف
السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا
للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين و
التائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا
عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم
انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما
اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر و
الغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي

ان لا يدخلها المعصومون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم صح

قوة القلب بالوثوق على الله عز وجل او بالاعلون. ان يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله: قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها
والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا
المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول
صلى الله عليه وسلم. وتلك الايام نداولها بين الناس: نصرفها بينهم
نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا. ويوما نساء ويوما
نسر. والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والآ[يام]
يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر
والغلبة. وليعلم الله الذين آمنوا: عطف على علة محذوفة اي نداولها
ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب
المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله
ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على
طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا
ويتخذ منكم شهداء: ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم
شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد. والله لا
يحب الظالمين: الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض
فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا
لهم وابتلاء للمؤمنين. وليمحص الله الذين آمنوا: ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم. ويمحق الكافرين: ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق
نقص الشيء قليلا قليلا. ام حسبتم ان تدخلوا الجنة: بل احسبتم ومعناه
الانكار. ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم: ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على
انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح

بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون. ويعلم الصابرين: نصب باضمار
ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما يجاهدوا و بلغ
انتم صابرون. ولقد كنتم تمنون الموت: اي الحرب فانها من اسباب الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا يوم احد على الخروج. من قبل ان تلقوه: من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا
شدته. فقد رأيتموه وانتم تنظرون: اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل
دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها
ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار.
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او
القتل. افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم: انكار لارتدادهم وانقلا بهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم
متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي
رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب
الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت
محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه
وسلم يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي
سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم و
دينكم فقال انس بن النضر رضي الله عنه عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد
فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل
عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل
حتى قتل رضي الله تعالى عنه فنزلت. ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا:
بارتداده بل يضر نفسه. وسيجزي الله الشاكرين: على نعمة الاسلام بالثبات

عليه كابن ابي واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئة تعالى
او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى
وقضائه لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام
عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم لا يتقدم
ولا يتاخر بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا
مؤجلا صفة له او موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين
وهزموهم واخذوا ينتهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا
مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها
فصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير
وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري
فصار كيان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا
كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي
الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده
الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد
وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما
وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه
ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لا
نه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم

قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم
وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى
والاسراف
انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار
عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا
اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار
والتجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم
في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا
ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد
نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا الى ابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم
الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم
بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو
خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال
ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل
صلى الله عليه وسلم
ان شئت فقال ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرا
ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا
بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة
ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل
السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر

للتغليظ والتعليل. ولقد صدقكم الله وعده: اى وعده اياهم بالنصر
بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم. اذ تحسونهم باذنه: تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه. حتى اذا فشلتم
جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل. وتنازعتم في الامر
يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول صلى
الله عليه وسلم فثبت اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى
بقوله. وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون: من الظفر والغنيمة وانهزام العدو و
جواب اذا محذوف وهو امتحنكم. منكم من يريد الدنيا: وهم التاركون المركز
للغنيمة. ومنكم من يريد الآخرة: وهم الثابتون محافظة على امر الرسول. ثم صرفكم
عنهم: حتى حالت الحال فغلبوكم. ليبتليكم: على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان
عندها. ولقد عفا عنكم: تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة. والله ذو
فضل على المؤمنين: يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء ادال لهم او عليهم
اذ الابتلاء ايضا رحمة. اذ تصعدون: متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر
كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة
ولا تلوون على احد: لا يقف احد لاحد ولا ينتظره. والرسول يدعوكم: كان
يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة. في اخراكم
في ساقتكم او جماعتكم الاخرى. فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا
ما اصابكم: عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما
متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل
الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم
له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق
وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم
من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول اى فآساكم في
الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم

عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة. والله خبير
بما تعملون: عالم باعمالكم وبما قصدتم بها. ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة رضى الله عنه غشينا النعاس
في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا يسقط فيأخذه. والامنة الامن
نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة
او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبارّ وبررة
وقرئ امنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن. يغشى طائفة منكم: اى النعاس و
قرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا. وطائفة: هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم: اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب
خلاصها. يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية: صفة اخرى لطائفة او حال او
استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله
غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به. وظن الجاهلية بدل وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها. يقولون: اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون. هل
لنا من الامر من شئ: هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط
وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا و
تصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من
الامر شئ. قل ان الامر كله لله: اى الغلبة الحقيقية لله تعالى واوليائه فان حزب
الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ
ابو عمرو ويعقوب كلّه بالرفع على الابتداء. يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار
والتكذيب. يقولون: اى في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون او استئناف على وجه البيان له. لو كان لنا من الامر شئ كما وعد
محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح
كما كان رأى ابن ابى وغيره. ما قتلنا ههنا: لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه
المعركة. قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم

فيأخذه ثم

اي لخرج الذين قدر الله تعالى عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر
سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي فعل ذلك ليبتلي او عطف على
محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم
بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه
غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين واظهار حال المنافقين ان
الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما
كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان
الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على
الغنيمة او الحياة ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا التأييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان
المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت
منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بالعقوبة فيمذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا
يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب
او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة
او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا
غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا
وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد

الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى
قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد
للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين
كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة
والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب
القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب
الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة
والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص
بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون
لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ حمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله
لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا
برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا
من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه
او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا
لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه
وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي
ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم
كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من

بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهو تنبيه على المقتضى للتوكل و
تحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا
به وما كان لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى
الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية
والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روى ان قطيفة
حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
واما المبالغة فى النهى للرسول عليه الصلاة والسلام على ما روى انه بعث
طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم
للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة
ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء
للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما
احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا
وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان
على المقصود والمبالغ فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع
عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى
عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصى وماويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين
المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات
عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب
او هم ذو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع

الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة
انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة
ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من
اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم
يتلوا عليهم آياته اى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم
يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة و
اللام هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال
ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع
والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم
كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل
سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم
اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا
بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله عنه
باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شىء قدير فيقدر على النصر ومنعه
وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع
المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او تخليته
الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم
عطف على نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا فى سبيل
الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن
الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم
سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسره قالوا

لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه ولكن ما انتم عليه
ليس بقتال بل القاء الانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه
دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم
اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطي قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون
من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على
الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم
كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم
احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين
عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرا هشام ما قتلوا
بالتشديد قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان
كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود سبب النجاة غير ضروري فان اسباب
الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد
يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
نزلت في شهداء احد وقيل شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول عليه الصلوة
والسلام او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول محذوف لانه في
الاصل مبتدا جاز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة
المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم
احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء
فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية

الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون
بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل
المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه
وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله في ال فرعون يعرضون عليها وما روى
ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ارواح الشهداء في اجواف
طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل
العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها
حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول
بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر
على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له
اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما
اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر
الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج

في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه و
سلم في جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله تعالى الرعب في
قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين
استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه
من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس
من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان
القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله تعالى الرعب في قلبه وبدا
له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير
من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا وسأله
ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم
اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا
لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم
يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا
الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده و
البارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم
بالله وازدادوا ايمانهم واظهروا الحمية الاسلام واخلصوا النية عنده و
هو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما
قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا
ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا
حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب
انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم

تثبطوا او توقروا

الوكيل نعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات
على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها
سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا
رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة
الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل
ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه
تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان
لشيطنته او صفة وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول و
الى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان
كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس و
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم
المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف
ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن
يضروا اولياء الله شيئا بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم و
شيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا
من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر
الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون
لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد
او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن

من رحمته وان مسارعتهم
الى الكفر لانه لم يرد لهم حظا

الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل من يحسب والذين مفعوله وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول
واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام
فاتبع وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب
بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع
القران ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم
وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند
المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا تحسبن بالياء على معنى لا
تحسبن الذين كفروا ان املاءنا خير لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في
الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتبهوا و
تداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا
من الواو في ليزدادوا اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين
والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم
حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي
لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله ليختبر به بواطنهم ويستدل به على عقائدهم وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم
علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا
بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب

الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا
ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي امتي
واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن
ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا
ليطابق مفعولاه اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا
بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعل الموصول كان المفعول
الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو
اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه
صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله شجاعا في عنقه يوم
القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء
يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع و
الاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالياء
على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا
روي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود
بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكوة وان
يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال
القرض فلطمه ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك
فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم
يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء

بغير حق: اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة
اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقران والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا على
قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرا حمزه سيكتب بالياء و
ضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء. ونقول ذوقوا عذاب
الحريق: وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات
في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير
المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي
عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم
ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال. ذلك: اشارة
الى العذاب. بما قدمت ايديكم: من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم
وعبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن. وان الله ليس بظلام للعبيد:
عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل
المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء. الذين قالوا: هم كعب بن الاشرف ومالك
ابن حيي وفنحاص ووهب بن يهودا. ان الله عهد الينا: امرنا في التورية
واوصانا. الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار: بان لا نؤمن
لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو
ان نقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات سواء في ذلك. قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين: تكذيب والزام
بان رسلا جاءوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن
الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاءهم به في معجزات اخر واجترءوا على قتله. فان
كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير

المنير: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر
جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب
في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا
زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على
انها مغايرة للبينات بالذات. كل نفس ذايقة الموت: وعد ووعيد للمصدق
والمكذب وقرئ ذايقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا. وانما توفون اجوركم: تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا
تاما وافيا. يوم القيمة: يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد
يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران. فمن زحزح عن النار: بعد عنها و
الزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة. وادخل الجنة فقد فاز:
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه. وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور:
شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها
على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او
جمع غار. لتبلون: اي والله لتختبرن. في اموالكم: بتكليف الانفاق و
ما يصيبها من الافات. وانفسكم: بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد
عليها من المخاوف والامراض والمتاعب. ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا: من هجاء الرسول
صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها. وان تصبروا: على ذلك. وتتقوا: مخالفة
امر الله. فان ذلك: يعني الصبر والتقوى. من عزم الامور: من معزومات

اي لذاتها وزخارفها
م

الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله تعالى عليه اي امر به وبالغ فيه
والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه . واذ اخذ الله اذكر وقت
اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب : يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا
تكتمونه : حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابي عمرو وعاصم في رواية ابن عياش
بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم : فلم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه من عينه واشتروا به : واخذوا
بدله ثمنا قليلا : من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون : يختارون
لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن
علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان يعلموا . لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب : الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب للمؤمنين والمفعول الاول الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من
العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر
لا يحسبن بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل
ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكانه قيل ولا
يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ولا يحسبنهم بمفازة والمفعول الاول
محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم
عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن
شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه و
فرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا

المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين بانهم يفرحون
بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب : لدلائل واضحة على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن
شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه
الثلثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه
فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر
بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم : اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين ومضطجعين
وعنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلوة و
السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن
مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض : استدلالا
واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلوة والسلام لا عبادة
كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلوة والسلام
بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال
اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح
على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا : على ارادة
القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه
اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى
خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا

وقاعدين ه

لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك
لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك
من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه و
القيام بما يقتضيه وفايدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات
والارض حملهم على الاستعاذة. ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء
ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه
تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني
افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص
ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة
وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي
واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل
القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا
فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن
مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم
وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار
جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما
وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد
عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبته او
قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد

بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب و
علو شانها وفي الاثر من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني
لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من
ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما
من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد والاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة
معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي
عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال
وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك
او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة
والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد
لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر
قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من
تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا
منه فانه مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى
للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا
تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم
في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير و
قد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي
ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه

الصلوة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بم يرجع. ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد: اي ما مهدوا لانفسهم. لكن الذين
اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزل ما يعد للنازل من طعام وشراب قال ابو الشعر الضبي. وكنا اذا الجبار
بالجيش ضافنا. جعلنا القنا والمرهفات له نزلا. وانتصابه على الحال
من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير رزقوها
نزلا. وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار
لقلته وسرعة زواله. وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن
سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من حبشة وثمانية
من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبرئيل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه وقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف
وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من
فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل
المحرفون من احبارهم. اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر و
وعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه كل عامل من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط
والمراد ان الجزاء الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة
الجزاء. يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من
الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب و
اعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا
لشدته. ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على
الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة
وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام
شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة. واتقوا الله

عبدالله

الله لعلكم تفلحون. فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا
القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة. وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم و
عنه عليه الصلوة والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم
الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

[illegible]

وهي مائة وخمس وسبعون آية. بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة. يعني آدم وخلق منها
زوجها. عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او
محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء. بيان لكيفية تولدهم منها والمعنى نشر من تلك
النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة
عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع
وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة
التي من حقها ان تخشى عقابه والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد
تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات
التي بعدها وقرئ خالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث.
واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله
تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها
والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد و
عمروا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها

هي نسمة
اي خلقكم
منها م
بعضا

وقرا حمزه بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمه وقرئ
بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى ويتسائل
وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة
والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه
ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامي اموالهم اي اذا بلغوا
واليتامي جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة
اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل
يتامي او على انه جمع على يتمى كاسرى ثم جمع يتمى على يتامي كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على
الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الاية اما للبلغ
على الاصل او على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم
اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر
بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال واتوهم اذا بلغوا
ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم
فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم
بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما و
هذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف
انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر
حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامي
فانكحوا ما طاب لكم من النسا اي ان خفتم الا تعدلوا في يتامي النسا اذا تزوجتم
بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال
فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن

لانه من الصفات ثم جمع يتمى على يتامي

بحقوقهن او ان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامي فتحرجتم منها فخافوا ايضا الا تعدلوا
بين النسا فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها
على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامي تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير
النسا واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامي ولا يتحرجون من الزنا
فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامي فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا
الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلا لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم
وقرئ تقسطوا بفتح التا على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلث ورباع
معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا غير منصرفة
للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كان اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل
فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها
الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شا من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع
بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد
فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او انكحوا
واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج
والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل
منهن واختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن
كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا
كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة
الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع واتوا النسا صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال
جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية

على المصحف وبضم الصاد وسكون الدال

تعالى نحله كذا نحلا ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها
بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر
لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن
ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من
الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او
حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير
للصدقات حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله
كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان
الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب النفس
لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمنه معنى التجافي والتجاوز
وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه و
انفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر
او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته
روي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها ولا
تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم و
هو الملائم للآيات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله
الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء
استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول
بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرا نافع
وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم
فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا

ارد سبع

كانوا ٤

تحصلوا من نفعها ما تحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب
بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما
لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين
والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي
حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ
بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا استكمل المولود
خمسة عشر سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر سنة عند ابي
حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم
رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا
المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل فابتلوا اليتامى الى وقت
بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل
على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن
البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها
ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان
غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته
واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في
مال الصبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من
ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله
ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة و
ابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في
دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة و
كفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجا

ل نصيب

مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
يريد بهم المتوارثين بالقرابة. مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر موكد كقوله فريضة من الله او حال
اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا
واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان
اوس بن الصامت الانصارى خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم
ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب
عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت
فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام
كجة الثمن والبنات الثلثين والباقى لابنا العم وهو دليل على جواز تاخير
البيان عن وقت الخطاب. واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيا من المقسوم تطييبا
لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب
ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة. وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان تدعوا لهم وتستقلوا ما اعطيتم ولا تمنوا عليهم. وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه
فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم
او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض
ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم
او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى و
المساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم
هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية
ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم

انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر
عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره
ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده. فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا. امرهم بالتقوى الذى هو غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة
للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الآخر ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما
يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف
فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا
جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يودى الى مجاوزة الثلث و
تضييع الورثة. ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على جهة
الظلم. انما ياكلون فى بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها
وعن ابى بردة انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم
نارا فقيل من هم قال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون فى بطونهم نارا. وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واى نار
وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ مشددا
يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها و
السعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها. يوصيكم الله يامركم
ويعهد اليكم فى اولادكم فى شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر
مثل حظ الانثيين اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف
نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه
على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا فى الجهة والمعنى
للذكر منهم فحذف للعلم به. فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء
خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات
فوق اثنتين خبر ثان او صفة نساء اى نساء زائدات على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى. وان كانت واحدة
فلها النصف اى وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان

البنات واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل
الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ [الذكر مثل حظ الانثيين ؏]
[illegible] اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما
اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله فان كن نساء فوق
اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان
تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما [بقوله فلهما الثلثان ؏]
مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل
وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال
تاكيدا مما ترك ان كان له ولد ذكرا وانثى غير ان الاب ياخذ
السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم
يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب
لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب
فكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد
الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله
عنهما فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي في الجهة والقرب وهو خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على
ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان الاخوة و
الاخوات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة
ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة
اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدم
من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او
دين فانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب
متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة

متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع
والدين انما يكون على الندرة وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد
آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم
ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به
ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع
درجة من الآخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم من
اوصى منهم وعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض
مؤكد لامر القسمة وتنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم
لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب
حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان
كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها
او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين
بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن
الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق
الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا
في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث
اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة
حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها
القرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث
من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل
فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة الاول الذي لم يخلف ولدا ولا
والدا والثاني القرابة ليست من جهة الوالد والولد والثالث من ليس
بوالد ولا ولد وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث
مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا

ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت للقرابة
ليست بالعصبة لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث
بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي و
للرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت
اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ واخت من الام
وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق
باولاد الام وان ما قدر هنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها فلكل
واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى
بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون
ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع
من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة
على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه
وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى بها
على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية من الله مصدر
مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية
بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيته
بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره
حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى
والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة
لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله و
جمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا
صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة و
جاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين
يشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في
البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد
به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كي لا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج
والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله
لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح و
اللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون
وتمكين مد الالف والذين بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء
واعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض عراض
وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى
ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية و
الزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى
وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها
سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل
حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور
الموت لقوله حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان
الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله
قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر
عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو
ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يصروا على السوء فاولئك يتوب الله عليهم
وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله

عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب و
ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور
الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في
عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء
سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون
الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان
ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد
وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على
امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها
غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا
عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات
لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما
لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من
التزوج بغيركم واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضتها
وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا
منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج و
نهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة
وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره
ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا ان
ياتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق
بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف

بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره
ما اصلح في جهتها دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج بعني تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي
احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا
فلا تاخذوا منه شيئا من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام
انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قوله
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم وقيل كان
الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتدا
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا
بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد
المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم
ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم
في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي
صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه
اراد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان
ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل
وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في
التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء
منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لانه مقرر انه كان

فاحشة ومقتا علة للنهي اي انكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة
من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي له الرجل من زوجة ابيه
المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت
ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر
الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده
في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت
وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم
الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد
ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا
وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمي
المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل
الذي در عليه اللبن قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب و
استثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح لان
حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم
اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب و
الرضاعة لان المحارمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض
لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به
لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء
لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع
قضية للنظم ولا يجوز تعلقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب
كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا
لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا
اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست

لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة و
طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها
واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله تقييد التحريم فيهما ولا يجوز
ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم
تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم
او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعله
شرطا والامهات والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي
دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر باللمس ما كالوطي الشبهة او ملك يمين
وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة
لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء
الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر
ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في
النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي
رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت
ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل وقول علي
اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع
الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى
او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما و
المحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج
وقرأ الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن
فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن
ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد

اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا
النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق
بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال
ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية
والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم
هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم و
كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب
الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت
ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى
المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان
تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء
ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال
كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل
ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم بدل
الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه و
الاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من
السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من
المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور
بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى
او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت
الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخ كما روي انه عليه
الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم
بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح

نكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة
وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما
فيما شرع في الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله
الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا
او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم
يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر فمن ما ملكت ايمانكم من
فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح
الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول
ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله
فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون
المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق
الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا
بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضيل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد
تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم
وارقائكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن
يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن
العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان
المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى
الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير
مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر
فاذا احصن بالتزويج قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة
وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات

يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس ابن سعيد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم من المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم

يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضى الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاول للتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينكم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم

واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا
او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي انها سبع الاشراك بالله
وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار
من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة
اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر
الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران
فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما
ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص
والاحوال الا ترى ان الله تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره
خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب
او ادخالا مع كرامة وقرا نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان و
المصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه
والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة
عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى حصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم
لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع
حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب
ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلوة والسلام
ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض
فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص
كالمكتسب واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله
مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا
الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما
يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة رضي الله عنها

عنها يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا
فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا
وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت
جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل و
الوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان
الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ
مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف
وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة
كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا
ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن
معنى الشرط وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا
فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة
لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف
العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون
على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي و
كسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء
بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك
خصوا بالنبوة والولاية والامامة واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا
ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث
والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر و
النفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
فشكى فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا

واراد الله امرا او الذي اراده الله خير فالصالحات قانتات مطيعات
قايمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في
غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه صلى الله عليه وسلم
خير النسا امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها
حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ
الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او بالذي حفظ لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف
والشفقة على الرجل واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد
فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع
المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح والاشياء
الثلثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
بالتوبيخ والايذاء فالمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم
يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا اي فاحذروه
فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم
ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا
او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما
وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه
مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما
لتبيين الامر واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح
من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب

الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب
لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يملكان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع
الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح
وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح
نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر و
البواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب
القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل
الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه و
سلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام و
جار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو
الجار المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم و
تصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة و
ابن السبيل المسافر والضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء
ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه و
اصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي
هم الذين او مبتدا وخبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويامرون الناس بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرا حمزة والكسائي هنا وفي
الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهو لغة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله

الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا. وضع الظاهر موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله
عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من
اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم
الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم
في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث
انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان
قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم
بان يقرن لهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم
بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب
لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه
على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن
المنافع وانما قدم الايمان هاهنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره
الى التخصيص هاهنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله
لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء
كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال
مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظيم اجره و
ان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر

الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف
وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها يضاعف
ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت
من لدنه ويعط من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف
حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد
يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون
المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء
شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم
حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا
وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم
الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون لقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر
تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا
اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم
روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء صلاة المغرب فتقدم

وقت م

احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها
وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد
النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر ومواليه وقرئ سكارى بالفتح
وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او كحبلى على انه
صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع
النصب على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لانه جرى مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله و
لا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة
لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث
ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل المجتازين فيها وجوز للجنب
عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له العبور الا اذا كان فيه
الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه
على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه
وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد
او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد
منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط
المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه
استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة
والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه
هذا التقسيم ان المرخص له بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر
مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر
ذكره ذكر اسبابه المحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال
الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين

محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك
قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا
لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم و
ايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو
ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب لما روي انه صلى الله
عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على
ان المراد هنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك
يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر
اليهم او القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا
يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها
على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكارهم نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا
ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم
بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم
وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل
كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا
بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان ل
لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر مبتدأ
محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم
يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات
غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او
موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه

او اسمع غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع
غير مسمع كروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا
انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام
الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع
انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت كروها او فتلا بها وضما ما يظهرونه
من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين
استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم
ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة
ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم
عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي ايمانا قليلا الايمان
وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله
قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها
الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل
ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها و
نجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا
والآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلب
في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان
نغير وجوها في الدنيا والآخرة فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها
الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام
يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن
الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلال او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت
او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه

الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه
على الطمس بالمعنى الاول لا يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن
حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا
بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده
او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم
تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك
صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين
على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه
لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة
اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل
التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي على الخوارج الذين زعموا ان
كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب
والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين
يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من
اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء
ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما
عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي
من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي
عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين
واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب
على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في
شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء
اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا

من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان
عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب
ابن الاشرف وجمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا
فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل
اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي
لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود او غيره
ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هولاء اشارة اليهم اهدى
من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان
يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا
يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق
في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء
اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من
الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو
والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا
لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله
واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد النبوة فكانما حسد
الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على
البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتاهم الله من فضله
يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم
فقد اتينا ال ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء
عمه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه

يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم من اليهود من امن به بمحمد صلى الله عليه وسلم او
بما ذكر من حديث ال ابرهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به
وقيل معناه فمن ال ابرهيم من امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين
امره فكذا لا يوهن كفر هولاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك
بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب
كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد اخر
والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله
كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان
الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا
ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة
التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس و
ليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن
عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو
علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح ودخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا
ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي بان
تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى

بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم
به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا
باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في
عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية
امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا
على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم فان اختلفتم انتم و
اولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان
ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على
طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال
عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا
انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد
المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام
ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد
خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر
الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى
كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله

الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد
وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر
فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف
وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه
بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا
بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت
المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي
هو الصد والفرق بينه وبين السداد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون
في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر رضي الله عنه
المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك و
عدم الرضا بحكمك ثم جاءوك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق
بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف
الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة استبقائهم
او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في
انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا
بليغا يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على

يعني بليغا في انفسهم موثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف
والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام
كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان
من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب
القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة
والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول
ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر
الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم
بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا
من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا
في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى
يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او
شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا
لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل في الجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او
مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك
او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل
وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة
المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون

المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم
ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين
وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل
العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما
نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب ابن ابي
بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير
ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه و
سلم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى
جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل
وما يكون لهم بعد التثبيت فقال اذا لو ثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه
او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة
الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل
المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية و
الرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على
ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في
طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله

عليه الصلوة والسلام

وسفولا اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء
قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء بعيدا وهم الصديقون و
الآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين
هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها
نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب اي ما احسن
رفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق
او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال
ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى
القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين
وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا
فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة
المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من
الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى
بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها
الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر
والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا
الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا
ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا
جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها
وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن
ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو
لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من

بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء ودخلت اسم ان للفصل بالخبر
والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه المستكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال
اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم
ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسره
وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه
على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان
يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي
يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن
بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق
بها لفظا ومعنى كأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ
ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب لم تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة و
المنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز
نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او
العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة
الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال
فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها و
يختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم و
من يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد
انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان
المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة
وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين

وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في
الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل
المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل
بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان
سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها
واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما
ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم
الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال
الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين
يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك
وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج
الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا
اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم
الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب
ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا
اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء
الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده
للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه
فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما

وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا
فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم
الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات
خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد
خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى
اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم
ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع
التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء
من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا
يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل
بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج
في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا
لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية
وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية
كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل
محمد المدينة نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا قل كل من عند الله اي يبسط
ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل
من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة

من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول و دوام الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لنطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها لا سيما في شأنهم وكفى بالله

بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه و سلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلم على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوا منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود

روي انه صلى الله عليه وسلم دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج
فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما تبعه الا سبعون لم يلووا الى احد وقرئ لا تكلف
بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا
لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك
في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا
وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها
حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء
لمسلم قال عليه الصلاة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له
الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب
الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها
نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا
من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على
مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن
ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام
ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله
المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله روي ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما
قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك
لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا
الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن
وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك

من قريش

الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل
دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على
المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم
على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه
او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال
عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر
صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال
فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين
ولم يتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله في الخروج
الى البدو واجتووا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد
او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن
او في قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم
كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او
من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرا
حمزة والكسائي باشمام الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الله
الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا
ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون سواء في الضلال وهو عطف على
تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ولرسوله لا لاغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة

منهم

جروا في سبيل الله

او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية
ولا نصرة. الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق: استثناء من
قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه صلى الله
عليه وسلم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد بن مناة. او جاؤكم
عطف على الصلة اى الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور
باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين ولحق المعاهدين او اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله
فان اعتزلوكم وقرئ بغير العطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم
وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق
والانقباض. ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم: اى عن ان او لان او كراهة
ان يقاتلوكم. ولو شاء الله لسلطهم عليكم: بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم
وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم. فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم: الاستسلام والانقياد. فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا: فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم. ستجدون آخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم: هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا
المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا. كلما ردوا
الى الفتنة: دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها: عادوا اليها
وقلبوا فيها اقبح قلب. فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم: وينبذوا
اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم. فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم

ثقفتموهم: حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض. واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا: حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم. وما كان
لمؤمن: وما صح له وليس من شانه. ان يقتل مؤمنا: بغير حق. الا خطأ: فانه على
عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال
الخطاء او لا يقتله لعلة الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا
خطاء وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطاء
فجزاؤه ما يذكر والخطاء ما لا يصاحبه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا
يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار
مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا
بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى
حارث بن زيد فى طريق مكة وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله. ومن
قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة: اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم
فى الاحرار كما ان اللؤم فى العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس
مؤمنة: محكوم باسلامها وان كانت صغيرة. ودية مسلمة الى اهله: مؤداة
الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان كتب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى ان اورث امراة اشيم الضبابى من
عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففى ماله
الا ان يصدقوا: يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليها
وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو
متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال
تصدقهم عليه او زمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او
الظرف. فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة: اى
فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم

ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم
محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم
في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له
وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل اليها فصيام
شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب
على المفعول له اي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او
على المصدر اي تاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام
شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في
شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله
عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس
رضي الله عنه لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه
خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه
وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في
مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه
ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل
فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين
امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا
بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين
هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام
وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد
وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ
مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو

الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل
امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة
فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم والسنتكم فمن
بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين م
الله عليكم فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا
تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون
عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتب الحكم على ما ذكر
من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا
في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت
اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد
رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت
في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود
لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان
خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع
الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين
لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب
على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد
ابن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف
وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري وقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم و
انفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدة
تذكيره ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن
انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق

ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل
ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما
التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او
المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز
ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها
تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر
تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه
وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم
في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم في الجنة وقيل القاعدون
الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء
بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه
وعليه قوله عليه الصلوة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر و
كان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم
الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت
بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت
في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة
توبيخا لهم فيم كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا
مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا
اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأويهم جهنم
لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط

والدرجات ع

الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد
محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت
مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن
الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض
وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه
محمد الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع
لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد
به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم
على صدد وجوب الهجرة وانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص
لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه
او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف
عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو
عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان
المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله
عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا
من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم
انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار
ان كقوله فالحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله و
كان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت
اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة
حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على
فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك صلى الله

عليه وسلم ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات حميدا. واذا ضربتم في
الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف
ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى
الله عليه وسلم اتم في السفر وان عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت و
افطرت فقال عليه الصلاة والسلام احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة
لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم ولقول عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة ركعتين
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان
صحا فالاول يؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة ان يخطر
ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى
الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة
عنده وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي
شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط
باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله
تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة
ان يفتنكم بمعنى ان يفتنكم وهو القتال التعرض بما يكره. واذا كنت فيهم كراهة م
فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول
صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول
كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك ويصلوا
وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون

المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل
عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسـ
يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله صلى الله عليه وسلم ببطن
النخل وان اريد به ان يصلي ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا
الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى
يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله بذات الرقاع وقال ابو حنيفة
يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى
فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي
الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر
آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله
تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم
غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا
باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان
تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر
او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يهجم عليهم العدو ان
الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار
بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة
عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر
فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او
اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما

مسايفين ومقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم
سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا واحفظوا اركانها
وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً فرضاً محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء
من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء
حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها
كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا
تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع
على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله
بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجون عدوهم فينبغي ان يكونوا
ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا
لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت
في بدر الصغرى وكان الله عليماً باعمالكم وضمائركم حكيماً فيما يأمر وينهى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس روي ان طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى
انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من
اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اراك الله
بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيماً للبراء
واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفوراً رحيماً لمن يستغفره

وقيل هم ان يقطع يده
فنزلت

يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم
يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها والضمير لطعمة
وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه
ان الله لا يحب من كان خواناً مبالغاً في الخيانة مصراً عليها اثيماً منهمكاً
فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفاً ولا يستخفون
من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى
عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبح ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون محيطاً لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ
وخبر جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبراً او صلة عند من
يجعله موصولاً فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلاً
محامياً يحميهم من عذاب الله وانتقامه ومن يعمل سوءاً قبيحاً يسوء به غيره
او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك و
بالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفوراً
لذنبه رحيماً متفضلاً عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله الا اليها كقوله تعالى
وان اسأتم فلها وكان الله عليماً حكيماً فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته
ومن يكسب خطيئة صغيرة وما لا عمد فيه او اثماً كبيرة او ما كان عن عمد
ثم يرم به بريئاً كما رمى طعمة زيداً ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل
بهتاناً واثماً مبيناً بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى
بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك
ورحمته بالحكم باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم
لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع
علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره

فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك
من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر
لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من
امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من
النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم
فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من
امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف
وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات
بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما
بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة
الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر
من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان
الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا و
وصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا ومن
يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير
سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا
لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها
وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة
مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل
المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني
باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان
المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان

كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع
غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او
لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني شيخ
منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ
من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة و
ابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها
متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني
على الله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث
اسمائها كما قال وما ذكر وان يكبر فانثى شديد الازم ليس له ضروس
فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا اسمه قراد فاذا كبر سمي حلمة او لانها
كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث
لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما
يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل
ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة بنات
الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه
جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد
واسد واثنا بها على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون
وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها
واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي
لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد
وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان و

قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اى شيطانا مريدا
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون
ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة
فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان
وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ
من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى الثانى انه ملعون لضلاله
فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة
والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته
والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء
ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الامانى الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث
ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشققونها لتحريم ما
احل الله وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة
الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامى وخصاء
العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق وعبادة الشمس والقمر ونحو ذلك
وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود
على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
ولكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره
الشيطان مطلقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله بايثاره ما يدعوه اليه على امر الله ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته
فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار
يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا

مهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل
مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق
ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثانى
مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية
الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد
فى تحصيله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من الثواب
ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان و
العمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل روى
ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل
كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه
تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان
كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا لما روى انها لما
نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله عليه و
سلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام
هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله
ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها
وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى فى موضع
الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء
وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد

به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب
واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم
الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود و
في هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن
آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق
على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم
واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من
الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من
الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب
في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال
خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا
ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس
فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة رضي الله عنها
منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال
من اين لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فسماه
الله خليلا ولله ما في السموات والارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ما في
وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم
وقدرة وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء
في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث

نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك امر
قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في
الكتاب عطف على اسم الله تعالى او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل
فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين
مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم
على ان ما يتلى مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب
على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كأنه قيل واقسم بما يتلى عليكم
في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء
صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن
او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك
اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى
على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن
من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة
اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان
تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا او
هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على
موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا
وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة
في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك
وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل
فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها و
منعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما

ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له
شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز
ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في
القراءة الاولى والمفعول بينهما وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح و
او هو محذوف
الصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل
بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت
الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة
والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة
له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا
الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها
وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان
الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض
فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو
في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول
هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على
تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على
المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان
يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم
تفسدون من اموركن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما
يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل
منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه
وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكا

مه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية
لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان
اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي قلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع
بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات
وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل
لحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل
بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول
يشا محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما اخرين او خلقا
آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره و
خالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب
ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت
ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان انهم قوم هذا من كان
يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة
ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عارفا
بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط

مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم
لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم
بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين
والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد
من المشهود له وعليه غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا
فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن
الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه و
الضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه
والا لوحد ويشهد عليه ان قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن
شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ ابن عامر وحمزة وان تلوا بمعنى وان وليتم
اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا
فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او مؤمني اهل
الكتاب اذ روي ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وامنوا بقلوبكم كما
امنتم بالسنتكم وامنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض
كلا ايمان والكتاب الاول القران والثاني الجنس ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل
ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا
يعني اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد عوده
اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوم
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر

الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن
الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك
محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا
في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على
المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم
الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا
لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني القران وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله
وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات
جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا
غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله
يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم
والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في
القران من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين و
الكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى
مبني كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع
امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع
او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن

معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب
من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم و
نتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان
يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين
بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما
اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور
على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به
اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس
الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل و
قرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه
عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل
الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر
بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير
التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراءون كقوله لا يذكرون اي
يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى
مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب
بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم
صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة
في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى
الكافرين ولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له

من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه
صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان
كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين
واما قوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب
التشبيه والتغليظ وانما سمي طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك
اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن
النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين من عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى
به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضرر
وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان
والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل
اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان
رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ ظلم على
البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله
وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة
وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود
وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا

قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك و
هو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان
يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض
الانبيا ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا
وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما
يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر
مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرون بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا
محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو
يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم
اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه
كائن لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسالك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود
قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا
محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل
او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب
شرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر منه وهذا
السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين
لهداهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول
جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه جهرة
او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء

السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك
الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ابناؤهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا
في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل
عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود و
قرا ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال
واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد
والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم
بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها
مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف
على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بايات الله بالقران او بما في كتابهم
وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة
مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها و
منعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا
منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى
وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم و
يجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر
ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره

ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او
وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بان يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم
يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب فيدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى
الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه
فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وقيل دخل طيطايوس
اليهودي بيتا كان فيه فلم يجده والقى الله شبهه فلما خرج ظن انه عيسى
فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما
ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد
بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى
الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على
قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول
لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما
وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعضهم انه كان كاذبا فقتلناه
حقا فتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله
يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت و
صعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح
احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن
ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان
او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم
انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر
عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشي

الشي علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار
لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما
دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل
الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد
ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد
الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل الموت ولو حين تزهق روحه ولا
ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا
في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا
اليه ولن ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن
به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى
احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام و
تقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا
فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم
علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من
تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون
الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم السلام اي
يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع على الراسخون او الضمير في يؤمنون

او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحدى
الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء
والكتب وما يصدقه باتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم
كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء واوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب و
يونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم
فان ابرهيم عليه الصلوة والسلام اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم وعلى
اخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا
وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر
دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل
هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده
كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم
وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك
جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او
بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال
ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله
عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع
من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه
لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا

اي من قبل م

اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد لو انهم انكروه ولكن
الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي
انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه ملتبسا
بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد النبوة
ويستاهل نزول الكتاب عليه وبعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم
ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني حال
من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك
وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن
النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا
بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي كفى بما
اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم قد جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل اعرق في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا و
ظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم
او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون
بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لما
يجري حكمه السابق ووعده المحتوم على من مات على كفره فهو خالد في النار
والخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا
يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة و
بين الطريق الموصل الى العلم بها ووعد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة
والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا
خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم و
منعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد له منه ولانه يؤدي
الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض

لدين فيها ابدا

يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وفيه تنبيه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق بقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة الله والمسيح و مريم ويشهد عليه قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات و بالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار

بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويرتفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله و اما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام فكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فانه اثابه مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله صلى الله عليه وسلم او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زايد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك

اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا
فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت
وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اول
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع
امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك و
الواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد من الاخت الاخت من الابوين او الاب
لانه جعل اخاها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان
الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي الله عنهما
لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد
به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد
لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انها لا يرثون مع الاب وكذا
مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما
الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمول على المعنى و
فائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر
والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ
الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله
لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم وطباعكم لتحترزوا عنه
وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا
فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد
في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على
كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك
وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

اذا خليتم م

سورة المائدة

وهي مائة وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا

اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد
الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج و
شدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل
المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من
التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب
الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت
لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع
واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام
وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة
ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام
لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو
اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم
حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما
يريد من تحليل او تحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك
الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي اعمال الحج ومواقفه
لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله
اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه
او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية
السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي
للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن
والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما
ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة

يريد

في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار
ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه
والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا
بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت في عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون
ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد
استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وهي تسغون على خطل
المومنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال
المحرم ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر
على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف
جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن
قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا
ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا
مصدر كليان او صفة بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم
عن المسجد الحرام لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو
بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم
الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا
على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومخالفة الهوى ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله
شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما
مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات و
العزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو
خشب وحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو

علو في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما
اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا
اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة
من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم
والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى
اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي و
على الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي
تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم
لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء
على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى
تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من
الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد العصر يوم الجمعة عرفة حجة
الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه
الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم و
اخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار
على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول ال
الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال
الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام دينا من بين
الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات و
ما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين

اخرته لكم م

الكامل والنيران مره والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه
المحرمات. في مخمصة مجاعة. غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد. فان الله غفور رحيم
لا يواخذه باكله. يسالونك ماذا احل لهم لما تضمن السوال معنى القول
اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية
لان يسالونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسئول ما احل لهم
من المطاعم كانه لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم. قل احل لكم الطيبات
ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب
او ما لم يدل النص ولا قياس على حرمته. وما علمتم من الجوارح عطف على
الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت
شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من السباع من
ذوات الاربع والطير. مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب موذب
الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه
واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم.
تعلمونهن حال ثانية او استئناف. مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب
فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان
تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه
وامساك عليه الصيد ولا ياكل منه. فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل
لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان
تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا. واذكروا اسم
الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى
سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته. و
اتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليو

اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب
الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله صلى
الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم
وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك
والمحصنات من المومنات اي الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما
هو الاولى. والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات. اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن
وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها
التزامها. محصنين اعفاء بالنكاح. غير مسافحين مجاهرين بالزنا. ولا متخذي
اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى. ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام
وبالكفر به انكاره والامتناع عنه. يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة
اي اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان
يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه
الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى
الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه صلى الله عليه وسلم
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم
تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى
الصلوة محدثين وقيل الامر للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو
ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها. فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك
خلافا لمالك. وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول

ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقه محذوف
تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره
مزيد فايدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها
في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية دليل
وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد
الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم
اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين
قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى
الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين و
ابو حنيفة مسح ربع الراس لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وهو
قريب من الربع ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين
نصبه نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشائعة وعمل الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقول اكثر الائمة والتحديد
اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله
تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب
خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء
عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على
وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا
فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام
في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر

الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم
لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب
اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام
للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص
لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة و
ليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم
في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته
والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان التهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر
او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما
تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم
المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا و
اطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق
ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان
الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات
اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط و
لا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل و
المعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم
بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في
قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم
بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين و
اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لا

وقل م

السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء
بقوله تعالى لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان
الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد
الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب
لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى
الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم
اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية
اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى
قريظة ومعه الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما
عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى
نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج وقيل نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس
عنه عليه الصلوة والسلام فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني
قال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال
لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش
به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها
عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير
ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
شاهدا من كل قوم سبطا ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل

يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون و
استقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة
الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني
ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا عليهم بالوفاء بما
امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض
كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما
عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم فنكثوا الميثاق الا كالب
ابن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف و
قال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة موطئة للقسم واتيتم الزكوة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر
والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد
مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد
ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة
ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر
وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا
كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قِسية
باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة
قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا
من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا
وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم
حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل الله عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها
فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال

قد ينبه المراد بعض العلم بالمعصية على هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم
اي خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من
عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا
وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية
فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل
مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح و
حث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن
غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي اخذنا من
النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا
نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا
من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين
فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل
الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم في التورية
صلى الله عليه وسلم
وبشارة عيسى عليه الصلوة والسلام باحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا
يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف
لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور
محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد
او لانهما في الحكم واحد من اتبع رضوانه اي من اتبع رضاه بالايمان منهم
سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم
الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا
لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته
شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا
احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء
كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض
لهم من الشبهة في امره والمعنى انه قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق
السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوا او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون
او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في
سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم
فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا
بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم
بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من آمن به ورسله
ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية
لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا
وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كنتم تخفون و
حذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة
في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي
جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه اي

على فترة حال من الضمير في مبين ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق
بمحذوف اي لا تعتذروا ما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر
على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة
والسلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء
ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان
عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ
قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء و
جعلكم ملوكا اي جعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد
فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط
فانقذهم الله تعالى وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا واتاكم ما
لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ونحوها مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء
ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن
وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون لكم
مسكنا ولكن ان امنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الى مصر او لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا
خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب
على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى
لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر

يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين
يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما
وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي
الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى
الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد
انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من
عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار
موسى عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى كتب الله لكم او مما علماه من عادته
تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به مصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من
ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا
ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت
وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه
الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه و
يجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخل الرجلان ويحتمل نصبه عطفا على نفسي
او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك وعلى ان واسمها وجره عند
الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم
وتخلصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا
يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض

عامل الظرف اما تحرم فيكون موقتا غير مؤبد فلا تخالف ظاهر قوله التي كتب
الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعده بمن بقي من بني ا
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم
بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل
الجبارين وصار الشام كله لبني اسرائيل يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين
لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا
اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث
ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم
وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى
وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا
بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على
القوم الفاسقين خاطب به موسى عليه السلام لما ندم على الدعاء عليهم وبين
انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى
الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان
توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان
هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد
بهما ابني آدم لصلبه فانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل
او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا
ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك
الوقت والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان
اسم لما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ
قرب كل واحد منهما قربانا وقيل كان قابيل صاحب زرع وقرب ارذل

اريحا

قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما و
لم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما
عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك
قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اوتيت من قبل نفسك بترك
التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره
ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان
هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح
بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلوة والسلام كن عبد الله المقتول ولا
تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن
هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار و
ذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى
انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك
الي نحوه المستتبعان قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي
باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد
بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته و
ارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته
من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او
على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة
عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل

بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع
به اذ كان اول ميت من بني ادم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او
للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد
بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع و
تحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضري فهذا اوانك
والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي
لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام
اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين
المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره
وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذ الغراب واسوداد لونه وتبرا ابويه
منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرا عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا
يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في
تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه
واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب ونشوؤه
من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل
الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه
او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب
العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس
جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياؤها في القلوب ترهيبا عن التعرض

بصنيع

التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد
العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة
تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون
اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب
السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت
في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او
المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان
يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا
مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب
او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم
يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار
في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية
على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع
طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم
لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل
قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة
بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت
العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرا عنه العقوبة
قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما تتوسلون الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات

وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في
الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون
بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض
من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم
من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت
ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان لاجرائه مجرى اسم الاشارة
في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم
جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم
الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا
من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق و
السارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم
السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر
لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال
الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت في حرز والمأخوذ ربع دينار
او ما يساويه لقوله صلى الله عليه وسلم القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت
الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن
مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت
قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة و
السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله
منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا و
الله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح

امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله
على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق
التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا
اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو
يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على الذين قالوا سماعون
للكذب خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين
يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون
واللام في الكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون
بما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا
عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي لجمع آخرين من اليهود لم
يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على
الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء
اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي
سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم عن مواضعه اي يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه و
اما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم
او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او
في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان
اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به
وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبوله

ما افتاكم به. روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عنه و
قالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم
فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي
لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل
فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من
احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد و
من يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا
فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا
خزي هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين
والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام
كالرشى من سحته اذا استاصله لانه يسحت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على
لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم
كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا
كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم
والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم
فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من
الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امره الله به
ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك و
عندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال

اي ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم
يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف و
ان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة
المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون
عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم
التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه
ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور
يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل و
موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية
تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم و
تنويها بشان المسلمين تعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء و
اقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم
وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم
وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا
من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف
والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان
يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس
واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية
ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها
ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا
منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا
بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره
وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة
من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها

او لطايفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود
والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا عليهم فيها في التورية
ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل عطفت
على ان وما في حيزها باعتبار المعنى كانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او استئناف ومعناها وكذلك
العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة
بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن
في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار و
المجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأ
الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو كفارة
له فالمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو
كفارته له اي فالمتصدق له اي كفارته التي يستحقها بالتصدق له
لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك
هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي اتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول
لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول
ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه
الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا
لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين
ويجوز نصبهما على المفعول لها عطفا على محذوف او تعلقا به وعطف
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وهي بكسر اللام وفتح
الميم وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان
ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرته بان قم اي وامرنا بان ليحكم
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن

الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على
الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى وانه كان مستقلا بالشرع وحملها
على الحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا
اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس
الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا
على سائر الكتب يحفظها ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول
اي هومن عليه وحوفظ من التغيير والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل
عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال
من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة الى الماء وشبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية
وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا
وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من
غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو
شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع
المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان
اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى
الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد
للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين
المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على
الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان
احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم و
احذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك

عن التغيير

من الحق

عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له
اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد
لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل واراد غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها و
فيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد. او يرتبط بعض النفوس
حمامها. وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه
افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية التي
هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع
الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم
الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن
عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا
الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء
بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله. يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة
الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على
خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن
يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب
مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما او لان الموالي لهم كانوا

كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من
دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني
ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني
رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي
بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع
شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما
استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على
نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام
مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب
قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب
عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول
الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما
يضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنون
فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا جهد ايمانهم انهم
لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من
الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل
مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم
فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر
لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول

او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراه
على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام
وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في
اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم
ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله
فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر
الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول
بنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي
ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد
فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه
ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة
ابن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب
بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع
فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن
قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده
وفي امرة عمر رضي الله عنه قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام

والامرة والامارة
میری کردن

فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه صلى الله
عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس
لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان و
قال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع
وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع

الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد
ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له
ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى
العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من
عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة
اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على
يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في
دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون
في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا
يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه و
يوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق
بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله تعالى على
الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه و
رفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكوتهم وقيل هو
حال مخصوصة بيؤتون الزكوة اي يؤتون الزكوة حال ركوعهم في الصلوة حرصا
على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته
زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر
ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظا وان صح انه نزل فيه
فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه على هذا يكون

دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع
يسمى زكوة ❊ ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ❊ ومن يتخذهم اولياء
فان حزب الله هم الغالبون ❊ اي فانهم غالبون ولكن وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هولاء فهم حزب الله وحزب
الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هولاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم
يجتمعون لامر حزبهم ❊ يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء ❊ نزلت
في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال
من المسلمين يوادونهما ورتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا
ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير
بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم
ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة
من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب
كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين ❊ واتقوا الله ❊ بترك المناهي ❊ ان كنتم
مومنين ❊ لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مومنين بوعده و
وعيده ❊ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ❊ اي اتخذوا
الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي
ان نصرانيا في المدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام
فتطاير شرره في البيت فاحرقه واهله ❊ ذلك بانهم قوم لا يعقلون ❊
فان السفه يودي الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه ❊ قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا ❊ هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره و
انتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وماضيه ❊ الا ان امنا بالله

بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل ❊ اي الا الايمان بالكتب المنزلة كلها ❊ وان
اكثركم فاسقون ❊ عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين و
هو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما
اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوف
والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب
باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة
والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له
مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم ❊ قل هل انبئكم
بشر من ذلك ❊ اي من ذلك المنقوم ❊ مثوبة عند الله ❊ جزاء ثابتا عند الله و
المثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ❊ ونصبها على التمييز عن بشر ❊ من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير ❊ بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل
من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم
اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد
وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت ومسخ بعضهم قردة و
خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت
شبانهم قردة ومشايخهم خنازير ❊ وعبد الطاغوت ❊ عطف على صلة
من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد
الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا
عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت
على انه جمع كخدم وان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة
ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل

الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا
جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل
عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود
والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في
الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا
لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول
يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم
وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي
الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة
الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى منهم الى غيرهم و
اكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون
لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون
من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة
ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان
النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها كان جديرا بابلغ
الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق
وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد
وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ونظيره
من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه فقير لقوله فسمع

تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض م

سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم
ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل
الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة
فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب
الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل
عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه و
تنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام
ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى
على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز
جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين
اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء
فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم
محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون
ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا
من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم و
اثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او
كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله
عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة
اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو
اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله
لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا

فطرس فطروس

محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه
لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات
النعيم وجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة
ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم
يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما من القيام باحكامهما
وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم
مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء
والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار
فيجتنونها من راس الشجرة ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك
ان ما كف عنهم لشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا
واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة
مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف
الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف
مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان
الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله
فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة
واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم رسالاته
والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض
الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون بك من الهلاك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني

بعثني الله برسالة فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي
عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا
يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما
انزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله
اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه
المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من
فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا
تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما
تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك
عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق
تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا
والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض
دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها
يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك
ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر
دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي
مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من
الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه
عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب

كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتدا
وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من
آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر و
الراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما
عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة
ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا
لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم
من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل
الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء يقتلون موضع
قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل
وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس
الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء و
عذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي ويعقوب لا تكون
بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل
الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان
بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا
عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا
فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله
عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الشائعة اعمى واصم
كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني
البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدا و

والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير
بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما
يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما
يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل
ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك
تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك
بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية
عما قالت النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق
قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد
موصوف بالوحدانية متعال عن الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا
عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين
بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع
ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام
على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله
غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجب
من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو
الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده
فقد احيى العصا على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم

وجعلها حية تسعى

من غير اب وام وهو اغرب · وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق
او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام · ويفتقران اليه افتقار الحيوانات
بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان
يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية
لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات
ثم انظر انى يؤفكون · كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت
ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب · قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا · يعني عيسى وهو وان ملك ذلك
بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه
في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس و
من كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم
الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع · والله هو السميع العليم · بالاقوال و
العقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر · قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق · اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او
تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة · ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل · يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم · واضلوا كثيرا · ممن شايعهم
على بدعهم وضلالهم · وضلوا عن سواء السبيل · عن قصد السبيل الذي
هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم
عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع · لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم · اي لعنهم
الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم

عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل · ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون · اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب
عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم · كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ·
اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن
الامر وانتهى عنه اذا امتنع · لبئس ما كانوا يفعلون · تعجيب من سوء
فعلهم مؤكد بالقسم · ترى كثيرا منهم · من اهل الكتاب · يتولون الذين كفروا ·
يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين · لبئس ما
قدمت لهم انفسهم · اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة · ان سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون · هو المخصوص بالذم والمعنى موجب
سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس
شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود · ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ·
يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا · وما انزل اليه ما
اتخذوهم اولياء · اذ الايمان يمنع ذلك · ولكن كثيرا منهم فاسقون ·
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم · لتجدن اشد الناس عداوة
للذين امنوا اليهود والذين اشركوا · لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم · ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى · للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم
على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله · ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون · عن قبول الحق اذا فهموه او
يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع · عطف
على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم

الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع
الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكا كانها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او التبعيض
فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله
يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد عليه الصلوة والسلام فاكتبنا مع الشاهدين
من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم
يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول
مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في
اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته
فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان حقيقة
وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو
للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او لا نؤمن
فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور و
الايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب و
المهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلثين
او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب
منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين

المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى
على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط
في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما
احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم
داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف
القيمة لاصحابه يوما فبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان
ابن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش
ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم و
افطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله
فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان
يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول
او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق
على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به
مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما
يظن انه كذلك وان لم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم
او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا
حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس عن

عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من
فاعل بمعنى فعل فكفارته اي فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل
بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله
عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن
يمينه وليأت بالذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا
عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام
واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال
الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض
وقيل اسم جمع لاهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو
ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء وازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم
اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في
محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق
انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد
اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط
ابو حنيفة التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا
اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا
حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر
او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم
كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم
تشكرون نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم
المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي

اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اوائل السورة
رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات
محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من
عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير
للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه
واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما
بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان
الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عنهما وجعله سببا يرجى منه
الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر
وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب
والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه
وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم
والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده و
الفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا
بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت و
اطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه
او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي
فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم
به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما
لم يحرم عليهم اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم
وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم كالخمر وآمنوا
بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا و

تحيروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت
الصحابة يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر و
ياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة
او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه
وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان
بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة والسلام
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او
باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة و
تهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه
ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين
آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزل في عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون
من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير
في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء
ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد
وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد
ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا
يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس
اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح
والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب

الغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب
مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح
فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني اولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا
ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما
يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي
واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله
فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب
بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل
بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما
يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في
قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه
المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة و
قال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته
قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا
من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام و
الصوم واللفظ الاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء المحذوف
ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في خبره او منه اذا اضفته او وصفته
بخبر مقدر لهم وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة
والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او
الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل
عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصفت به هديا لان
اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة
يذبح ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته

بجر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي
طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة و
المعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب
قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه
من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول و
قرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة
الى الطعام وصياما تمييز للعدل اي او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين
يوما ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الاطعام او
الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الحرام او الثقل الشديد على
مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف
من قتل الصيد محرما في الجاهلية وقبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل
هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه
احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله
صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا
يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه اي ما قذفه
او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب
على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد
البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم
الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين
وقرئ بكسر الدال اي ما دام حراما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله
الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة
المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم
ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج

الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل
كالشبع اعل عينه لما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر

الحرام والهدي و

القلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه
المناسب لقرينه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر
بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها
دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة
بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن
انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي
الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من
الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال
المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة
والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
واثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها
نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا
مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الشرطية وما عطف عليها
صفتان لاشياء والمعنى لا تسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ان تظهر لكم تغمكم وان تسالوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين
ينتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء
اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذف لامه

جمع شيء على أن أصله شيئ كهين أو شيء كصديق فخففت وقيل أفعال جمع له
من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه. عفا الله عنها صفة أخرى
أي عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها إذ روي أنه لما نزلت ولله
على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت أو استئناف أي عفا الله عما سلف
من مسئلتكم فلا تعودوا إلى مثلها. والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة
ما تفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام كان
يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا أسأل
عن شيء إلا أجبت فقال رجل أين أبي فقال في النار وقال آخر من أبي فقال
حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت. قد سألها قوم الضمير للمسئلة التي دل عليها
تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو لأشياء بحذف الجار. من قبلكم متعلق بها وليس
صفة لقوم فإن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها
ثم أصبحوا بها كافرين أي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا أو جحدوا. ما جعل
الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وإنكار لما ابتدعه
أهل الجاهلية وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها
أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول إن شفيت
فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وإذا ولدت الشاة
أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدتهما وصلت الأنثى
أخاها فلا يذبح لها الذكر وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره
ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع
ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة. ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته إلى الله وأكثرهم لا يعقلون
أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو أن منهم من يعرف بطلان ذلك
ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به وأكثرهم يقلدون

يقلدون كبارهم. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وأن
لا سند لهم سواه. أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه الحال أي أحسبهم ما
وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بمن علم أنه
عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالحجة فلا يكفي التقليد. يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم أي احفظوها والزموا إصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما
لالزموا ولذلك نصب أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء. لا يضركم من ضل إذا
اهتديتم لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا واستطاع أن يغيره بيده فليغيره
بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان
المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له
سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لا
يضيركم والجزم على الجواب أو النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة إليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره. إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم أي فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة
الشهادة في الوصية وإضافتها إلى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة
بالنصب والتنوين على ليقم. إذا حضر أحدكم الموت إذا شارفه وظهرت
أماراته وهو ظرف للشهادة. حين الوصية بدل منه وفي إبداله تنبيه على أن
الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيه أو ظرف حضر. اثنان فاعل شهادة ويجوز أن
يكون خبرها على حذف المضاف. ذوا عدل منكم أي من أقاربكم أو من المسلمين
وهما صفتان لاثنان. أو آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير
بأهل الذمة جعله منسوخا فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعا. إن أنتم

ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل
تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول
عليه بقوله اخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم
فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا
بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلوة كانت فيقسمان
بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان
ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل
بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا بالطمع ولو كان ذا
قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة
الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ
الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه
بغير مد كقوله الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان
اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران
فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم و
هم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان
او خبر اخران او مبتدأ خبره اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ
حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي
من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان
واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اصدق منهما واولى ان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا
اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا
ومعنى الآية ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او

للحلف م

او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران
من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في
الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت
والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه
بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميم الداري
وعدي بن بدا خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما
بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل
فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان
يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما
بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها
الذين امنوا فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند
المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا
قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب
ابن ابي وداعة السهميان فحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة
ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا
بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم
واتقوا الله واسمعوا ما توصون سمع اجابة والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا
يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة يوم
يجمع الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول

واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا حين يوم جمعه او منصوب
باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا
فى موضع المصدر او باى شىء اجبتم فحذف الجار وهذا السوال لتوبيخ قومهم
كما ان سوال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا
بما كنت انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابوا
واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه
بما كابدوا منهم وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام نصب على
الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك
وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى
انه تعالى يوبخ يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهروا عليهم
من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة
او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه
وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل او بالكلام الذى يحيى به الدين او
النفس الحيوة الابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس فى المهد
وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء
والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه
استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى
سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرا نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد
والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين هموا بقتله
اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائى الا ساحر

ساحر فالاشارة الى عيسى واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على
ألسنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان
ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على
ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى
هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة
الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه
كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من
امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى
ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم
الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة
الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة
او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان
لهم غرضا صحيحا فى ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم
نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا
وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى
عيدا للمتقدمين منا والمتأخرين روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه
النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى
الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة
منك على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت

خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي
تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب
ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما
وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام
الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما
سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو
اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها
فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنيا
والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها
ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى
الله تعالى الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنيا والاصحا
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى
انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد
ان هذا مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة
عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا
فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى

عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها
فلم يفعلوا او عن السؤال والحوائج فيه فقيل لاجل اقتراحهم فمنعهم الله تعالى انزاله
سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى
من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا
عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني
ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره
كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما فكانه عبدهما ولم يعبده او
القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا
ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين
بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان
كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه
في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة
وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار مفهومه
ومنطوقه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما
يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه
وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا
راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان
المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا
يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول
بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك
والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها

والى لم تمت في مناهجها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع
من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل
وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم
فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق
فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك
القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب
فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل
وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد و
التعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم
بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا
والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح
لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق
في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على
كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا
للعقلاء وقال فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل لانهم في غاية القصور
عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة
المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة
العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر
حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع عشر درجات بعدد يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة [illegible]

غير ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه
تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة
على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها
مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها و
تقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين جعل وخلق
الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك
عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت
الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها ولان المراد
بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها
لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه
الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها
على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا
يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به
ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول
متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس
الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي
يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى
وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم
قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين
الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة
[illegible] لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى
والثاني لمن [illegible] ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم
الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين

لا تقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه
المقصود وبيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم
وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع
الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا
فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري
وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات
وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة
خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت
الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه
تعالى لكمال علمه بما فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر
لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب
ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض
اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها
كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن كذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة
او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان
والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي
او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض
جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع
التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم

من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء
عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا
منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر
بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق
فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا
انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز
فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم
وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا
لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء
للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل
عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا
يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان
القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء
بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا
عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا
بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله
بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا

ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة و
ايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو
سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا
يمكنهم ان ينكروه كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد
بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة
وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة
فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض
فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم و
موضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي انتم الذين او على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى
الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل
والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى
ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر
وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون
وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ
غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود
لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا
فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ
فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا
يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك من هو فاطر السموات والارض

الارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناء ثانيا للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى
استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يعطي ويمنع قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين
وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول له وجوابه محذوف دل عليه الجملة
من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف
او هو يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له
فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله و
هو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم
في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة
نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس
لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود
وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ
شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون شهيد هو الجواب لانه اذا كان
الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن
واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او
لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ومن ان مع الله
آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل
انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو واني بريء مما تشركون

يعني الاصنام. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه: يعرفون رسول الله بحليته
المذكورة في التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم: بحلاهم. الذين خسروا انفسهم
من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون: لتضييعهم ما به يكتسب الايمان. و
من اظلم ممن افترى على الله كذبا: كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله. او كذب باياته: كان كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما
ذكر او وهم قد جمعوا الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط
في الظلم على النفس. انه: الضمير للشان. لا يفلح الظالمون: فضلا عمن لا احد
اظلم منه. ويوم نحشرهم جميعا: منصوب بمضمر تهويلا للامر. ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم: اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب
يحشر ويقول بالياء. الذين كنتم تزعمون: اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان
والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في
الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب
عنهم. ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا: اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي
يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه
فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن
بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب
على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء
والنصب. والله ربنا ما كنا مشركين: يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه
لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا
بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف
كذبوا على انفسهم: اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم
ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة
والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح. وضل عنهم ما كانوا يفترون: من
الشركاء. ومنهم من يستمع اليك: حين تتلو القرآن المراد ابو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ

يقرأ فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم. وجعلنا على قلوبهم اكنة:
اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء. ان يفقهوه: كراهة ان يفقهوه. وفي آذانهم
وقرا: صمما يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة. وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها: لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم. حتى اذا جاؤك
يجادلونك: اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي يقع
بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا
فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال
لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال و
يقول الكفير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار
جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط. وهم ينهون عنه: اي ينهون الناس عن القرآن
او الرسول والايمان به. وينأون عنه: بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب. وان يهلكون
وما يهلكون بذلك. الا انفسهم وما يشعرون: ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم
ولو ترى اذ وقفوا على النار: جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى
يعاينوها او يطلعوا عليها او يدخلوها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا
شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا. فقالوا يا ليتنا نرد:
تمنيا للرجوع الى الدنيا. ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين: استئناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم
تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله وانهم
لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص
على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على
العطف ونصب الثاني على الجواب. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل: الاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم
او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا. ولو ردوا

اساطير الاولين:

اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او
على انهم لكاذبون او على انا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان
هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ
وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا
على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كأنه
جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة
الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين
لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا
العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها
نوع من المجي قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها
في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في
شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل
لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه وزرهم
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا
حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو
وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا يعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع و
ابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب
الحاضر على الغائب قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة
الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ
ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك

يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن
الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما
نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا
فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى
اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم
عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او
مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء
صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط
الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ
على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى
بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على
الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لا تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة
اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه
عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر
فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم
وتأمل كقوله او ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء و
قالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل
من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان

ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما
انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في
الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل يطير بجناحيه
في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم محفوظة احوالها
مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول
علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على
المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في
العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه
من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان
فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم
يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من
القرناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم
لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا
تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون
في ظلمات الكفر او ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من
المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل
واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده
الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به
الضمير للتأكيد لا محل لها من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاث مفاعيل ولزم في الآية
ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم
تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة
وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان
الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء

بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون
اليه ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على
الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
اي قبلك ومن زائدة فأخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم بالبأساء
بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما
لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا
تضرعوا نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم و
زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم
عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال مكر بالقوم
ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا
هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا
على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد
من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان
اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم
نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله
غير الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه — تصرف الآيات
والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة

من غير مقدمة او جهرة بعد ما امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة
وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون
ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا
مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم
ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل
العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما
كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن
الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه
دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما
يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة
التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل
يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل
كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا
بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون
في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار
ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون
لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره
بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام هؤلاء وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش
روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب و
خباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا
فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى
ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر

المراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة
يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب
ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا
وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن
غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما
ان حسابك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا يؤاخذ عليك بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد
المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا
ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء
من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء
وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى
الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا
متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة اي الذين آمنوا هم الذين يدعون ربهم وصفهم
بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ
بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن
طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب
ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل
ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم

يرد عليهم فالهم فوافقت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة
وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع
الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه
او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال السفه والجهل
ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود
اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي
فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات
آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين قراه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابو عمرو وابن عامر و
يعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع
على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات
ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة
وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله
عن عبادة ما تعبدون من دون الله او تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم
تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال
لهم وبيان لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على
ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت و
ما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم
كذلك قل اني على بينة تنبيه على الحث اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل
الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من
ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي
اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني
العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق او

او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل او تاخير
واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير و
نافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو
ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين
في معنى استدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم لمن ينبغي ان يمهل منهم و
عنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به (الى المغيبات مستعار من)
المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه
المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في
تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل
على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق
علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة
الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب مبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح
وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب
مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم
لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه و
يعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على
المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل
مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم
ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على
اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل و
كسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على

اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر
فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون
والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد
كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره
لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا
يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي
يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب
الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم و
يوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا
واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة
القول يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه
اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون
ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون
بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في
عبادة الله فكأنه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى
فينشب القتال بينكم وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذ

برانگیخته شود

ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن و
هو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل اليّ امركم
او منعكم من التكذيب اجباركم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد
انباء العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها
القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر
ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع
التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمال
واقوال الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها
وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء
لان من حسابهم يأباه ولا على شيء كذلك لان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون والمعنى
يثبتون على تقويهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا
وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه
لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميعاد عبادتهم زمان لهو
ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا
لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف
عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل

تفلتت
النفر

الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت عنه والباسل الشجاع
لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع
يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها
المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى
منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك
الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم
الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل
لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب
كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على
نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا
منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به
مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرا حمزة
استهواه بالالف ممالا ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى
مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى
الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم و
سماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله
الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب
العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا
بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه
عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا
ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان
فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه
واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة
وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول

كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول
كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ
فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق
اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة
فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم
الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابراهيم لابيه ازر
هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان
له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وازر وصف معناه الشيخ او المعوج
ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد ازر ثم قال اتتخذ اصناما الهة
تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرى ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها
وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اراك
عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره
وهو حكاية حال ماضية وقرى ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل
الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وعجائبها
وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال
هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض
فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه
والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان

وقومك فى ضلال

المستدل على فساد قوله تحكيه على قول الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه
النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي
غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا
مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من
القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي
اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا
يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا
ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا
اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني
بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها
بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات
عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا
من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال
لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول
الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله
في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده
ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر
بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا اي يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب
لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما
كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه
من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو
حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية
بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم

ينزل باشراككم حجة او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون
او المشركون وانما لم يقل اينا انا او انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن
وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد
بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا
اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود
الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية
وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه الصلاة والسلام على قومه من قوله
فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني في الله حجتنا اتيناها
ابراهيم ارشدناه اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل
خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي اتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء
في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك في رفعه وخفضه
حكيم عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عدها نعمة
على ابراهيم من حيث انه اباه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته
الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك
الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان
وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم
وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس
جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون
اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي و

التحرز عما لا يشتبه واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي
والليسع على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رايت
الوليد بن اليزيد مباركا . شديدا باعباء الخلافة كاهله . ويونس هو يونس
ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا
او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله
اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك
الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على
ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعيهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى
الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء
والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية عن المصدر قل لا اسألكم
عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي
من النبيين هذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او
القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين تذكيرا وعظة لهم وما قدروا

قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على
العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل
وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش
بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على
قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتوراة وذمهم على تجزئتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروي
ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل
التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم فيها ان الله
يبغض الحبر السمين قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال
التوراة لانه كان من المشهورات الشائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا
انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى
آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او
الله انزله فامره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم
فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة
ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع
مصدق الذي بين يديه يعني التوراة او الكتب التي قبله ولتنذر ام
القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة
محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها

قبلها اهل القرى وجهم ومجمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت
من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء
لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة
يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة
ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق
عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد
الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر
قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال
عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن
كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو
ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم
اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها
من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او المقدر من
الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب
المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك ودعوى النبوة والوحي كاذبا و
كنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون للحساب والجزاء
ولقد جئتمونا فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد

وارتد عن الاسلام صح

فرد والالف للتانيث ككسالى وفرادا كرجال وفراد كثلاث وفردى كسكرى
كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد و
او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء
خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل
وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم و
تشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة
ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم
ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان
الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة
والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت
مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان
والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة
فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن
ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح
في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار
لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق
كقوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه
قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق
ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى

لهذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما و
الاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان على الحسبان
وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب
كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير
بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه
المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي
جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات
الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق و
سماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد
ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هو آدم عليه
السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او
فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع
مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
من احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي
انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب
به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار
القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر
وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل

النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل
منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع
صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان
من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر
على ذكرها عن مقابلها لدلالتها وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب
عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم
جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان
ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه
غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد
من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار
ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة و
هو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ
بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود
القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة
من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها
ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد
يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا
لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله
او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع
والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ
الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم

حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من
يخلق كمن لا يخلق وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام
او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له
افتعلوا وافتروا وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان
يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او
المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له
شركاء او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى
فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما
وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف
او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير
الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد
من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها
من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى
بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له
لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم
بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف
بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل
شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات

متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على
اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهو حاسة
النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع
الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في
الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا
لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط
علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار
ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو
يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم
البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت به الدلالة لانها
تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها
ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر
والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على
لسان الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل
الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي ليقولوا صرفنا واللام لام العاقبة
والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل
الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت
هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء
مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا
ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات
اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على
اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى

او للقرآن لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به
ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض
عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن جعله منسوخا
باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم
وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر
وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت
عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي لا تذكروا آلهتهم التي تعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا
تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر
وقرا يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا
لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت
الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا
وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم و
المشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون
بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في
موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول
صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما راوا منها ولئن
جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
هو قادر عليها يظهر منها ما شاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي و
ما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآية المقترحة اذا
جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة

مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه تعالى
بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير و
ابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم
اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم
فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ
لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم
انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا
يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب
ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا
فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا بآبائنا او تاتي بالله والملائكة
قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل
الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة
نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما
كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله
استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله تعالى
وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا
بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذ
اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون
انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا
وهو دليل على ان عداوة الكفار للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين

الانس والجن

مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله
الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول
الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال
ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء
الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على
المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل
نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت
لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما
له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله
اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما
حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو
الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل
بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقرره مغن
عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
تاكيد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه
ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم
وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد
مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من
الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم خطاب الامة
وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده

ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام
ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل
شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا
كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ
كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها
وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس
يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل
الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم
وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون
يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاصنام
والاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء و
حقيقة فيما فيقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا
فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله فيكون منصوبة
بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من
يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته
بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام
والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه
ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب
ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا
عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم

الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه
ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال
وقرا الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير
تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى
الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او
ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام
ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد و
النسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق
فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم
تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال الحرام انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله
الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط
بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها
في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على
الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج
حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة
لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون
والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها

210

جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها

مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين
وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها و
تخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله
الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب
والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من
علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم
رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله
يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم
او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح
صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق
مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه
فقال نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة
يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو
عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم
حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد
في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء
مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه
الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم
يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق

يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون: يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع
الظاهر موضع المضمر للتعليل. وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك: الطريق
ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما: لا عوج فيه او عادلا
مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها
معنى الاشارة. قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون: فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم
باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم. لهم دار السلام: دار الله اضافها
الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام
عند ربهم: في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره. وهو وليهم
مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون: بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم. ويوم يحشرهم جميعا: نصب باضمار اذكر او نقول و
الضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر
الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس: اي من اغوائهم واضلالهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود. وقال اولياؤهم
من الانس: الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض: اي انتفع الانس
بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم
وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في
المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على
اجارتهم. وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا: اي البعث وهو اعتراف
بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم
قال النار مثواكم: منزلكم او ذات ثوائكم خالدين فيها: حال والعامل فيها
مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا. الا ما شاء الله الا الاوقات
التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل
النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال

الذي

باعمال الثقلين واحوالهم. وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا: نكل بعضهم الى
بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب
كما كانوا في الدنيا. بما كانوا يكسبون: من الكفر والمعاصي. يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل
منكم: الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره
قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل
اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين. يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا: يعني يوم القيامة قالوا: جوابا شهدنا على انفسنا: بالجرم والعصيان وهو اعتراف
منهم بالكفر واستيجاب العذاب. وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين: ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة
الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا
للسامعين من مثل حالهم. ذلك: اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف
اي الامر ذلك. ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون: تعليل
للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان
الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم
او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك. ولكل: من المكلفين
درجات: مراتب مما عملوا: او من اعمالهم او من جزائها او من اجلها و
ما ربك بغافل عما يعملون: فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب
وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة. وربك الغني: عن العباد والعبادة
ذو الرحمة: يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه
على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده
وهو قوله ان يشأ يذهبكم: اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء: من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين
اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم. ان ما توعدون: من البعث واحواله

الم يأتكم رسل

لكاين لامحالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على
غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم
وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن
عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم و
عداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد
بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على
ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا يتاتى منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان
ينفصي عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية
بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل
العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذين تكون
له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر
بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح
الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا
اي مشركو العرب لله مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا
هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج
لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم وينفقون
على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم
وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه على
فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه
بان جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم
الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود و
الود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين
في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم
لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر

عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول و
جر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او
ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم
او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم
او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى و
قرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب
والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون
اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على
المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له
او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر
والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة
دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور و
الاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك
وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة
فنصب كغيرهم او التاء للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية
وقع موقع الخالصة وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او
حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا
تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب

وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به
ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم
وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف
السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد
العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا
بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم
لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر و
نحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا
مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل
والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع و
الباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على
تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانبات
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون و
الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله
واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المفروضة
فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم
الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا
يرضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من
الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره و
صوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل

مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا
معترض بينهما او فعل دل عليه او حال مما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه اخر
من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين حرم
وذكر الضان وذكر المعز
ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين
ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان
كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم
من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله
حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين
وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا
المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم
والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القران
او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما
طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن
كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة
وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او
دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم

خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث مخبث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به
صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع
الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول
شي من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم لا يواخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك
الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شي اخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشيا الا مع الاستصحاب وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور
وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى و
الاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او
الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاويا كقاصعا وقواصع
او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما
اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او
الجزا جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار والوعد
والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا
تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل
او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه
ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم
لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره
يدل على اعجازه لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شي اي لو
شا خلاف ذلك مشية ارتضا كقوله فلو شا لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا اباونا وارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار

الاعتذار من ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض
ذمهم به دليلا للمعتزلة ويويد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي
مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم
الرسل وعطف اباونا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا
باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن
ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله و
فيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه
قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة
والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد
كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها
والحمل عليها ولكن شا هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداكم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يونث ويجمع عند
بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير
السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقا
حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية
ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم
استحضرهم فيه ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم
كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهدا بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهوا الذين كذبوا باياتنا من وضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان
متبع الحجة لا يكون الا مصدقا لها والذين لا يومنون بالاخرة كعبدة
الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من تعالى
واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرا
ما حرم ربكم منصوب باتل وما خبرية او مصدرية ويجوز ان يكون

استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل بمعنى اقل اى شى حرم ربكم
عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اى لا تشركوا به ليصح عطف
الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء
او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام
او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل
المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهما احسانا ووضعه
موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان الاساءة فى شانهما
غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن
خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون
لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر
منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم
اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون
فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن الا
بالخصلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير
بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا
الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر
فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم فى حكومة ونحوها فاعدلوا
فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى قرابتكم وبعهد الله
اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطى مستقيما الاشارة فيه
الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرا حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح

بالفتح والتخفيف والباقون مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه
وقرا ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا
تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد
والهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم
عن سبيله الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به
لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسى الكتاب عطف
على وصاكم وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم
به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على
الذى احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا وعلى الذى
احسن تبليغه وهو موسى او تماما على الحسنة اى اجادة من العلم والشرائع اى زيادة على
علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى على الذى هو احسن او على الوجه
الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شى وبيانا مفصلا لكل ما
يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر
وهدى ورحمة لعلهم لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اى بلقائه للجزاء
وهذا كتاب يعنى القران انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن
غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى
وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى او لا نعرف مثلها او
تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها
وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف
صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل

سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان
تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي ربك
اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي
بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب
كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى و
نارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الا
الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها
خيرا عطف على آمنت والمعنى لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة
ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن
العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد
الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا
ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا
انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا
الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا
ببعض او افترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفرق امتي على ثلاث وسبعين كلها في النار
الا واحدة وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي تركوا وكانوا شيعا فرقا
تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من
عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف

اتيان م

السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا
من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك
قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط والمعنى
هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار
الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت
به وكان قياسه قوما كالعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف
بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان
صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه
في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة
الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان
الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له
لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه
في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء
حال في موضع العلة للانكار والدليل له وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية
ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من
ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض
يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام

او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق
بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان
ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه
لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة و
ضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على
انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن
قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد
كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف

الا ثماني آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا
قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم المص
سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب او خبر المص
والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه
شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في
القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف
والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر به
متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا
اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب
باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع
عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن
والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء
يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من

من دون دين الله دين اوليا وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا
او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت
مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف
التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية
وكثير من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها
باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون
عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير
مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب وكذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة
فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او
ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا
عليه وبطلانه عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم و
المنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف
الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت
علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلوماتهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم و
الوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان
صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
ويؤيده ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل
مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه
عليه الصلاة والسلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح
بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه

العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه
باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما
عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق و
لقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها و
جعلنا لكم فيها معايش اسبابا يعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما
الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره
منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس
لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد و
لا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ
عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا
خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود
لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان
يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال الحسن واتبع العاملين اولا خلقتني من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل
عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه
اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة لا مجرد عصيانه

عصيانه فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين فانها
مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما
طرده لتكبره وضعه الله لا مجرد عصيانه وعصى قال عليه الصلوة والسلام من
تواضع لله رفعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا
تميتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا
لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى وفي
يعلمه الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب
بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق
يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غوى
لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه
وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل
قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع
ولذلك لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل
الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان
يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا او
يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين
بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا
تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من

الملائكة قال اخرج منها مذؤما: مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مسئول او ملوما كميل من ذام يذيمه ذيما مدحورا: مطرودا لمن
تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو
ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك
هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم
فغلب المخاطب. ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة: وقرئ هذي وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين: فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان: اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته
ليبدي لهما: ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان
كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري
عنهما من سوآتهما: ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا
احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت
في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين: الا كراهة ان تكونا او تكونا من
الخالدين: الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة
على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة
والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل
اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما: فنز

فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة
سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من علو الى اسفل بغرور بما غرهما به من
القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوآتهما: فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما
العقوبة وشؤم المعصية فتساقط عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما و
اختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان
نورا او حللا او ظفرا وطفقا يخصفان: اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق
ورقة عليهما من ورق الجنة: قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف
اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين: عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو
وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا: اضررناها بالمعصية
والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين: دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها
مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا: الخطاب
لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا
او خبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو: في موضع الحال اي متعادين
ولكم في الارض مستقر: استقرار او موضع استقرار ومتاع: وتمتع الى حين:
الى انقضاء آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون: للجزاء وقرأ
حمزة والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون وفي الزخرف وكذلك تخرجون بفتح
التاء وضم الراء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا: اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله
وانزلنا الحديد يواري سوآتكم: التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف
الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في

ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل آدم تعمده لذلك حتى يعلم ان
انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان انه اغواكم
في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل
مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب
ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبره وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى
المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك
اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا
يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما
منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه
للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير
من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع
رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة
الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا
بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول
لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته
جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح
الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع
السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا
بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا

مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله
قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط و
التفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموا نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة
او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما
انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة
بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون
اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا
يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى
القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي خذل فريقا انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم و
يحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في
استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل
احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا و
اشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا
ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وساير ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس

والانواع المحللات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار. قل هي للذين آمنوا
في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد
خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم. قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما
ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص و
قيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق
بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها. ولكل امة اجل مدة او
وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون
التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون
وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال
الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته فمن تقول على الله ما لم يقله
او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق
والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي
التي لا يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون
من دون الله اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في

في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين
فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم
قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس
يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما د
خلت امة
اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا
هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من
النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة
فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون
ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه
اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق
العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين
ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم
ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم
لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو
بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ
على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل
لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم
الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون
فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالحبل
وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم
المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء

القطع تجري المجرى لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء
المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى
اشعارا بانهم بتكذيبهم للآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع
الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره
للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف
نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او
نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم
وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي
منه كلام لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك
اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة
ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات
اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة
والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة
هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا
لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره
مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي
بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين

الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول واجراء
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم
مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح و
هم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور
او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف
وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من
غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار
المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة و
النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام
ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما
يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو او على الوجه
الاول او من الاصحاب على الوجه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة
قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق
او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة من بقية قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين
كانت الكفرة تحتقرهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة و
قالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف

ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا
لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون
الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا
على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوه وهو دليل على ان الجنة
فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم على المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان
يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء
يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا
معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله
حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من
المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى و
رحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله
الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي
تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا
بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم
او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او
بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء
اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب
الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في
الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله

الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات وكل
يوم لهم يوم بقدره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس
الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها
دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظر وحث على التأني في الامور ثم
استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على
العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على الوجه الذي عناه
منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل
النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى
الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه
سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا و
الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها
بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان
الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى
لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع
الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات
في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة
والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار
اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ
انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد
قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها و

الله رب العالمين

فقدرها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة
السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم
له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر
من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه على ان الداعي ينبغي ان
لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في
الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء
وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته
ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه
بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب
في النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا
بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه
مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ بشرا بفتح
الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او بشرى للبشارة بين يدي رحمته
قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تذره

تذره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان
المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او السحاب او السوق
او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد
فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل
الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد
جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على
ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه
بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على
الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد فيكون
الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله ويشكرونها
ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا
ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد
تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع
وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث
وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده
لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب
على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان

قال الملأ من قومه أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك
في ضلال زوال عن الحق مبين بين. قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء من الضلال
بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين
استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأني
رسول الله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون
صفات لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا
وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع
معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى
الأنبياء قبله كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح
وفي أعلم من الله من قدرته وشدة بطشه
أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها. أو عجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف
على محذوف أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على
رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال
البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين لينذركم
عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى
وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل و
أن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله فكذبوه فأنجيناه والذين
معه وهم كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام
ويافث وستة عشر ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه أو بأنجينا أو حال من
الموصول أو الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان إنهم
كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وأصله عميين مخففة وقرئ عامين
والأول أبلغ لدلالته على الثبات وإلى عاد أخاهم عطف على نوحا إلى قومه
هودا عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود
ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله

لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره استئناف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال
لهم حين أرسل وكذلك جوابهم أفلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا
أقرب من قوم نوح ولذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه إذ كان من
أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد إنا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة
عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وإنا لنظنك من الكاذبين
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي إجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا و
الإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة
وكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم أو في الأرض بأن
جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك الأرض من رمل عالج إلى بحر عمان خوفهم
من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وتعميم بعد
تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها
المؤدي إلى الفلاح قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا
في التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه
أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما
تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون إن كنت من الصادقين
فيه قال قد وقع عليكم قد وجب أو حق عليكم أو نزل عليكم على أن المتوقع
كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب و
غضب إرادة انتقام أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلهية
لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنها لو استحقت كان استحقاقها

بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه به اظهارا
لغاية جهالتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن
كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا
وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن
منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم
ثلث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت
الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من
اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله
واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان
له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة
ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم •
لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا
يبينون الكلاما • حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون
بدعائكم لكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا
لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا
بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا • والى ثمود اخاهم

قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة
على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله
لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة
ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة للاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من
سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون
منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع
وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير من الجبال او
تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين
استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل
الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين أتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك
فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم
موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها

اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر
ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة
فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا
بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض
وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه
اية فقال اية اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك
وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار
سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له
اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في
العظم فامن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع
ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما
فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو
ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها
فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان

ولد الناقة

ان يقتلوه فانجاه الله الى فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم
كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعد
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم و
لوطا اي ارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا
واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية
في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء
للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة
استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها
فانه اسوء انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون
الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها
وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن
الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا
نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به الا امرته
واهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر
عجيبا وهو مبين لقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان

عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم عليهما الصلوة والسلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن وقيل كانوا يقطعون

التسبع متاخر عن هذه العاده

يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول من مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان

كنا كارهين

ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق
من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين
وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا
لخاسرون لاستبدالكم ضلاله بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف
وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطى باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة
الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين
اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا
كان لم يقيموا فيها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا و
دنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه
على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف الجملتين واتى بهما مبتدأين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل
حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى
لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا
قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا
اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة
والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات
اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله
ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء
والسراء وقد مس اباءنا مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا
في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب

جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى
عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد
ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا
او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجي بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او
امن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان
ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون
يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تكرير
لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث
لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك
النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون
من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم
عطف على ما دل عليه او لم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى
ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لانه في سياق
جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال
ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء
غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا
ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على
التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم
الرسل ولم تؤثر قط فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام

بما كذبوه من قبل

لتاكيد النفي الدال على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم من عهد وفاء عهد
فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات
ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز
الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام
بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد
جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا
بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس
وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى
الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان
لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه
حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به
او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان
كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين

لاكثر الناس والاية اعتراض
او لاكثر الامم المذكورين
م

مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيم روي انه لما
القاه صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على
الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى
انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين
اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار
لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان ادم شديد الادمة فادخل
يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع
الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف
قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا
يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في امره قالوا ارجه
واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت
عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله
ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة
ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية
ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف
الياء فللاكتفاء بالكسرة واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء
فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه ككبل في اسكان وسطه واما قراءة
ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان
قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا
حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء
السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين استئناف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا
وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا

لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا
للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما
هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل
فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في
فنه روي انهم القوا حبالا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها
بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا
هي تلقف ما يأفكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء
عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت
حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى
هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره
وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين و
الضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم
تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان
الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب
الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به
فرعون قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على
الاصل وقرا حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر

غلاظا وخشبا م

مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل
ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم و
ارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم و
تنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم
ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا
انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله
او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان
آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ
علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام
قيل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام
بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على
اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله
فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك
اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل
من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا

انه فعل م

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا: لما سمعوا قول فرعون
وتضجروا منه تسكينا لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين: وعد لهم
بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ
والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس
قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن
بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع
لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما
فتح لهم في زمن داود فينظر كيف تعملون: فيرى ما تعملون من شكر وكفران
وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك
بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او يرق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله
ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه
لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه
يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم
بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلب وتذلل العرائك وتزيل
التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك
لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله
اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله
وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ

انما طيركم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما
الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير
وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شيء تحضرنا تاتنا به من اية بيان
لمهما وانما سموها اية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في بها
لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا
عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل و
قيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار
القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء
بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم
ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها و
دام ذلك اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا
فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما
ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم
وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله
عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي

على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الإسرائيلي
فيصير دما في فمه وقيل سلط عليهم الرعاف. آيات: نصب على الحال مفصلات
مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم أو مفصلا
لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة
أسبوعا وقيل إن موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم
هذه الآيات على مهل. فاستكبروا: عن الإيمان وكانوا قوما مجرمين. ولما
وقع عليهم الرجز: يعني العذاب المفصل أو الطاعون أرسل الله عليهم بعد ذلك
قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك: بعهده عندك وهو النبوة أو
بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو
حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف
دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب
بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد
الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن. فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل
هم بالغوه: إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق
أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم. إذا هم ينكثون: جواب لما أي فلما
كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتأمل فيه. فانتقمنا منهم: فأردنا الانتقام
منهم. فأغرقناهم في اليم: أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته. بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين: أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم
فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله
فانتقمنا. وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون: بالاستعباد و
ذبح الأبناء من مستضعفيهم. مشارق الأرض ومغاربها: يعني أرض الشام
ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها. التي باركنا
فيها: بالخصب وسعة العيش. وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل: ومضت
عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد
أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد

المواعيد. بما صبروا: بسبب صبرهم على الشدائد. ودمرنا ما كان
يصنع فرعون وقومه: من القصور والعمارات. وما كانوا يعرشون: من الجنات
أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بالضم
وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر
ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم
من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وإيقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عليه السلام
عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموا شكرا. فأتوا على
قوم: فمروا عليهم. يعكفون على أصنام لهم: يقيمون على عبادتها قيل كانت
تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم
وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر. قالوا يا موسى اجعل لنا إلها
مثالا نعبده كما لهم آلهة: يعبدونها وما كافة للكاف. قال إنكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآية الكبرى عن
العقل. إن هؤلاء: إشارة إلى القوم. متبر ما هم فيه: يعني أن الله
يهدم دينهم الذي هم فيه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا. وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون: من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله
تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لإن للتنبيه
على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازم لما مضى عنهم
تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا. قال أغير الله أبغيكم إلها: أطلب لكم معبودا
وهو فضلكم على العالمين: والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه
تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم
يستحقوه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته. وإذ أنجي
نكم من آل فرعون:
واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم. يسومونكم سوء العذاب
استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما

يقتلون ابناكم ويستحيون نساكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم
وفي الانجا او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا
القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة
فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه وعد بني اسرائيل بمصر ان
ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك
سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقال الملائكة
كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا او
قيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر و
كلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح
ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين
ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جا موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيه لميقاتنا وكلمه ربه
من غير وسط كما تكلم الملائكة وفيما روي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من
الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون
لن ارى او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على
معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح
شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه
ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا
اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته اياه على ان لا يراه غيره اصلا فضلا
من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة
بحقيقة الروية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه

فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الروية
بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له
حيوة وروية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكا اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكا للتي
لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع داك وخر موسى صعقا مغشيا عليه
من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك
من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المومنين مر تفسيره
وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك
اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا
باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرا
ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك
من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سوال الروية كان يوم عرفة
واعطاه التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شي مما يحتاجون اليه
من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شي بدل من الجار والمجرور اي كتبنا
كل شي من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة
او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صما
كتبها الله لموسى فقطعها بيده او شقها باصابعه وكان فيها التورية
او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك
والها للالواح او لكل فانه بمعنى الاشيا او للرسالات بقوة بجد وعزم
وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله
واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز
ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم
الصيف احر من الشتا ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه

بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اورثت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي ساصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعده الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي

صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم وان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين بالتجاوز عن الخطيئة وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله

يا ابن امّ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء
والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت
بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة ونسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت
بأخي ولأخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا
للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين
ارحم بنا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي
خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله تعالى ولا فرية
اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم و
الذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وآمنوا واشتغلوا بالايمان وهو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل
وكثرة جرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار
هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب
الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا
اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول
كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة
ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على
المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار
واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي

روي انه تعالى امره بان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط
ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر
من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل
غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر وعنى به
انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم باغراقهم في البحر وغيرها
فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم
احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على
طلب الرؤية كان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها
ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى
ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم
كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به
تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل و
تهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا
فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر
السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود
اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل
وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم الهاء
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب
به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر
بل المكلف وغيره فسأكتبها فأثبتها في الآخرة او فساكتبها

كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة
خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يامرهم
او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او
الكل والمراد من امن منهم بمحمد عليه الصلاة والسلام وانما سماه رسولا
بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب
ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم
كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا
والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف
عليهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا و
قطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي
يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين امنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور
الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه
ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون
بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه و
سلم مبعوثا الى كافة الخلق وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم
الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
وخبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من

ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما
انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ كلمته على ارادة الجنس او القران
او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن لم يعتبر ايمانه وانما عدل
عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان والاتباع له
واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم
موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة
الحق وبه بالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان
القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران
تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو
اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه و
سلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم
عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى
صير او حال وتانيثه للحمل على الامة والقطعة امما بدل منه ولذلك جمع
او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط وكانه قيل اثنتي عشرة
قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه
في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست و
حذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا
يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل
لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس و
كلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا

ما في البقرة ومعنى غير ان قوله فكلوا منها بالفاء افاد تسبب سكناهم
للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه اما تقديم
قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة
بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه
بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس
في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول
وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ان ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من
السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسالهم للتقرير والتقريع
بتقدم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او
وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي
كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر
وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله
حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف
المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل منه وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون
آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم
شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها
بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه و
يؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء من شرع علينا اذا دنا
واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم
بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت و
الباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة
من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من

اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا
ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى
عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به
وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال
اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر
وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة
او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك
فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر
الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر
بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس
كحذر كما قرئ بتخفيف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على
الهمزة ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما
نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر ان الله تعالى عذبهم اولا
بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا
القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين
فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم و
لكن القردة تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم
ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن
ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان

العازم على الشئ يؤذن بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على
نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية
بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم
وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو
قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال
منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم و
منهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم
كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به
الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية
من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى
حطام هذا الشئ الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا
يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف و
الحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم
عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على
الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق
او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم

عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا
وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون
فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد
وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او
وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع
وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم و
اصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع
بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به
وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا
ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح
الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي نصب لهم دلائل ربوبيته
وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم
الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد و
الاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
اي كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل

او تقولوا: عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كلاهما بالياء لان اول الكلام
على الغيبة. انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم: فاقتدينا بهم
لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا. افتهلكنا
بما فعل المبطلون: يعني اباءهم المبطلين بتأسيس الشرك. وقيل لما خلق
الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق و
الهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه
في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود
بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل
الآيات ولعلهم يرجعون: عن التقليد واتباع الباطل. واتل عليهم: اي على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا: هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت
كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم باعوراء من الكنعانيين
اوتي علم بعض كتب الله. فانسلخ منها: من الآيات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان: حتى لحقه وقيل استتبعه. فكان من الغاوين: فصار من الضالين
روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه. ولو شئنا لرفعناه: الى منازل الابرار
من العلماء. بها: بسبب تلك الآيات وملازمتها. ولكنه اخلد الى الارض: مال
الى الدنيا او الى السفالة. واتبع هواه: في ايثار الدنيا واسترضاء قومه
واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل
العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها
دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة تعلقت به
كذلك كان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض
واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة. فمثله
وصفته التي هي مثل في الخسة. كمثل الكلب: كصفته في اخس احواله وهو ان

240

ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث: اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع
اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين
والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان
وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب. ذلك
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص: القصة المذكورة على اليهود فانها
نحو قصصهم. لعلهم يتفكرون: تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ. ساء مثلا القوم
الذين كذبوا بآياتنا: اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم
بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها. وانفسهم كانوا يظلمون: اما ان يكون داخلا
في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم
او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها و
لذلك قدم المفعول. من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون: تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص
ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في
الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيها على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء
وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه انه المستلزم
للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها. ولقد ذرأنا: خلقنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس: يعني المصرين على الكفر في علمه. لهم قلوب لا يفقهون بها: اذ
لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله. ولهم اعين لا يبصرون بها: الى
خلق الله نظر اعتبار. ولهم آذان لا يسمعون بها: الآيات والمواعظ
سماع تأمل وتذكر. اولئك كالانعام: في عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة
عليها. بل هم اضل: فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار و
تجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند

فيقدم على النار. أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة. ولله الأسماء
الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات
فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء. وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا
تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم
يا أبا المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما يسمي به نفسه كقولهم ما نعرف
إلا رحمن اليمامة أو وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام و
اشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون
وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد. وممن خلقنا
أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. ذكر ذلك بعدما بين أنه خلق للنار طائفة
ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة هادين بالحق عادلين في الأمر
واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه
الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا يزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن
يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه
معلوم. والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك
قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف
من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب. وأملي لهم
وأمهلهم عطف على سنستدرجهم. إن كيدي متين إن أخذي شديد وإنما سماه
كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان. أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة
جنون روي أنه عليه الصلاة والسلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا
يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح
فنزلت. إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر
أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من
شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صا

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما
يدعوهم إليه. وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية
أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أو لم ينظروا في
اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل
مغافصة الموت ونزول العذاب. فبأي حديث بعده أي بعد القرآن يؤمنون
إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم بعد إلزام
الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد
اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن
لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به. وقوله من يضلل الله فلا
هادي له كالتقرير والتعليل له. ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف
وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي
به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم
يعمهون حال من هم. يسألونك عن الساعة أي عن القيامة وهي من الأسماء
الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على
طولها عند الله كساعة. أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها ورسو الشيء
ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من
أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت لأن البعض آو إلى الكل. قل إنما علمها
عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا. لا يجليها
لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره
إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك
الشمس. ثقلت في السموات والأرض عظمت على أهلها من الملائكة و
الثقلين لهولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها. لا تأتيكم إلا بغتة
فجأة على غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام إن الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه. يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها

فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه
استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة
بمعنى الشفقة فإن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى
يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه
كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه أي تكرهه لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه
قل إنما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة
وللمبالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحدا
من خلقه قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو
إظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب إلا ما شاء الله من ذلك
فيلهمني إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما
مسني السوء ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير وما أنا إلا عبد
مرسل للإنذار والبشارة لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون
متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من جنسها كقوله جعل
لكم من أنفسكم أزواجا زوجها حواء ليسكن إليها ليستأنس بها ويطمئن إليها
اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه وإنما ذكر الضمير ذهابا إلى المعنى ليناسب
فلما تغشاها أي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما
تلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت
به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور
وهو المجيء والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت منه فلما أثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها
حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه
لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا
جعلا له شركا فيما آتاهما أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموا

فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون يعني الأصنام وقيل لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة
رجل فقال لها ما يدريك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت
من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد إليها وقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت
الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه
حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وأمثال ذلك لا تليق
بالأنبياء ويحتمل أن يكون الخطاب لآل قصي من قريش فإنهم خلقوا من قصي وكان
له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين
فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في
يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركا أي شركة بأن
أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الأصنام جيء به على تسميتهم
إياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا لعبدتهم ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون
عنها ما يعتريها وإن تدعوهم أي المشركين إلى الهدى إلى الإسلام لا
يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الأصنام
أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء
عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم إفادة
الدعاء من حيث إنه مسوى بالثبات على الصمات أو لأنهم ما كانوا يدعونها
لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن
دعائهم إن الذين تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد أمثالكم
من حيث إنها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين أنهم
آلهة ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم إن قصارى أمرهم أن يكونوا
أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد
عليه بالنقض فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها
أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها وقرئ إن الذين

بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم
يثبت مثله وينطقون بالضم ههنا وفي القصص وفي الدخان قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من
مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون ولا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي
على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن و
هو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده
فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا
انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظر
اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما
عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد
الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل
وجوب الزكوة وامر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض
عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم
الاخلاق آمرة للرسول صلى الله عليه وسلم باستجماعها واما ينزغنك من
الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به
كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنخس والنسغ هو الغرز شبه وسوسته للناس
اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه
سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع
باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة
الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه
وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر
ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو و
والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كليّن وهيّن والمراد
بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا

فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي
بالتزيين والحمل عليه وقرئ يُمِدّونهم من امدّ ويمادّونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل
والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون
عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي
ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير
الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما
اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه
او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات
او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب
بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في
الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات
له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف
واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر
للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي تضرعا
وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر
دون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال ولا
تكن من الغافلين باوقات الغدو والعشي وقرئ والايصال وهو مصدر
آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل
ولا يشركون غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود

لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه من قرأ سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال [illegible]

وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال
اي عن الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل
كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال
لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به
وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم
المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن
كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين
ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو
قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا
يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي
وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي
يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة
واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم
الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين

مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه
الثلث طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس
ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم
بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر
محذوف او مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا لهم درجات عند ربهم
كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط
منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما
اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في
كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر
في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته
فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي
اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم

التحليق دور بر هوا شدن مع وعدي بالباء ح

التنبؤ دعوى پيغمبري كردن ح

ان اصابها محمد لم تفلحوا ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد
المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق
بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال
ما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم
الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بالوعد باحدى
الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت
لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت
الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو
امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنوا
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا
عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل
الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد
ابن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني

صلى الله عليه وسلم

وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل
انه لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول
كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من
يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان
مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل
الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم
يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك تمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه
الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين
ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها
والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق ليحق الحق ويبطل الباطل
اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم
من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ
يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم
لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك
اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه ان النبي عليه الصلاة
والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه

قرن

وما يحصل لكم نور الدارين مه

العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله
عنه يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم
اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على
ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف
من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا
جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته
اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم
كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين
بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران
ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة
او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة
لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر
الا من عند الله ان الله عزيز حكيم واما امداد الملائكة وكثرة العدد والاهب
ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ
يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او
بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من
اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير
وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه
والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل
على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقهم ان
لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة
من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار

نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من
تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر
تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء
وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا
الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل
الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط
على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بكم ويثبت به الاقدام اي بالمطر
حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي
ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم و
تثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي
مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة عدوهم
فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله
اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب
فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله
كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا
فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا
منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة
الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين
قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة
من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في

الاعفر
الرمل الاحمر

الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريق
الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه
او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب
النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما
اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب
العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على
زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا
ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين
الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا
بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكائد الحرب
او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم
ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي عن ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله
ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون
وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها او
الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا
متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله
ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله
الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في
الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم
والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش
من العقنقل قال صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها

يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال له خذ قبضة
من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في
وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان
افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت يا محمد رميا
توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن
الله رمى اي اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا و
تمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو
كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله
رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم
يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب
كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن
بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل ان الله
سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى
البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود ذلكم او الامر ذلكم
وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين
وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته ولن تغني ولن تدفع
عنكم فئتكم شيئا جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم

جمع مالية ابو السعود

التي تجمعونهم وتستعينون بهم ابو السعود

وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على
ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول
فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ
كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول
فان المراد بالآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة و
التنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون
القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به
فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض
او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم
ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة
كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم
ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم
معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا
مباركا حتى يشهد لك فنؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق
ولان دعوة الله تسمع من الرسول روي انه صلى الله عليه وسلم مر على ابي
وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال
كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل
هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر
لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما
يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته

حلته فذاك ميت وثوبه كفن او لما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من
العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او
الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على
مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب
وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او تصوير وتخييل لتملكه على
العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته
وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة و
القاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه
تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف
وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا
يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم
او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل
رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا
في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب
الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين
للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد
العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم
قريش والخطاب للمهاجرين او للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم
تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين
مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم
بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم

من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم. يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تظهرون او بالغلول في الغنائم
روي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح
كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا
من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا
ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث
سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي
يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان
تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه. وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو. وانتم تعلمون انكم تخونون
او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح. واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم
فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة. وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر
رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه. يا ايها
الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها
بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال
الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او
ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها

تضمروا خلاف ما

فقال م

عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر
لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم. والله ذو الفضل العظيم تنبيه على
ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما توجب تقواهم عليه كما
اذا وعد عبده انعاما على عمل. واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى
واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه
حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات
وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا
باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان
تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في
القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل
عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه
على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار. ويمكرون ويمكر
الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم
الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا. والله خير
الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة
ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم. واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع

لسبيد

سپوله كردن

دار الندوة دار في قرب مكة بناها قصي بن كلاب من اجدادهم كانوا يجتمعون فيها

نجد ديار في اليمن

اسنادا ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل قاله الذين ائتمروا في امره
صلى الله عليه وسلم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا
خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره
الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهذا ايضا من كلام ذلك
القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان
كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا
بعذاب اليم سواه والمراد به التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وفائدة التعريف فيه
الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه و
سلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل
كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف
في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه و
المراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما
يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى
الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية
امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد

من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون
موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا
وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصدى على ابدال احد حرفي
التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن
هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلونه اذا اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
فذوقوا العذاب يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام
يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا
او عملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل
واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين
من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب
العير فانه لما اصيبت قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب
محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع
رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك
الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق
احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق و
مساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما
لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا

اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون ليميز
الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون
عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى
يتراكموا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانز
فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث
لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران
لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى
قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء
للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك و
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل
عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى
فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما
يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان
تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا
بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من
نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء
مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي والمخيط
ثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله

قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة
المعطوفين فللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين وحكمه بعد باق غير ان
سهم الرسول يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه و
سهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك الامر
فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية
وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه صلى الله
عليه وسلم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم
وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى
عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم
لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم و
حرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن
السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من
كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين
شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا
اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا
بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد
لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي
الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق و

الباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء
فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة
الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي
وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود
وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم
في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع
الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم
عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة
القصوى كذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم
انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة
منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على
هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو
نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة
فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد
بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله
وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي

حيي

حتى بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر
من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول
والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان
قال
او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به
اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى
قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم و
تصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا و
اصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر
قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير
قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور
ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط
ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان
المراد ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك
بالامر
وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم
جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب
في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب
داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر
الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا
بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا

تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي
وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعار للدولة
من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل
المراد بها الحقيقة فان النصر لا يكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا
منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة
والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان
ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها
الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا
كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين
مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده
ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع
الحال وكذا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على
تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان
مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم و
خيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان
اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين
وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان
نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم
سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد

الكلاءة
الحفظ

كان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا
غالب لكم اليوم واني جار لكم مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل
نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة
فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون
قوله اني اخاف الله اي اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت المعلوم اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول قاله الحسن و
اختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون
مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم
يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون و
قيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار
به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى
ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا ا
ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله
وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه
بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتمالها على ضميرهما
وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم
وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي
ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من
حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر و
تهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر

ملائكة

والمعاصي هو جزاء لكم. وان الله ليس بظلام للعبيد. عطف على ما للدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان
لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى
ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد. كداب
آل فرعون. اي داب هولاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا
فيه اي داموا عليه. والذين من قبلهم من قبل آل فرعون. كفروا بآيات الله
تفسير لدابهم. فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هولاء. ان الله قوي شديد
العقاب. لا يغلبه في دفعه شي. ذلك. اشارة الى ما حل بهم. بان الله. بسبب
ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم. مبدلا اياها بالنقمة. حتى يغيروا
ما بانفسهم. يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم
والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه
منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم
بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى تغيروا حالهم واصل يك يكون
فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بحروف اللين
تخفيفا. وان الله سميع. لما يقولون. عليم. بما يفعلون. كداب آل فرعون و
الذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون
تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به
آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة
بتغييرهم ما بانفسهم. وكل. من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش
كانوا ظالمين. انفسهم بالكفر والمعاصي. ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا. اصروا على الكفر ورسخوا فيه. فهم لا يؤمنون. فلا يتوقع منهم ايمان
ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف و
التنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف. وقوله الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة. بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان

للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم و
من لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة والمحاربة. و
هم لا يتقون. سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين
وتسلطه عليهم. فاما تثقفنهم. فاما تصادفنهم وتظفرن بهم. في الحرب
فشرد بهم. ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم. من
خلفهم. من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال
المعجمة فكانه مقلوب شذر ومن خلفهم بالمعنى اصنع بهم ذا اشرد من
وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء. لعلهم يذكرون. لعل المشردين يتعظون.
واما تخافن من قوم. معاهدين. خيانة. نقض عهد بامارات تلوح لك.
فانبذ اليهم. فاطرح اليهم عهدهم. على سواء. على عدل وطريق قصد في
العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف
او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره. وقوله ان الله لا يحب
الخائنين. تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستئناف. ولا تحسبن. خطاب للنبي. وقوله الذين كفروا
سبقوا. مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير
احد او من خلفهم والذين كفروا المفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار
او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول
فلا تحذف او على ايقاع الفعل على. انهم لا يعجزون. بالفتح على قراءة ابن
عامر وان صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي
اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية
ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من

مناسبك ٧

المشركين واعدوا ايها المومنون لهم لناقضي العهد او للكفار
ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته
صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله
عليه الصلاة والسلام خصه لذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل
التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط
ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال
وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون وعن يعقوب
ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله و
عدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم
يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام
والى للسلم للصلح او الاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم
وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت
به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على
الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وحيفهم
انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها
بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم
ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين
جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء
والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس
واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في

في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء انه عزيز لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل
ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع
هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا
وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك
من المومنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله وحسبك و
الضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا او الجر
عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك
الله والمومنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
فتمم الاربعون فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في اسلامه يا ايها النبي حرض المومنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله
الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد
بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم
لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المومنين
رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا
الهوان والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك
عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك
ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة

للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل
البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم
وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف
لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى
وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله
واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها
باخذكم الفداء والله يريد الاخرة يريد لكم ثواب الاخرة بقتلهم
او الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف
كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت
الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه صلى الله عليه وسلم اتي يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال
ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك فقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم
ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا
وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان
الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال
حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية

دليل على ان الانبياء مجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه
لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او
ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب
عظيم روي انه عليه الصلاة والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر
وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب
محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين
ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم
ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول
الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني
اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث
فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس ما يدريك قال اخبرني
به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله
والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا
انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا
الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك

منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الى الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم
حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله
ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على
المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا
ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث
وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه
بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه
لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع
التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا
ما امرتم به من التواصل وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف
الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا و
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم
المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان
منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم
لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال و
الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من
جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى

اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح
او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من
المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة
ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا
شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية و
الفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة
للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين و
اثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم
وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت
لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة
او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال
فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال
او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي
هذه براءة من ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين
وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن
الله واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب
فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين

واهمل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض
اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر
لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه و
سلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث
ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا
رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا
رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور
فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم
فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني
ليس على العموم فانه صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من
عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة
الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل
من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي
الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله
الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على
الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام
كان فيه ولما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج
ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز

المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء
للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير
فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام
بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر
فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام
والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في
الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من
شروط العهد ولم ينكثوا او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم
مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من
باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ
الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم
اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم
من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم
او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا
في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة
لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم
غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور
بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع

[illegible]

امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك اى الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وحقيقة ما تدعوهم
اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا
ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون
كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد
او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا
فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب
على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب
اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفا وهو كقوله
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد
او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وكثيب اى فكيف مات وان
يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا
حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من
رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم
كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد
بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال
الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا
كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند
الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان
المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد

ان م

الرال السقب
ولد النعام

بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا
عليهم والحالة تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون
متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة
من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله
استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء و
الشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج
والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا
يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود
او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ف
اى فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات
لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال
التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من
الايمان او الوفا بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على
انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد
بالائمة رؤسا المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع
من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب
ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم
على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام
فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة
المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين

خوانكم

او ليس لهم ايمان فتراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن
غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة
المؤذين. الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي
للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول و
المؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج
الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك
الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم
بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه صلى الله عليه وسلم بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان
ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره
ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال
بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم و
يشف صدور قوم مؤمنين يعني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا
مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم
وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء
ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب
بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب
لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما يكون
حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره
بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم
الذين جاهدوا من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان

كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه
على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح
لما يتوهم من ظاهر قوله لما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا
مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد
وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار
الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا
بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس
عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول
فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي
يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة
اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها
تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها
وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في
بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة
وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذر
جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم
وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم

بين عيسى والعمل فيما ظنك بأضدادهم وشنعا للمؤمنين أن يفتخروا بأحوالهم ويتكلوا عليها. أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله: السقاية والعمارة مصدر سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين: أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله: أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم و أولئك هم الفائزون: بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها: في الجنات نعيم مقيم: دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا: أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل. إن الله عنده أجر عظيم: يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء: نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا و بقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان: إن اختاروه وحرضوا عليه. ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون: بوضعهم الموالاة في غير محلها. قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم: أقرباؤكم مأخوذ من العشرة و قيل من العشير فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشيرة وقرأ أبو بكر عشيراتكم

عشيراتكم وقرئ عشائركم. وأموال اقترفتموها: اكتسبتموها. وتجارة تخشون كسادها: فوات وقت نفاقها. ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله: الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه. فتربصوا حتى يأتي الله بأمره: جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة. والله لا يهدي القوم الفاسقين: لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه. لقد نصركم الله في مواطن كثيرة: يعني مواطن الحرب وهي مواقعها. ويوم حنين: وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه أن يعطف على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة و الطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر رضي الله عنه أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا. فلم تغن عنكم أي الكثرة شيئا من الغناء أو من أمر العدو. وضاقت عليكم الأرض بما رحبت برحبها أي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه. ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين: منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال. ثم أنزل الله سكينته: رحمته التي

سكنوا اليها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعاده
الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه
وسلم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف
او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام و
الله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت
خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي
يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا ا
اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم
بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي
وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى
نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا
ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان
يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجا
سات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون
وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم
وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب
ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي

[illegible]

التاسع وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم
وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله
من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا
ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال
ان شاء قيده بالمشية لينقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك
وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم
حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا
يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي
يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا
ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من
الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي
عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي
غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او
عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية
نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء
وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي
تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية
من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه صلى الله عليه وسلم اخذها
من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا
وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه
عليه الصلوة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك

يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير و
قال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى
الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله
انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم
بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام
املاها عليهم حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله و
الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه
بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف
او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف و
الخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب
وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول
بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد
عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان
يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على
معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود
على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم
ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم
الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله او بالسجود لهم والمسيح
ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذ

المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا
الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته
فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا
يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله
لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء
المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب
لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون
غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين
للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل
الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز
ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال
والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون
حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على
المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم
يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلوة والسلام
ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد

منها ما لم يؤد حقها لقوله صلى الله عليه وسلم فيما ورده الشيخان مرويا عن ابي
هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب
اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات
حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت
النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيآن لان المراد بهما
دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة
وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه
وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع
التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول
لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي
مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب
الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات
والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا و
المعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها
اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة و
المحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم و
اسمعيل عليهما الصلوة والسلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا

سرد
زره وحلقه و
حرماهي كه در يكديكر
باشد كمر آلعه

فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة
فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر
الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه الصلوة والسلام حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم
انما النسيء اي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم
محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر و
اعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء
وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر
نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه
فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا
وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل
على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون
مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث
ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد
حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه
او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة
وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على
البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح
اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة
الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في

والنسيئة

سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام
للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان
ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها
في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط و
ظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن
وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا
فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي لا تضروه فان
الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر
على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد
نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم
ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره
في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم
باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من
يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور
وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او
ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا
بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله
فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله

القيظ حرارة الصيف
العسرة العسر الشدة
صحاح

اسفله فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب
عليه على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول من ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده
اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله
بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية
في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله
عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته
عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او
صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي
ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون
الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبر الله به فصدقوه فبادروا اليه
لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا
قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي
تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او
البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا
الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه
اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا
الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان

لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شي اذنت لهم في القعود حين استاذنوك
واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم
الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يومر بهما اخذه الفدا واذنه
للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم
الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فضلا ان يستاذنوك
في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف
الذين لا يومنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في
الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان
بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة اهبة وقرى عده بحذف التا عند الاضافة كقوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن
كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه
قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج
فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقا
الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية
قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين و
غيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا
الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا
زادوه لان الزيادة باعتبار العام الذي وقع منه الاستثنا ولاجل
هذا التوهم جعل الاستثنا منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا و
لاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بالنميمة والتضريب والهزيمة و
التخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان
يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير

منكم

الضمير في لاوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم
او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم و
ما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني
يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول
صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا
لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآرا في ابطال امرك
حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون
اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين على تخلفهم
وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم
وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك
عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني
في الفتنة اي في العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة
متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم
بعدي او في الفتنة بنسا الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
اني مولع بالنسا فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في
الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن
لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة
تسوهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما
اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا
رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم ومجتمعهم الى اهاليهم او عن الرسول
وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما
اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح
لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرى هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل
لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من

صلى الله عليه وسلم

الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصده وقيل من العجب هو مولينا
ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان يتوكلوا على
غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى
العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص
بكم ايضا احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من
السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا
ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها
وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان
يمتحنوا فينفقوا او سطروا فينظروا هل تقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس
اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا ياخذه منهم وان لا يثاب عليه وقوله
انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان
وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث
النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم
كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما
ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان
ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحيوة
الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من
الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين
بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج
بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم
ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا
او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من

الغار كالكهف في الجبل والجمع غيران والمغار مثل الغار صح

من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من
تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك
وقرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها
نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب
اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل
فمن يعدل واذا للمفاجاة نائبة مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا
ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر
الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله
سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما
اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية بأسرها في حيز الشرط
والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين
اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد
باللام انهم في قسمة الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال
او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة
فكانت لمساكين وانه صلى الله عليه وسلم كان يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر
وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد
اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس

ابن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلوة
والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد
عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم
المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط. وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم
وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى
والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان
بانهم احق بها. والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم
وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل
اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او العامل عليها. وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله. فريضة من الله مصدر لما دل عليه
الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء
وقرئ بالرفع على تلك فريضة. والله عليم حكيم يضع الاشياء مواضعها
وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب
الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة
الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي على ان الآية
بيان ان الصدقة لا تخرج عنهم لا ايجاب قسمها عليهم. ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد

محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول. قل اذن خير
لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع
الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة. ويؤمن
للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان. ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن
اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا
بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب
على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما
وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان. والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم بايذائه. يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا
ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين. والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام
في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك
ان كانوا مؤمنين صدقا. الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد
الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد. فان له نار جهنم خالدا فيها
على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه
ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر
ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم. يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان الضمائر للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا
في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء وقيل انه خبر
بمعنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله
مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما
تحذرون اظهاره من مساويكم. ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكون صح

من حيث انه صح

في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في
شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون : توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به
والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا : لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم : قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد
ايمانكم : بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم : لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم
عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين : مصرين على النفاق
او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما والضمير لله
وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون و
المنافقات بعضهم من بعض : اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد
وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل
على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر : بالكفر والمعاصي وينهون عن
المعروف : عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم : عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله : اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم : فتركهم من لطفه وفضله ان
المنافقين هم الفاسقون : الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها : مقدرين الخلود هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله : ابعدهم من رحمته واهانهم
ولهم عذاب مقيم : لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين
من قبلكم : اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة و
اكثر اموالا واولادا : بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم : ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل
اللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم

وخضتم في الباطل كالذي خاضوا : كالذين خاضوا او كالخوض الذي خاضوه
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة : لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين
واولئك هم الخاسرون : الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ
الذين من قبلهم قوم نوح : اغرقوا بالطوفان وعاد : اهلكوا بالريح و
ثمود : اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم : اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه و
اصحاب مدين : واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا
حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن
من الخير الى الشر اتتهم : يعني الكل رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون : حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض : في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله : لا محالة
فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز : غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده
حكيم : يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة : تستطيبها النفس
او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت
الاحمر في جنات عدن : اقامة وخلود وعنه صلى الله عليه وسلم عدن
دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او
الى تغاير وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها
لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى
عن شوائب الكدورات التي لا يخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس

ولذا الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها
فنا ولا تغير ثم وعدهم ما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه
المبدا لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه
عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا
لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من
ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر
دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه صلى
الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال
الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس
وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان
خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي
اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها
يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او
بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش
فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله بديته اثني عشر الف فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم
المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على

على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم
الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن
رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا
بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه
فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء الى عمر رضي الله عنه في خلافته
فلم يقبلها فهلك في زمان عثمان فلما اتاهم الله من فضله بخلوا به منعوا
حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك
نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم
ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين
فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا
وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق

و العزم على الاخلاف ونجواهم : وما يتناجون فيما بينهم من المطاعن او
تسمية الزكوة جزية . وان الله علام الغيوب : فلا يخفى عليه ذلك . الذين
يلمزون : ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم
المطوعين : اي المتطوعين من المؤمنين في الصدقات : روي انه صلى الله عليه
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي
ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة آلاف وامسكت لعيالي اربعة
آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين
الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري
بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي و
جئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله
ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من
الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم : الا طاقتهم وقرئ
بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه . فيسخرون منهم : يستهزؤن
بهم . سخر الله منهم : جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم . ولهم عذاب
اليم : على كفرهم . استغفر لهم او لا تستغفر لهم : يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله . ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم : روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه
الصلوة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام
لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلوة والسلام فهم من السبعين
العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان
المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد

بأسره . ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله : اشارة الى ان الياس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها . والله لا يهدي القوم الفاسقين : المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى
الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلال
والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم . فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله : بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي
اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال . وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله : ايثارا للدعة والخفض على
طاعة الله وفيه تعريض للمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال
والمهج . وقالوا لا تنفروا في الحر : اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا : وقد آثرتموها بهذه المخالفة . لو كانوا يفقهون : ان مآبهم اليها
او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة . فليضحكوا قليلا و
ليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون : اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين
عن السرور والغم والمراد من القلة العدم . فان رجعك الله الى طائفة منهم
فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا
منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة
اخرى بعد تبوك . فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا : اخبار في معنى
النهي . انكم رضيتم بالقعود اول مرة : تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك . فاقعدوا مع الخالفين :
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على
قصر الخالفين . ولا تصل على احد منهم مات ابدا : روي ان ابن ابي دعا رسول الله

في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى
عليه ثم نزلت وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة
بالقميص كان مخلا بالكرم ولأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر
والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر
ولذلك رتب النهي على قوله مات أبدا يعني الموت على الكفر فإن إحياء الكافر
للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره
للدفن أو الزيارة إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل
للنهي أو لتأبيد الموت ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن
يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والأمر
حقيق به فإن الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها
ويجوز أن تكون هذه في فريق غير الأول وإذا أنزلت سورة من القرآن ويجوز
أن يراد بها بعضها أن آمنوا بالله بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون المفسرة
وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة
وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالف للذي لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
بأموالهم وأنفسهم أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير
منهم وأولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا و
الجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة
تخفيف خيّرة وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب أعد
الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
بيان لما لهم من الخيرات الأخروية وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن
لهم يعني أسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة

كثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب
طيء على أهالينا ومواشينا والمعذر إما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهما أن له
عذرا ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها
إلى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للإتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ
يعقوب المعذرون من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ المعّذرون بتشديد العين
والذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في
أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله و
رسوله في غيرهم وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان
وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الأعراب
أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم بالقتل والنار ليس
على الضعفاء كالهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج إثم في التأخر إذا نصحوا لله ورسوله
بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح أو بما قدروا عليه فعلا
أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل أي ليس
عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة
على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم
أو للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على
الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل بن يسار و
صخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
ابن مغفل وعلية بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا
الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا
أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى
وأصحابه قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد
تولوا جواب إذا وأعينهم تفيض من الدمع أي دمعها فإن من للبيان وهي مع
المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على أن

تيسل م

العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
فى مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنوك وهم اغنياء
واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما
هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة
الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم اليهم من
السفر قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما
فى ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن
الكفر ام تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم
وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم
التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا
يقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل
وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة او
تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم
بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله
ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان
امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا
ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم

حال م

بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا و
احق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها
وسننها والله عليم يعلم كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب
به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرف
فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله
ولا يرجوا عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر
الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء
اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم و
الدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء
بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو
السوء هنا وفى الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ وعند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه
الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق
ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه
الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على
الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة
بضم الراء سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيق الوعد وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان
وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين

اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة
واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم
باحسان اللاحقون بالسابقين من المسلمين او من اتبعوهم بالايمان الى والظاهر م
يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا
عنه بما نالوا من النعم الدينية والدنياوية واعد لهم جنات تجري
تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدكم يعني المدينة من
الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته
مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها بينها ح
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق
لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي
مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك
نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا
ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما
وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب
عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من
تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا
العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيئ هو

وهو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم
بعت الشاة شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر
عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم
ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة
روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق
بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن
الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره
وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها
لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم
قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخصيص عليها ان
الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز
وياخذ الصدقات يقبلها قبول من ياخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله
هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا عملكم ورسوله والمؤمنون
فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رايتم وبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه واخرون من المتخلفين مرجون
مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجاته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون
بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق
واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين
بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور
رحيم والمراد بهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك

اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله. والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة. وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه. وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا. وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبل غزوة تبوك فسالوا رسول الله ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت. وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين. والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم. لا تقم فيه ابدا للصلوة. لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه

وسلم لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة. من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله: لمن الديار بقنة الحجر. اقوين من حجج ومن دهر. احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه. فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها. والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا. افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة. ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها. فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس على الاضافة واسس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى

وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه
مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد
واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا
لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول
صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن
قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار
وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو
كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ
يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة و
حفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول
والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة
على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد
لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل عليه فيهما كما والقرآن
اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير
لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم
التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون
ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة
وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اى

اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء
نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله
مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم
شبه بها من حيث انها يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل
بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب
العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف
بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه
للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه
من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد
التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية
وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع
المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل
عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة
احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار
لها فلم يأذن لي وانزل على الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة

وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن للمنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول صلى الله

الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد به انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤن حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخط الله الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او

وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطأون موطئا مكانا
يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر
والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب
المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان
الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي
المجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله
عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه
السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت
لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو
غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل
بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية
سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر
لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض
المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا عما ينذرونه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل
فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها
كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت
القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه
لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه

التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة
للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا
على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع [المتقين]
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب
على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم
وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها
مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم
حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرأ حمزة بالتاء انهم يفتنون
يبتلون باصناف البليات او بالجهاد فيعاينون ما يظهر عليهم من
الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون
من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا
لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة
الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا
عن حضرته صلى الله عليه وسلم مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء

فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم و
قرئ من انفَسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاءكم
المكروه حريص عليكم على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على
الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم
ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو و لا
اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم
المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي
رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان • وعن النبي صلى الله عليه و
سلم ما نزل القران علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براة وقل
هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس

مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع
برواية قالون وحفص وقرا ورش بين اللفظين واما لها الباقون اجراء لالف
الرا مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى
ما تضمنته السورة او القران من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم
لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم تنسخ شيء منها اكان للناس
عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على الامر
بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه
اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزائهم الى رجل منهم من افناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلوة والسلام لم يكن يقصر عن
عظمائهم فيما يعتد به الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب

الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا
كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة
او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا
عمم الانذار اذ قل من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ
ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم
سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا
لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما
ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا الكوفيون لساحر على ان الاشارة
الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول عليه
الصلاة والسلام امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ
ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
التي هي اصول الممكنات ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر
الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها
وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع
لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه
احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا
مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه

العدل القويم كان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين
كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه
ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير
النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى
يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب
الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم و
الآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء
والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون
منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس
ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط
والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفي الانبياء و
القصص ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا
اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات
ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نير بالعرض بمقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير
لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او
للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع
به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب
الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك
الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان
وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع

الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم
على التفكر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها
واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون
لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين
من الهاه حب الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا
يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا و
عملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى
سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة و
مفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح
كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او
حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال
آخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم
سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم
بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم
اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات
او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة

العاجل عن التأمل في
م

من التعجيل وتعدى بها وينصب بحذفه. ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرع اليهم الشر استعجالهم بالخير: وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه. لقضي اليهم اجلهم: لأميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا. فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون: عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا. واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه: ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما: وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار. فلما كشفنا عنه ضره مر: مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه. كأن لم يدعنا: كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال: ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان. الى ضر مسه: الى كشف ضر. كذلك: مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون: من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات. ولقد اهلكنا القرون من قبلكم: يا اهل مكة لما ظلموا: حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي. وجاءتهم رسلهم بالبينات: بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا. وما كانوا ليؤمنوا: وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي. كذلك: مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم. نجزي القوم المجرمين: نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه. ثم جعلناكم خلائف في الارض: استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر. لننظر كيف تعملون: اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى

كقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير صح

من بعدهم صح

مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى. واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا: يعني المشركين. ائت بقرآن غير هذا: بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا. او بدله: بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه. قل ما يكون لي: ما يصح لي. ان ابدله من تلقاء نفسي: وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر. ان اتبع الا ما يوحى الي: تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال: اني اخاف ان عصيت ربي: اي بالتبديل عذاب يوم عظيم. وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح. قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به: ولا اعلمكم به على لساني وقرأ ابن كثير برواية قنبل والبزي بخلاف عنه ولأدراكم بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم بالهمز فيهما على لغة من قلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا اجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا: مقدار عمر اربعين سنة. من قبله: من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى

من قبل نفسي

وسمعه بعد حرت

على قواعد علم الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم من عند الله افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم
على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها
انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا
حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة
ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا
عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع
على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بان هؤلاء شفعاؤهم عند الله و
ما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في
الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من
دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في
اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين
على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع
الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة
سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم
القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي

اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله
يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول
ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الآيات
العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد
ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال
في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا
يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد
دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او
الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا
في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق
ما قبله هو الذي يسيركم في البر والبحر يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون
والشين من النشر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل
عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة
لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك
او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب
وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين
له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو
بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول
فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجأوا الفساد فيها وسارعوا
الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة
واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة

الحيا بالقصر المطر

الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم
وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا و
على انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع
الحيوة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار صلته والخبر محذوف
بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغى و
على انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم فى القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها زينتها باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة
كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت
اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من
غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها
اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن بالامس
كان لم يغن زرعها اى لم ينبت والمضاف محذوف فى الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل فى الوقت
القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة
وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله
وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك
نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون والله يدعو الى
دار السلام دار السلامة من التقضى والافة او دار الله وتخصيص هذا
الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على

فانه من التشبيه المركب

على من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق الى صراط
مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى و
فى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان
المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة
الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله
وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو
اللقاء ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة
هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من
حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر
جزاء على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان
يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل
او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض
فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على
زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من
الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله من
عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه
اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل
فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرا ابن كثير والكسائى
ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او
حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية

والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولأ
الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه
ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله و
شركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم و
قطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح
وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل
فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت
او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب
كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد
نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما
منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا
مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ
الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم
ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من
على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة

سرعة انفعالهما منها في شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي اي ومن يحيي ويميت او ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل
افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم
الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد
الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن
تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق
الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان
الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه و
قرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين
فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من
شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام
بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب
عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا
يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل
من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام
للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي
الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي
الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان
يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ

ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدّي بفتح الهاء وتشديد الدال و
يعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء
بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء و
قرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في
حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يُهدى على المبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة
كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة
والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف
ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء
ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في
الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون
وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى
من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه
من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه
معجزا دونها عيارا عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة
لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير
ولكن هو تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي و
تفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع
لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا
من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان
ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد صلى

ساكنين ح

منفيا نسخه

صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في
البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة
واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا
بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب
بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا
بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير
ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم
معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق
ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها
او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر ومنهم من لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة
فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي
ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض
عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرات القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا
افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم
الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود

منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره
وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع
به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك
ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا
يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى
المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري و
الاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم و
لكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا
لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي
بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية
في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد
محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم يلبثوا
قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا
اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة
او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان
يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين
لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاكتسبوا
بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك
بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل

قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة
واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على
افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى
الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه
بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل
معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين و
الشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء
به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي
فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او
ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل معروف لهلاكهم اذا جاء اجلهم
فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا
فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا
وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم
ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم
الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير
للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون
الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم
بقوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى اذا اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان وما استعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم
لانكار التأخير الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع
العذاب الآن امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف

على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا
بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو
احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن
اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك
وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق
مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع
النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما
ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم
القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال
اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب لافتدت به لجعلته
فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما
راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر
وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان
اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها
تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء
ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين
والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما
في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته
لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما
ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب

جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة
في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور
من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث
انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت
مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان و
التنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء
متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك
اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشيء فبها فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها
للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا
بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ
فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب
وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو
خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع
النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه
ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه
انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة
متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان الاستفهام للانكار وام منقطعة

بمعنى الهمزة فيها لتقريرهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة أيحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب
بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم
ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب ولكن اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة وما
تكون في شأن ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت
قصده والضمير في وما تتلوا منه له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول
او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلوا من قرآن
على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر
ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو رأسه ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول
الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون
فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا
يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ من مثقال ذرة
موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود
والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية
واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع
الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب
اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول
والآية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا و
يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وهو

وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة تلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب
او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم
البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه
الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع
بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال لان العزة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع
لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف
الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون
له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء
مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي
شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله
ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما
ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته

المتوحد بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم
يقل لتبصروا تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه
سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من
كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له
ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا
نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا
متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم
وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع
وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي افتراؤهم متاع الدنيا يقيمون
رياستهم في الكفر او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع
في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ
نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم و
شق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم
مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى
الله توكلت وثقت فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم
وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع
فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم والاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه
على اي وجه يمكنهم ثقة بالله تعالى وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم اي قصدي

قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره
او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء
اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب
توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي
على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا
ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم
ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له
ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه
فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما
كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع
على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر
تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى
فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها
وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة
ربهم واصروا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوا بتظاهر
المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا
لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال

موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه
ويجوز ان يكون اسحر هذا بانهم قالوا القول بل هو استيناف بانكار ما
قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان
يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى
يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون: من تمام كلام موسى
للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة
ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا السحرة
كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون
قالوا اجئتنا لتلفتنا: لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا
عليه اباءنا: من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض:
الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر على الناس باستيلائهم
وما نحن لكما بمؤمنين: بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل
سحار وقرا حمزة والكسائي بكل ساحر عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به
السحر: اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا
ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها و
السحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا
خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله: سيمحقه او سيظهر بطلانه ان
الله لا يصلح عمل المفسدين: لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان
السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق: ويثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما امن
لموسى الا ذرية من قومه: الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم
فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا به او مؤمن ال فرعون وامرا

وامراته اسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم
اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون اله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان
يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير
للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب
فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط
الانبياء وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد
مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله
توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا
فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل
على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوا: ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا: يسكنون فيها
او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت
قبلة: مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها
واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثني
الضمير اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور
ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان
البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت
فرعون وملاه زينة ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة
الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر

بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام
للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ
واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح
للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ
النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما
يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد
الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال
او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى وقرا ابن عامر برواية ابن
ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط
حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم
فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه
اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة
والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب
عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من
نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت من قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت
من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك
من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل
وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل
ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا

290

18

من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك
اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها
لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما
خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم
من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة
ونكالا على الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان و
كبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك
آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها
او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء
والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على
سبيل الفرض والتقدير فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك
والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما
فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول و
زيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا
اشك ولا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها
السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة
فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من

الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج و
التثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين
حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في
العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو
جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى
به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع
فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها
بان يقبله الله تعالى منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم
يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى
حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون
الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء
متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم
الى حين الى آجالهم روي ان يونس بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه
واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا
الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي
مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم و
فرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم جميعا
وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر

الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالا كراه
عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان حريصا
على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد
نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب والخذلان فانه
سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا
يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما
على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت
استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن
قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس
الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين
خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية
كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا
صلى الله عليه وسلم وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض
ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا
قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف
وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما

تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما
خص التوفي بالذكر للتهديد. وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه
العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع
انّ وانْ وان يكون من غيره كقوله. امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة
الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر
ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب و
المعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض
والانتهاء عن القبايح او في الصلاة باستقبال القبلة. حنيفا حال
من الدين او الوجه. ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما
لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته. فان فعلت فان
دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر
عن تبعة الدعا. وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا
كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد
لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده. يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية. قل يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم عذر
فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها
ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها. وما
انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير. واتبع ما
يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى

حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن
الخطا في حكمه لاطلاعه على السراير اطلاعه على الظواهر. عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

وايها مايه وعشرون وثلث بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب
مبتدا وخبر مبتدا محذوف. احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد
ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت
حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم
النظرية والعملية. ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام و
المواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها
ولخص ما يحتاج اليه وقرى ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت
في الحكم او للتراخي في الاخبار. من لدن حكيم خبير تقرير لاحكامها و
تفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي. الا تعبدوا الا
الله لان لا تعبدوا او قيل ان تفسيره لان في تفصيل الايات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة
الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا. انني لكم منه
من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد. وان
استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا. ثم توبوا اليه ثم توسلوا
الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا
من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين
يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم
المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال

ان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا
والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا
بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن
الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم
او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة
وتثنون وتثنوي بالتاء والصلة تثنوين من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به
ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني صلى الله عليه وسلم وتثنئن من
اثنأن كابياض بالهمز ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله و
المؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل
نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما
يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم
فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار
ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى
بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها و
مستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت
بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في
اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما

الجزء الثاني عشر

وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق
من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع
السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون
السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه
كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول
حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح و
الله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من
خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب
ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه
طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل
لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث
او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان
وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح
على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون
بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره
ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات
قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر
ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقدم خبرها عليها وحاق بهم واحاط

بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا
به يستهزءون أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع
يستعجلون لأن استعجالهم كان استهزاء ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة
ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه
إنه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته
كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب
السيئات عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح بطر بالنعم مغتر بها
فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الإذاقة و
المس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما
يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم
والمس مبتدأ الوصول إلا الذين صبروا على الضراء إيمانا بالله واستسلاما
لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها أولئك
لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير أقله الجنة والاستثناء من الإنسان
لأن المراد به الجنس وإن كان محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك
تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم
به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه
وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ هاهنا وضائق به صدرك
وعارض لك أحيانا ضيق صدر بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل
عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير
في به مبهم يفسره أن يقولوا إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي
إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق صدرك والله على
كل شيء وكيل فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم
أم يقولون افتراه أم منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله

مثله في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا عنها سهل
الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم عرب فصحاء مثلي
تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار
وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله
إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا
لكم بإتيان ما دعوتم إليه وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول صلى الله عليه
وسلم أو لأن المؤمنين أيضا كانوا يتحدونهم وكان أمر الرسول عليه الصلاة
والسلام متناولا لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل
وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون
عنهم ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ملتبسا
بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه وأن لا إله إلا هو واعلموا
أن لا إله إلا هو لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور
عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجازه عليه فهل
أنتم مسلمون ثابتون على الإسلام راسخون مخلصون وفيه تهديد بالاقناع
من أكبرهم من يأس بعد التهمة إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقا ويجوز أن يكون
الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا الكلم إلى المظاهرة لعجزهم وقد
عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله وأنه
منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون في الإسلام
بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى
الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها بإحسانه وبره نوف إليهم أعمالهم فيها نوصل إليهم
جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد
وقرئ يوف بالياء أي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله وإن أتاه كريم يوم مسغبة

فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
مخلصون ١٢

لمن استطعتم اي فان
لم يستجيبوا لكم

يقول لا غايب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من
اجورهم والآية في اهل الريا وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا
ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا
فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة
في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا على ان الضمير
للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل
واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما
ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على
الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب
فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين
هممهم وافكارهم على الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن
ذكر الخبر وتقديره كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل
المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي
هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله
ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق
وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة
وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه القرآن شاهد ممن كان على بينة
دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية
اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن
ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او

افمن كان

اي يتلو

او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
كأن اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في
الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين
او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ
لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها
عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان
يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة
وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله
من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون
اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع
لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات
الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من الآلهة وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء
عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة و
شفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا
له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع
يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه
عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان

امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر
بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة
على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم
وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من
انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى
اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف
به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملا
الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة و
وجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا
جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الراى
ظاهر الراى من غير تعمق من البدو او اول الراى من البدء والياء مبدلة من الهمزة
لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرف على حذف المضاف
اى وقت حدوث بادي الراى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك
لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم
والمحروم منها ارذل وما نرى لكم علينا من فضل تؤهلكم
للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم
في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم
ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني
رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم
يهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء
النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة
منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل

الفعل لله تعالى انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم
الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ
وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول
منه وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم
فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم
ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او
تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه
ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم
وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه و
امواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اى ولا اقول
انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراى
من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى ملك
حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول
في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة
خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت
شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الزاى في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي
الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم
وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته
او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في
الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء
عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب والهرب منه ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان

اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل لامرأته انت
طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وجواب ان الاول محذوف
من ان جلاله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغوا
وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم
فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامي وبال وقرئ
اجرامي على الجمع وانا بري مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اقناط الله في ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع
الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشي
ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني
فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم
بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما
مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها
في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت
نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية
الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم و
بالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك
عنه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية
لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدئ بعدها
الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز
ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او
في الهند او بعين وردة من ارض جزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف

اشرف موضع منها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من
الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون
اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف
انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا
كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا
تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث
ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ
السفينة في سنتين من الساج لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب
والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها
اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله
مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى
والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك
خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد
بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر
او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال
مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما
كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها
بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها
بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم
ورحمته اياكم لما انجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي
فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهي
ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وقيل

من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس
بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل
ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف
الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده لقوله
فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة
في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف و
كان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله اذا نحاه
يا بني اركب معنا اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل
على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان
في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه
فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف
الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي
وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال
ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر
الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم
المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا
معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة
راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما
الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار
من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا
بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته
وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد
لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع
النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت و

واستوت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل
روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام
ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال
بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير
للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها
وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد
الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه
مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا
يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف
قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد
تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم
او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال
يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه
بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل
فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا
بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم
اصواب هو ام ليس وانما سمى نداءه سؤالا لتضمنه ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه
في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله
اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد
دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر
وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون
على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسر الشديدة

ليا، ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم
بصحته. والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة
والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا. قيل يا نوح اهبط بسلام منا
انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقرئ اهبط
بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي. وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين
معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك
والمراد بهم المؤمنون لقوله. وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم
في الدنيا. ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل
بهم. تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها
من انباء الغيب اي بعضها. نوحيها اليك خبران آخران والضمير لها
اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق او حال
من الهاء. ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك
وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك
اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم
وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم. فاصبر على مشاق الرسالة
واذية القوم كما صبر نوح. ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز
للمتقين عن الشرك والمعاصي. والى عاد اخاهم هودا عطف على
قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان. قال يا قوم اعبدوا الله وحده
ما لكم من اله غيره. وقرئ بالجر حملا على المحل وحده. ان انتم الا مفترون
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء. يا قوم لا اسألكم عليه
اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة
وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع. افلا تعقلون

تعقلون. افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ.
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه. اطلبوا مغفرة الله ثم توسلوا
اليها بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما
عنده. يرسل السماء عليكم مدرارا. كثير الدر. ويزدكم قوة الى قوتكم. و
يضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب
زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين
فوعدهم هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل.
ولا تتولوا. ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه. مجرمين. مصرين على اجرامكم. قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة. بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم
اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات. وما نحن بتاركي آلهتنا. بتاركي عبادتهم
عن قولك. صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي. وما نحن لك بمؤمنين. اقناط له
من الاجابة والتصديق. ان نقول الا اعتراك. ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك
من عراه يعروه اذا اصابه. بعض آلهتنا بسوء. بجنون لسبك اياها وصدك
عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ. قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من
دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون. اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان
اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له
وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من
غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء
ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع ولا تتمكن من
اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من
الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله و
تثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله
ربي وربكم. تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل
على الله وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره

ثم برس بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر
عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط
مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان
تولوا قال تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ
والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين
في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على
الموضع وكانه قيل وان تولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم
شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل
شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ
مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا
بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة
ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون
في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا
بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى
الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغا والمعنى عصوا
من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعل اللعنة تابعة لهم في
الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا
نعمته او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد
به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر

كرره الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء
الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره
فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها
عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من
العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا
اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون
لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا
هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد
المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع
عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان
تخسروني بابطال ما منحني الله والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي
غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصاب اية على
الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها
تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب
قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها
فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء
والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع

باجرائه مجرى المفعول كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على
المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب
على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم
بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيمة وقرأ نافع والكسائي هنا وفي المعارج
في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة
الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرأ حمزة وحفص
الا ان ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين والكسائي
بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد
جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل وميكائيل
واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما
سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ
حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد
به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء
او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما رأى
ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك
منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار
قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة
مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة
وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا
بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول

لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم
وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد
حقا ثديها ان يحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل
يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه
معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد
للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره
الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه
بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل
من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها
للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد
قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء
على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي
زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على
الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي
هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من
هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين
من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان
خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم
بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن
نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد
التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع
ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع

يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله إن فيها
لوطا وهو إما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل الجواب المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع
في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا. إن إبراهيم لحليم
غير عجول على الانتقام من المسيء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على
الناس منيب راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط رحمته. يا إبراهيم على إرادة القول أي قالت الملائكة يا إبراهيم أعرض
عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر ربك قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم
وهو أعلم بحالهم وإنهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا
دعاء ولا غير ذلك. ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لأنهم
جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن
مدافعتهم. وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت بإشمام السين الضم
وفي العنكبوت والملك والباقون بإخلاص حركة السين وضاق
بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه. وقال هذا يوم عصيب شديد من
عصبه إذا شده. وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون إليه كأنهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا
يهرعون لها مجاهرين. قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه
كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل
فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه شرع
طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو إظهارا
لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وأزواجه
أمهاتهم وهو أب لهم. هن أطهر لكم أنظف فعلا أو أقل فحشا كقولك

كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على أن
هن خبر بناتي كقولك هذا أخي هو فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها
فاتقوا الله بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا
تفضحون من الخزي أو ولا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي
في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه. أليس منكم رجل رشيد يهتدي
إلى الحق ويرعوي عن القبيح. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة
وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران. قال لو أن لي بكم قوة لو قويت
بنفسي على دفعكم أو آوي إلى ركن شديد إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه
بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان
يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي
بكم قوة أو أويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي أنه أغلق
بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط إنا رسل ربك
لن يصلوا إليك لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك وإيانا وعنا م
فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم
فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة. فأسر بأهلك
بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى
بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم أحد ولا يتخلف أو لا
ينظر إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط. إلا امرأتك استثناء
من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك
وهذا إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء
في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل
من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها
أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة

والاولى جعل الاستثناء في القرائتين عن قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه
الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستيناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال
لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده
الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه
جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى
نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام
ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن
او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله
سنكل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى
من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب
الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود
نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار
الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به
عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني
ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اي هي قريبة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على
تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم
عليه الصلاة والسلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد

بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل
المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا
على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو
في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم
وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب
الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالايفاء بعد النهي عن ضده
مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي
بالايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة
ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا
ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون
في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان
العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال
اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض
مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقيت الله خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان
كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم
قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به
بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلاته والاشعار بان مثله لا يدعو
اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان
كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد

والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره
أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء: عطف على ما أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا
وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء
وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك إنك لأنت
الحليم الرشيد: تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا إنكار ما سمعوا
منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال
ذلك قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي: إشارة إلى ما آتاه الله من العلم
والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا: إشارة إلى ما آتاه من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه وهو اعتذار عما
أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده
وإعانته بلا كد مني في تحصيله وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه: أي ما
أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه
فضلا أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه
وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت:
أي ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح
فما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه
على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها
حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم
به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من
الإصلاح أي المقدار الذي استطعته أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف
وما توفيقي إلا بالله: أي ما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته
عليه توكلت فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل
معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو
أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب: إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا

أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة
الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره
وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم و
تهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم: لا يكسبنكم شقاقي
معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود
من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه يتعدى
إلى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي
إلى مفعول واحد والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ
مثل بالفتح لإضافته إلى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت
حمامة في غصون ذات أوقال وما قوم لوط منكم ببعيد: زمانا أو مكانا فإن
لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم
ما أصابهم وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم أو وما هم بشيء بعيد ولا بعد أن
يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل و
الشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه عما أنتم عليه إن ربي رحيم
عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة ودود م
بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار قالوا يا شعيب ما
نفقه كثيرا مما تقول: كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا
عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه وإنا لنراك فينا ضعيفا
لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل أعمى بلغة حمير
وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الأ عمى
قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك: قومك وعزتهم
عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة
وقيل إلى التسعة لرجمناك: لقتلناك برمي الحجارة أو بأصعب وجه وما أنت
علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل

الحجج والآيات بالسبب والتهديد وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه وفي
ثبوت العزة وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم أرهطي أعز عليكم
من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر
بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الإنكار
والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب
إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على
مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة
الأنعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب
لذلك وحذفها ههنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في
التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب
مني ومنك وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما
كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا فانتظروا ما
أقول لكم إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو
المرتقب كالرفيع ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
وإنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف
قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله إن
موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل
صاح بهم جبريل فهلكوا فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين وأصل الجثوم
اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة
مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد
بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا بالتوراة والمعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة
أو العصا وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها ويجوز أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه
بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إيا

إياها فإن أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما أن الآيات تعم الأمارة والدليل القاطع
والمبين يخص بالقاطع إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره
بالكفر بموسى أو فما تبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة
واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده
على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون برشيد
مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة إلى النار
كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فأوردهم النار
ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها
موردا ثم قال وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد
لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما أمر فرعون
برشيد ما يكون أمر عاقبته حميدا وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة أي يلعنون
في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان أو العطاء المعطى
وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم
وهو اللعنة في الدارين ذلك أي ذلك النبأ من أنباء القرى المهلكة نقصه عليك
مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي
الأثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ
لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بأن عرضوها
للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما أغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم آلهتهم
التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم
غير تتبيب هلاك أو تخسير وكذلك ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك وقرئ أخذ ربك
بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر إذا أخذ القرى أي أهلها إذ لأن
المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت
مقامه أجريت عليها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم
ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة إن أخذه أليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه
وهو مبالغة في التهديد والتحذير إن في ذلك أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه

من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظته لعلمه بان ما
حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او منزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله
مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل
بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب
المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له
اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان
الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما
فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه فاتسع فيه باجراء الظرف
مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل
اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك
وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود
يوم يات اي الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله
تعالى كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وحمزة يات بحذف
الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او
شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون
فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له
النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل
الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس و
الشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه
او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت

الناس م

ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان
النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة
بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم
لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق
وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه
بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام
الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان
زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم
مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الا
وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم
يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل
صنف منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع
من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن
السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان
اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون
بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من
اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا
غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على عرف
وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف
الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا

الابتداء كما ينتقض باعتبار م

فهي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان
المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب
بالتابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده
الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من
الجنة فلا تك في مرية شك مما انزل اليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء
من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم
سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا
مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل
في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل
عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا
لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية
فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن و
لولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم
بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي
شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين
المؤمنين منهم والكافرين التنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما
للفصل وقرا ابن عامر وعاصم لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت
النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن
الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا لقوله اكلا

اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما
يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين
امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد
امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد
كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال
من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من
غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي غاية العسر ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد لقيام
الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب
اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي
بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد
منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم
ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور
في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل
الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا
فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من
دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا
تنصرون ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد
نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على
نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار

غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل
وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة
الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية الظهر
وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ
زلفا بضمتين وضمة وسكون كبشر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان
الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة
الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين
واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول
عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان
وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون
من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل
يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون
مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في
الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم
كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد
ان يبين ان السبب لاستئصال الامم السالفة هو فشو الظلم فيهم و
اتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا
مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا
فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء

الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم
لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه و
من ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر و
لا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو
دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان
ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل
لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله
من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان
الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين لا من احدهما
وكلا نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا
او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه و
طمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او
مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص
نقص عليك نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او
الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق موعظة وذكرى للمؤمنين اشارة
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا
على مكانتكم انا عاملون
الى سائر فوائده العامة وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل
بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية
مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك وقرا نافع وحفص
يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على
التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت
وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرا نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي اخر النمل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق نوحا ومن كذب به وهود وصالح وشعيب

ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

وآيها مائة واحدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات
آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها
من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا
لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه
اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل
والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي
هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او
حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه
الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه و
تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا
يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص
على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر
فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا
ان م بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص
على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة
لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين
وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف
لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت

ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث ولذلك قلبها هاء في الوقف تاء م
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر
في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة و
انما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها
مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا
لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا
والشمس والقمر روي ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره
بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ و
وثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين
استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء
لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن
لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة
فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق
بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس
بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور
بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا

احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل يتعدى
باكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوا فلا يألوا جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم
حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على
وعز وكمال النفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتبا
من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن
التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها
احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت
او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبيا وكلمات الحكما وهو اسم جمع
للحديث كاباطيل اسم للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعم الدنيا
بنعم الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة
والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من
قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك
عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي لقد كان في يوسف
واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
وقرا ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة
وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر
ودينة من خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها
راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان
ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف
واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه
والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف
ونحن عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية

فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم
ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة
روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا
ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا
يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا
وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا
منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل
بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم
بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من
امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين
مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه
ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهودا وكان احسنهم فيه
رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة
الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرا نافع في غيابات في
الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين
بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك
لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه
ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن
الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا
غدا الى الصحراء نرتع ونلعب بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير
نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب
وقرا الكوفيون بكسر في يلعب ويعقوب بالياء والسكون على اسناد

الفعل الى يوسف وقرئ ويرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب
بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون اى من ان يناله مكروه قال انى ليحزننى
ان تذهبوا به لشدة مفارقته علىّ وقلة صبرى عنه واخاف ان ياكله الذئب
لان الارض كانت مذأبة وقيل راى فى المنام ان الذئب قد شد على
يوسف وكان يحذره وقرأ ورش والكسائى وابو عمرو اذا قرأ بالادغام
وحمزة اذا وقف بغير همز والباقون بالهمز واشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب
او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة
للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان
يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه فى غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب
وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم
لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه
فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علىّ قميصى
اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك و
يؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة
كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرئيل كما قال واوحينا اليه وكان ابن
سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى و
عيسى وفى القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه
فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق
الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها فى يوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم
بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو

لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم
عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشا بالضم والقصر
جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين روى انه لما سمع بكاءهم
فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا
على قميصه بدم كذب اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا
بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب
بالدال غير المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث
فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى
فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع
بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم قميصه وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق
عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت
فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر
جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان
على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت
قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر
فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلثة من القائه فارسلوا واردهم الذى
يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى فادلى دلوه فارسلها
فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشراى هذا غلام
نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل

هو اسم صاحبه ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى
بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى
الوارد واصحابه من ساير الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا
اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا
كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا
الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه من اخوته وسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه. بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا
للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة. والله
عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف
بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى رجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته
بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين
درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين الراغبين عنه
والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين
فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشىء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل
فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف بينه الزاهدين
لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر
وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك
يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف ومات فى حيوته وقيل
كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله لقد جاءكم يوسف من قبل
والمشهور انه من اولاد فرعون والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال
الاباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله
ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين وتوفى وهو
ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه من جعل شراه غير الاول فقيل

فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملأه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا
والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به فى
مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
وقيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت استأجره و
ابو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وكذلك مكنا ليوسف فى الارض
وكما مكنا محبته فى قلب العزيز او كما مكناه فى منزله او كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره
ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان
يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى كتب الله واحكامه فينفذها
او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان
تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شىء ولا ينازعه
فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره
فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف
صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم
آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعنى علم
تأويل الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك
جزاء على احسانه فى عمله واتقائه فى عنفوان امره وراودته التى هو فى بيتها
عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شىء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة فى الايثاق وقالت هيت لك اى اقبل وبادر وهيت اسم فعل
على الوجهين بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى سقيا لك و
قرأ ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان بفتح التاء وكسر الهاء من غير همز كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام

كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هيئت كجيت وهيت كحيث من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المعالجة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل اي جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران اذا كان في اوله الف ولام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق بالطول والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها

فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل العلم انه كان [illegible] ونظيره قولك ان احسنت الي اليوم احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب

الدواب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعته اياها
والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة
شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى
فؤادها حبا نصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف
البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال
عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه
مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد و
آتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن
يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب
يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر و
قيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال
من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين و
قرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو
الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ يتكأ اذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا
حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على
حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله و
استر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله
تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما

قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد
معنى التبرئة في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في
قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله
بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان
هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها
في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان
هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة
من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان
به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه حق تصوره بما عاينتن لعذرتنني
او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه و
لقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره
ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجبه فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر
صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط
المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر
احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة
وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا
لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي
بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني
كيدهن وان لم تصرف عني في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت

على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي و
مقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا
يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب
الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته
بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان
انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم
من بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة
يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه
عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك انها خدعت
زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم
فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب العزيز
ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف
السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه
للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني
اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما
يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل
الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين
يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر
الناس يعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه
ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما
قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير
المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان
يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في

في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه
في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت
ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه
من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل
ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد
كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء
كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر
الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا
وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون
بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه او يا صاحبي
فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب
متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد
بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون
من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام
اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا
الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل
آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة
الا لله لانه المستحق للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل و
المالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دل عليه الحجج
ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في
الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق

الخطابة ثم برهن ان ما يسمونها آلهة وتعبدونها لا يستحق الالهية فان استحقاق
العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منفي عنها ثم نص على ما هو
الحق القويم والدين المستقيم الذي يقتضيه العقل ويرضاه ولا يقتضيه العلم دونه و
لكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان
عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من راسه
فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي
تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في
امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج
منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو كما
الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك
كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف
اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله
حتى استعان بغيره ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع
وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها
واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات
واجرى السمان على المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف
لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه
جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في

بالعباد م

في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا
وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور و
هو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان
او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل
او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع
ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة
وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه
اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات
الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو
كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن
وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة
طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة
وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول
انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف
ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه
بالصدق صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف و
سبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى
الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم
يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما
من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على
عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون
دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب
في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا

مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم
لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر
والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من
الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون
الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على البناء للمفعول
من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث
بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر
وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين
مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان
باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء
الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم
وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه
قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه
سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان
يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة
اللاتي ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال
وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ
النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك
وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف
به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن و
الخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه

عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت و
استقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم
الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف
لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم
اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا
غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار
والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض
براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي

الجزء الثالث عشر

اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما
انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه
قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث
انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها
كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من
النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي
تصرف الاساءة وقيل الآية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه
وقرأ قالون والبزي بالسو على قلب الهمزة واوا ان ربي غفور رحيم
يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه
وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة
ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل و
تنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك

من خبره واعوذ بك بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له
بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير
وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل
فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا. قال اجعلني على خزائن
الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم
بوجوه التصرف فيها ولعله لما راى انه يستعمله في امره لا محالة اثر ما تعم فوائده
ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي
من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار
به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده. وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا. ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه. وجاء اخوة يوسف روي انه
لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات
حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيها وتوجه الناس اليه
فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض
الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة. فدخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله
التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز

الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما
تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر. قال ائتوني باخ لكم من
ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ
الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال
كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك فقال كم انتم ههنا
قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال
فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون
وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا للاخ لهم من ابيهم
فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم. الا ترون اني اوفي
الكيل اتمه. وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين
وكان احسن انزالهم وضيافتهم. فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء
قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه. وانا لفاعلون ذلك
لا نتوانى فيه. وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت
نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان
ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به. لعلهم
يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها. اذا انقلبوا الى
اهلهم وفتحوا اوعيتهم. لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى
الرجوع. فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد
هذا ان لم نذهب ببنيامين. فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى
الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا. وانا له لحافظون عن ان

يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له
لحافظون والله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين
فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حافظا على التمييز و
حافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل
قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في
القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي
شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت
الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف
اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا
عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب
اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان
يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل
يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع
الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي
ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب و
معناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت
منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي
عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني
الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا حال
الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من
الاتيان الا للاحاطة كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك

على اخيه م

فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق و
اتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند
الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك
في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين
وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في عوذته اللهم اني
اعوذ بكلمات الله التامات من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من
شيء مما قضى عليكم بما اشرت به عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا
لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة
للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء
سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب
متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء
مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء
منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها
اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك
قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه
اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم
مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي
فاجلسه معه على مائدته ثم قال ليكن كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا
مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا
تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم

جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب
وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف
او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم
لسارقون يوسف من ابيه والعير القافلة وهو اسم للابل التي عليها الاحمال لانها تعير
اي تتردد وقيل لاصحابها كقوله عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل
جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل
قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد
غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم
والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا
وانا به زعيم كفيل اديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل
قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم
الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا
بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل
على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق والسرق
او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه
هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من
والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه
على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو
كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدا باوعيتهم فبدا المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي

اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها
همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف
ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم
الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة
الله تعالى واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق
كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان
ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام
فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه و
بين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد
سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم
وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت
المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في
الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم شر
مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة
لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع بما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة
وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون
وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا
كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا
مكانه بدله فان اباه يتكل على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير
عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فانا

اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم
هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه
عنه فلو اخذت غيره كنت ظالما. فلما استياسوا منه يئسوا من
يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتا للمبالغة وعن البزي استايسوا
بالالف وفتح اليا من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على اليا على اصله
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر
او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية. قال كبيرهم في السن وهو
روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهودا. الم تعلموا ان اباكم قد
اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته. ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على
مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان
وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا
كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم. فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها
او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه
فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت
شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو
يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في
هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب. وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق. ارجعوا
الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق
اي نسب الى السرقة. وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع
استخرج من وعائه. وما كنا للغيب حافظين لباطن الحال فلا ندري انه
سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين

اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف. واسال
القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل
الى اهلها واسالهم عن القصة. والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا
فيهم وكنا معهم. وانا لصادقون تاكيد في محل القسم. قال بل سولت اي
فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته. فصبر جميل فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل. عسى الله ان ياتيني بهم
جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر. انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم في تدبيرها. وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم. وقال يا اسفا
على يوسف يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف
بدل من يا المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان
رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا
بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما و
قيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند
التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون. فهو
كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله
وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من
كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه. قالوا تالله تفتؤ تذكر
يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله
ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان
على النفي. حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه

هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر
كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين
قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر
الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه
ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع
من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام
فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته
سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما
وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تياسوا من روح الله
ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان
العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا
يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها
من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل كانت دراهم زيوفا وقيل
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل
فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او
بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة
الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء
والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في
القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا
بما يبتغى به ثواب الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل
علمتم قبحه فتتوبون عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته
وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من

من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص
بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن لفقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم
لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا
ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ
ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم
فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي
وهذا اخي من ابوي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له
في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله
ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين
التقوى والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك علينا
بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا
انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل
من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع
الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب والمعنى لا اثربكم اليوم
الذي هو مظنة فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن
جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر و
الكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه
وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط
منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ وقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث
علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص
الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه
على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر وأتوني انتم وابي باهلكم

اجمعين نساءكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله
ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان
تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك
لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي
ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف
واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال
كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا
تياسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل
او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا
عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل
جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل
استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا
ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى
ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى اوى
اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة

الاب في قوله واله ابائك ابراهيم واسحق او لان يعقوب تزوجها
بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من
القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول
الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه
خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع
مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا
تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش
من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف
لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل
شيء في وقته وعلى وجه روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله
خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال اوما تساله قال انت ابسط
مني اليه فساله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب
قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض
لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري ومتولي
امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما
اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة
والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى

ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه وعاد وعاش
بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه
الله تعالى طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر
عليه الماء ثم يصل ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن اباءه وكان
عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد
يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف
والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له
صلى الله عليه وسلم
وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على
ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم
ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته
منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة
كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو
حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم
وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم عليه على الانباء او القران من اجر جعل
كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين
من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلايل الدالة على وجود
الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحده في السموات والارض يمرون
عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون
فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض
يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم
بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او
باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر

النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين
وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة
الى التوحيد والاعداد للمعاد وكذلك سبيل الرسل بقوله ادعوا الى الله
وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر
في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني
عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك
عن غيرهم وقرا حفص نوحي هنا وفي النحل والاول من سورة الانبياء ووافقه
حمزة والكسائي في مسالة على اصلها من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم
من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحالة او الساعة
او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا ابن عامر ونافع وعاصم ويعقوب
بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا
استياس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم
فان من قبلهم مهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم
في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل
اليهم اي ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول
للمرسل اليهم اي ظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط
الامر عليهم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما

وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق
الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل
وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي ظن القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ
كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي ظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى ولم يروا الاثر جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم ولا
يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل
بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا واممهم او
في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن
شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء
يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او
بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم
يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله
عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما •

الا ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب
السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
او القران والذي انزل اليك من ربك الحق هو القران كله ومحله
الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين
على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى

الرسل ان م

الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من
المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن
اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله
الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر
يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برويتهم
السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر
الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد و
ان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته
وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش
بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة
على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل
مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره
وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من
الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وغير ذلك لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال القدرة وتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشيا
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا
وعرضا لتثبت الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي
جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة
اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من
حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل
فيها زوجين اثنين اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين
اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون

عماد م

فيها فان كونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود الصانع الحكيم
ودبرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها
طيبة وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه
لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها
بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين
فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان متفرقات مختلفة الاصول وقرأ
حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل اي في الثمرات شكلا وقدرا ورائحة وطعما
وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله
يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب
منه فان من قدر انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات
المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من
حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أإذا
كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا
محذوف دل عليه أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم
لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية

العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات العقوبات لامثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها
ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها مثل العقاب والمعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل
من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع
الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة
وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة
فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب
الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ
احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل واحد ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو
ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا
الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي
مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب
او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات
ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر
على انزال ما اقترحوه وانما لم يهدهم لسابق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما
تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة
وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد
فاقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة
روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له
وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن
ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده

وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد وقال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما
لازمين تعين ان تكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام فانهما لله او لما فيها (على المجاز م)
وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر
فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك
وقرا ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل واذا وقف وقف
بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء
عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان
المتعال الذي لا يخرج عن علمه شيء المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت
المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن
هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا بالليل وسارب بالنهار بارز
يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من
في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله
له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع
معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان
المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء
من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر
يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او
يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من
بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة و
اذا اراد بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف

خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث
وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة
والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر
بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال جمع ثقيلة وانما وصف به
السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده
ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله
وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث
يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد
بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل و
هو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل و
اربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة
فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل
بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله
المحل وهو القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل (بمعنى م)
على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز
ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد و
موساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته
دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على

الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل
دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان
كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة
لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول
عليه الصلاة والسلام عليهم وبيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي و
الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام
فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط
كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه
ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان
بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان
يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما
دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من
في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له
الملائكة والمؤمنين من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة بالعرض او ان
يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم له
كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالغدو والآصال لتصريفه اياها بالمد
والتقلص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف
ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص
اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب
السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب
لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه
ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون

يستطيعون ابقاء الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم
في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك
الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك
والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه
الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى
يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما
استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله
وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء
من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر
يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او
مقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه الزبد خبث الغليان رابيا
عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد
والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او
متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد
مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك
يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته
بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به
انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه
في عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ

السحاب او من جانب

الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدور ذلك مدة متطاولة وأين طلي في قلة
نفعه وسرعة زواله زبدها وبين ذلك بقوله فأما الزبد فيذهب جفاء يجفأ
أي يرمي به السيل أو الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد
وأما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الأرض ينتفع به
أهلها كذلك يضرب الله الأمثال لإيضاح المشتبهات للذين استجابوا
لربهم المؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا
له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما
وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة أو الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الأول
كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين أولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة
فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد
المستقر والمخصوص بالذم محذوف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو أعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للإنكار أن تقع
شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل إنما يتذكر أولوا الألباب ذوو العقول
المبرأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله
الذين عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله
عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن
يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك
مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء
الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا
على ما تكرهه النفوس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء
وسمعة ونحوهما وأقاموا الصلاة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها فيجازون الإساءة بالإحسان

بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا
وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء
وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك
الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن
الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وأزوا
عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى
أنه يلحق بهم من صلح من أهليهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو
دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد
بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم
بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم
لا بسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح
النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد
الله يعني مقابلي الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن
أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه
في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا
بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة
إلا متاع متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا
من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل
النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن
الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب
أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال لهم
ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن

جهم وذرياتهم

عهد م

انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين
امنوا بدل من من اناب او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به
واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة
على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا
خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه النصب ولذلك قرئ وحسن ماب بالنصب كذلك الرفع و م
مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها تقدمتها
امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرا عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون
بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه و
خصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية
والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة
سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن والمبالغة
في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت
به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا
او كلم به الموتى فتقرؤه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في
الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن
مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا الريح لنركبها ونتجر الى
الشام او ابعث لنا قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله

الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى
النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك
لعلمه بانه لا يلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم
مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن
عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرءوا افلم يتبين
وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه
لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه
نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف
تقديره افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون
منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون حوالهم ويختطف
مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حل
بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت او القيامة او فتح
مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين به والمقترحين
عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت من خير او شر لا
يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره
كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعل
ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر
للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا
يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة
ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض شركاء

ويستحقون العبادة لا يعلمها او لصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها و
هو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من
غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
اباطيل ثم خالوهم او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل
الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد
يوفقه الى الهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير
ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما
لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون
صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك
صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة
اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في
الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى
امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل
الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما
يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت
ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله وحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى

الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع و
الكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه
ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى
لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات
المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت
اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع
العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في الدين ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية
تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما
يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات
التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء
ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ
ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك
البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا
معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق

الحق معقب لانه يعقبه بالاستقصاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال
اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم
بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم
فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون
غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار
من الحزبين حيث ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى
الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو الكافر على ارادة
الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من علم اذا اخبر
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد
يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم
المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله
اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا
فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول
مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره
وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب
انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله

تسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من
فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
او استئناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه
مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب
سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر
مبتدا وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان
للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب
شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه
لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها
عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون
بتعويق الناس عن الايمان وقرئ يصدون من اصده وهو منقول من صد
صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية
ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار
واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على
الذم والرفع عليه او على انه مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق
ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر
الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه
بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق
بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على
من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى
الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم
المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب
وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد

عن سبيل الله

وثمود وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها
بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم
فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبيين للعرب فيضل الله
من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز
فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات
الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال
سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله
بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا
سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب
عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر
والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم
من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان
جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز
ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب
ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح ثم ومعطوف
عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم او استعمالهم بالاعمال الشاقة
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم من حيث انه باقدار الله اياهم او البلاء النعمة واذ تأذن
ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في
التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من
الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم
الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر او مفعول

مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد
مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ
من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا
للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به
من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي
ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة
الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم
او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن
في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة
حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة

بالطاعة والتجنب عن المعاصي وتجوز ذلك فيما دون الخروج عن المظالم ويوخركم
الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا
لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه
الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية
او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا
عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا
الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية
وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشية الله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما
اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى
الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله
وما لنا الا نتوكل على الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا
التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا و
في العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به
توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا
على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى
الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن
معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين
على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم
اي ارضهم وديارهم لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض و

ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد لحكومتي يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب وعذابي الموعود للكفار
واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم
من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء
وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ
الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب
كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من
الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها
واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته
ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها
ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب رب
ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق
بسهولة وقبول النفس وياتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط
من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله
وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل
في كل وقت عذاب اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس
وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في
سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان
يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدا
خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد
وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد
اشتدت به الريح حملته واسرعت في الذهاب به وقرا نافع الرياح في يوم عاصف

العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا عليه فان من خلق اصولهم وما توقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكون للتبعيض اي بعض شيء هو بعض

بعض عذاب الله والاعراب سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له لكنه سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان لكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لكنه

اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح واذا لم تكسر وقبلها
يا برا وعلى لغة من زاد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته
واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل اذ ما
مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي
في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى
من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رد امره بالسجود
لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب
اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين و
ايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن
الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا
بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب
الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها
او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى
جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها
وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ
الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران

ما سخركن لنا و م

القران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد
بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان
على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وشجرة في الجنة
والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة
الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم
اهوال القيمة وروي انه ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر
الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا
نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل
مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر
وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما
هما الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم
بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار
البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال
منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال
والاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجة كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم

حتى م

او لعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة
الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان
لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور
من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها
على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب
الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا
ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل
هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين
الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا
وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر
وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي
نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع خليل او قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو و
يعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض
مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به
وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل
عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق
وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار
بجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما
يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
وآتاكم من كل ما سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه من كل شيء سالتموه

شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد
بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسئل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسئل ويحتمل
ان تكون ما موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من
كل بالتنوين اي آتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز
ان يكون ما نافية في موضع الحال اي آتاكم من كل شيء غير سالتموه وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها
غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار
شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه
وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما
كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالت منك العصمة
واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم
الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن
عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه
دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا
اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه
فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت
عند بيتك المحرم الذي حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا

الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك اعتبارا بما كان أو ما سيؤول إليه روي أن هاجر كانت
لسارة فوهبتها من إبراهيم فولدت منه إسمعيل فغارت عليهما فناشدته أن
يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا طيورا
فقالوا لا طير إلا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في
مائك نشركك في ألباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة
بأسكنت أي أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا
الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة
بالذات من إسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الأمر والمراد هو الدعاء
لهم بإقامة الصلوة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها فاجعل
أفئدة من الناس أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة
الناس لازدحم عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك
القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ
آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أفدت
الرحلة إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وإن كان
الوجه إخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا
ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى إليه غيره وتهوى من هوي إذا
أحب وتعديته بإلى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعم فأجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا تجبى إليه
ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى إنك أعلم بأحوالنا
ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك
إظهارا لعبوديتك وافتقارا إلى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما
نخفي من الوجد لما وقع بيننا من التفريق وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع واللجأ إلى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء
لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته إلى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي

وهب لي على الكبر أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما
للنعمة وإظهارا لما فيها من الآية على الكبر إسمعيل وإسحق روي أنه ولد له إسمعيل لتسع و
تسعين سنة وإسحق لمائة واثنتي عشرة سنة إن ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك
كلامي إذا اعتد به وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله على
إسناد السماع إلى دعاء الله على المجاز وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه
ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها رب اجعلني مقيم
الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في
اجعلني والتبعيض لعلمه بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم الماضية أن يكون في
ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي
ولوالدي وقرئ ولأبوي وقد تقدم عذره في استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم و
حواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم
قامت الحرب على ساق أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف وأسند إليه قيامهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد به تثبيته على ما هو عليه من أنه مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد
بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا
بإمهاله وقيل إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم إنما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن أبي
عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الأبصار أي تشخص أبصارهم فلا تقر في أماكنها
من هول ما ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي أو مقبلين بأبصارهم فلا يطرفون
هيبة وخوفا وأصل الكلمة هو الإقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد
إليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف ولا يرجع إليهم نظرهم فينظرون إلى
أنفسهم وأفئدتهم هواء خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه
يقال للأحمق وللجبان قلبه هواء أي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان
جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وأنذر الناس يا محمد
يوم يأتيهم العذاب يعني القيامة أو يوم الموت فإنه أول أيام عذابهم وهو مفعول
ثان لأنذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا أخرنا إلى أجل قريب

أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا
وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب
للأمر ونظيره لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين أو
لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال على إرادة القول وما لكم جواب
للقسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم أنكم باقون
في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث
بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم لا ينتقلون إلى دار أخرى وأنهم
إذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة إلى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم
بالكفر والمعاصي كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغني وأقام وقد يستعمل
بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم
بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم وضربنا
لكم الأمثال من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب
أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة وقد مكروا
مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب
عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالا له وإن
كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لإزالة الجبال
مثل أمر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على
لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل
قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وأصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثاني إيذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد
وإذا لم يخلف وعده أحدا كيف يخلف رسله إن الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لأوليائه من أعدائه يوم تبدل الأرض

الأرض غير الأرض بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف
وعده ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الأرض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك
بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات
والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن
مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه
وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا أمتا واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء
على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر
قوله تعالى كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وإن كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من أجداثهم
لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية
الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب
لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال كقوله وإذا النفوس زوجت
أو قرنوا مع الشيطان أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة
أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم
على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم في الأصفاد متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد
القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق وأصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران
وجاء قطران [illegible] وهو ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود أهل النار
حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع إسراع
النار في جلودهم على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل أن يكون

تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا
من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي
حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين . وتغشى وجوههم النار اي تتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها
لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم . ليجزي الله كل
نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة
لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك
ان علق اللام ببرزوا . ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب .
هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا
تحسبن الله . بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة . ولينذروا به عطف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق
بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه و
استعد له . وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة
عليه او المنبهة على ما يدل عليه . وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال
الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما . وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من

لم يعبدها م

تسع وتسعون آية . بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن
مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع
لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا . ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول

والكلمات من السورة م

الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها
ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه
عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى
كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله . ربما تكره النفوس من الامر له
فرجة كحل العقال . ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة
فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان
كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة
في قولك حلف بالله ليفعلن . ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم
الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد
فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءهم والغرض اقناط الرسول صلى الله
عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل
تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل . وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة
لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة
الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف . ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضميرها للحمل على المعنى . وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون
ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين
حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن . لوما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا
لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض . بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على
الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت
الامم المكذبة قبل . ان كنت من الصادقين في دعواك . ما ننزل الملائكة بالياء
مسندا الى ضميره تعالى وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء
للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل . الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي
بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم

الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء
لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد
لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون
اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث
لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير له للنبي عليه الصلاة و
السلام ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي
الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب
الصغار توقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم
وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وما للحال لا تدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه
وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك
ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء
وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله
تعالى لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من
تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز
ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة
الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم
فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد
الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشككهم في الحق انما سكرت
ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك

بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت
بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء
بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة
مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها
ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل
من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث
سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع
فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء
موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون
او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون
بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على
معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم
ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة
بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة
خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال القدرة وتناهي الحكمة والتفرد في الالوهية
والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه اي ما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد
فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى
كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به

المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات
والحالات لا بد له من مخصص حكيم. وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي
جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب
ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله. ومختبط مما تطيح الطوائح. وقرئ و
ارسلنا الريح على تاويل الجنس. فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم
سقيا. وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين
في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض
الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه
دون حده لا بد له من سبب مخصص. وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام
القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير
الضمير للدلالة على الحصر. ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها. و
لقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين. من استقدم ولادة
وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم
في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو
بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل
رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم
بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت. وان ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء. وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير و
تصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال القدرة وعلمه بتفاصيل
الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم
وسع علمه كل شيء. ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل
اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما من طين تغير و
اسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور
من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب

القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا
والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان
تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا
منها وانتصابه بفعل يفسره. خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار
السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع من خلق الحيوة في الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي
الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي و
قوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة
الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء. واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة
اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهياته
لنفخ الروح فيه. ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه
فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار
اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر
في النساء. فقعوا له ساجدين امر من وقع يقع. فسجد الملائكة
كلهم اجمعون. اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة
وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان
الثاني حالا لا تاكيدا. الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون
مع الساجدين. اي لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل
قال هلا سجد. قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
لادم. قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر
جسماني كثيف وانا ملك روحاني لطيف. خلقته من صلصال من حما مسنون

وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع
والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها اي من السماء
او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا
الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف و
منه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى
عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الانسان او لانه يعذب
فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في
الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول
دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك
عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون
المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر
عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من
ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة
وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال
قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض
والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله
اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة
اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم او بالاضلال
عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على
اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب
وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين

اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك و
طهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في
كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه
مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين
من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير عوج
وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع
لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم وتكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى
امره منه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول
من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين
وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير
او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة
ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او
طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار
مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له
فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع
للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر
والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة

منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرا نافع وابو عمرو
وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر
التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا
في الدنيا ما الف من قلوبهم او في الجنة سطعت نفوسهم ما في صدورهم من
غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين
لاخوانا او حالين من ضميرهم لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من
المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال
او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد ولم يرد وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد
بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران
والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن
ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم
وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا
من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل
ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناه باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على
ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر او انكار لان يبشر به في مثل

مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء
تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون
مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون
الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن
من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة
رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا
ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها
المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال
المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك
اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل
ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم
لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام
وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين
وآل لوط المؤمنين وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين
وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استئناف
اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا
من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة والكسائي
لمنجوهم مخففا الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك
معهم وقرا ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء
قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى

لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئنا
بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به
فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به
فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل بطائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري
في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع
بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا
يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون
الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى
ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى
ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه
وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او
من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل
المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا
تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني من الخزي وهو الهوان ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي
الحياء قالوا او لم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم
فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس
وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه
ذكرت في هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة
المخاطب وهو النبي عليه الصلوة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له
ذلك والعمر والعمر واحد وفي القسم يلتزم الفتح لايثار الاخف فيه لانه

لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف
يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة
هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا
عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه
القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله
اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر الملتف المتكاثف فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان
ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم
به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد
بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم
آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته
كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة
مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار
الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة
اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك
فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة

الصفح الجميل وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي
خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه
ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي
مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير
ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال و
سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع
من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر
قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله
بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او
كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع
فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته
فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله
عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله
فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن
عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع
لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب
الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي
انزل عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم

فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك
والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين
واهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون
ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا
لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى
الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء وقيل اسحارا من عضهه اذا بهته وفي
الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما
جمع جمع السلامة جبرا للمحذوف والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ و
خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر
فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة و
التمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين
فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة
من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء
به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى
ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا
في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك
والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح

التحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق و
كن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه اذا كان حزبه امر
فزع الى الصلوة. واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه
كل حي مخلوق فالمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة. عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم. من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه الصلوة والسلام.

الا ثلث آيات في اخرها وهي مائة وعشرون وثمان آيات. بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله فلا تستعجلوه. كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه و
سلم من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان
صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به
بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص
لكم عنه. سبحانه وتعالى عما يشركون. تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم
وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب
او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه الصلوة
والسلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه. ينزل الملائكة بالروح. بالوحي
او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره
عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به
ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل من
انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني
للمفعول من التنزيل. من امره. بامره او من اجله. على من يشاء من عباده. ان يتخذه رسولا
ان انذروا. بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته. انه لا اله الا انا فاتقون
ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او

او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة و
الآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى
كمال القوة العلمية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها
تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له
شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع. خلق السموات والارض بالحق. اوجدهما على مقدار
وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته. تعالى عما يشركون
منهما او مما يفتقر في وجوده وبقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى
ليس من قبيل الاجرام. خلق الانسان من نطفة. جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ
الوضع والشكل. فاذا هو خصيم. منطيق مجادل. مبين. للحجة او خصيم مكافح لخالقه
قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم
وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فنزلت. والانعام. الابل والبقر والغنم و
انتصابها بمضمر يفسره. خلقها لكم. او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان
ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له. فيها دفء. ما يدفا به فيقي البرد. ومنافع. نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها. ومنها تاكلون. اي تاكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي
او لان الاكل منها هو المعتاد والمعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة
فعلى سبيل التداوي او التفكه. ولكم فيها جمال. زينة. حين تريحون. تردونها من
مراعيها الى مراحها بالعشي. وحين تسرحون. تخرجونها بالغداة الى المراعي
فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة
لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون. وتحمل اثقالكم. احمالكم. الى بلد لم تكونوا
بالغيه. ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه. الا بشق
الانفس. الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر
عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب. ان ربكم
لرؤف رحيم. حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم. والخيل والبغال والحمير

عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة
على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من
خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون
علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها
واستدل على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا
ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين ان الحمر
الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها
غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق
ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد
السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا
او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه
يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف
اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب
لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل
الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين
اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي
انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب اي ما تشربونه
ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب
فيه ولا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض
ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على
الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر فيه تسيمون ترعون مواشيكم من سامت
الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي
علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل و
الاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من
الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف

الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منها ساق الشجرة وينشق اسفلها
فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل
كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع
السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس
عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من
الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له
بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات
حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات و
الصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب
الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص و
النجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر
الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر
العقل لانها تدل انواعا من الدلالة الظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى
استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي و
سخر لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون
غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات
والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعلها بحيث تتمكنون
من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك
ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار
قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف
لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه
عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب

دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم
فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك مواخر
جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك
ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون
نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من
حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض
رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان
الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها
ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت
الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت وانهارا وجعل فيها انهارا
لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله
وعلامات ومعالم تستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه
قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات
نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة
مشهورين بالاهتداء في مساريهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار
بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد
من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد
شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم باشراكهم بالله
جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون
الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها

الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من
يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا
فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها
اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان
وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز
عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على
كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد
وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة الذين يعبدونهم
من دونه وقرأ عاصم ويعقوب بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
شيئا لينتج انهم لا يشاركونه بين انهم لا يخلقون ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية
فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة بالوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون
واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء
بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون
ايان يبعثون
ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم
اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا
للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون على عكس ذلك وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا
بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب
عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا
عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين

اي ما يدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض
اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس ليحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة
رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض وزر ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدة
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا
ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي
بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل
وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد اهل
السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي
اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه
اين شركاي بحذف الهمزة والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في
شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين
اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم و
يتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لتكون لطفا لمن سمعه
الذين تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من
سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على
الاستسلام بلى اي تجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الآية استيناف ورجوع الى شرح

شرح حالهم يوم البعث وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا
لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء او احتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى
او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم
اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا
يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم
يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة
روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه و
سلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير
اي لثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون
بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار
المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما
يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما
يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد
الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين يقبض
ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم
بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم
وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظرون
الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي
بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من
الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فا
سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها

صابهم

وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في
الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة و
التكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما
او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت
مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ
لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل
الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا
البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله
لكنه يؤدي اليه على سبيل ما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا
بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا
لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح
فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله و
اجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انهم
قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر
قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم
تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من
يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على
البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد

مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع
الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته
بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامر
فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان
امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد
والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون
عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم
الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس
وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا
حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم
في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له
خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخره لك في الاخرة
افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح
وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة

الروح على م

والحكم في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فاسئلوا اهل
الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية
دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة
رسلا اي الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة
الرجال ورد بما روي انه عليه الصلوة والسلام راى جبريل على الصورة التي
هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات و
الزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل
بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا
اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او صفة لهم اي رجالا متلبسين بالبينات او بيوحى على المفعول به او
الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون
على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما
سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط
انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم
من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل و
لعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك
الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه
عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط
او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين
او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم
العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى
يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف

[illegible]

التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا
ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها
يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة
والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤا بالتاء عن اليمين والشمائل سجدا لله و
هم داخرون عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين
الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في
ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله و
المراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة
اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال
وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها
من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا
داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها
من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب يظهر منه اخذة بالارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الاظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض و
عند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد
لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة
بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف
على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج

من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات
وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا
للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان
يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده و
الجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن
عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية
تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون
نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكانه قال فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا
من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن
وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم
من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله
لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع
الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
وهم كفاركم بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منكم وهم انتم ويجوز ان تكون من للتبعيض على ان
يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا

سجده

جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما
لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها
فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزروع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان
الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد
تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او
دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما
بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل
ام يدسه في التراب ام يخفيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء
الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة
الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل
يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن
الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا
حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ما شاع فيهم وصدر عن

اكرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرٓ
والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال مع وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو
ان لهم الحسنى اى عند الله لقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب
جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده و
انهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرا نافع بالكسر
على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا
من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر
باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال
ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين
وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم
فالولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم
فى القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء
ماء فاحيى به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان فى ذلك
لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة
يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه استيناف لبيان العبرة و
انما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش
ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له
على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا
وفى المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من
الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام
فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف

فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان
اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان
فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة
المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم
ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد
او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا و
من تدبر صنع الله فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها
والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار
بكمال الحكمة وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدا منه الاسقاء وهى متعلقة
بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا
لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق
مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب
اى من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه
تكرير الظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر
تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو
العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر ورزقا حسنا كالتمر
والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا
فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا
اى تنقلت باعراضهم وقيل السد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان
فى ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل فى الآيات

واوحى ربك الى النحل: الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين
ان اتخذي: بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحا معنى القول وتانيث
الضمير على المعنى فان النحل مذكر. من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون: ذكر بحرف
التبعيض لانها لا تبني لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببنا الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر البا. ثم كلي من كل الثمرات: من كل ثمرة تشتهيها
مرها وحلوها. فاسلكي ما اكلت سبل ربك: في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور
المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة
الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس. ذللا: جمع ذلول وهي حال
من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل
منقادة لما امرت به. يخرج من بطونها: كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب
الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم. شراب
يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة
فتستحيل في بطنها ثم تقيء ادخارا للشتا ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء
حلوة طلية صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه. مختلف الوانه
ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل او الفصل. فيه شفاء للناس: اما
بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون
معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال
اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله
فبرأ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون: فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك و

وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء

ويحملها عليه. والله خلقكم ثم يتوفيكم: باجال مختلفة. ومنكم من يرد: يعاد الى
ارذل العمر: اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو
تسعون سنة وقيل هو خمس وسبعون. لكيلا يعلم من بعد علم شيئا: ليصير
الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم. ان الله عليم بمقادير اعماركم
قدير: يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ. والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنهم مماليك حالهم على
خلاف ذلك. فما الذين فضلوا برادي رزقهم: بمعطي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم: على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم. فهم فيه

سواء

فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها
ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم
افبنعمة الله يجحدون: حيث يتخذون له شركا فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم
الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم
بايضاحها والبا لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل
بعضكم. والله جعل لكم من انفسكم ازواجا: اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حوا من آدم. وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة: واولاد اولاد
او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد به البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
ورزقكم من الطيبات: من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا
انموذج منها. افبالباطل يؤمنون: وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات
ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب. وبنعمة الله هم يكفرون: حيث اضافوا
نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام

او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات و
رزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون
ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما
مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء
متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا
له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله
يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم
من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم
دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال و
انتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب
الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشركون بالمملوك العاجز عن
التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف
فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما
في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله
الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد
العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب
والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان
من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل
يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيا

عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يوجهه ويرسله مولاه في امر
وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الفى سعدا
وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن
يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس يحثهم على العدل
الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق
مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه لنفسه وللاصنام
لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل
عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما
امر الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان
يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة
وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند
الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على
كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته
فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع
لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جاهلين
مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ادات تتعلمون
بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات
ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور
فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه
خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد عن الارض ما يمسكهن فيه الا الله

فان ثقل جسدها يقتضي السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها يمسكها ان
في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران فيها و
امساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة
من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب
المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من
حيث انها نابتة على جلودها يصدق انها من جلودها تستخفونها تجدونها
خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم
ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم
بالفتح وهو لغة فيه ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة و
الوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس
ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة
او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر و
الجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل
ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين
او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة
اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا واعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين
فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون
نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من
ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها

عليها م

انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط
في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله
بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم
بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع
الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما
يمنون من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى
وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذلك
واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم
ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك نعبدهم ونطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك
او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب
في انهم شركاء الله وانهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر
والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي و
القوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب بما كانوا يفسدون و
يوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم
وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم
من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور

اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين
محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات
وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال صلى الله عليه و
سلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء
ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة
وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي
والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة
البهيمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط
احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه
الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا
عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله
اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او
مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول
رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي بعده
نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه
على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت حمقاء تفعل
ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الحال الواقع

الواقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة
بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي
حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون
امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين و
ضعفهم وقيل الضمير لاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم
فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من
يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في
قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك
سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا
تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما عند الله
من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان
كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق
ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار
او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما يرجح فعله
من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا

ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال
الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه
حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا
كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه
وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت
القرآن اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله
الشيطان الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة
والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب
على الشرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان
بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اوليا المؤمنين به
والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه
والذين هم به مشركون بالله او بسبب الشيطان واذا بدلنا آية مكان آية
بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون
مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل
بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم
يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ
الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم
لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس

القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود
وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب
المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على
الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت
عقايدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما
معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد
ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون
جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة و
يقرآن التورية والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه
وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان
الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه ماخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء اعجمي غير بين وهذا
وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال
طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما تسمعونه منه كلام اعجمي لا تفهمونه هو ولا انتم و
القرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى
باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار
المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها
الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي
سمع منه بعض اوقات مروره عليه كليمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه
الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم
عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم
فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى
قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب

آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب
لا يصرفهم عنه دين ولا مروة أو الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر إنما يعلمه بشر من كفر عنه م
بالله من بعد إيمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من
الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن ينتصب
بالذم وأن يكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله إلا من أكره على الافتراء
أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان وقلبه
مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب و
لكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله و
لهم عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه روي أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا
وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنك
أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام
وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا
إن عمارا ملي إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه
وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازا للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ
رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال أنت
أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال أنا
أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد بأنهم استحبوا الحياة الدنيا
على الآخرة بسبب أنهم آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين
أي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه و
أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الحالة الواهنة عن

تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون إذ ضيعوا أعمارهم و
صرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما
فتنوا أي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ
ابن عامر فتنوا بالفتح أي عذبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاه جبرا حتى ارتد
ثم أسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم من المشاق إن
ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم
ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر
تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا ينقصون أجورهم وضرب الله مثلا قرية أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله
عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة كانت آمنة مطمئنة
لا يزعج أهلها خوف يأتيها رزقها أقواتها رغدا واسعا من كل مكان
من نواحيها فكفرت بأنعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار
الذوق لإدراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع
الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فإنه استعار الرداء للمعروف وقد نظر إلى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت
ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه فاعتجر نظرا إلى المستعار يميني
بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فأخذهم
العذاب وهم ظالمون أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب
الشديد أو وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أمرهم بأكل ما أحل
لهم وشكر ما أنعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل و
العذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة واشكروا

نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم
محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات
في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب
بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي
ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم مقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا
والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير
دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب
كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام
كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما
والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم
بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم
وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر
في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب

يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد
الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة و
تحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امّه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما بامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون
انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر
النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في
الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب
الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة
وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين
ثم اوحينا اليك وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول
ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق
وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة
فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم
الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هاهنا
لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او مجازاة كل فريق بما يستحقه
ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو
الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر

يا محمد

الى هو والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم و
جادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من
الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم و
تبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي
انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا
اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة
ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض
العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال
لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني
وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد
بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر
لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك
الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين و
ما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في
ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف
ضيق ان الله مع الذين اتقوا في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا
الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا و
ان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشرون آيات
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان
اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف

الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى
بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء
ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين
النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام
لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت
ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل
لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة
وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته
طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته فقالوا اما النعت
فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية
فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك
بيان الاختلاف
قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده
والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة
المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان
ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها
الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام
متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه
الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى
المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار
لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء

الاجبال وقوته على معاداتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك
البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير
بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو
بالياء على الا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع
نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي
لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير
بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان
نوحا كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان
انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير
لموسى وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب
في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء
المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا
وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن
عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما
بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل
جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي
قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما
اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على
ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان
وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما
ورث الملك من جده كشتاسب بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى

الى الشام وملك دانيال عليهم واستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر
او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساءتم فلها فان
وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة
المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي
بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام
على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد
متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله
عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز
وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم
يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة
الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد
الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين
هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون
الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم للحالة او للطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة

والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا
لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر
دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله
لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط
روي انه عليه الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه
فارخت من كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن
دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة عليه فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء
استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا
الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان
غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين ومحونا آية الليل التي
هي القمر وجعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق
وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها
لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به
الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب
وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير
اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه لزوم
الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار

باثار اعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها
لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده
قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ يخرج اي الله يلقاه منشورا لكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى
الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى
الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة
مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع
واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا
السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا
مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله
وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من
طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم
منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز حمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم
ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني
وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة
ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب
آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم
امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور ففسقوا فيها فحق
عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في
المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا و

كثيرا اهلكنا من القرون: بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا: يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه. من كان يريد العاجلة: مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد: قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا: مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها: حقها من السعي وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن: ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشروط الثلثة كان سعيهم مشكورا: من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا: اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر: الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا: جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون محمودا منصورا وقضى ربك: وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه: لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا

احسانا: وان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما: اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف: فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما: ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما: جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل: تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها. للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة: من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقل رب ارحمهما: وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا: رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل

ذلك وانت تزيد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما
يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا
صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم
عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب و
يندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه
من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء
ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم و
المسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه
على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال أفي الوضوء سرف قال نعم و
ان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في
الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في
الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها
ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن
عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز
ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه
لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا
لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر
الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور و
هو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر
نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير

ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او
منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا
فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره و
نزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل
الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه و
يضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد
فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل
القبض ولا تبسطوا كل البسط او يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن
كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله
تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه و
قرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا
بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الا
المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما
غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا
تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما
يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في

بضاع

القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة
او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي فلا تسرف
على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما
للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب
واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما
للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف
ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة
التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثنا
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد
كان مسؤولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسأل
الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي
ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل
اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع و
لا تقف ولا تتبع وقرئ لا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس
لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن
وجوابه بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور
ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن
ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها
مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولا
وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم
كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان

كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في
عنه للمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كقوله
غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه
لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفواد بقلب الهمزة
واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو
الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح
النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن
تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة
مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس
والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مناهي و
قرا الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه
خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى
سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه
صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث
كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من
الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على
ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه
وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في
العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم
ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم
بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم و
عادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة
زوالها وبتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلون الملائكة الذين هم
من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا

القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه
على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف
ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو
بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه الهة كما تقولون
ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول
ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول
صلى الله عليه وسلم ان يخاطب المشركون والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك
سبيلا بالمعازة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته
وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزهه تنزيها و
تعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في
اعلى مراتب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما
يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا
يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث
يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون
تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان
يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ و
الى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقراه عليهم مستورا ذا ستر كقوله
وعده ماتيا وقولهم شعر او مستورا عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون
انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعدما نفى عنهم التفقه
للدلالات المنصوبة في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على
الضلال كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها

دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون
مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت
لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القران
وحده غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان
يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء
بك وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن
اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو
نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع
الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي
سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل
ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا
الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى
الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم
من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
وخلقا مصدر او حال قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في
صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن
احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة
موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فيه فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك
رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون

فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون
اسم عسى وخبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار
لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه و
تظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم
لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا
يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي
الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله
وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضي الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله
بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته و
ولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون
العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية
والتبرؤ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى ان داود فان شرفه بما اوحي اليه
من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه الصلوة
والسلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول
للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس و
الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى
الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير

فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره
كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت و
الاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك
في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا
عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين و
الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك
واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم
من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي ابصار وقرئ بالفتح
فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالآيات المقترحة
الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعث اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء
مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك
ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش يعني اهلكهم من احاط بهم العدو
فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام
قال انه م
الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
رآها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه
فقال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان فتسامعت قريش واستسخروا
منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم
من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في

ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون
ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان
يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي
تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز
للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة وبانها مكروهة مؤذية من قولهم
طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب
بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي ااسجد
له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف
لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن
الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي
لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض
اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ذلك بسهولة استنباطا من قول الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا شهوة ووهم وغضب قال اذهب
امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاؤكم جزاء موفورا مكمل من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او
بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت
منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل
الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب و
الركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من
اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان

لغتان كحذر وحذر ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في
الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل
على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي
يعني المخلصين لتخصيصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا
يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي لكم الفلك هو الذي يجري
في البحر لتبتغوا من فضله الريح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث
هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف
الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم
حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم
الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعم
كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر
بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله
وانتم عليه او يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربع
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب
والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا
ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله
ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل
عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء
على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن

الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قليل كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي لا عذر له وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في

الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعده لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستزلال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون

ثنا

ك

خلفك

ولو خرجت لا يلبثون بعد خروجك إلا قليلا إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فإنهم
أهلكوا ببدر بعده وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الأنبياء فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا بإذن
على أنه معطوف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فإن إذن لا تعمل إذا كان
معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال وعفت الديار خلافهم فكأنما . بسط الشواطب بينهن حصيرا . سنة من قد
أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة
أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل لأنها من أجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تغييرا أقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر
وقيل لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فإن الدالك لا يستقر يده وكذا ما
تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينه
ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون إلى غسق الليل إلى ظلمته وهو
وقت العشاء الأخيرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الأمر بإقامتها على الوجوب
فيها نصا وفي غيرها قياسا إن قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل و
ملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت
بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس إن فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها إن فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل
به على أن الوقت يمتد إلى غروب الشمس ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود
للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما

الدلوك من ه

مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه
مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي
ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك
ذا مقام وقل رب أدخلني أي في القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا وأخرجني
أي منه عند البعث مخرج صدق إخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد إدخال المدينة
والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله
الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤديا حقه وقرئ
مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام على
الكفر فاستجاب له بقوله فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في
الأرض وقل جاء الحق الإسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه
إذا خرج إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود أنه عليه
الصلوة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين
واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقي صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فرمى به فكسر وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى ومن للبيان فإن كله كذلك وقيل إنه للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفي من المرض
كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين إلا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله
ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ويجوز أن يكون كناية
عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت
وأمال خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وأمال أبو بكر فتحة الهمزة هنا وأخلص فتحهما
ورش على أصله في ذوات الراء وناء على القلب أو على أنه بمعنى نهض وإذا مسه الشر من
مرض أو فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل أحد

يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير
مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على ان السؤال
عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو
مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر
ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم
فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
من احوال المعرفة لذاته ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه
الحس ولا شيئا من احوال المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته
الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب ومارب
العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن
مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل
ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان
شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك
فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا

كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه
اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير
وان اتاه خليل يوم مسألة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن
كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك
به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس
في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول
بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما
لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يعنون قوله او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا و
معنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم
وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما
مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله •
ومن يك امسى بالمدينة رحله • فاني وقيار بها لغريب • او جماعة فيكون حالا من
الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى
في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله

من ان تاتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال
سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل
وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات
اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تخيروها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد
ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس لو فتحنا عليهم بابا و
ما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول
الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا
والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة
يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن
ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس و
ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول
اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار
المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا
نصب على الحال انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها
والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار
ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على
ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مؤفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهيبها بان
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم

لحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله
بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا
وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم
من عذابهم أولم يروا أولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على
ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق
الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع
٤ بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير
المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة
النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض
يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد
آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها
تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم اليهود
خاصة ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل
بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا
او سأل على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات
ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد

والمكابرة لكن قلبهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة
القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك
قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى
الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه
على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم
ما ثبرك عن هذا اى صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين ظن فرعون كذب
وظن موسى يحوم على اليقين من تظاهر اماراته وقرئ ان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض
مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه لبنى اسرائيل
اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة
او الساعة او الدار الاخرة يعنى قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم
بينكم ونميز سعداكم من اشقياكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه و
بالحق نزل اى ما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق
الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
صلى الله عليه وسلم الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان
اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب فلا
عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل
فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف
عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى
الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا
تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله
ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم
العلماء الذين قراوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من

بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم
تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان
وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره
لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام
سجده
فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا
بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التورية فالمراد على
الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء
الى المقصود وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء فى الاية بمعنى
التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى ايا
عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على
ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك
بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها
حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفى ويقول اناجى ربى وقد علم
حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها
ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفاء ليلا او نهارا والجهر ليلا وقل

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن
له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على
انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه
ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد
وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور
عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب
علمه هذه الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية
ومائتا اوقية صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

وآيها مائة وعشر بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه
وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد
ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من
الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا
افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه
بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما
او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان
للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير
قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول
الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من
عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون

الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا
بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا
بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم
اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او
تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب
والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا
لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها
من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى الولد وتخلفه الى غيره وذلك من
الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها
تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل
لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون
مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذ تولوا
عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن
اسفا للتاسف عليهم او متاسفين عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان
فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان
والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد
فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع
من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد
املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم
مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس
والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة
ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا . وقيل لوح رصاصي
او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف . وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا
ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت
بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت
اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم
فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به
فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال لي
ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك
لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء . وقال آخر كان لي فضل
فاصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت لا والله ما هو دون
نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك
فاتت وسلمت نفسها الي فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك
قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها
ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا . وقال الثالث
كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي
فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه
ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على
يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم
فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير . اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو . وهيئ لنا من امرنا
من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا
كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء . فضربنا على آذانهم
اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات
فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته . في الكهف سنين ظرفان . عددا
اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده

ثم بعثناهم ايقظناهم . لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه
اولا تعلقا استقباليا . اي الحزبين المختلفين منهم ومن غيرهم في مدة لبثهم . احصى
لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا
واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول
واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد
كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله واضرب منا
بالسيوف القوانسا . نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق . انهم فتية آمنوا بربهم
شبان جمع فتى كصبي وصبية . وزدناهم هدى بالتثبيت . وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار . اذ قاموا بين
يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم . هؤلاء قومنا مبتدا وخبر وقومنا
عطف بيان . اتخذوا من دونه آلهة اخبار في معنى انكار . لولا ياتون هلا ياتون
عليهم على عبادتهم . بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على
ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز . فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه . واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض . وما يعبدون الا الله
عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا
يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير
واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى
عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم . فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم . من رحمته في الدارين . ويهيئ لكم من امركم مرفقا
ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرا نافع
وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه
الفتح . وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد . اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان
الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي

وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار وكلها من
الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم
تقطعهم وتعدل عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه أي
وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار
ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب
إلى محاذاته مشرق السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه
الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه و
يحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك
من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك أو إخبارك قصتهم أو ازورار الشمس و
قرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح
والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة لكن المنتفع بها من وفقه
للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه و
يرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان
وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى
تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال أنا أحب أحباء الله
فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أي
وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء
الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت
بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة و
الحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله تعالى من الهيبة أو لعظم أجرامهم
وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث ناسا فلما دخلوا جاءت
ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا

بينهم

رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا
ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال
قدرة الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك
أحالوا العلم إلى الله تعالى قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم
وهذا إنكار الآخرين عليهم وقيل إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم
في يومهم أو اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم
قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا
أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ أبو عمرو وحمزة
وأبو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف في الكاف وبالتخفيف
مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد بأن المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن
التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أي أهلها أزكى طعاما أحل وأطيب
أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن
أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور إنهم إن يظهروا
عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم
أو يعيدوكم في ملتهم أو يصيروكم إليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أولا على دينهم فآمنوا
ولن تفلحوا إذا أبدا إن دخلتم في ملتهم وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد
بصيرتهم أطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله بالبعث
أو الموعود الذي هو البعث حق لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة
لا ريب فيها وأن القيامة لا ريب في إمكانها فإن من توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنين حافظا أبدانها
عن التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر أبدانهم
فيردها عليها إذ يتنازعون بينهم ظرف لأعثرنا أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم
وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين
أنهما يبعثان معا أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون
ناموا نومهم أول مرة أو قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخر

لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم
قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا: وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله
ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
او من المتنازعين للرد على الله تعالى بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم و
احوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم
دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه
القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل
اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمه مسجدا. سيقولون اي الخائضون
في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم
كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم في انضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد
من نصارى نجران وكان يعقوبيا. ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او
العاقب منهم وكان نسطوريا. رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا يطلع
لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم الظن اي ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء
بعطفه على ما هو فيه. ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول
صلى الله عليه وسلم لهم عن جبريل عليه السلام وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم
لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل
دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث
وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك
ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع

وكمشليتيا

والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال
الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم. فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم
ولا تستفت فيهم منهم احدا. ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي
اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه
وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق. ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا
ان يشاء الله نهي تاديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه
عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا
تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا متلبسا
بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز
تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهي. واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل
قال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك
ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة
الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق
ولا كذب وليس في الاية انه ان اتى به كان الاستثناء المتدارك من القول السابق بل هو مع
مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى اذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك
على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي. وقل عسى ان يهدين ربي
لاقرب من هذا رشدا: لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب
الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب
والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى
خيرا من المنسي. ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم
فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب

لاعظم

فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلف في عدتهم وقال بعضهم ثلثمائة وتسع
وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان
علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف
ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما
وخفي من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على
ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على
الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر
بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له ولزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب
على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة
للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم من دونه الضمير لاهل السموات والارض
من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا
ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على
اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول على انه وحي معجز امره
بان يداوم درسه ويلازم اصحابه اتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم
ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه
ان الغدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله
وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى
نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول صلى
الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء
تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك
لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقو

واحبسها وثبتها صح

من جعلنا قلبه غافلا عم

المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه
لو اطاعهم كان مثلهم في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا المراد
اخبثته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب
الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكرا اولا بقوله واتبع هواه
وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال
فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه
الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان
من امن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار
وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من
نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي
الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط
حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره
من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع
موقعه الظاهر فان من احسن عملا لا يحسن على الحقيقة اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض
وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من
الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به
وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة
احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ
منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الا

رائك

كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا
متكأ. واضرب لهم للكافر والمؤمن مثلا رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين
قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما
ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن
في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر
وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من كروم والجملة
بتمامها بيان التمثيل او صفة الرجل وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا
بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء
مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد
كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين
فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل و
يزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا
كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك
في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا
اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه
ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته
وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او
لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم
لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه اي هذه الجنة ابدا لطول
امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي
بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى
انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له

صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة
اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله
ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على خلقه منه قدر ان يعيده منه
قدره
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت
النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها
من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن
وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا
والاستدراك من اكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ هو الله ربي ولكن
انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله
الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية
والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة
الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما
تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى
شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا
وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا
والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين
خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك
لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد
التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء
تزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في
الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في
رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من
احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى
عليه العدو اذا جاءه مستعليا عليه فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا

على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخا المؤمن ولم يعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضها بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم

يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على البناء للمفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير على ان يكون للاول او للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك صفا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا من بين الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وهنا لما شنع على المفتخرين واستقبح

صنيعتهم وقرر ذلك بانه سن المثل ولما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان
سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا
بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن
حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق
عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى
وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة
افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده او
اتباعه وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار
بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت
متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له
في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك
فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير
للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو
آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان
اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا
المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد
من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا
شركائي الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء
على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا
يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا
يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يبق وبوقا اذا هلك وقيل البين

البين الوصل اي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار
فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا
انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل
جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل
وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى
وهو الرسول الداعي صلى الله عليه وسلم والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن
الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير
ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو
لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا و
قبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا
بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك كقولهم للرسل ما انتم الا
بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم
او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزئ به
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما
قدمت يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير
وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما
عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه
وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه

موئلا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد
وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر والقرى صفته لا بد من
تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا
بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام
حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يعني يوشع
ابن نون بن افراييم بن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده
لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث
انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول
عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي
المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان
بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا
او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب وحتى ابلغ الا ان امضي زمانا
اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك
القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله
تعالى اليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني
ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم
قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه
على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر
له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي

المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح
الماء عليه فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب
فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل
امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه
او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار
الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده
التقييد باسم الاشارة قال ارأيت اذ اوينا ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت
الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
اي انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار
عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري
بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار
وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى
الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر
يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف و
وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال
وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت
ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي
جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع
وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما
مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على
ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا
علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول

كونه م

تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد
ويجوز أن يكون علة لاتبعك أو مصدرا بإضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره
ما لم يكن شرطا في أبواب الدين فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من
أصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه و
استأذن أن يكون تابعا له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه قال
إنك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا
يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي
كيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز أو
مصدر لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني إن شاء الله صابرا معك غير منكر
عليك ولا أعصي لك أمرا عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو
على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الأمر فإن مشاهدة الفساد
والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلاف وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة
بمشيئة الله تعالى قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن
شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى أحدث لك منه ذكرا حتى أبتدئك ببيانه
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان
السفينة حتى إذا ركبا في السفينة خرقها أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع
لوحين من ألواحها قال أخرقتها لتغرق أهلها فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها
المفضي إلى غرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها على
إسناده إلى الأهل لقد جئت شيئا إمرا أتيت أمرا عظيما من أمر الأمر إذا عظم
قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت
بالذي نسيته أو بشيء نسيته يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان
أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أي لا
تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة وقيل إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر
نسيه ولا ترهقني من أمري عسرا ولا تغشني عسرا من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فإن
ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فإنه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه

الجزء السادس عشر
ونصف القرآن و
نصف ربع

إياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا أي بعدما خرجا من السفينة حتى إذا لقيا غلاما
فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه والفاء للدلالة على
أنه لما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قال أقتلت نفسا زكية بغير
نفس أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والأولى
أبلغ وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب والزكية التي أذنبت ثم غفرت ولعله اختار
الأول لذلك فإنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبا يقتضي قتلها
أو قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على أن القتل إنما يباح حدا أو قصاصا وكلا الأمرين منتف
ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط
واعتراضه جزاء لأن القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك
فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب
وأبو بكر بضمتين قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة
بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال إن سألتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني وإن سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت
من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب
وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي
وأبو بكر لدني بتحريك النون وإسكان الدال إسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى إذا
أتيا أهل قرية انطاكية وقيل أبلة بصرة وقيل باجروان أرمينية استطعما أهلها
فأبوا أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه إذا نزل به ضيفا
وأضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال فوجدا
فيها جدارا يريد أن ينقض يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير
لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال
إن دهرا يلف شملي بسلمى لزمان يهم بالإحسان وانقض انفعل من قضضته
إذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه أو افعلّ من النقض وقرئ أن ينقض وأن

نفس

مقابلة مع الكراسه

ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا . فاقامه: بعمارته
او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه . قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا: تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو
من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه
واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون . قال
هذا فراق بيني وبينك: الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض صح
الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق
الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل . سانبئك
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا: بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من
حيث الظاهر . اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر: لمحاويج وهو
دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم
عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
فاردت ان اعيبها: اجعلها ذات عيب . وكان وراءهم ملك: قدامهم او خلفهم
وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي . ياخذ
كل سفينة غصبا: من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن
قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية
او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين
وادعامها وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما: ان يغشيهما طغيانا
وكفرا: لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في
بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك

ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية
قول الله عز وجل . فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه: ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة
طهارة من الذنوب والاخلاق الردية . واقرب رحما: رحمة وعطفا على والديه قيل
ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع و
ابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل بالتخفيف و
انتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة . واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة: قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول
جيسور . وكان تحته كنز لهما: من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على
كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من
الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن
يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول
الله . وكان ابوهما صالحا: تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان
بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح . فاراد
ربك ان
ربك ان يبلغا اشدهما: اي الحلم وكمال الرأي . ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير
رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل
اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى
نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله تعالى بدله وثالثا الى الله
وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث
خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط
وما فعلته: وما فعلت ما رايته عن امري: عن رايي وانما فعلته بامر الله تعالى
ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو
اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة . ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا

اي لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه
لا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل
للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره
ثم يهاجر عنه. ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم
وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها
وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل
كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه
ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون
هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة. قل سأتلوا عليكم منه ذكرا. خطاب
للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله. انا مكنا له في الارض. اي مكنا له امره من
التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول. وآتيناه من كل شيء. اراده وتوجه اليه
سببا. وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة. فاتبع سببا. اي فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف. حتى اذا
بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة. ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت
ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما
لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على انها مقلوب عن الهمزة لكسر ما قبلها
ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها
تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما سمع معاوية يقرأ حامية
فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك
نجده في التوراة. ووجد عندها. عند تلك العين قوما. قيل كان لباسهم جلود الوحش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان
كما حكى بقوله. قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب. بالقتل على كفرهم. واما ان تتخذ
فيهم حسنا. بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا
في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله. قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا. اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره

كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا نكرا لم يعهد مثله. واما من آمن وعمل صالحا
وهو ما يقتضيه الايمان. فله في الدارين. جزاء الحسنى. فعلته الحسنى وقرأ حمزة و
الكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا
بها او المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا
غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ
والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان
كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي. وسنقول له من امرنا
مما نأمر به. يسرا. سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين. ثم اتبع
سببا. ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
التاء. حتى اذا بلغ مطلع الشمس. يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة
الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر. وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية
او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية. كذلك. اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة
المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان
يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي
تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم. وقد احطنا بما لديه. من الجنود والآلات والعدد
والاسباب. خبرا. علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت
مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير. ثم اتبع سببا. يعني طريقا ثالثا معترضا
بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال. حتى اذا بلغ بين السدين.
بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان
في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج و
قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان
وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي

بالطلع

حدثت بحذائه الناس وقيل بالعكس ومن ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ
حمزة والكسائي لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه
قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم
ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج
من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم
اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل
كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا
ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي
خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج
المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضم من
السد ابن عامر وحمزة والكسائي قال ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك
خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى
بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا
حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع
آتونى زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار
على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين
موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير
ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى
بين الصدفين بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال و
كلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف
للتقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد حتى اذا جعله
جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتونى افرغ عليه قطرا اى آتونى قطرا

قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك
البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو
كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر
قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقى
متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب
السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما است طاعوا له نقبا
لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين
ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط و
التصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها
ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها قال هذا هذا السد او
الاقدار على تسويته رحمة من ربى على عباده فاذا جاء وعد ربى وقت
وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك
لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان
وعد ربى حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذى القرنين وتركنا
بعضهم يومئذ يموج فى بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد
يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلق فى بعض فيضطربون
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ فى الصور لقيام الساعة
فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا
وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى عن
آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون
سمعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا
صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا
والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادى اتخاذهم الملائكة والمسيح من دونى اولياء

معبودين نافعهم او لا اعذبهم فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او
سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم في النجاة
وان بما في حيزها مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل في العمل او خبر له. انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا: ما يقام للنزيل و
فيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه. قل هل ننبئكم
بالاخسرين اعمالا: نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع
اعمالهم. الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا: ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم
كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخريهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب
السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم. وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا: لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق. اولئك الذين كفروا بآيات ربهم
بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة. ولقائه: بالبعث على ما
هو عليه او لقاء عذابه. فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها. فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا: فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا او اعتبارا او فلا نضع
لهم ميزانا توزن به اعمالهم لانحباطها. ذلك: اى الامر ذلك وقوله جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف
اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان
للخبر. بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا: اى بسبب ذلك. ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله
البستان الذي يجمع الكرم والنخل. خالدين فيها: حال مقدرة. لا يبغون
عنها حولا: تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم ويجوز ان
يراد به تاكيد الخلود. قل لو كان البحر مدادا: ما تكتب وهو اسم ما يمد به الشيء
كالحبر للدواة والسليط للسراج. لكلمات ربي: لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر: لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه. قبل ان تنفد كلمات
ربي: فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرا حمزة والكسائي بالياء. ولو جئنا

بمثله: بمثل البحر الموجود. مددا: زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين
متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا
للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي
لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا
وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وتقرءون وما اوتيتم من العلم الا قليلا. قل انما انا بشر مثلكم: لا ادعي الاحاطة على
كلماته. يوحى الي انما الهكم اله واحد: وانما تميزت عنكم بذلك. فمن كان يرجوا
لقاء ربه: يامل حسن لقائه. فليعمل عملا صالحا: يرتضيه الله. ولا يشرك
بعبادة ربه احدا: بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه
احد سرني فقال عليه الصلوة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له. وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء. والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل
وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قراها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلالا الى مكة حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان يتلالا من مضجعه الى
البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ. وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من
قرنه الى قدمه ومن قراها كلها
كانت له نورا من
الارض الى
السماء

وآيها تسعون وثمان آية. بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص: امال
ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر
كليهما ونافع بينهما بين. ذكر رحمة ربك: خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه
مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما
يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكّر على الامر. عبده: مفعول الرحمة
او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد. زكريا: بدل
منه او عطف بيان له. اذ نادى ربه نداء خفيا: لان الاخفاء والجهر عند الله سيان
ولان الاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان
الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف
في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون
قال رب اني وهن العظم مني: تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص
العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه واصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وتوحيده لان المراد الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلث
واشتعل الرأس شيبا: شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره
وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال
الى الرأس الذي هو مكانه مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى
باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد. ولم
اكن بدعائك رب شقيا: بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه
من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه

تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه
واني خفت الموالي: يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته
على امته ويبدلوا عليهم دينهم. من ورائي: بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء
وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون
الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا
كان الظرف متعلقا بخفت. وكانت امرأتي عاقرا: لا تلد. فهب لي من لدنك
فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا نصلح للولادة. وليا
من صلبي. يرثني ويرث من آل يعقوب: صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي
على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون
المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو
يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان
من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين
واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني و
هذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد. واجعله
رب رضيا: ترضاه قولا وعملا. يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى: جواب
لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له. لم نجعل له من
قبل سميا: لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه
للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان
في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به
لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته. قال رب انى يكون لي غلام
وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا: جساوة وقحولا في المفاصل
واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء
فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي و
حفص عن عاصم بكسر العين فاذا استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا
بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال

اى بعد والملك المبلغ للبشارة قصد تعالى له كذلك: الامر كذلك ويجوز ان يكون
الكاف منصوبة بقال فى قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علىّ هين
ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علىّ هين اى الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذا
يهون علىّ او كما وعدت وهو علىّ هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب
ومفعول قال الثانى محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا: بل كنت معدوما
صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشىء قال رب اجعل لى آية: علامة اعلم بها
وقوع ما بشرتنى به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا: سوى الخلق ما بك
من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من
كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى
او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا
صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا: طرفى النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه
بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى: على تقدير القول خذ
الكتاب بقوة: بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا: يعنى الحكمة وفهم
التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله فى صباه واستنبأه وحنانا من لدنا: ورحمة
منا عليه او رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة: وطهارة من
الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان
تقيا: مطيعا متجنبا عن المعاصى وبرا بوالديه: وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا:
عاقا او عاصى ربه وسلام عليه من الله يوم ولد: من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم
ويوم يموت: من عذاب القبر ويوم يبعث حيا: من عذاب النار وهول القيمة واذكر
فى الكتاب: فى القرآن مريم: يعنى قصتها اذ انتبذت: اعتزلت بدل من مريم بدل
الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر
الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك
اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا: فى بيت المقدس او شرقى دارها ولذلك
اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت
فاتخذت من دونهم حجابا: سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا

سويا: قيل قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشىء يسترها وكانت تتحول
من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها اتاها
جبرئيل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها
فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت انى اعوذ بالرحمن منك: من غاية عفافها ان كنت
تقيا: تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فانى
عائذة منك او فتتعظ بتعوذى او فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت
تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك
الذى استعذت به لاهب لك غلاما: لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز
ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابى عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء
زكيا: طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح
قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر: ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات
انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله
ولم اك بغيا: عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك
قال ربك هو علىّ هين ولنجعله: اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله
وقيل عطف على لاهب على طريق الالتفات آية للناس: علامة لهم وبرهانا على كمال
قدرتنا ورحمة منا: على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا: تعلق به
قضاء الله فى الازل او قدر وسطر فى اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل
لكونه آية ورحمة فحملته: بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكانت مدة حملها
سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته
نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور
فى موضع الحال مكانا قصيا: بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض
فالجاها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى فى اعطى
وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج

الى جذع النخلة: لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن
وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس
او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها
من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها
قالت يا ليتني مت قبل هذا: استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت. وكنت نسيا: ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب
ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به
وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته. منسيا: منسي الذكر بحيث لا يخطر
ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع. فناداها من تحتها: عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد
وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها
بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة. الا تحزني: اي لا
تحزني او بان لا تحزني. قد جعل ربك تحتك سريا: جدولا هكذا روي مرفوعا و
قيل سيدا من السرو وهو عيسى. وهزي اليك بجذع النخلة: واميليه اليك والبا
مزيدة للتاكيد او افعل الهز به او هزي الثمرة بهزه والهز التحريك بجذب ودفع
تساقط عليك: تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ
يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط
وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع. رطبا جنيا: تمييز او مفعول روي انها
كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها
رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها (خوصا)
فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب
والطعام ولذلك رتب عليه الامر بقوله فكلي واشربي: اي من الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره. وقري عينا: وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر
وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت السرور سكنت اليه من النظر الى
غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين

العين وسخنتها للمحبوب والمكروه. فاما ترين من البشر احدا: فان ترى آدميا
وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمز وحرف اللين. فقولي
اني نذرت للرحمن صوما: صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون
في صيامهم. فلن اكلم اليوم انسيا: بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة و
اناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والا
بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن. فأتت به قومها: راجعة اليهم بعدما طهرت
من النفاس. تحمله: حاملة اياه. قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا: بديعا منكرا
من فري الجلد. يا اخت هارون: يعنون هارون النبي كانت من اعقاب من كان معه
في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح
كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به. ما كان ابوك
امرأ سوء وما كانت امك بغيا: تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش
من اولاد الصالحين افحش. فاشارت اليه: الى عيسى اي كلموه ليجيبكم. قالوا كيف
نكلم من كان في المهد صبيا: ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة (نكلم من كان)
وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار
قال اني عبد الله: انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته
آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا: نفاعا معلما للخير و
التعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع
وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا. اينما كنت: حيثما كنت. واوصاني و
امرني بالصلوة والزكوة: زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل. ما
دمت حيا وبرا بوالدتي: وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه
مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلوة. ولم يجعلني جبارا شقيا: عند الله من فرط تكبره
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا: كما هو على
يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل
جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى

فانه تعريض بالعذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته
هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه
الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم
قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير
للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر ثان ومعناه كلمة الله
وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال
الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون اي في امره يشكون او يتنازعون
فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا
اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث
وقرا ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرا الحجازيان وابو عمرو وان بالفتح
على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود
والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا انه هو الله
هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا انه عبد الله ونبيه فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه
وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق او من وقت

الآراب العضو صح

الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر
تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة جدير بان
يتعجب منها بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ
وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور
على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث

حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجديهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال
بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه
اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم
او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلق بقوله في ضلال
مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة
للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم
ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه
والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته و
كتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض
او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة
ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا
يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله
واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل
طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا
عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما
يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر
ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة
والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان
جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما
لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جا ني من العلم
ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه

مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث
انه الآمر فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر
فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان
للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه
النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذا
ب تليه ويليك او ثانيا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب
وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره
على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه
من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن
آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره
بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم
هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني
يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على
ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او
مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة
بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر
لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر
استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه
كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون
الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى الا اكون
بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلك في دعاء الهتك وفي تصدير
الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة
تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما

وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب
بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج
بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما
شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد
وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة
والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس
ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد
باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو
للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار
وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه
عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا
ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى
وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين
موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه
تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاة نجيا مناجيا حال من
احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع
فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او
بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل
لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون
عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان
صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا
الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني
ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا
يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته

وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة: اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل
على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم و
كان عند ربه مرضيا: لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس
وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس
يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة
درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في
علم النجوم والحساب: انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا: يعني شرف
النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك
اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم
بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل
منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح: اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس
فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم: الباقون واسرائيل
عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا: ومن جملة من هديناه الى الحق
واجتبينا: للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا: خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان
خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس و
الزلفى من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث
غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف: فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف
صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة: تركوها واخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات: كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب
والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد و

ركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا: شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل
غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وعمل صالحا: يدل على ان
وآمن م
الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة: وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا: ولا ينقصون شيئا من جزاء
اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا
ينقص اجورهم جنات عدن: بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم
او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد
الرحمن عباده بالغيب: اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم
بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده: الذي هو الجنة ماتيا: ياتيها اهلها
الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون
فيها لغوا: فضول كلام الا سلاما: ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع
او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء
بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام و
لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا: على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة و
الرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا: نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال
مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث انها
لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب
نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين
استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب

الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ
عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل
ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول
مطلقا كما يطلق نزّل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت إلا
بأمر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين
أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين
لا ننتقل من مكان إلى مكان أو لا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته
وما كان ربك نسيا تاركا لك أي ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به و
لم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وإنما كان
لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
والمعنى وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه وهو مالك الأمور كلها السالفة
والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا
تقرير من الله لقولهم أي وما كان ناسيا لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها
وقوله رب السموات والأرض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه
وهو خبر محذوف أو بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أي لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن
ينساك أو أعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء
الوحي وهزء الكفرة وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما
يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم
له سميا مثلا يستحق أن يسمى إلها أو أحدا يسمى الله فإن المشركين وإن
سموا الصنم إلها لم يسموه الله قط وذلك لظهور أحديته تعالى ذاته
عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للأمر أي إذا صح أن لا
أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقها ويقول الإنسان المراد به الجنس بأسره
فإن المقول مقول فيما بينهم وإن لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا

فلانا والقائل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه أخذ
عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت أئذا ما مت لسوف
أخرج حيا من الأرض أو من حال الموت وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار
لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فإن
ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وروي عن ابن ذكوان إذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر أولا
يذكر الإنسان عطف على يقول وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف
مع أن الأصل أن يتقدمها للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن
المعطوف عليه إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
بل كان عدما صرفا فإنه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان
منها من الأعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من
الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الأصل فوربك لنحشرنهم أقسم
باسمه مضافا إلى نبيه تحقيقا للأمر وتفخيما لشأن الرسول صلى الله عليه و
سلم والشياطين عطف أو مفعول معه لما روي أن الكفرة يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا و
إن كان مخصوصا بهم ساغ نسبته إلى الجنس بأسره فإنهم إذا حشروا وفيهم
الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم
ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الأشقياء
ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم إلى دار
الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لأنه
من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب وأهل الموقف
جاثون لقوله وترى كل أمة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وإن كان
المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم
إهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة

وا حمزه والكسا جثيا بالكسر

من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى منهم
فيطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل
العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم و
يطرحهم في النار على الترتيب او تدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني
على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب
حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد
الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره
اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام
لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه
معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة
على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى
تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي بالذين هم اولى بالصلي او صليهم
صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة
والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى
الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها و
حاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه
عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك
حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان
وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون
الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك

هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على
ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم
على ركبهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني
بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز قال
الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين
خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ
الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله
لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع
التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم
مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم
احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي
ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا
على قلب الهمزة واو وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر رئيا على
القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن
مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل و [اعتبار ومعيار]
النقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان
امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يو [عدون]
غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي قالوا اي الفريقين خير حتى اذا
راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما
العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما
يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا

من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا و
وبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اى
فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان النادي مجمع وجوه القوم
واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه
بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه
بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه
في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل
له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل
فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل
هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا
اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ في حره منه
في برده افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت
في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال
لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت
جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار
استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا
الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد
في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة
شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى
ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ام اتخذ عند الرحمن
عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به
الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان

فان وعد الله عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره
لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة اى تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو
وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله او
ونزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك
اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد و
ياتينا فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا و
قيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء
عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد
الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر
الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد
العز اى يكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم
بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان
كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك
كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا
بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم
عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره
ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم
وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح
الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح

انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام
اجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس
معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته
ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام
فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا
وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء
لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة
الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع
من الايمان والعمل الصالح على وعد اعد او الا من اتخذ من عهد اذن فيها
لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا
اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف
اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون
الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا
فيما بين الناس جاز ان يسند اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم
المنكر والادة الشدة واداني وادني اثقلني وعظم علي تكاد السموات
وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرا
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ
لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل
للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة
او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة
وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام

العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا
حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا
يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل
اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن
وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني
ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان
اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق اتخاذ الولد
ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية
للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها
ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله
ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا وهو
مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ ات الرحمن على الاصل لقد
احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته
وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده
بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه
شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة
من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب
الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء
ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض
والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك
اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤوس
الاشهاد وتنزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان
انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي

انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قو
ما لدا اشدا الخصومة آخذين في كل لد اي شق من المرا لفرط لجاجهم فبشر به
وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه
وسلم على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع
لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفا
ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد
من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله وصلى الله على
محمد وآله

وهي مائة واربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون
وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطا وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسما الحروف وقيل معناه
يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار
والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلايقكم لا قدس الله
اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ
طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه فانه
كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزته ها
او قلبت في يطا الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه
ها السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة
من الهمزة والها كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف
وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما
ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مأول
بالسورة او القران والقران فيه واقع موقع العايد وجواب ان جعلته

مقسما به ومنادى له ان جعلته ندا واستيناف ان كانت جملة فعلية
او اسمية باضمار مبتدا او طايفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القران
لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة
التهجد والقيام على ساق والشقا شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر و
سيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد
وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان
القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثنا
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له
لانزلنا لان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هي مصدر في موقع الحال
من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي
انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة تتاثر
بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار
فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له
لفظا او معنى فان الشي لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى
مع ما بعده الى قوله له الاسما الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله
وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول
العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا
تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش
فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما
اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته
ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه
تعالى بجليات الامور وخفياتها على سوا فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى
منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعا والجهر فيهما ليس لاعلام

الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها
بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها
المتوحد بمقتضيها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في
ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام
وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته
الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد
له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة
النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف
وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى
الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله
تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها
وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل
اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه
السورة من اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول
لاذكر قيل انه استأذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي
طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة و
قد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا
اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل
والباقون بكسرها اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه و
قيل الايناس ابصار ما يؤنس به [illegible] ولما كان حصولهما
مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه
لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق
بمكان يقرب منه فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة
خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره

كسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد و
التحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع
الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا
ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك
طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل
معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر
باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للواد
ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وهو كثنى من الطي مصدر لنودي او
المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او
للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فا
بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلاة لذكري خصها
بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود
وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت
بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر
غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة او لذكر صلاتي لما روي
انه قال من نام عن صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى
يقول اقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها
اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في
الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها
من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره
لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا

عبدي

يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهى الكا
ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها
على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم تعرض عنها وانه ينبغي ان
يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هويه
ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره على عاجلها فتردى فتهلك
بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه
فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك
يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ
عصي على لغة هذيل اتوكؤا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت
على راس القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس
غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين
من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب اخرى
حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القيها على عاتقه فعلق بها ادواته
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا
قصر الرشا وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه فهم ان
المقصود من السوال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا راها بعد
ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل
ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء وتطول
بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها
وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة و
معجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر
حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع
امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقيها
فاذا هي حية تسعى قيل لما القيها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا
ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا نظرا الى المبدا وثعبانا مرة

مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين وقيل
كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال
خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب
منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة
من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان
اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها
او على تقدير فعلها اي ستعود العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها
ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأن نفسه حتى ادخل يده في فمها و
اخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل
ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما
عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به
عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه اية اخرى
معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار
خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل
عليه اية او القصة اي القيناها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا
او مفعول لنريك ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين
الايتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح
صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل
عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام
المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه
رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها
فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه صبي لا يفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا
بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل

احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم يبرأ ثم لما دعاه قال الى
اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف
في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك
ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام
ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جوابا للامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة
عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي
يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره
او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة
وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت
همزتها كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية
به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي
ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا
خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ
الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون
يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا
عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل
بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك
في وقت اخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في
وقتها او ملك لا على جهة النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي
او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت
بان اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء و
للوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه
الله في الحسن بامها فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى

الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع
امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة
للنظم فالمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير العدو للمبالغة
او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر
فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع
آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا
يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك
ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه
لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع
على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل
ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ
ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي
وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت
او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم
على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل
ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها
بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها و
قتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم
غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة
الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع
فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور وخلصناك مرة بعد اخرى

وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا
على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره. فلبثت سنين
في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل
من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين
ولا مستاخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء. يا موسى كرره عقيب
ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك. واصطنعتك لنفسي واصطفيتك
لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه. اذهب انت
واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي
اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه
فلا تكرر قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا
له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة
في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على السطوة عليكما او احتراما لما
من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله
يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما
انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والايس متكلف والفائدة في ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة
واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم
ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه
فيخشى. قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط
وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف
ان تحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على
المعاجلة بالعقاب او يفرط من الافراط في الاذية. او ان يطغى ان يزداد

يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه
من حسن الادب. قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة. اسمع وارى ما يجري
بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي
لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا
كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ. فاتياه فقولا انا رسولا ربك
فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم. ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل
الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل
ويقتلون ذكورهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل
على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز
ان يكون للتدريج في الدعوة. قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه
الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان
المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها
وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فات بها او لو جئتك بشيء مبين. والسلام على من اتبع
الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المنزلين
على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد
في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق. قال فمن ربكما يا موسى اي بعدما اتياه
وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة
وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه
او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من
هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع
خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه
ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون
المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه. ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما

اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في
غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها و
دلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان
جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك
بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال
القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال
علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه
الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا
لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي و
لا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان
يذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز
ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه
ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء
وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف
احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك
كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا
مرفوع صفة لربي او خبر محذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون
مهادا في الزخرف مهدا اي كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون
مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا
وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض
لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به
عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور
ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء
المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء
ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل

ولم يجعلوا في الكـ
في البناء و

انزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك
لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا
وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر
في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي
متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها
للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا
على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك
لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل و
ارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم
واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها
نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة
السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه
صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا
آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه الصلاة والسلام
اراه اياها وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده
وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض
مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف
منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك
بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا
نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصب
مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بدل من موعدا
على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في
ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم يوم الزينة كما هو على الاول

يوم الزينة

او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان
المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في
النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في
كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك
في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء
الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون
على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة و
آلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان
تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد
خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه
فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه
فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا
اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله ان هذان لساحران تفسير
لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس
وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا
المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها
وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان
هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء

واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد اهل طريقتكم وهم بنو
اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل و
قيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا
كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو
فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو
قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين
قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد
افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب
وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي اختر القاءك
اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب
بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا الميل اليه بذكر الاول
في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم
يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها
ظرف يستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت تخييل سعي حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير
الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده
الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من
مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه
قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا
بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال
على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل

الازماع

من الميل

عصاك تحمد الهاً اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العود الذي في يدك وتعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلع بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفه انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به جنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ما اعدت • في سعي دنيا طالما قد مدت •

كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى وتلقف فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بعدها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف

المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيها من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه الدنيا وللآخرة خير وابقى وهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ انما تقضي هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهناة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصا لحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف

على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله
كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا. او لتعدده
معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا. لا تخاف دركا حال من المامور
اى امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرا
حمزة لا تخف على انه جواب الامر. ولا تخشى استيناف اى وانت
لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا
او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق. فاتبعهم فرعون بجنوده. وذلك
ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى
فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى
فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم
جنوده وذادهم خلفهم. فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او
له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف
كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله او
ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك. واضل فرعون قومه
وما هدى اى اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما
اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا. يا بني اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او
للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل باباهم. قد انجيناكم
من عدوكم فرعون وقومه. وواعدناكم جانب الطور الايمن
لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عديت المواعدة اليهم
وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة. ونزلنا عليكم المن والسلوى
يعني في التيه. كلوا من الطيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرا حمزة و
الكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن
بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب. ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال
بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق. فيحل

فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه و
من يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرا
الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل. واني لغفار لمن تاب عن الشرك
وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور
وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها
نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب
موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم. قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا
بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها
الرفقة بعضهم بعضا. وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال
امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك. قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا
ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا. واضلهم السامري باتخاذ
العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا
وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياماها اربعين و
قالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه
اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع على
عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيته. والسامري منسوب الى
قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا. فرجع موسى الى قومه بعدما استوفى الاربعين
واخذ التورية. غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا. قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا:
بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور. افطال عليكم العهد اى الزمان يعني زمان
مفارقته لهم. ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو
مثل في الغباوة. فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله
والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه
اى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين ومولانا

على الترديد ولا على شئ الذي يحكم له لاجوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه و
قرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثتها في الاصل لغات في مصدر
ملكت الشئ ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي
استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان
لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هو ما القاه البحر على الساحل
بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل
بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها
اي في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا
ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي
القوم وهو حرام عليكم فالراي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما
معنا فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح
والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت
العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى
فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه
من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم
كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع
بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم و
اضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه
اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما
فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في
الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هارون قال
له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن ان
تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به وان تأتي عقبي وتلحقني ولا

من قبل م

مزيدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين
والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان
اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر
راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا
متصلبا في كل شئ فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول
فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في
قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع
اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري ثم اقبل عليه وقال له منكرا
ما خطبك اي ما طلبك له او ما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه
قال بصرت بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي
علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني
محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس
الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون فكان جبريل يغذوه
حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة
من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف
والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم
يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب
به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي وكذلك
سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحيوة
عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتاخذك
الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر
وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن
تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك في الدنيا
وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الوعد اياه وستأتيه لا محالة
فحذف المفعول الاول لان المقصود الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد

فرقت من

الجماعة الكثيرة

الاكل بجميع الفم · باطراف الاسنان

اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا: ظللت على عبادته مقيما فحذف الاولى تخفيفا
وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة
لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه
ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا
فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة
المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله
الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء
علما: وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان
حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية
لانه وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل
بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني
اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور
الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك و
تنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا
على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم و
قيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي
هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم
القيمة وزرا: عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه او اثما عظيما خالدين فيه
في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء
لهم يوم القيمة حملا: اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى
احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى
يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما
له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر

ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان
ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا: زرق العيون
وصفوا بذلك لان الزرقة اسوا الوان العين وابغضها الى العرب لان
الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود
الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون
بينهم يخفضون اصواتهم لما يملا صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت
واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا: اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم بما يقولون
وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم الا
استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال
عن مال امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها
كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض
واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة
قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى
فيها عوجا ولا امتا: اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي
وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس و
الثالث باعتبار المقاييس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت
وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ اي يوم
اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من
يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو
الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا عوج له: لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه

يوما

وحدان الرجان

الهمس بصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها
الى المحشر. يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء
من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن
في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني
منصوب على المفعولية ويحتمل ان يكون من الاذن ورضي
له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع
في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال
وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط
علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم
لم يعلموا جميع ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت و
خضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي
العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده
وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله
عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن
اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب
مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه
لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه
قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد
لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة و
اعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث
الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه
كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى
وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوتيته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي

الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل
الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علما
اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد
عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه
وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم
راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى
غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات
على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره
ولعل ذلك كان في بدء امره وقبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح
حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم
يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان
من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك
انه نسي ولم يكن من اولي العزم والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه
ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له
مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء عن المطاوعة
فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة
فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما بالخروج اكتفاء باستلزام
شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء
التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك
الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير
لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري و

الايعاز
قوله واوعز

الكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابهما والسعي في تحصيل اعواض عنهما
ينقطع ويزول منها بذكر نقائصها ليعرض بنعمة باصناف الشقوة المحذر منها
والعاطف وان ناب عن ان لكنه نائب من حيث انه عامل لا من حيث انه
حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر
وانك بالكسر والباقون بالفتح فوسوس اليه الشيطان فانهى
اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي
من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه
بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان
الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة
فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن
المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا
اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة
وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه
بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على
العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب
وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال
اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما
كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر
المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من
النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما يأتينكم مني هدى كتاب
ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له
معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث
وقرئ ضنكى كسكرى لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا

الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب
للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت
عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى
آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره
قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه
جواب الشرط يوم القيامة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من
الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير
قال كذلك مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة
فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها
اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها
ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي للنار بعد ذلك
اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه
ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى
الله او الرسول صلى الله عليه وسلم او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون
اي اهلاكنا من اهلكناهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاول معلق يجري مجرى اعلم
ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم
ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل و
التعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى
الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو
مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم
واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم
او لعذابهم وهو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة
على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن

رسم

فى كان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين واصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك
وساير ما يضيفون اليه من النقايص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه
المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى
الظهر والعصر لانهما من اخر النهار او العصر وحده ومن اناء الليل و
من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد فسبح يعنى
المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان
القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز و
لذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار
تكرير لصلوتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن
الالتباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه
نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او
لان النهار جنس او بالتطوع فى اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح
اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ
الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
اى نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك
مثله ازواجا اصنافا منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير
والمفعول منهم اى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم اى م
زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه
معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه
او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهرة
او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما
عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم
فى الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخره لك فى الاخرة او ما رزقك
من الهدى والنبوة خير مما منحهم فى الدنيا وابقى فانه لا

فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته
او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امره بها ليتعاونوا على
الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت
ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان
ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة
والعاقبة المحمودة للتقوى لذوى التقوى روى انه عليه الصلوة
والسلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية و
قالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة
او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد به تعنتا و
عنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو ام المعجزات واعظمها
وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم والعمل
على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا
وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من
وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما فى الصحف
الاولى من التورية والانجيل وساير الكتب السماوية فان اشتماله على
زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية مع ان الاتى بها امى لم يرها
ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان ن
لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة
الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله من قبل محمد صلى الله عليه وسلم او البينة والتذكير لانها فى معنى البرهان
ربنا م او المراد بها القرآن لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل بالقتل والسبى فى الدنيا ونخزى بدخول النار يوم
القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل واحد منا ومنكم متربص
منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط

الجيد والسوأى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره و
من اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام و
محلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف
الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على
ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى
الله عليه وسلم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والانصار.

الجزء السابع عشر

وهي مائة وثنتا عشرة آية. بسم الله الرحمن الرحيم. اقترب للناس حسابهم
بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما
هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة
واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص
الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب
معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في
معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر
او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع
حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤون به ويستسخرون منه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال
من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي و
الذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئ بالرفع على انه خبر آخر للضمير
واسروا النجوى بالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين
ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو
لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع

الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر
مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا
لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول
لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره
وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قال ربي
يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من
قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله
واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم
فلا يخفى عليه ما يسرون وما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه
قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام الحكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم
في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها
من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز
ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه
مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات
كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه
من حيث انهما من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون
مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان
الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح
الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم
الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال
كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال

الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا
يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يو
جب العلم وان كانوا كفارا او واضح في الكون. وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين: نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا
لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وما
كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء
وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل
الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه المجسد
للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده. ثم صدقناهم الوعد:
اي في الوعد. فانجيناهم ومن نشاء: يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن
سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستئصال. و
اهلكنا المسرفين: في الكفر والمعاصي. لقد انزلنا اليكم: يا قريش كتابا: يعني القرآن
فيه ذكركم: صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر
من مكارم الاخلاق. افلا تعقلون: فتؤمنون. وكم قصمنا من قرية: واردة
عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم. كانت ظالمة: صفة
لاهلها وصفت بها لما اقيم مقامه. وانشانا بعدها: بعد اهلاك اهلها. قوما
آخرين: مكانهم. فلما احسوا باسنا: فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك
المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف. اذا هم منها يركضون: يهربون
مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم. لا تركضوا: على
ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال و
القائل ملك او من ثمة من المؤمنين. وارجعوا الى ما اترفتم فيه: من التنعم والتلذذ
والاتراف ابطار النعمة. ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون: غدا
عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال
والتشاور في المهام والنوازل. قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين: لما راوا
العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى

اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم
فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك. فما زالت
تلك دعواهم: فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه
يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية
والخبرية. حتى جعلناهم حصيدا: مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك
لم يجمع. خامدين: ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول
الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود او صفة له او حال من ضميره. وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين: وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة
لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان
يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال.
لو اردنا ان نتخذ لهوا: ما يتلهى به ويلعب. لاتخذناه من لدنا: من جهة قدرتنا
او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة
كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد
بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى. ان كنا فاعلين: ذلك
ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية. بل نقذف
بالحق على الباطل: اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا
ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو. فيدمغه:
وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي و
الدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح
تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله: سأترك
منزلي لبني تميم. والحق بالحجاز فاستريحا. ووجهه مع بعده الحمل
على المعنى والعطف على الحق. فاذا هو زاهق: هالك والزهوق ذهاب
الروح وذكره لترشيح المجاز. ولكم الويل مما تصفون: مما تصفونه به
مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة

تسلق الجدار اى تسوره

المزوق
المنقش

وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة
المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من
في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه والمراد به نوع من الملائكة
متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون
عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء
بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها
حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف
او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم
من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها
التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا
به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات
والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر
الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون
الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما
استعمل غير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء
ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما
من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر
وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط
بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة
سلطانه وتفرده في الالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم
مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة
كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم

او ضما لانكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا
آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية
او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد
ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل
على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او النقل فانه
لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا
ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل
تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك فان التوحيد لما لم يتوقف
على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل بل اكثرهم لا
يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر
محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد
واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث
انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص
والكسائي وحمزة نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء و
قالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون و
ليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ
بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد
المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته
تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام
عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين
يهم وما خلفهم
لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده
فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون

الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون
مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق
خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل
منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي
النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين
كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا
رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا و
حقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة
ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة
فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا
فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات
فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات
باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون
من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا
من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى
المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله والله
خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه
به بعينه او صيرنا كل شيء حي من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او
مفعول ثان والظرف لغو افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي
ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل
لان لا فحذف لا لامن اللبس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا
سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا
فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على

في الارض م

انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون
الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او
الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب
وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته و
تناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون
غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك
كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك
الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع
السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء
لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا
افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله
والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة
مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه و
الينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود
من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به و
يقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان
ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد
الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون
منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص وحيلولة الصلة بينه
وبين الخبر خلق الانسان من عجل كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك
خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك

ن

قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل. سأوريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها. ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه. لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول اعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك. بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا. ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون وعد له بان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه. قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته. بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه. أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون عندنا والاضراب في الامرين بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد عن المعتقد بحقيقته لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من

الله كيف ينصر غيره. بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما تجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنون. قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم. ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفح من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم. ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة. اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم آتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة. وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا. ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب

صلى الله عليه وسلم

الجامع مع كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات
الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع
وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب
حال من الفاعل والمفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون و
في تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر
يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم
افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده
الاهتداء لوجوه الصلاح واضافه ليدل على انه رشد مثله
وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون
او محمد عليهم الصلوة والسلام وقيل من قبل استنبائه او بلوغه
كان اي وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع
لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار
وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او
برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على
اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام
للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون
العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما
لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها
قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك
ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل و
والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم

قطرس

لاستبعادهم تضليل آباءهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه
الملاعبة فقالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل
وهو ادخل لتضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين
من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي
الاصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن
في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل
بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا
فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم
للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه
غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل
فعله كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع
اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم

ثم

قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة
بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريطه نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة
الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا
فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على
المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبته قالوا أانت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة
تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقديرا لمذهبهم مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق انت
كتبت هذا بل كتبته انت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق

بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم
هذا مبتدا وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال
لابراهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا
الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون
بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه
لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا
بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد الزامهم
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر
ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتافف له افلا تعقلون قبح صنيعكم
قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول
ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين
لها نصرا موزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به
الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي
بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مامورا مطيعا و
اقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة
بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال قرية من قرى الكوفة
له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي
فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود
من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن
ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس

ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها
لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم و
ارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر عاد سعيهم
برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم
اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة
النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او
زيادة على ما سال وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة
جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك
وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم
عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا
الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى
الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين
مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما
حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه
من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها
بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل
عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا
في اهل رحمتنا او جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا
اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا
له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب

الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين
تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده
اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين
والمتحاكمين عالمين. ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى
وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عم
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب
الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا
والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم
الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان
المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي صلى الله
عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء بن عازب حائطا وافسدته فقال على اهل
الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة
لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار
وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على
ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل
توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت
يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السير وهو حال او استئناف
لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بها او بسخرنا والطير عطف على الجبال او مفعول
معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا
فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة
لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها

لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس
لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
او للبوس على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل
فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة و
التقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق
عائد الى سليمان نافع له والاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة
اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة
يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة
وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته
حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها
الى الشام رواحا بعدما سارت منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه
على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها
ومن عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا
دون ذلك اي اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع
الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين
ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ
نادى ربه اني مسني الضر بان مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول
او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما
في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية
الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب
لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله
وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم
وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او
سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت
ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت

دون ذلك

الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من
الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه أهله ومثلهم معهم بأن ولد له
ضعف ما كان أو أحيي ولده وولد له نوافل رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما
صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين فإنا نذكرهم بالإحسان وإسماعيل
وإدريس وذا الكفل يعني إلياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ
من الله أو تكفل منه أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف كل من الصابرين على مشاق التكاليف
وشدائد النوب وأدخلناهم في رحمتنا يعني النبوة أو نعمة الآخرة إنهم
من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم عن
كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى إذ ذهب مغاضبا
لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم قبل
أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال
فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بمهاجرته
لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه
أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا
وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا
أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرئ يقدر
على البناء للمفعول وقرئ مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة
المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل أن لا إله إلا أنت بأنه
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لنفسي
بالمبادرة إلى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا
الدعاء إلا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بأن قذفه الحوت إلى
الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام

الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص
وفي الإمام نجي ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرأ
ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء
في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حرف المضارعة التي لمعنى لا
يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر
الإدغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى
ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور
والماضي لا يسكن آخره وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا
ولد يرثني وأنت خير الوارثين فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو
لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة إنهم يعني المتوالدين والمذكورين من
الأنبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون إلى أبواب الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين للإجابة
أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين أو
دائمي الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي أحصنت
فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها أي أحييناه في
جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من
جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها أي قصتهما أو حالهما ولذلك
وحد قوله آية للعالمين فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى
إن هذه أمتكم إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا
عليها أمة واحدة غير مختلفة فيما بين الأنبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع
وقرئ أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما
خبران وأنا ربكم لا إله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا أمرهم
بينهم صرفه إلى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره
قطعا موزعة بقبيح فعلهم إلى غيرهم كل من الفرق المتحزبة إلينا راجعون

خلاص

سيئة الخلق

فيجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران
لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه و
نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع
بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا ابو بكر و
حمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ حرم اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة
او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او
فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم
بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي حرام
عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام
عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق
بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج و
ماجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر و
يعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل
حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من
نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا
هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة
تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا
على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة
من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد
بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما تلا
الآية قال له ابن الزبعرى فقد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا

عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه
الصلوة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن
او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او
لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله
ويكون قوله ان الذين سبقت بيانا للتجوز او التخصيص متاخرا عن الخطاب
حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء
وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف
او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على
ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ
المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها
زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب
ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول
وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة
اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي
الله عنه خطب وقرا هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام
يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره
سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام
لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت
وتتلقيهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر
بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر

او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم او حال مقدرة من العايد المحذوف من توعدون
والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت
مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالتاء والسماء
للمفعول كطي السجل للكتاب: طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما
كتبت او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه
او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو و
السجل كالعتل وهما لغتان كما بدانا اول خلق نعيده: اي نعيد ما خلقنا
مبتدا اعادة مثل بداننا اياه في كونها ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء
المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابدا لشمول
الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما
على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره
نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل
الذي بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وعدا: مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب لانه عدة بالاعادة
علينا: اي علينا انجازه انا كنا فاعلين: ذلك لا محالة ولقد كتبنا
في الزبور: في كتاب داود من بعد الذكر: اي التورية وقيل المراد بالزبور
جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض: ارض الجنة او الارض
المقدسة يرثها عبادي الصالحون: يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه و
سلم ان في هذا: فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا
لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين: همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين: لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف و
المسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد

اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من
بعثته مقصور على التوحيد فالاول لقصر الحكم على الشي والثاني على العكس
فهل انتم مسلمون: مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة
وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا: عن التوحيد
فقل آذنتكم: اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء: مستوين في الاعلام
او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعادات او ايذانا على
سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان
النير وان ادري: وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون: من غلبة
المسلمين او الحشر لكنه كاين لا محالة انه يعلم الجهر من القول: ما تجاهرون به
من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون: من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم
عليه وان ادري لعله فتنة لكم: وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم و
زيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين: وتمتيع
الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق: اقض بيننا وبين اهل مكة
بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرا حفص قال
على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي
احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن: كثير الرحمة على الخلق
المستعان: المطلوب منه المعونة على ما تصفون: من الحال بان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا
لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر
رسوله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالياء وعن النبي صلى الله عليه و
سلم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي
ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية

الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي سبعون وثمان آيات

عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت
اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى
المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها
الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة
ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى
فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ
تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول
الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت
التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية
وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى
وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله
بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رؤيتك
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده
بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا
حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله
والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعم اضرابه ويتبع في المجادلة
او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب
عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او
جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير
فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في
الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه
الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب

من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب
بخلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو
الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم بقدر ما
يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او
تامة وساقطة او مصورة او غير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا
وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من
قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء
الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيطه الذكر ونقر في الارحام ما نشاء
ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر
اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا
على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا
وينشاوا ويبلغوا حد التكليف وبالياء رفعا ونصبا ويقر من قررت
الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس
او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع
شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ
الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود
كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من
عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه
من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها
الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من

خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد
موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه
الذي به تحقق الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيا
النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته
الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات
لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير
من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور
بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير
على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في
المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب
عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او
معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل
عن سبيل الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء
على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج
من الهدى الى الضلال وانه من حيث مؤداه كالغرض له في الدنيا
خزي هو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق
المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او اراده
القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من
الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازاة لهم على
اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر
قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة فكان
احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما

سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب و
عن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت
خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر
بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا
على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا
ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من
ابعد في التيه ضلالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل
في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته
وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم
والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى
يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنف
على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس
العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد
الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله
الدنيا والاخرة
كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان
يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل
كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من
قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء
الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل
رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك سماه

على الاول كيده لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من
نصر الله وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم
وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه
انزل القران كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك
مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم
واظهار المحق منهم على المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله
المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد
له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتاتى عن تدبيره
او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب
فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب
بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس
عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه وباعتبار
احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص
المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب
او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق
عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا
للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجد
بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله و
من يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح
بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان
خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو

انزله ح

ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه
او ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله
اقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد و
بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب
نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير
في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر
من فرط حرارته او يؤثر في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب احشاؤهم كما
يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير
ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما
يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم
من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا
لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل ان لهب النار يرفعهم الى اعلاها
فيضربون بالمقامع فيهوون وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال
الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون
فيها من حليت المراة اذا البست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من
اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار
من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد
السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها
او اضمار الناصب مثل يؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ لولوا بقلب الثانية
واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولوليا بقلبهما يائين
ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على

من نار

ان الحرير ثيابهم المعتاده او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا
الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة
التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق
او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار
الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو
حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد
الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ
على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى
الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر رضي الله عنه دار السجن فيها من غير نكير و
وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء
والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف
مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك
مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدولا
عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول
باعادة الجار او صلة اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي و
اذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي
واذ انزلنا فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان
فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم
ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود
ان مفسرة لبوانا من حيث انها تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل
العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي
وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة

الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك
كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرا نافع وحفص وهشام بيتي بفتح
الياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ واذن بالحج بدعوة الحج والامر به
روي انه عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين
المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل
كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل
ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة
لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استئناف
فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة
العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية و
تنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله
عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح
المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام
معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام
علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضي الذكر
فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من
التحرج عنه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع
به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير
المحتاج والامر فيه للوجوب وقيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا
وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند
الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب
الحج وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء
التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت

وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط
عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله تطلق للفصل بين
كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم
وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام و
الشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض
كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة و
السائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو
الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها و
التنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك
ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان
والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية
والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف
فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير
مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء
المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان
من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن
على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله
فقد اهلك نفسه اهلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر
الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها

من معالم الحج وهو اوضع نسكه اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها
حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة
فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة
طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب
لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم
محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها
الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي
في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية
اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها
او المراد على الاول لكم فيها منافع تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت
ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها
وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق
الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف
الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا
يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا
اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان
المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند
ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله
اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين
المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم
من الكلف والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ والمقيمين
الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل

لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها
عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول
اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها
لكم ومن رفع جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها
الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها
بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن
من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين حرف الاطلاق
عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء
مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا
القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسالة ويؤيده انه قرئ
القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال و
المعتر والمتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره
واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع
عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة
قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب
والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول
لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المراقة بالنحر من حيث انها لحوم
ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي
تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل
الجاهلية اذا نحروا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا
الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه

جمع لبة وهي الصدر

فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما
هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية و
الخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما
ياتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرا نافع و
ابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ مبالغة من يغالبه ان الله لا يحب
كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا
يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي على
البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه
محذوف لدلالة عليه وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين
يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين
مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف
وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع
اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب
استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع وقرا
نافع لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة وبيع وبيع النصارى
وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل
اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها
تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده
بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم

في الدفع م

وقيامهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم
عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء
قبل بلاء وهو دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم
لوط واصحاب مدين تسلية له صلى الله عليه وسلم فهو ليس باوحدي في التكذيب
بان سواه قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول
لان قومه بنو اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته
كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة
ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا و
العمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريان اهلكتها بغير لفظ التعظيم
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها
بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا
بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مظلة عليها
بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على	اي خلوها
وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر
يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على
قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ
بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن
ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقائها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل
حضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم
صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم
على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد

سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل
من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها	بها
ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم
وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور
للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص
البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في
الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به
ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو
بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون كبيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه
وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها	لها
من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخره لعادته تعالى امليت
كامهالكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي
مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به
والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام
ومساقه للكفرة وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم
من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين	ين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه
فسبقه لان كل من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير

وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة. اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة
وقيل اسم دركة. وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله
بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم
علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام
سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال
ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه
والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال
له ولمن يوحى اليه في المنام. الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه. القى الشيطان
في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه
ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة. فينسخ الله ما يلقي
الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة. و
الله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة
فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك
حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة
الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود
لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه
جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء
يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب
الله اول ليلة. تمنى داود الزبور على رسل. وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن
ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه

ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم
ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى
امر ظاهر عرفه المحق والمبطل. للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية
فتنة م
قلوبهم المشركين. وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
قضاء عليهم بالظلم. لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين. وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق
النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من
الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم. فيؤمنوا به بالقرآن
او بالله. فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية. وان الله لهادي الذين آمنوا
فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه. ولا يزال
الذين كفروا في مرية في شك. منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في
امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. حتى تأتيهم الساعة القيامة
او الموت او اشراطها. بغتة فجاءة. او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب
يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان
عا
المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها ا
او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه
لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على
وضعه موضع ضميرها للتهويل. الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة
التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة و
الضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا ا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فا
ولئك لهم عذاب مهين
وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات
تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم
عذاب ولم يقل هم في عذاب. والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا
في الجهاد. او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى

من من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد
واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد
علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا
يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم
حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب
به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتدا بالعقاب الذي هو الجزاء
للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه
الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي
شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة
اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر
على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء
المعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه
او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها
وان الله سميع يسمع قول المعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما والمعاقَب م
ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في
نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان
يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية
لا يصلح لها الا من كان قادرا وعالما وان ما يدعون من دونه الها
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ
بالبناء للمفعول فتكون الواو لما يعبدونه لانه في معنى الآلهة هو الباطل
المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء

الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا
الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض ما ء
مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم
تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على
بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما
جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الا رض
خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد
بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جميعا جعلها مذللة لكم
معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدا
تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض
من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك
الا باذنه الا بمشيته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها
مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها
ان الله بالناس لرؤوف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم
ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم
جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء آجالكم ثم يحييكم في الآخرة ان
الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا
متعبدا او شرعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك عنك
سائر ارباب الملل في الامر اي في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل
عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله
عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم
فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة
قالوا للمسلمين لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك
على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا

عليه وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم
طريق الى الحق سوى وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان
ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا
به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم
على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس
لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب
عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة
على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا
منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه
من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون و
يبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار
كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا
وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استينافا
كما اذا عرفت خبرا وحالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس
ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او
جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او
لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الا

لاصنام وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول
محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن
بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب
لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له لخلقه وهو بجوابه المقدر في موضع الحال جيء بها
للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان
اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بما هو
اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا
له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ
ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم
ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب
منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت
وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق
معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي
على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها
مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين
الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل
عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها
بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة
الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا
للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ونحو ذلك ان الله
سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها
ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات
لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسالون يا ايها الذين

اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام
او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له
سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير
واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم
الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير
متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين
من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله لله ومن اجله اعداء
الله الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه صلى الله عليه و
سلم انه اذا رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق
الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الى الضمير اتساعا او لانه
مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه
ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم
في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى
انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم
حيث شق عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح
عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات
في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه
مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او
على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم
على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على
غيرهم هو سميكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة

المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم
او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل
في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا تقرير وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين
ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على
شهادته لبعضه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى
وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
فتوسلوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف
واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة
الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير
هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها و
عمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

الجزء الثامن عشر

وآيها مائة وثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون
قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل
الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت
بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها
وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة
عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون
من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا
يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا
يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من
الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم

وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة
وتسببا وميلا وحضورا فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين
هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على
أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات
وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد
الأول لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه أو الثاني على تقدير
مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ
على عنان فرسي أو حال أي حفظوها في كافة الأحوال إلا في حال التزوج والتسري
أو بفعل دل عليه غير ملومين وإنما قال ما إجراء للمماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك
أصل شائع فيه وإفراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لأن
المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطرا فإنهم غير ملومين الضمير
لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء أي فإن بذلوها لأزواجهم أو إمائهم غير ملومين
على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فأولئك هم العادون
الكاملون في العدوان والذين هم لأماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق راعون قائمون بحفظها وإصلاحها وقرأ ابن كثير
هنا وفي المعارج لأمانتهم على الإفراد لأمن الإلباس أو لأنها في الأصل مصدر
والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها
وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها أولئك
الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الأحقاء بأن يسموا وراثا
دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة
بعد إطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس
من أعمالهم وإن كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار

الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلا
في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون أنث الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها
العليا ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر
من طين متعلق بمحذوف لأنه صفة لسلالة أو بمعنى سلالة لأنها في
معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالأولى والإنسان آدم خلق من صفوة سلت
من الطين أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار
وقيل المراد بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم
جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة
وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء في قرار مكين مستقر
حصين يعني الرحم وهي في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه
بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء
فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما
بأن صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا
عليها مما يصل إليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع
لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء
باسم الجنس عن الجمع وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر ثم أنشأناه خلقا آخر
هو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين
الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة
فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله
فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أحسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف
المميز لدلالة الخالقين عليه ثم إنكم بعد ذلك لميتون لصائرون إلى الموت
لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ
به ثم إنكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق سموات لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل
وكل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها

وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى
تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة و
انزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما
علمنا صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا
على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر
استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء
الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات
من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها
ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون
وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران
للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة
عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة
تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال
له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف
اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة و
التانيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء
بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء
بالالف للتانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه
فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر
والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له
ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى

نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى
اذا نبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء
للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت
بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد
وصفي الشي على الآخر اي تنبت بالشي الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه
وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها
من الالبان او من العلف فان اللبن يكون منه فمن للتبعيض او الابتداء ولكم
فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون
باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد
الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفاين البر
قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير
في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران
الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره
استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي بالجر على اللفظ افلا تتقون
افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة
غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا
من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب
الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة
رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ويعنون نوحا اي سمعنا به
انه نبي او ما كلمهم به من الحث على العبادة لله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة
وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا
رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه واصبروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم

او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسد عليك
مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب
او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور
اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امراته فركب ومحله في مسجد
الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه
اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره
قال تعالى ما سلككم في سقر من كل من كل امتي زوجين الذكر و
الانثى واحدين زوجين وقرا حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين
واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم
اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جي بعلى لان السابق ضار كما
جي باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا
تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محاله
لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع فيه كيف وقد امر
بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك
في الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا
بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه
امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق
ان استوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة
عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات
يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار وان كنا لمبتلين لمصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآية وان هي المخففة واللام هي
الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد وثمود فارسلنا

فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع
الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين
كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف
قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة
بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحيوة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما
هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبره والعائد الى الثاني محذوف او مجرور
حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم
اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين
قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم
والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى
الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون
مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر
للاول اي انكم اخراجكم اذا متم او وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا
لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق
او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك
كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير و
بالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا
اصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس

ان حملتها تحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على
التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس
نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان
هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا
من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي
منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل
وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب
اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة
تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق
بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي
بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبهناهم في دمارهم بغثاء السيل
وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين
يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر
التي تنصب بافعال لا تستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع
الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين يعني
قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد
لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا
تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو
كتولج ويتقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو بالتنوين على انه
مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف
الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي
هو مبدا الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك
وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث
او جمع احدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة

438

حجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات
وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة
وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة
وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالايات الحجج
وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى
فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق
للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم
لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس
البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام
فيهما كما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة ويمكن ان
يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التفكر والتعلم في اكثر الاشياء واغلب
الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه الاشارة بقوله
تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل
لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين
بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل
ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم
يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها
اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان
تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذف
الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها
مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرا ابن عامر
وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من
ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها

فرعون وملائه

ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في
الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه
لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه و
طيب المكان. يا ايها الرسل كلوا من الطيبات: نداء وخطاب لجميع
الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل
على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون
ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان
اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض
الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل
في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ
من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي
ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل. واعملوا صالحا
فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم. اني بما تعملون عليم: فاجازيكم عليه.
وان هذه: اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل
انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف.
امتكم امة واحدة: ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول
الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة
ونصب امة على الحال. وانا ربكم فاتقون: في شق العصا ومخالفة الكلمة.
فتقطعوا امرهم بينهم: فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا
وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه
الامة من اربابها او لها. زبرا: قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة
بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان
لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا
او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل. كل
حزب بما لديهم: من الدين. فرحون: معجبون معتقدون انهم على

الحق. فذرهم في غمرتهم: في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة
لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم. حتى حين: الى ان
يقتلوا او يموتوا. ايحسبون انما نمدهم به: انما نعطيهم ونجعله مددا لهم
من مال وبنين: بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه
اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره. نسارع لهم في الخيرات: والراجع
محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم
بل لا يشعرون: بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا
ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممدود به ويسارع مبنيا للمفعول.
ان الذين هم من خشية ربهم: من خوف عذابه. مشفقون: حذرون.
والذين هم بايات ربهم: المنصوبة والمنزلة. يؤمنون: بتصديق
مدلولها. والذين هم بربهم لا يشركون: شركا جليا ولا خفيا. والذين
يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من
الطاعات. وقلوبهم وجلة: خائفة ان لا تقبل منهم وان لا يقع على
الوجه اللائق فيؤاخذ به. انهم الى ربهم راجعون: لان مرجعهم اليه او
من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم. اولئك يسارعون في الخيرات:
يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في
نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها
كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم.
وهم لها سابقون: لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة
او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت
لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون. لا نكلف نفسا الا وسعها:
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحون وتسهيله على
النفوس. ولدينا كتاب: يعني اللوح او صحف الاعمال. ينطق بالحق:
بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع. وهم لا يظلمون: بزيادة

يأتون ما آتوا

عقاب او نقصان ثواب. بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة
غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة و
لهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية
عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا
مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام
المحرقة اذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط
والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب. لا تجأروا اليوم
فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي
اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من
جهتنا. قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم
تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها و
النكوص الرجوع قهقرى. مستكبرين به الضمير للتكذيب او للبيت و
شهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لآياتي
فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم
على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر
القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة
وقرئ سمرا جمع سامر. تهجرون من الهجر بفتح الهاء اما بمعنى
القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شانه والهجر
بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجّرون
على المبالغة. افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق
من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم
يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسماعيل واعقابه فآمنوا

فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه. ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة
والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء
فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء
قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث
عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد. ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله
وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا. بل جاءهم بالحق واكثرهم
للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد
الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة
فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق. ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان
في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما
سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق
اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم من نظام فلا يبقى او لو اتبع الله اهواءهم
بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك
السموات والارض وهو على اصل المعتزلة. بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين وقرئ بذكراهم. فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه. ام
تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك
رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن
عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة
على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله
اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير
الرازقين تقرير لخيرية خراجه. وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول
السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه
الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار
والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة. وان الذين لا يؤمنون

بالآخرة عن الصراط لناكبون: يعدلون عنه فإن خوف الآخرة أقوى البواعث (عن الصراط السوي)
على طلب الحق وسلوك طريقه. ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر: يعني القحط
للجّوا: لثبتوا، واللجاج التمادي في الشيء. في طغيانهم: إفراطهم في الكفر و
الاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين. يعمهون: عن الهدى. روي
أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين
قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت. ولقد أخذناهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر. فما استكانوا لربهم وما يتضرعون: بل أقاموا على
عتوهم، واستكان استفعل من الكون لأن المفتقر انتقل من كون إلى كون أو (استكان)
افتعل من السكون أشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على
ما قبله. حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد: يعني الجوع فإنه أشد
من الأسر والقتل. إذا هم فيه مبلسون: متحيرون آيسون من كل خير
حتى جاءك أعتاهم يستعطفك. وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار
لتحسوا بها ما نصب من الآيات. والأفئدة: لتتفكروا فيها وتستدلوا بها إلى غير
ذلك من المنافع الدينية والدنيوية. قليلا ما تشكرون: تشكرونها شكرا قليلا
لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجلها والإذعان لمانحها
من غير إشراك وما صلة للتأكيد. وهو الذي ذرأكم في الأرض: خلقكم وبثكم
فيها بالتناسل. وإليه تحشرون: تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم. وهو الذي
يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار: ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره (به تعاقبه)
فيكون ردا لنسبته إلى الشمس حقيقة لأمره وقضائه تعاقبهما أو انتقاص
أحدهما وازدياد الآخر. أفلا تعقلون: بالنظر والتأمل أن الكل منا
وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها، وقرئ بالياء على أن
الخطاب السابق لتغليب المؤمنين. بل قالوا: أي كفار مكة. مثل ما قال الأولون
آباؤهم ومن دان بدينهم. قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا
لمبعوثون: استبعادا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا

مخلوقا. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير
الأولين: إلا أكاذيبهم التي كتبوها، جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى
كالأعاجيب والأضاحيك، وقيل جمع أسطار جمع سطر. قل لمن الأرض
ومن فيها إن كنتم تعلمون: إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون
استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح
وإلزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن
يجيبوا فقال. سيقولون لله: لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى
نظر إلى الإقرار بأنه خالقها. قل: أي بعد ما قالوا. أفلا تذكرون:
فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قدر على إيجادها ثانيا فإن
بدء الخلق ليس بأهون من إعادته، وقرئ تتذكرون على الأصل. قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم: فإنها أعظم من ذلك. سيقولون
لله: قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال
قل أفلا تتقون: عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته
على بعض مقدوراته. قل من بيده ملكوت كل شيء: ملك غاية ما يمكن
وقيل خزائنه. وهو يجير: يغيث من يشاء ويحرسه. ولا يجار عليه: و
لا يغاث أحد ولا يمنع منه، وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة. إن كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فأنى تسحرون: فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد
مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة. بل أتيناهم بالحق: من التوحيد والوعد
بالنشور. وإنهم لكاذبون: حيث أنكروا ذلك. ما اتخذ الله من
ولد: لتقدسه عن مماثلة أحد. وما كان معه من إله: يساهمه في الألوهية
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض: جواب محاجتهم و
جزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب
كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع
بينهم التحارب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات

الى واجب واحد. سبحان الله عما يصفون: من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده. عالم الغيب والشهادة: خبر مبتدا
محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة
وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك
ولهذا رتب عليه. فتعالى عما يشركون: بالفاء. قل رب اما تريني
ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون: من العذاب
في الدنيا والآخرة. رب فلا تجعلني في القوم الظالمين: قرينا لهم
في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلم قد يحيق بمن وراءهم كقوله
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبره
ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار. وانا على
ان نريك ما نعدهم لقادرون: لكنا نؤخره علما بان بعضهم
او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم
الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة
ادفع بالتي هي احسن السيئة: وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك
وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه
من التنصيص على التفضيل. نحن اعلم بما يصفون: بما يصفونك به
او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين: واصل الهمز — وساوسهم
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب
على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف
اليه. واعوذ بك رب ان يحضرون: يحوموا حولي في شيء من
الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران وحلول الاجل لانها
احرى الاحوال بان يخاف عليه. حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق

متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله
عن الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله وانهم لكاذبون
قال: تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر. رب ارجعون
ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا
اطرقا. لعلي اعمل صالحا فيما تركت: في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان
واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما
الكافر فيقول رب ارجعون. كلا: ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها. انها — كلمة
يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض
هو قائلها: لا محالة لتسلط الحسرة عليه. ومن ورائهم: امامهم والضمير للجماعة
برزخ: حائل بينهم وبين الرجعة. الى يوم يبعثون: يوم القيامة وهو اقناط كلي
عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة
تكون في الآخرة. فاذا نفخ في الصور: لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو
وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة. فلا انساب بينهم
لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها. يومئذ: كما يفعلون اليوم. ولا يتساءلون — دلون
ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون لانه عند النفخة وذاك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار
فمن ثقلت موازينه: موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد و
اعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر. فاولئك هم المفلحون: الفائزون
بالنجاة والدرجات. ومن خفت موازينه: ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار
لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. فاولئك الذين خسروا انفسهم: غبنوها حيث
ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها. في جهنم خالدون — لدون
بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك. تلفح وجوههم النار: تحرقها واللفح كالنفح
الا انه اشد تاثيرا. وهم فيها كالحون: عن شدة الاحتراق والكلوح

تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون. الم تكن اياتي تتلى عليكم: على اضمار
القول اي يقال لهم الم تكن. فكنتم بها تكذبون: تانيب وتذكير لهم بما استحقوا
هذا العذاب لاجله. قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا: ملكتنا بحيث صارت
احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة
وقرئ بالكسر كالكتابة. وكنا قوما ضالين عن الحق. ربنا اخرجنا منها: من النار
فان عدنا: الى التكذيب فانا ظالمون: لانفسنا. قال اخسؤوا فيها: اسكتوا
سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ. ولا
تكلمون: في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين
فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسؤوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء. انه
ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه. كان فريق من عبادي: يعني المؤمنين وقيل
الصحابة وقيل اهل الصفة. يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا و
انت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا: هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي
هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة و
عند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية
حتى انسوكم ذكري: من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي
وكنتم منهم تضحكون: استهزاء بهم. اني جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذاكم. انهم هم الفائزون: فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين
به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي بالكسر استئنافا. قال: اي الله
او الملك المامور بسؤالهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل على الامر للملك او لبعض
رؤساء اهل النار. كم لبثتم في الارض: احياء وامواتا في القبور. عدد
سنين: تمييز لكم. قالوا لبثنا يوما او بعض يوم: استقصارا

استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت
ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم
فاسأل العادين: الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه
من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس
ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون. قال: وفي قراءة الكوفيين قل
ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون: تصديق لهم في مقالهم. افحسبتم انما
خلقناكم عبثا: توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي
لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل
على البعث. وانكم الينا لا ترجعون: معطوف على انما خلقناكم او عبثا و
قرا حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم. فتعالى الله الملك الحق
الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه و
في حال دون حال. لا اله الا هو: فان ما عداه عبيده. رب العرش
الكريم: الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك
وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب
ومن يدع مع الله الها اخر: يعبده افرادا او اشراكا. لا برهان له
به: صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد وبناء
الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل
على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك. فانما حسابه عند ربه فهو
مجاز له مقدار ما يستحقه. انه لا يفلح الكافرون: ان الشان وقرئ انه بالفتح
على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح
المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره و
يسترحمه فقال. وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه صلى الله عليه و

سلم انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد
افلح المؤمنون حتى ختم العشر. وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من
عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

سورة النور

اربع وستون اية. بسم الله الرحمن الرحيم سورة: اي هذه سورة
او فيما اوحينا اليك سورة. انزلناها: صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصب
فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه. وفرضناها: وفرضنا ما فيها
من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرايضها او المفروض عليهم
او للمبالغة في ايجابها. وانزلنا فيها ايات بينات: واضحات
الدلالة. لعلكم تذكرون: فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال. الزانية و
الزاني: اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء
والخبر. فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة: والفاء لتضمنهما معنى الشرط
اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من
نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب
يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها و
الجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد
الشافعي تغريب الحر سنة لقوله عليه الصلوة والسلام البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينتسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا
او مردودا وللحنفية في الاحصان بالحرية والبلوغ والعقل و متواتره خبر احاد
الاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه
الصلوة والسلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد
بالمحصن الذي يحص به من المسلم. ولا تاخذكم بهما رافة: رحمة في دين الله
في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال صلى الله عليه و
سلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرا ابن كثير بفتح الهمزة

الهمزة وقرئت بالمد على فعالة. ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر: فان
الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين: زيادة في التنكيل فان التفضيح
قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من
الطائفة واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا
يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب
للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من هو زان
او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة
المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من كسبهن
على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني. وحرم ذلك على المؤمنين لانه
تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك
من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي
وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او
منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه سئل
عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد
بالنكاح الوطي فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها
الا زان وهو فاسد. والذين يرمون المحصنات: يقذفونهن بالزنا لوصف
المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة: والقذف بغيره
مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
هاهنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه
بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة ولان قذف النساء
اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة

زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه ولكن ضربه اخف من ضرب
الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده. ولا تقبلوا لهم شهادة
اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على
استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان
في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل
الحد اسوء مما بعده. ابدا: ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره. واولئك
هم الفاسقون: المحكوم بفسقهم. الا الذين تابوا من بعد ذلك: عن القذف
واصلحوا: اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال عن المقذوف
والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزم
سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل
المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم
في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده
فان الله غفور رحيم: علة للاستثناء. والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم: نزلت في هلال بن امية راى رجلا
على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير. فشهادة
احدهم اربع شهادات: فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة
احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه
خبر شهادة. بالله: متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها
انه لمن الصادقين: اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار
وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا. والخامسة: والشهادة الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين: في الرمي وقرا نافع ويعقوب بتخفيف
في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما
بنفسه فرقة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا و
بتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت
حد الزنا على المراة لقوله. ويدرا عنها العذاب: اي الحد. ان تشهد اربع

شهادات بالله انه لمن الكاذبين: فيما رماني به. والخامسة ان
غضب الله عليها ان كان من الصادقين: في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء
وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا
نافع ويعقوب ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء. ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم: متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم
بالعقوبة. ان الذين جاءوا بالافك: بابلغ ما يكون من الكذب من الافك
وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك على عائشة رضي الله عنها
وذلك انه صلى الله عليه وسلم استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول
فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت
الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا
فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء
الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها
حتى اتيا الجيش فاتهمت به. عصبة منكم: جماعة منكم وهي من العشرة الى
الاربعين كذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن
ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه
شرا لكم: مستانف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة
وصفوان رضي الله عنهم والهاء للافك. بل هو خير لكم: لاكتسابكم به الثواب
العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم
شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا. لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الاثم: لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به
والذي تولى كبره: معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه. منهم: من
الخائضين وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي
بمعنى الذين. له عذاب عظيم: في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن

أي صاروا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر
لولا: هلا. إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا: بالذين منهم
المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى
الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين
والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وإنما جاز
الفصل بين لولا وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه
ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لأن الظرف اسم فإن التحضيض على
أن لا تخلو أوانه. وقالوا هذا إفك مبين: كما يقول المستيقن المطلع
على الحال. لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك
عند الله هم الكاذبون: من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فإن ما لا حجة
عليه كذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه. ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة: لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره و
المعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال
للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم. لمسكم: عاجلا
فيما أفضتم فيه: خضتم فيه. عذاب عظيم: يستحقر دونه اللوم و
الجلد إذ ظرف لمسكم أو أفضتم. إذ تلقونه بألسنتكم: يأخذه بعضكم
من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الأصل
وتلقونه من لقيه إذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقاء
بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه
من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه. وتقولون بأفواهكم ما ليس
لكم به علم: أي تقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب
لأنه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم
وتحسبونه هينا: سهلا لا تبعة له. وهو عند الله عظيم: في الوزر و
استجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب
العظيم تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم

عليكم ح
متو

استعظامهم لذلك وهو عند الله عظيم. ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا أن نتكلم بهذا: ما ينبغي وما يصح لنا. سبحانك هذا: يجوز أن يكون الإشارة
إلى القول المخصوص وأن يكون إلى نوعه فإن قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا
عن تعرض الصديقة رضي الله عنها ابنة الصديق رضي الله عنه حرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم. بهتان عظيم: تعجب ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل
متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب أو تنزيه
لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة فإن الفجور ما ينفر
عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله
يعظكم الله: لعظم المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار
متعلقاتها. أن تعودوا لمثله: كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا. أبدا:
ما دمتم أحياء مكلفين. إن كنتم مؤمنين: فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع
ويبين الله لكم الآيات: الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا
وتتأدبوا. والله عليم: بالأحوال كلها. حكيم: في تدابيره ولا يجوز الكشخنة
على نبيه ولا يقرره عليها. إن الذين يحبون: يريدون. أن تشيع: أن تنتشر
الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة: بالحد والسعير
إلى غير ذلك. والله يعلم: ما في الضمائر. وأنتم لا تعلمون: فعاقبوا
في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب
من حب الإشاعة. ولولا فضل الله عليكم ورحمته: تكرير للمنة بترك المعاجلة
بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة وكذا عطف قوله وأن الله رؤوف رحيم: على
حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة. يا أيها
الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان: بإشاعة الفاحشة وقرأ نافع
والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكون الطاء وقرئ بفتح الطاء. ومن يتبع خطوا
فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر: بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه
والمنكر ما أنكره الشرع. ولولا فضل الله عليكم ورحمته: بتوفيق التوبة
الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها. ما زكى: ما طهر من دنسها

حرمة الرجل حرمته
نسبة الزوجة إلى الفاحشة
ت الشيطان

من احد ابدا: آخر الدهر. ولكن الله يزكي من يشاء: بحمله على التوبة وقبولها. والله سميع: لمقالتهم. عليم: بنياتهم. ولا يأتل: ولا يحلف افتعال من الالية او لا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال وانه نزل في ابي بكر رضي الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين. اولوا الفضل منكم: في الدين. والسعة: في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه وشرفه. ان يؤتوا: على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات. اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله: صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود. وليعفوا: ما فرط منهم. وليصفحوا: بالاغماض عنه. الا تحبون ان يغفر الله لكم: على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم. والله غفور رحيم: مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته. ان الذين يرمون المحصنات: العفائف. الغافلات: مما قذفن به. المؤمنات بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كابن ابي. لعنوا في الدنيا والآخرة: كما طعنوا فيهن. ولهم عذاب عظيم: لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رضي الله عنها. يوم تشهد عليهم: ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل. السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون: يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب. يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق: جزاءهم المستحق. ويعلمون: لمعاينتهم الامر. ان الله هو الحق المبين: الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثو

الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة. الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات: اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك: يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول عليه الصلوة والسلام وعائشة رضي الله عنها وصفوان رضي الله عنه. مبرؤون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم. لهم مغفرة ورزق كريم: يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته. يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم: التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخل الا باذن. حتى تستأنسوا: تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا اهلها انسانا من الانس. وتسلموا على اهلها: بان تقولوا السلام عليكم ادخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع. ذلكم خير لكم: اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية فان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استأذن عليها كلما دخلت

مما يقولون

قال الحسن ان نزاما عن بابه قال الا قال فاستأذن . لعلكم تذكرون : متعلق
بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو
اصلح لكم . فان لم تجدوا فيها احدا : يأذن لكم . فلا تدخلوها حتى يؤذن
لكم : حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات
فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور
واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها . وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا : ولا تلحوا . هو ازكى لكم : الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو
الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم
ودنياكم . والله بما تعملون عليم : فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم
به فيجازيكم عليه . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة : كالربط
والحانات والحوانيت . فيها متاع : استمتاع لكم : كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء مما
الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها . والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون : وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات . قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم : اي ما يكون نحو محرم . ويحفظوا فروجهم
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر
بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ها هنا خاصة
سترها . ذلك ازكى لهم : انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة . ان الله خبير
بما يصنعون : لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن : فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن
النظر اليه من الرجال . ويحفظن فروجهن : بالتستر والتحفظ عن الزنا وتقديم
الغض لان النظر بريد الزنا . ولا يبدين زينتهن : كالحلي والثياب والاصباغ
فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له . الا ما ظهر منها : عند مزاولة الاشياء
كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف

المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان
لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن
الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة
وتحمل الشهادة . وليضربن بخمرهن على جيوبهن : سترا لاعناقهن . ولا
يبدين زينتهن : كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له . الا
لبعولتهن : فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن
حتى الفرج بكره . او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن : لكثرة مداخلتهم عليهن
واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع
من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند
المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان
او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم . او
نسائهن : يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف . او ما ملكت ايمانهن
يعم الاماء والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى فاطمة
بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلوة والسلام
انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء
وعبد المرأة كالاجنبي . او التابعين غير اولي الاربة من الرجال
اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي
المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر بالنصب على
الحال . او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء : لعدم
تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من
الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة

الوصف. ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في
الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون: اذ لا يكاد يخلو احد منكم من
تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه
في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على
الكف عنه كلما يتذكر. لعلكم تفلحون بسعادة الدارين. و
انكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم: لما نهى عما عسى
يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية و
مزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح
الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب
تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة
والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى
وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان
او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي فان كنت افتى
منكم اتايم. وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم
اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه. ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله: رد لما عسى يمنع عن النكاح والمعنى لا
يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه
غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء. والله واسع
ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته. عليم: يبسط
الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته. وليستعفف: وليجتهد في
العفة وقمع الشهوة. الذين لا يجدون نكاحا: اسبابه ويجوز ان

ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه. حتى يغنيهم الله
من فضله: فيجدوا ما يتزوجون به. والذين يبتغون الكتاب
المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان
السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله
او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى
بعض. مما ملكت ايمانكم: عبدا كان او امة والموصول بصلته
مبتدا او خبره. فكاتبوهم: او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء
لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن
الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة
ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم
فيما لا يوجد عند المحل. ان علمتم فيهم خيرا: امانة وقدرة على اداء المال
بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر
لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز. وآتوهم من مال
الله الذي آتاكم: امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي
معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول و
عن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب
لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة
المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه
صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة
هو لها صدقة ولنا هدية. ولا تكرهوا فتياتكم: اماءكم. على البغاء: على
الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن
الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. ان
اردن تحصنا: تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا
للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي
وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا

عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد
اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة
لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل
واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات
التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا ابن
عامر وحمزة والكسائي وحفص بكسر الياء لانها واضحات تصدقها الكتب
المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام
والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم
اي قصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها كقصة يوسف
ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص
المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات
المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في
الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات
كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهذا
المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد
كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ
فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة و
الانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم
يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره
واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه
وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها
من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف
الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها
وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات ويغوص

يغوص في بواطنها ويتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الانوار
ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله
سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا
انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله عنهما معناه هادي من فيهما
فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى
المتعلق بهما والمدلول عليهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان
واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره
كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج
ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيل
المشتعل المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة
كانها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب
الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او يدفع ضوئه
بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر
على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي درئ كشريب وقد قرئ مقلوبا
توقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة
الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة
ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر
وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء
كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد
بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع
الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون
على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا
نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه
اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في

تغيب عليها وإنما تقرّ كها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات
في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى . يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أي
يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه . نور على نور
نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت
وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل
وجوه الأول أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه للهدى من
حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وإنما
ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه بها أوفق من تشبيهه بالشمس
أو تمثيل لما نور الله قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة
المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أبي مثل نور المؤمن أو تمثيل لما
منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نوط بها المعاش و
المعاد وهي الحاسة التي تدرك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية
متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي
تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي
تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية
بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالأشياء
الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة
والزيت فإن الحاسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى
الظاهر لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات
والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها
للأنوار العقلية وإنارتها بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة
كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمفكرة كالشجرة
المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت
التي لا يكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين

المقنأة الموضع الذي لا تطلع عليه الشمس

الذي هو مادة المصابيح م

451

بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة
القدسية كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف
من غير تفكر ولا تعليم أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها
في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل
النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار وذلك التمكن
إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت وإن
كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل
بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل
عنها ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت
كان كالمصباح فإذا استحضرها كان نورا على نور . يهدي الله
لنوره : لهذا النور الثاقب . من يشاء : فإن الأسباب دون
مشيئته لاغية إذ بها تمامها . ويضرب الله الأمثال للناس إدناء
للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا . والله بكل شيء
عليم : معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد
لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها . في بيوت : متعلق بما قبله أي كمشكاة
في بعض بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون
تحبيرا ومبالغة فيه فإن قناديل المساجد تكون أعظم أو تمثيلا لصلاة
المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة
إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو
بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لأنه من صلة أن فلا يعمل فيما
قبله أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لأن الصفة
تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم . أذن الله أن ترفع
بالبناء أو التعظيم . ويذكر فيها اسمه : عام فيما يتضمن ذكره حتى
المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه . يسبح له فيها بالغدو والآ

ان م

صال

رجال: ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا، و
الغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع
اصيل، وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل، وقرا ابن عامر وعاصم
يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما
دل عليه، وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده
الى اوقات الغدو. لا تلهيهم تجارة: لا تشغلهم معاملة رابحة. ولا بيع
عن ذكر الله: مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة
او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى
وقيل المراد بالتجارة الشرى فانها اصلها ومبدؤها، وقيل الجلب لانه الغالب
ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه، وفيه ايماء بانهم تجار. واقام الصلوة:
عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا. وايتاء الزكوة: ما يجب اخراجه
من المال للمستحقين. يخافون يوما: مع ما هم عليه من الذكر والطاعة
تتقلب فيه القلوب والابصار: تضطرب وتتغير من الهول، او تتقلب
احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر، او
تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم. ليجزيهم الله: متعلق بيسبح او لا تلهيهم
او يخافون. احسن ما عملوا: احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من
الجنة. ويزيدهم من فضله: اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم.
والله يرزق من يشاء بغير حساب: تقرير للزيادة وتنبيه على كمال
القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان. والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة: والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها
صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما
يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب
اي يجري، والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية، وقيل جمع كجار وجيرة

وقرئ بقيعات كديمات في ديمة. يحسبه الظمآن ماء: اي العطشان
وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة. حتى اذا جاءه
جاء ما توهمه ماء او موضعه. لم يجده شيئا: مما ظنه. ووجد الله عنده
عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه. فوفاه حسابه: استعراضا
او مجازاة. والله سريع الحساب: لا يشغله حساب عن حساب، روي
انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما
جاء الاسلام كفر. او كظلمات: عطف على كسراب، واو للتخيير فان
اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق
كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب، او للتنويع فان اعمالهم
ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات، او للتقسيم باعتبار
وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة. في بحر لجي: ذي لج اي عميق
منسوب الى اللج وهو معظم الماء. يغشاه: يغشى البحر. موج من فوقه موج
اي امواج مترادفة متراكمة. من فوقه: من فوق الموج الثاني. سحاب: غطى
النجوم وحجب انوارها، والجملة صفة اخرى للبحر. ظلمات: اي هذه ظلمات
بعضها فوق بعض: وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى
وباضافة السحاب اليها في رواية البزي. اذا اخرج يده: وهي اقرب ما
يرى اليه. لم يكد يراها: لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا
غير النأي المحبين لم يكد. رسيس الهوى من حب مية يبرح. والضمائر
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه. ومن لم يجعل الله له نورا
ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه باسبابها. فما له من نور: خلاف الموفق
الذي له نور على نور. الم تر: الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة
بالوحي او الاستدلال. ان الله يسبح له من في السموات والارض: ينزه
ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض، ومن لتغليب العقلاء، او الملائكة
والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال. والطير: على الاول
تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صا

فات

فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا وطبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع. الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه على بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى اجزاء البخار قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث لمحا

ملقا

شقوقه

لمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد. يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء. يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك. ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى البصيرة. والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بمن ليوافق تفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة. يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء. لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة. ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة

من يمشي على بطنه

بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه و
سلم. واطعنا: اي اطعنا لهما. ثم يتولى: بالامتناع عن قبول حكمه فريق
منهم من بعد ذلك: من بعد قولهم هذا. وما اولئك بالمؤمنين: اشارة
الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان امنوا بالسنتهم
لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون
عليه. واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم: اي ليحكم النبي صلى الله عليه و
سلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة
حكم الله. اذا فريق منهم معرضون: فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان
الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه. وان يكن
لهم الحق: اي الحكم لا عليهم. ياتوا اليه مذعنين: منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم
واليه صلة ياتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص. افي قلوبهم مرض: كفر او
ميل الى الظلم. ام ارتابوا: بان راوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك.
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله: في الحكومة. بل اولئك هم الظالمون:
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او
في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته
وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف و
الفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه. انما كان قول المؤمنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون:
على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق والمبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي
وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى مصدره على معنى
ليفعل الحكم. ومن يطع الله ورسوله: فيما يامرانه او في الفرائض والسنن
ويخش الله: على ما صدر عنه من الذنوب. ويتقه: فيما بقي من عمره وقرا يعقوب
وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف
فشبه تقه بكتف فخفف. فاولئك هم الفائزون: بالنعيم المقيم. واقسموا

اقسموا بالله جهد ايمانهم: انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم: بالخروج عن
ديارهم واموالهم ليخرجن: جواب لاقسموا على الحكاية. قل لا تقسموا: على الكذب
طاعة معروفة: اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او
طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة. ان الله خبير
بما تعملون: فلا يخفى عليه سرائركم. قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول: امر بتبليغ
ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم. فان تولوا فانما عليه: على محمد
صلى الله عليه وسلم. ما حمل: من التبليغ. وعليكم ما حملتم: من الامتثال. وان
تطيعوه: في حكمه. تهتدوا: الى الحق. وما على الرسول الا البلاغ المبين:
التبليغ الموضح لما كلفتم وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم
فعليكم. وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات: خطاب للرسول
والامة او له ولمن معه ومن للبيان. ليستخلفنهم في الارض: ليجعلنهم خلفاء
متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره
وعد الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم. كما استخلف
الذين من قبلهم: يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة. و
ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم: وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم: من الاعداء. امنا: منهم وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده
فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة
النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو عليه وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم
يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن
منه في الاخرة. يعبدونني: حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات
على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن. لا يشركون
بي شيئا: حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين. ومن كفر: ومن ارتد او
كفر نعمة. بعد ذلك: بعد الوعد او حصول الخلافة. فاولئك هم الفاسقون

وقرا ابن كثير وابو بكر بالتخفيف صح

بهذه النعم

الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك
النعمة العظيمة. واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول: في سائر
ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور
فيكون تكرير الامر لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها
او بالمندرجة تحته بقوله. لعلكم ترحمون: كما علق به الهدى. لا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض: ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم
واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او ولا تحسب الكفار في الارض احدا معجزا
لله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او ولا تحسبنهم معجزين فحذف المفعول
الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرا
ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات. ومأويهم النار:
عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لانه
المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز. ولبئس المصير: المأوى الذي
يصيرون اليه. يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم: رجوع
الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة
فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها
والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء
بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة
ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز
وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا
باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه
الاية. والذين لم يبلغوا الحلم منكم: والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار
فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله. ثلاث مرات: في اليوم و
الليلة مرة. من قبل صلوة الفجر: لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب
النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر

خبر محذوف اي هي من قبل صلوة الفجر. وحين تضعون ثيابكم: اي ثيابكم لليقظة
للقيلولة. من الظهيرة: بيان للحين. ومن بعد صلوة العشاء: لانه وقت التجرد
عن اللباس والالتحاف باللحاف. ثلث عورات لكم: اي هي ثلث اوقات يختل فيها
تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور
المكان ورجل اعور وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن: بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول
عليه وتلك في الاحرار البالغين. طوافون عليكم: اي هم طوافون استيناف ببيان
العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على
تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة بانها عورات. بعضكم
على بعض: بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض. كذلك: مثل ذلك
التبيين. يبين الله لكم الايات: اي الاحكام. والله عليم: باحوالكم. حكيم:
فيما شرع. واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين
من قبلهم: الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان
العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما
للمماليك فلا يندرجون فيهم. كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم:
كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان. والقواعد من النساء: العجائز
اللاتي قعدن عن الحيض والحمل. اللاتي لا يرجون نكاحا: لا يطمعن فيه لكبرهن. فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن: اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه
لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها. غير متبرجات بزينة: غير مظهرات
زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار
ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها
محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال. وان يستعففن خير لهن: من الوضع لانه ابعد من التهمة. والله سميع:
لمقالتهن للرجال. عليم: بمقصودهن. ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج

ولا على المريض حرج: نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم
الى بيوت ابائهم او اولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم
وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول
الاسلام ثم نسخ بنحو ولا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل
نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده. ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم: من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلوة والسلام انت ومالك
لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه. او بيوت
اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت
اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم
مفاتحه: وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا
وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم
او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد
والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة و
لذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ
فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم. ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا او اشتاتا: مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو
من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل
بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الطعام في القزازة والنهمة. فاذا دخلتم بيوتا: من هذه البيوت فسلموا
على انفسكم: على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة. تحية من عند الله
ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة وهي
من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم. مباركة: لانها يرجى بها

زيادة الخير والثواب. طيبة: تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا
دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة
الابرار الاوابين. كذلك يبين الله لكم الايات: كرره ثالثا لمزيد التأكيد
وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو
المقصود منه فقال لعلكم تعقلون: الحق والخير في الامور. انما المؤمنون
اي الكاملون في الايمان. الذين امنوا بالله ورسوله: من صميم قلوبهم. واذا
كانوا معه على امر جامع: كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف
الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع. لم يذهبوا حتى يستأذنوه: يستأذنوا
رسول الله فيأذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز
للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب
ابلغ فقال. ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله:
فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك
فاذا استأذنوك لبعض شأنهم: ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة و
تضييق للامر. فأذن لمن شئت منهم: تفويض للامر الى رأي الرسول صلى الله
عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوض الى رأيه ومن منع ذلك قيد
المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا. واستغفر
لهم الله: بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا
على امر الدين. ان الله غفور لفرطات العباد. رحيم: بالتيسير عليهم. لا
تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا: لا تقيسوا دعاءه
اياكم على دعاء بعضهم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع
بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل
لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به
والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع

التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم
على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء
صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب. قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم: يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج و
تدخل. لواذا: ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له
فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح. فليحذر الذين
يخالفون عن امره: يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف
سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه
عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول صلى الله
عليه وسلم فانه المقصود بالذكر. ان تصيبهم فتنة: محنة في الدنيا. او
يصيبهم عذاب اليم: في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه
يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه
يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب. الا
ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه: ايها المكلفون من
المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد.
ويوم يرجعون اليه: يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون
الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات. فينبئهم بما عملوا: من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه. والله بكل شيء عليم: لا يخفى عليه خافية. عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وبقي

سورة الفرقان مكية

وآيها سبع وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده: تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن
كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على
انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف ولا يستعمل الا لله تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القران لفصله بين
الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن
بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية
ليكون: العبد او الفرقان. للعالمين نذيرا: للجن والانس منذرا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت
مجرى المعلوم وجعلت صلة. الذي له ملك السموات والارض: بدل من الاول
او مدح مرفوع او منصوب. ولم يتخذ ولدا: كزعم النصارى و
لم يكن له شريك في الملك: كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى
ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال: وخلق كل شيء
احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد
مخصوصة وصور واشكال معينة. فقدره تقديرا: فقدره وهيأه لما اراد منه
من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبر
واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك
او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه
الاشتقاق فيكون المعنى اوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا
واتخذوا من دونه آلهة: لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد
على المخالفين فيهما. لا يخلقون شيئا وهم يخلقون: لان عبدتهم ينحتونهم
ويصورونهم. ولا يملكون: ولا يستطيعون. لانفسهم ضرا: دفع ضر
ولا نفعا: ولا جلب نفع. ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك
فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على

تسلل

اى الا ان يحب ان يكون قادرا على البعث والجزاء . وقال الذين كفروا ان هذا
الا افك : كذب مصروف عن وجهه . افتراه : اختلقه . واعانه عليه قوم آخرون
اى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار و
عداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر . فقد جاؤا ظلما : بجعل الكلام المعجز
افكا مختلقا ملفقا من اليهود . وزورا : بنسبة ما هو برئ منه اليه واتى
وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته . وقالوا اساطير الاولين : ما
سطره المتقدمون . اكتتبها : كتبها لنفسه واستكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لانه امى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير
فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه
فهى تملى عليه بكرة واصيلا : ليحفظها فانه امى لا يقدر ان يكرر من الكتاب
او ليكتب . قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض : لانه اعجزكم
عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة
لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين . انه كان غفورا
رحيما : فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم
ان يصب عليكم صبا . وقالوا ما لهذا الرسول : ما لهذا الذى يزعم الرسالة
وفيه استهانة وتهكم . يأكل الطعام : كما نأكل . ويمشى فى الاسواق
لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا
وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور
جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الى انما الهكم اله واحد . لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا : ليعلم صدقه
بتصديق الملك . او يلقى اليه كنز : فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش
او تكون له جنة يأكل منها : هذا على سبيل التنزل اى ان لم يلق اليه كنز فلا
اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه . وقال الظالمون
وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا . ان تتبعون
ما تتبعون . الا رجلا مسحورا : سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر فغلب على عقله

عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اى بشرا لا ملكا . انظر كيف ضربوا لك الامثال
اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة . فضلوا
عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط
العشواء . فلا يستطيعون سبيلا : الى القدح فى نبوتك او الى الرشد
والهدى . تبارك الذى ان شاء جعل لك : فى الدنيا خيرا من ذلك : مما قالوا
ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى . جنات تجرى من تحتها الانهار : بدل
من خيرا . ويجعل لك قصورا : عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر و
ابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله وان
اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالى ولا حرم ويجوز ان يكون
استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو
بل كذبوا بالساعة : فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة
انما هى بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن
الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله
لك فى الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه . واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا : نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه
باعتبار المكان . اذا رأتهم : اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلوة والسلام
لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز
والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم . من مكان بعيد : هو اقصى ما يمكن ان يرى منه
سمعوا لها تغيظا وزفيرا : صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت
المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف . واذا القوا منها مكانا : فى مكان و
منها بيان تقدم فصار حالا . ضيقا : لزيادة العذاب فان الكرب مع
الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض . مقرنين : قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل . دعوا هنالك

في ذلك المكان ثبورا: هلاكا أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا
ثبوراه تعال فهذا حينك. لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا: أي يقال لهم
ذلك. وادعوا ثبورا كثيرا: لأن عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته
أو لأنه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور. قل أذلك خير أم جنة الخلد
التي وعد المتقون: الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل و
الترديد للتقريع مع التهكم أو إلى الكنز والجنة والراجع إلى الموصول محذوف
وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح أو للدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا
كانت لهم في علم الله أو اللوح أو لأن ما وعده الله في تحققه كالواقع. جزاء
على أعمالهم بالوعد. ومصيرا: ينقلبون إليه ولا يمنع كونها جزاء لهم أن
يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر و
التكذيب لأنهم في مقابلتهم. لهم فيها ما يشاؤون: ما يشاؤونه من النعيم و
لعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك
شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة. خالدين
حال من أحد ضمائرهم. كان على ربك وعدا مسؤولا: الضمير في كان
لما يشاؤون والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا حقيقا بأن يسأل ويطلب أو مسؤولا
سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا
وأدخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا
يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب
للإنجاز. ويوم يحشرهم: للجزاء وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص
بالياء. وما يعبدون من دون الله: يعم كل معبود سواه واستعمال ما إما لأن
وضعه أعم ولذلك يطلق على شبح يرى لا يعرف أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل
ومعبوديهم أو لتغليب الأصنام تحقيرا أو اعتبارا لغلبة عبادها أو يخص الملائكة و
عزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان
الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل. فيقول: أي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب

الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون. أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم
ضلوا السبيل: لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح وهو
استفهام تقريع وتبكيت للعبدة وأصله أضللتم أم ضلوا فعكس النظم ليلي
حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لأنه لا شبهة فيه
وإلا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة. قالوا سبحانك: تعجبا مما
قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لا يقدرون على شيء أو إشعارا
بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده أو تنزيها لله
عن الأنداد. ما كان ينبغي لنا: يصح لنا. أن نتخذ من دونك من أولياء: للعصمة أو
عدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ نتخذ على
البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا
ومفعوله الثاني من أولياء ومن للتبعيض وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي. ولكن
متعتهم وآباءهم: بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات. حتى نسوا الذكر
حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال إليهم
من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين مذهب ال
فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة. وكانوا في قضائك. قوما بورا: هالكين مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ. فقد كذبوكم
التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون
بما تقولون: في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في أو مع المجرور بدل
من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا. فما يستطيعون
أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين. صرفا: دفعا للعذاب
عنكم وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال. ولا نصرا: فيعينكم عليه. ومن يظلم
منكم: أيها المكلفون. نذقه عذابا كبيرا: هي النار والشرط وإن عم كل من كفر
أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط
بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا. وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق: أي إلا رسلا إنهم فحذف الموصوف

الجزء ١٩

لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز
ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس. وجعلنا
بعضكم: ايها الناس لبعض فتنة: ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء
والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء
والقدر. اتصبرون: علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم
يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا
به. وكان ربك بصيرا: بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره
وقال الذين لا يرجون: لا يأملون. لقاءنا: بالخير لكفرهم بالبعث او
لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه
الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد
به الرؤية على الاول. لولا: هلا. انزل علينا الملائكة: فيخبرونا بصدق
محمد وقيل فيكونون رسلا الينا. او نرى ربنا: فيأمرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم: اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد
من الانبياء والذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم. وعتوا
وتجاوزوا الحد في الظلم. عتوا كبيرا: بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه
مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة
حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها
كليبا غلت ناب كليب بواؤها. يوم يرون الملائكة: ملائكة الموت
او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه. لا بشرى يومئذ للمجرمين: فانه
بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او
خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا
فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي

البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت اخر
واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع
للبشرى والموجب لما يقابلها. ويقولون حجرا محجورا: عطف على المدلول
اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم
وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة
بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه
لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر
ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت. وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا: اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى
الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط
اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى
اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به
عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث
لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين. اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا: مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس و
التحادث. واحسن مقيلا: مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك
غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور
وغيره من المحاسن ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة
الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما
لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه
يفرغ عن الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار. ويوم تشقق السماء: اصله تتشقق فحذفت التاء وادغمها

بحال م

ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب. بالغمام: بسبب طلوع الغمام
منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة. ونزل الملائكة تنزيلا: في ذلك الغمام بصحائف اعمال
العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل ونزّل الملائكة و
نزّل الملائكة بحذف نون الكلمة. الملك يومئذ الحق للرحمن: الثابت له
لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين
ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وكان
يوما على الكافرين عسيرا: شديدا. ويوم يعض الظالم على يديه: من فرط
الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن
ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى
ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه
فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر
فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات. يقول يا
ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا: طريقا الى النجاة او
طريقا واحدا ولم يتشعب في طرق الضلالة. يا ويلتى: وقرئ بالياء
على الاصل. ليتني لم اتخذ فلانا خليلا: يعني من اضله وفلان كناية عن
الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس. لقد اضلني عن الذكر: عن ذكر
الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة. بعد اذ جاءني
اذ تمكنت منه. وكان الشيطان: يعني الخليل المضل او ابليس لانه
حمله على مخالته ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم او كل من تشيطن
من جن وانس. للانسان خذولا: يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم

فقال م

ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان. وقال الرسول: محمد صلى الله عليه وسلم
يومئذ او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي: قريشا اتخذوا هذا
القرآن مهجورا: بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من
تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا
يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا
فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا
فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف
لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب. وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين: كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا و
فيه دليل على انه خالق الشر والعدو ويحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا
الى طريق قهرهم. ونصيرا: لك عليهم. وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن: اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله. جملة واحدة
دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف
بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله. كذلك لنثبت
به فؤادك: اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه
لان حاله تخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون
فلو القي اليه جملة تعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا
شيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه
اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ
والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على
البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه
مدلول عليه بقوله لولا انزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام
الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام
على الوجهين متعلق بمحذوف. ورتلناه ترتيلا: وقرأناه عليك شيئا بعد

على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصل الترتيل
في الاسنان تفليجها. ولا يأتونك بمثل: سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان
يريدون به القدح في نبوتك. الا جئناك بالحق: الدافع له في جوابه. واحسن
تفسيرا: وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او ولا يأتونك بحال عجيبة
يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في
حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له. الذين يحشرون على وجوههم الى
جهنم: اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة
اليها وعنه عليه الصلوة والسلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف
صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو
منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره. اولئك شر مكانا واضل سبيلا
والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه
الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا
واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف
السبيل بالضلال من الاسناد المجازي. ولقد آتينا موسى الكتاب و
جعلنا معه اخاه هرون وزيرا: يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي
ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه. فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا: يعني فرعون وقومه. بآياتنا فدمرناهم تدميرا
اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو
المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمرا بهم فدمرا انهم على التا[كيد]
بالنون الثقيلة. وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا
وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم: بالطوفان. وجعلناهم: وجعلنا اغراقهم او قصتهم. للناس
آية: عبرة. واعتدنا للظالمين عذابا اليما: يحتمل التعميم والتخصيص فيكون

فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر. وعادا وثمودا: عطف على هم في جعلناهم
او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ ثمود على تأويل القبيلة. و
اصحاب الرس: قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا
فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر غير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا
وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب
حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها
عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على
صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليه حنظلة
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه
في بئر. وقرونا: واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل
مائة وعشرون. بين ذلك: اشارة الى ما ذكر. كثيرا: لا يعلمها الا الله. و
كلا ضربنا له الامثال: بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما اصروا اهلكوا كما قال. وكلا تبرنا تتبيرا: فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات
الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا
لانه فارغ. ولقد اتوا: يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء: يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها: في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب
الله. بل كانوا لا يرجون نشورا: بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة
فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما
يأمله المؤمنون طمعا في الثواب ولا يخافونه على اللغة التهامية. واذا رأوك
ان يتخذونك الا هزوا: ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به. أهذا الذي
بعث الله رسولا: محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج
بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء
ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا. ان كاد: انه كاد ليضلنا

اي دسّوه م

عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة
ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات. لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها
واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان
كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه
لا يهملهم وان امهلهم. ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه
لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به. افانت
تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار. ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في
ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان
منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة. ان هم الا
كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا
من الدلائل والمعجزات. بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن
يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء
لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب
الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها
ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء
ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة على طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء
مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم. الم تر الى ربك الم
تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك
فغير النظم اشعارا بانه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما

اي تمنع

بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع
وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال و
ظل ممدود. ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان
يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس
حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها
ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد
بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف. قبضا يسيرا
قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى
من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات
ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا
اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها و
يتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان تنتهي غاية
نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة و
المظل عليها. وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره
والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا
لقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت. وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر. وهو الذي ارسل الرياح
وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس. نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر
وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر. بين يدي رحمته
يعني قدام المطر. وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم
وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا به ويوقد به قال عليه الصلوة

والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل
سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين
لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف
الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع
مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان
يطهروها فبواطنهم بذلك اولى. **لنحيي به بلدة ميتا**: بالنبات وتذكير ميتا لان
البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد. **ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا**: يعني اهل البوادي الذين
يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى
يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا
السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان
مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة و
الانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك
قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها و
تعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف
ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت
النون ياء. **ولقد صرفناه بينهم**: صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة و
الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما مطر عام اقل من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه
الآية او في الانهار والمنابع. **ليذكروا**: ليتفكروا ويعرفوا كمال
القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم
واليهم. **فابى اكثر الناس الا كفورا**: الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء
كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات

امارات بجعل الله تعالى. **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا**: نبيا
ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك
وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات و
الاجتهاد في الدعوة واظهار الحق. **فلا تطع الكافرين**: فيما يريدونك عليه
وهو تهييج له وللمؤمنين. **وجاهدهم به**: بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا
تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم و
ازاحة باطلهم. **جهادا كبيرا**: لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة
الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم
او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى. **وهو الذي مرج البحرين**:
خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات: قامع للعطش من فرط عذوبته. **وهذا ملح اجاج**: بليغ الملوحة
وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد. **وجعل بينهما برزخا**
حاجزا من قدرته. **وحجرا محجورا**: وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر
ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري
في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل
وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في
الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت و
تلاصقت وتشابهت في الكيفية. **وهو الذي خلق من الماء بشرا**: يعني الذي
خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال و
الهيئات بسهولة او النطفة. **فجعله نسبا وصهرا**: اي قسمه قسمين ذوي نسب
اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن لقوله فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى. **وكان ربك قديرا**: حيث خلق من مادة واحدة
قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى. **ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم**: يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ
ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر. **وكان الكافر على ربه ظهيرا**: يظاهر

الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا
لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم . وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا : للمؤمنين والكافرين
قل ما اسئلكم عليه من اجر على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من
اجر الا من شاء : الا فعل من شاء . ان يتخذ الى ربه سبيلا : ان يتقرب اليه
ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث
انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة
حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا
وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث
انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
فليفعل . وتوكل على الحي الذي لا يموت : في استكفاء شرورهم والاغناء
عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا
ضاع من توكل عليهم . وسبح بحمده : ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه . وكفى به بذنوب
عباده : ما ظهر منها وما بطن . خبيرا : مطلعا فلا عليك ان آمنوا او
كفروا . الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش : قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل
عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر
فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج
الرحمن : خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من
المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي . فاسأل به خبيرا : فاسأل عما ذكر من
الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده
في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم و
على هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن

بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة
خبيرا . واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن : لانهم ما كانوا
يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا . انسجد لما
تأمرنا : اي للذي تأمرناه بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا
لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض . وزادهم : اي الامر
بسجود الرحمن . نفورا : عن الايمان . تبارك الذي جعل في السماء بروجا
يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره . وجعل فيها سراجا
يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار و
قمرا منيرا : مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي قمرا وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون
بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب . وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة : اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه
او بان يتعقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة
لمن اراد ان يذكر : ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم
واجب الذات رحيم على العباد . او اراد شكورا : ان يشكر الله على ما فيه من النعم
او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ
حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه . وعباد الرحمن
مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض : واضافتهم
الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع
عابد كتاجر وتجار . هونا : هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم
يمشون بسكينة وتواضع . واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما : تسلما منكم
ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء
والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء و
ترك مقابلتهم في الكلام . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما : في الصلوة
وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي

وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه. والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما: لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان
مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب
مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار
احوالهم. انها ساءت مستقرا ومقاما: اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم
يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او اخبرا
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل
ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله. والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا: لم يجاوزوا حد الكرم. ولم يقتروا: ولم يضيقوا تضييق
الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب
وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد
والكل واحد. وكان بين ذلك قواما: وسطا وعدلا سمي به لاستقامة
الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل
عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك
لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى
القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه. والذين لا يدعون مع الله الها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله: اي حرمها بمعنى حرم قتلها. الا بالحق:
متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون. ولا يزنون: نفى عنهم امهات
المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا
بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده
ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال: ومن يفعل ذلك يلق اثاما: جزاء اثم
او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة: بدل من يلق لانه في معناه كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا * وقرأ ابو بكر
بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك. ويخلد فيه مهانا: وابن كثير و

كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء
للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعف العذاب مضاعفة العذاب
لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله. الا من تاب وآمن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات: بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في
النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له
بدل كل عقاب ثوابا. وكان الله غفورا رحيما: فلذلك يعفو عن السيئات
ويثيب على الحسنات. ومن تاب: عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا
يتلافى به ما فرط عن المعاصي ودخل في الطاعة. فانه يتوب الى الله متابا:
يرجع الى الله بذلك. متابا: مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب
او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى
الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص. والذين لا
يشهدون الزور: لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب
فان مشاهدة الباطل شركة فيه. واذا مروا باللغو: ما يجب ان يلغى ويطرح
مروا كراما: معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك
الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم: بالوعظ والقراءة. لم يخروا عليها
صما وعميانا: لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع
ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد
النفي للحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول
عليها باللغو. والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة
اعين: بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في
طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع
لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو و
حمزة والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة وتقليلها

لحا
او خرج م

لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم . واجعلنا
للمتقين اماما : يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده
لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله
او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم
واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم
مقتدين بهم . اولئك يجزون الغرفة : اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس
اريد به الجمع كقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها داخل في
من اسماء الجنة . بما صبروا : بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات . ويلقون فيها تحية وسلاما :
دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم
بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر يلقون من لقي . خالدين فيها : لا يموتون ولا يخرجون . حسنت
مستقرا ومقاما : مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا . قل ما يعبؤ بكم
ربي : ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم . لولا دعاؤكم
لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو و
سائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه الهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل
اي عبء يعبأ بكم . فقد كذبتم : بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد
قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب
الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في
جنسهم من العبادة والتكذيب . فسوف يكون لزاما : يكون جزاء التكذيب
لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير
ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم
بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت . وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان

الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل
الجنة بغير نصب

الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست او
سبع وعشرون آية . بسم الله الرحمن الرحيم طسم : قرا حمزة و
الكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين من كراهة العود الى الياء المهروب
منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده . تلك آيات
الكتاب المبين : الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة
او القرآن على ما مر في اول البقرة . لعلك باخع نفسك : قاتل نفسك و
اصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد
الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان
تقتلها حسرة . الا يكونوا مؤمنين : لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا . ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية : دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه . فظلت
اعناقهم لها خاضعين : منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات
العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا
عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف اكن
على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح . وما ياتيهم من ذكر : موعظة او طائفة
من القرآن . من الرحمن : بوحيه الى نبيه . محدث : مجدد انزاله لتكرير التذكير و
تنويع التقرير . الا كانوا عنه معرضين : الا جددوا اعراضا عنه واصرارا
على ما كانوا عليه . فقد كذبوا : اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه
بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر عنهم ضمنا في قوله . فسياتيهم : اي
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة . انباء ما كانوا به يستهزؤون
من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بالتصديق او بتعظيم قدره او بتكذيب

فيستحق امره. اولم يروا الى الارض: اولم ينظروا الى عجائبها
كم انبتنا فيها من كل زوج: صنف كريم: محمود كثير المنفعة وهو صفة
لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة
وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها. ان في ذلك: ان في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لاية: على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة
وما كان اكثرهم مؤمنين: في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات
العظام. وان ربك لهو العزيز: الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم
حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن. واذ نادى ربك
موسى: مقدر باذكر او ظرف لما بعده. ان ائت: اي ائت او بان ائت
القوم الظالمين: بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم. قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون
كان اولى بذلك. الا يتقون: استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار
تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا
لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل
اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على
التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة
ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا. قال رب اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون
رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب
وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى
معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر
حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة
على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب

بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه. ولهم علي ذنب اي
تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه
ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع. فاخاف ان
يقتلون: به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع
للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا
فاذهبا باياتنا: اجابة له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم ردعه عن
الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر
لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب انت والذي طلبته. انا معكم: يعني موسى وهرون وفرعون
مستمعون: سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن
حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامدادهم اولياءه منهم مبالغة
في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي
مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين: افرد الرسول لانه مصدر
وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما
فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد
اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد
ان كل واحد منا. ان ارسل معنا بني اسرائيل: اي ارسل لتضمن الرسول
معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام
قال: اي فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا: في منازلنا
وليدا: طفلا سمي به لقربه من الولادة. ولبثت فينا من عمرك سنين
قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم
الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين. وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر
لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين: بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي

او ممن تكون عليه الآن فانه كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان
يكون حكما مستقلا عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالنعي افتراء او
من الذين كانوا يكفرون في دينهم. قال فعلتها اذا وانا من الضالين: من
الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين
لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب او الناسين
من قوله ان تضل احدهما. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما و
جعلني من المرسلين: رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عد
عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه
كان في الحقيقة نقمة لكونها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل و
قصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك
وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل
ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب
بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها
والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله
لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه. قال فرعون وما رب
العالمين: لما سمع جواب طعنه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في
الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل. قال رب السموات
والارض وما بينهما: عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد
الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله. ان كنتم موقنين: اي ان كنتم
موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها و
تعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون
مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب
او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب

نه مسببا م

التركيب في ذاته. قال لمن حوله الا تستمعون: جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر
افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى المؤثر. قال ربكم ورب آبائكم الاولين: عدولا
الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب
الى الناظر واوضح عند التأمل. قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون:
اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية. قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما: تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها
على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به
امور الكائنات. ان كنتم تعقلون: ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب
لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم
قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين: عدولا الى التهديد
عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه
الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى
غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق
العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني
فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك.
قال اولو جئتك بشيء مبين: اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق
دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة
على صدق مدعي نبوته والواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل. قال
فأت به ان كنت من الصادقين: في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة
لا بد له من حجة. فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين: ظاهر ثعبانيته واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر. ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين: روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها
فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى
الابصار ويسد الافق. قال للملأ حوله: مستقرين حوله فهو ظرف وقع

470

تحوف

موقع الحال. ان هذا لساحر عليم: فائق في علم السحر. يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تامرون: بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى
الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار
عن ظهوره واستيلائه على ملكه. قالوا ارجه واخاه: اخر امرهما وقيل احبسهما
وابعث في المدائن حاشرين: شرطا يحشرون السحرة. ياتوك بكل سحار عليم
يفضلون في هذا الفن وقرئ بكل ساحر. فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة. وقيل للناس
هل انتم مجتمعون: فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول
تابط شرا. هل انت باعث دينار لحاجتنا. او عبد رب اخا عون بن مخراق
اي ابعث احدهما الينا سريعا. لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع و
مقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى. فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم
لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا اذ على ما تقتضيه من الجواب
والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان. قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
اي بعد ما قالوا اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر و
التمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق.
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون: اقسموا
بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان
يؤتى به من السحر. فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف: التلقف تناول الشيء
بسرعة تبتلع وقرا حفص تلقف. ما يافكون: ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم و
تزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به
مبالغة. فالقي السحرة ساجدين: لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل
على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له فان التبحر في كل فن نافع
وانما بدل الخر بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا

تمالكوا انفسهم كانهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما
خولهم من التوفيق. قالوا امنا برب العالمين: بدل من القي بدل الاشتمال او
حال باضمار قد. رب موسى وهارون: ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على
ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما. قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر: فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه
اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا على بصيرة وظهور حق وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر وروح ءامنتم بهمزتين. فلسوف تعلمون: وبال ما فعلتم و
قوله. لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين: بيان له. قالوا
لا ضير علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون: بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب
موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا: لان كنا. اول المؤمنين: من اتباع
فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره
ان احسنت اليك فلا تنس حقي. واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي: وذلك بعد
سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا و
قرا ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير. انكم
متبعون: يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم
مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين
تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم. فارسل فرعون: حين اخبر
بسراهم. في المدائن حاشرين: العساكر ليتبعوهم. ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى
جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط
كل سبط منهم قليل. وانهم لنا لغائظون: لفاعلون ما يغيظنا. وانا
لجميع حاذرون: وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار

لو الاخبر

او الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم و
وجوب التيقظ فى شانهم حثا عليه او اعتذارا بذلك الى اهل المداين كيلا يظن به ما يكسر
سلطانه وقرا ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر
المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى
اقويا قال • احب الصبى السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر •
او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم • فاخرجناهم : بان خلقنا
داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه • من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم : يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية • كذلك : مثل ذلك الاخراج اخرجنا
فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك
فيكون خبر المحذوف • واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم : وقرئ فاتبعوهم
مشرقين : داخلين فى وقت شروق الشمس • فلما ترا الجمعان : تقاربا بحيث
يرى كل منهما الاخر وقرئ ترات الفئتان • قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدركون بالتشديد من ادرك الشى اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون
فى الهلاك على ايديهم • قال كلا : لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم • ان معى
ربى سيهدين : طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى
فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى
اومر بما اصنع • فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر : القلزم او
النيل • فانفلق : اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك • فكان
كل فرق : كل قطعة • كالطود العظيم : كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها
كل سبط فى شعب • وازلفنا : وقربنا • ثم : الاخرين : فرعون وقومه حتى
دخلوا على اثرهم مداخلهم • وانجينا موسى ومن معه اجمعين : بحفظ البحر على
تلك الهيئة الى ان عبروا • ثم اغرقنا الاخرين : باطباقه عليهم • ان فى ذلك لاية
واية اية • وما كان اكثرهم مؤمنين : وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن
بقى فى مصر من القبط وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا
العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة • وان ربك لهو العزيز : المنتقم

المنتقم من اعدائه • الرحيم : باوليائه • واتل عليهم : على مشركى العرب نبا ابرهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون : سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين : فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه
تبجحا به وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل • قال هل يسمعونكم : يسمعون دعاكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك
لدلالة • اذ تدعون : عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعوتكم ومجيئه مضارعا
مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها • او ينفعونكم : على عبادتكم
لها • او يضرون : من اعرض عنها • قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعرضوا
عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجؤا الى التقليد • قال افرايتم
ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون : فان التقدم لا يدل على الصحة ولا
ينقلب به الباطل حقا • فانهم عدو لى : يريد انهم اعدا العابدين لهم من حيث انهم
يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى لعبادتهم اعدى
اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من
التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد
العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب • الا رب العالمين : استثنا
منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله
الذى خلقنى فهو يهدين : لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد
كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا الايجاد الى منتهى اجله يتمكن بها من
جلب المنافع ودفع المضار مبداها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث
من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل
الموصول مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم
لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله • والذى هو يطعمنى ويسقين : على الاول
مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على
الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم • واذا
مرضت فهو يشفين : عطف على يطعمنى ويسقين لانهما من روادفهما من حيث ان الصحة

بالنسبة م

والمرض في الاغلب بسبب الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض الي
لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من
حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال
وصلة الي نيل المحاب التي تستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن و
البلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه
وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ
اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم . والذي
يميتني ثم يحيين : في الآخرة . والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب
لان يغفر لهم ما يفرط منهم استغفار الانبياء بقدر منهم من الصغائر وحمل الخطيئة
على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض
وليست خطايا . رب هب لي حكما : كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق
ورياسة الخلق . والحقني بالصالحين : ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في
عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره
واجعل لي لسان صدق في الآخرين : جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره
الي يوم القيمة ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي
يجدد اصل ديني ويدعو الناس الي ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه
وسلم . واجعلني من ورثة جنة النعيم : في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها . و
اغفر لابي : بالهداية والتوفيق للايمان . انه كان من الضالين : طريق الجنة
وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار . ولا تخزني
بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة
وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب ابي او ببعثه في عداد الضالين وهو
من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء . يوم يبعثون : الضمير للعباد
لانهم معلومون او للضالين . يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله

الله بقلب سليم : اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل
المعاصي وساير آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله
في سبيل البر وارشد بنيه الي الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله
مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون
اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله بقلب سليم
ينفعه . وازلفت الجنة للمتقين : بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم
المحشورون اليها . وبرزت الجحيم للغاوين : فيرونها مكشوفة ويتحسرون على
انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد . وقيل لهم اين
ما كنتم تعبدون من دون الله : اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل
ينصرونكم : بدفع العذاب عنكم . او ينتصرون : بدفعه عن انفسهم لانهم و
الهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون : اي الالهة و
عبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى
حتى يستقر في قعرها . وجنود ابليس : متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه
اجمعون : تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه
وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه قوله . قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان
كنا لفي ضلال مبين : على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب
في قوله . اذ نسويكم برب العالمين : اي في استحقاق العبادة ويجوز ان
يكون الضمير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم
مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهم كانوا في الضلال متحسرون عليها . وما
اضلنا الا المجرمون . فما لنا من شافعين : كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء
ولا صديق حميم : اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما
لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة
لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة
الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما
يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل

مصدر كالحنين والصهيل. فلو ان لنا كرة: تمنٍّ للرجعة واقيم فيه لو مقام
ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه. فنكون من المؤمنين:
جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون. ان في ذلك: فيما
ذكر من قصة ابراهيم. لآية: لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها
جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من
الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته
للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق
الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى
لهم الى الاستماع والقبول. وما كان اكثرهم: اكثر قومه. مؤمنين: به وان
ربك لهو العزيز: القادر على تعجيل الانتقام. الرحيم: بالامهال لكي يؤمنوا
هم او احد من ذريتهم. كذبت قوم نوح المرسلين: القوم مؤنثة ولذلك
يصغر على قويمة. وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين. اذ قال لهم اخوهم
نوح: لانه كان منهم. الا تتقون: الله فتتركوا عبادة غيره. اني لكم
رسول امين: مشهور بالامانة فيكم. فاتقوا الله واطيعون: فيما
امركم به من التوحيد والطاعة لله. وما اسئلكم عليه: على ما انا عليه
من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا
الله واطيعون: كرره للتاكيد والتنبيه على ان كل واحد من امانته
وحسم طمعه علة لطاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا. قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون: الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرا
يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال
وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا
اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا
على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما
هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون: انهم عملوه
اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر. ان حسابهم الا

على ربي: ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها. لو تشعرون
لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون. وما انا بطارد المؤمنين
جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا
اتباعهم المانع عنه وقوله. ان انا الا نذير مبين: كالعلة له اي ما انا
الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء
او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا
انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا علي ان اطردهم لاسترضائكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح: عما تقول. لتكونن من المرجومين: من المشتومين
او المضروبين بالحجارة. قال رب ان قومي كذبون: اظهارا لما يدعو
عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخوفهم له واستخفافهم عليه. فافتح
بيني وبينهم فتحا: فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة. ونجني ومن معي من
المؤمنين: من قصدهم او شؤم عملهم. فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون: المملوء. ثم اغرقنا بعد: بعد انجائه. الباقين: من قومه
ان في ذلك لآية: شاعت وتواترت. وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين: انثه باعتبار
القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم. اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين: تصدير القصص بها دلالة على
ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع
الدنيئة والاغراض الدنيوية. اتبنون بكل ريع: بكل مكان مرتفع
ومنه ريع الارض لارتفاعها. آية: علما للمارة. تعبثون
ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون
اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر

عليهم او قصورا يفتخرون بها او يتخذون مصانع: مآخذ الماء و
قيل قصورا مشيدة وحصونا. لعلكم تخلدون: فتحكمون بنيانها. واذا
بطشتم: بسوط او سيف. بطشتم جبارين: متسلطين غاشمين بلا رأفة
ولا قصد تاديب ولا نظر في العاقبة. فاتقوا الله: بترك هذه الاشياء. واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم. واتقوا الذي امدكم بما تعلمون: كرره مرتبا على
امداد الله عليهم اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه
بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل
بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ
والحث على التقوى فقال. امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون: ثم
اوعدهم. اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم: في الدنيا والآخرة فانه كما
قدر على الانعام قدر على الانتقام. قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين: فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة
للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه. ان هذا الا خلق الاولين: ما هذا الذي جئتنا
به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت ولا بعث ولا حساب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا
عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه الا خلق الاولين وعادتهم
ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة
لم يزل الناس عليها. وما نحن بمعذبين: على ما نحن عليه. فكذبوه فاهلكناهم
بسبب التكذيب بريح صرصر. ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين: انكار لان يتركوا كذلك
او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله. في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم: لطيف لين للطف الثمر او لان النخل
انثى وطلع اناث النخل هو الطف وطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ

شماريخ القنو للطف الثمر او لان النخل انثى وهضيم متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد
النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار. و
تنحتون من الجبال بيوتا فرهين: بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط
فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ. فاتقوا
الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين: استعير لطاعة التي هي انقياد
الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا. الذين يفسدون في الارض
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون: على يفسدون لدلالة على
خلوص فسادهم. قالوا انما انت من المسحرين: الذين سحروا كثيرا حتى غلب
على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون. ما انت الا بشر مثلنا
تاكيدا له. فات باية ان كنت من الصادقين: في دعواك. قال هذه ناقة
اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها. لها شرب: نصيب
من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم. ولكم شرب

يوم معلوم

فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها. ولا تمسوها بسوء: كضرب و
عقر. فياخذكم عذاب يوم عظيم: عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من
تعظيم العذاب. فعقروها: اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم
ولذلك اخذوا جميعا. فاصبحوا نادمين: على عقرها خوفا من حلول العذاب
لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم. فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم: في نفي الايمان
عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب
وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم. كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله و
اطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتاتون الذكران من العالمين: اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران
لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث
فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح والثاني الناس

وتذرون ما خلق لكم ربكم : لاجل استمتاعكم من ازواجكم : تبيان لما ان اريد
جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم
كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا . بل انتم قوم عادون : متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في
المعاصي وهذا من جملة ذاك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط : عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا . لتكونن من
المخرجين : من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على
عنف وسوء حال . قال اني لعملكم من القالين : من المبغضين غاية البغض لا
اقف على الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته
على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم . رب نجني واهلي مما يعملون
اي من شومه وعذابه . فنجيناه واهله اجمعين : اهل بيته والمتبعين له على
باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم . الا عجوزا : هي امراة لوط . في
الغابرين : مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها
لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية
فانها لم تخرج مع لوط . ثم دمرنا الاخرين : اهلكناهم . وامطرنا عليهم مطرا
قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم . فساء مطر المنذرين : اللام
فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو
مطرهم . ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة المرسلين : الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب
مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا
منهم فلذلك قال . اذ قال لهم شعيب الا تتقون : ولم يقل اخوهم شعيب
وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم
بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ . اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين

العالمين . اوفوا الكيل : اتموه . ولا تكونوا من المخسرين : حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا بالقسطاس المستقيم : بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط
ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف . ولا
تبخسوا الناس اشياءهم : ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم . ولا تعثوا في الارض
مفسدين : بالقتل والغارة وقطع الطريق . واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين : وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق . قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا : اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين
متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه . وان نظنك لمن الكاذبين : في دعواك
فاسقط علينا كسفا من السماء : قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر
بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين . ان كنت من الصادقين في دعواك
قال ربي اعلم بما تعملون : وبعذابه المنزل عليكم ما اوجب لكم عليه في وقته المقدر
له . فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة : على نحو ما اقترحوا بان سلط الله
عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا . انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم : هذا آخر القصص السبع المذكورة على اختصار
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول
العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به
يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم
وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك : تقرير لحقية
تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها
ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان
اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى
القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها اللوح المتخيلة و
الروح الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي
بتشديد الزاي ونصب الروح الامين . لتكون من المنذرين : عما يؤدي الى عذاب

اولا م

من فعل او ترك. بلسان عربي مبين: واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه
فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود
واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام. وانه لفي زبر الاولين:
وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة. اولم يكن لهم آية: على صحة القرآن او نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم. ان يعلمه علماء بني اسرائيل: ان يعرفوه بنعته
المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم
والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة
وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن. ولو نزلناه على بعض الاعجمين: كما هو زيادة
في اعجازه او بلغة العجم. فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين: لفرط عنادهم و
استكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف
ولذلك جمع جمع السلامة. كذلك سلكناه: ادخلناه. في قلوب المجرمين: والضمير
للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن
اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا. لا يؤمنون به
حتى يروا العذاب الاليم: الملجئ الى الايمان. فياتيهم بغتة: في الدنيا وا
الآخرة. وهم لا يشعرون: باتيانه. فيقولوا هل نحن منظرون: تحسرا و
تاسفا. افبعذابنا يستعجلون: فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما
تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة. افرايت ان متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون: لم يغن عنهم تمتعهم
المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه. وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
انذروا اهلها الزاما للحجة. ذكرى: تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر
لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او
بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية. وما
كنا ظالمين: فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار. وما تنزلت به الشياطين:
كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة. وما ينبغي لهم:
وما يصح لهم ان ينزلوا به. وما يستطيعون: وما يقدرون. انهم عن

وصالح م

السمع: لكلام الملائكة. لمعزولون: لانه مشروط بمشاركة في صفات
الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية
شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها
الا من الملائكة. فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين: تهييج لاز
دياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين. وانذر عشيرتك الاقربين: الاقرب
منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا
وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا
اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. و
اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين: لين جانبك لهم مستعار من
خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم لدين او
غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون
باللسان. فان عصوك: ولم يتبعوك. فقل اني بريء مما تعملون: مما تعملونه
او من اعمالكم. وتوكل على العزيز الرحيم: الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه
يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل على الابدال
من جواب الشرط. الذي يراك حين تقوم: الى التهجد. وتقلبك
في الساجدين: وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ
فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة
طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن
او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله
تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد ان وصفه بان من شانه قهر اعدائه
ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه. انه هو السميع: بما تقوله
العليم: بما تنويه. هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم:
لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان
بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه
انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما

من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما
قوله يلقون السمع وأكثرهم كاذبون: أي الأفاكون يلقون السمع إلى
الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على
حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني
فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه
وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الأكثر بالكل
لقوله كل أفاك والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من
يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى
الملأ الأعلى قبل أن رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون إلى أوليائهم
أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم
إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو
إفهامهم. والشعراء يتبعهم الغاوون: وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا
كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرا وقرره بقوله ألم تر أنهم في كل واد
يهيمون: لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم
والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب
والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه وإليه أشار بقوله. وأنهم
يقولون ما لا يفعلون: فكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا
في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في
القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه و
سلم لحال أربابهما وقرأ نافع ويتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين
العين تشبيها لبعه بعضد. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و
ذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا: استثناء للشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد
والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار
ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت و

الكعبان وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس
معك وعن كعب بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد
عليهم من النبل. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون: تهديد شديد لما
في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب
ينقلبون أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله
عنهما حين عهد إليه وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات ومن النجاة والمعنى
أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه
من وجوه الانفلات. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء
كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات
الله عليهم أجمعين

سورة النمل مكية

ثلاث وتسعون آية. بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب
مبين: الإشارة إلى آي السورة والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه
خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه
في الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وإبانته لما أودع فيه من الحكم والأحكام
أو لصحة إعجازه وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى
وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه. هدى وبشرى للمؤمنين: حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة
أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف. الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة: الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة. و
هم بالآخرة هم يوقنون: من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف
وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأوحدون فيه أو جملة اعتراضية
كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فإن

كعب بن زهير وكعب بن مالك

تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوقوف على المحاسبة وتكرير الضمير
للاختصاص. ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم: زين
اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي
وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها. فهم يعمهون: عنها لا
يدركون ما يتبعها من ضر او نفع. اولئك الذين لهم سوء العذاب:
كالقتل والاسر يوم بدر. وهم في الآخرة هم الاخسرون: اشد الناس
خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة. وانك لتلقى القرآن: لتؤتاه
من لدن حكيم عليم: اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة
لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن
منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار
عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله: اذ قال موسى لاهله اني
آنست نارا: اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم. سآتيكم منها
بخبر: اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته
لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان
وان ابطأ. او آتيكم بشهاب قبس: شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب
اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس
بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك
عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما
لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد
يجمع حرمانين على عبده. لعلكم تصطلون: رجاء ان تستدفئوا بها
والصلاء النار العظيمة. فلما جاءها نودي ان بورك: اي بورك فان
النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة
والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة. من في النار ومن حولها:
من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي

بعض م

من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها
والظاهر انه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا
وخصوصا تلك البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى و
الملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم
تنتشر بركته في اقطار الشام. وسبحان الله رب العالمين: من
تمام ما نودي لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك
الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته. يا موسى انه انا الله: الهاء
للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له.
العزيز الحكيم: صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي
القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله
بحكمة وتدبير. وان الق عصاك: عطف على بورك اي نودي ان بورك
من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله
ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان. فلما رآها تهتز: تتحرك باضطراب. كأنها
جان: حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين. و
لم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به
ويدل عليه قوله: يا موسى لا تخف: اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله: اني لا يخاف
لدي المرسلون: حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله
او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه. الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء
فاني غفور رحيم: استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي
الخوف عن كلهم وفيهم من فرط منه صغيرة فانهم وان فعلوا ما استوجبوا عليها
ما سطها ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه
القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم
بدل ذنبه بالتوبة. وادخل يدك في جيبك: لانه كان مدرعة صوف لا كم لها
وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع. تخرج بيضاء من غير سوء: آفة كبرص في

ولى مدبرا ولم يعقب

بيضاء م

تسع آيات: في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق. الى فرعون وقومه: وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا. انهم كانوا قوما فاسقين: تعليل للارسال. فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها. مبصرة: بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر. قالوا هذا سحر مبين: واضح سحريته. وجحدوا بها: واستيقنتها انفسهم: وقد استيقنتها لان الواو للحال. ظلما: لانفسهم. وعلوا: ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا. فانظر كيف كان عاقبة المفسدين: وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة. ولقد آتينا داود وسليمان علما: طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم. وقالا الحمد لله: عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعم كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله. الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين: يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير. وورث سليمان داود: النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر. وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء: تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق

وكذبوا بها ه

التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتي والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء. ان هذا لهو الفضل المبين: الذي لا يخفى على احد. وحشر: وجمع. لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون: يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا. حتى اذا اتوا على واد النمل: واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي. قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم: كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها وصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق. لا يحطمنكم سليمان وجنوده: نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة. وهم لا يشعرون: انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم و

الجن و م

الايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم
ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او
سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال توفيق شكره
وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه
وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ ورش بفتح ياء اوزعني التي البزي د م
انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة وتعميما لها فان
النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل
صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة له وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها
الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة
كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط
فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن
صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس
ليأكله النمل او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او
ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين
بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف
عليه بعطفه عليهما فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه
خوفا منه فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه
بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه
ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وغير اطباق وجئتك
من سبا وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة
بنبأ يقين بخبر محقق روي انه لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم
واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا
فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده
لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى

هدهدا واقفا فانحط اليه متواضعا فطار معه لينظر اليها ووصف له ثم رجع بعد
العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء
اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت
امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل من مالك بن ريان والضمير لسبا
او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم
عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا
في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر نها
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها
وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم
فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه
الا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا لله او زين لهم ان لا يسجدوا
على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ
الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه
محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة
فقلت سميعا فانطقي واصيبي وعلى هذا صح ان يكون استئنافا
من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون امرا
بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود
في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون
وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصف له بما اوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد
لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب
وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة
الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود ومعلوم الوجوب د م
انه يختص بالواجب لذاته الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي

هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون بعيد. قال
سننظر: سنتعرف من النظر بمعنى التأمل. اصدقت ام كنت من الكاذبين
اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل. اذهب بكتابى هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم: تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه. فانظر ماذا يرجعون
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول. قالت: اى بعد ما القى اليها. يا ايها
الملأ انى القى الى كتاب كريم: لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او
لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد
من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به. انه من سليمان: استئناف
كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان
وانه: اى وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او
التعليل لكرمه. بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على: ان مفسرة
او مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل
من كتاب. واتونى مسلمين: مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة
مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع و
صفاته صريحا او التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام
الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته
حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة
قالت يا ايها الملأ افتونى فى امرى: اجيبونى فى امرى الفتيا واذكروا
ما تستصوبون فيه. ما كنت قاطعة امرا: ما ابت امرا. حتى تشهدون
الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة. قالوا نحن اولوا قوة
واولوا بأس شديد والامر اليك: موكول. فانظرى ماذا تأمرين

بجدة وشجاعة

من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك. قالت ان الملوك اذا دخلوا
قرية افسدوها: تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى
الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم
فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا تدرى

تدرى عاقبتها. وجعلوا اعزة اهلها اذلة: بنهب اموالهم وتخريب ديارهم
الى غير ذلك من الاهانة والاسر. وكذلك يفعلون: تأكيد لما وصفت من
حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من
الله عز وجل. وانى مرسلة اليهم بهدية: بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة
والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى. فناظرة بم يرجع المرسلون
من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت
معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا
عظيم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرئيل بالحال
فطلب الحق واخبر بما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر
دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية
تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب
به وجهه ثم رد الهدية. فلما جاء سليمان: اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما
جاؤا. قال اتمدوننى بمال: خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل
على تغليب المخاطب وقرأ يعقوب بلا ادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين و
حذف الياء. فما آتانى الله: من النبوة والملك الذى لا مزيد عليه خير مما
آتاكم: فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى. بل انتم بهديتكم تفرحون
لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا
لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار
الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله
على حالهم فى قصور همتهم بالدنيا والزيادة فيها. ارجع: ايها الرسول اليهم
الى بلقيس وقومها. فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها: لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة لهم على مقاتلتها وقرئ بهم. ولنخرجنهم منها: من سبا. اذلة
بذهاب ما كانوا فيه من العز. وهم صاغرون: اسراء مهانون. قال يا ايها

الملا أيكم يأتيني بعرشها: أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره. قبل أن يأتوني مسلمين: فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها. قال عفريت: خبيث مارد. من الجن: بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا. أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك: مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار. وإني عليه: على حمله. لقوي أمين: لا أختزل منه شيئا ولا أبدله. قال الذي عنده علم من الكتاب: آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله به أو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك: للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد إظهار معجزة في نقله فتحداهم أولا ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية. والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف كما في قوله: وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا. لقلبك يوما أتعبتك المناظر. وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه. فلما رآه: رأى العرش مستقرا عنده: حاصلا بين يديه. قال: تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى. هذا من فضل ربي: تفضل علي من غير استحقاق والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء. ليبلوني أأشكر: بأن أراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه. أم أكفر: بأن أجد نفسي في البين أو أقصر في أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه

لنفسه: لأنه يستجلب بها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران. ومن كفر فإن ربي غني: عن الشكر. كريم: بالإنعام عليه ثانيا. قال نكروا لها عرشها: بتغيير هيئته وشكله. ننظر: جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف. أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون: إلى معرفته أو الجواب الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليها الأبواب موكلة عليها الحراس. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك: تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة العقل. قالت كأنه هو: ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها. وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين: من تمة كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل إنه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر إلا على الأنبياء أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له. وصدها ما كانت تعبد من دون الله: أي صدها عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام أو صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان. إنها كانت من قوم كافرين: وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول أي صدها نشوؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له. قيل لها ادخلي الصرح: القصر وقيل عرصة الدار. فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها: روي أنه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها. وعن ابن كثير سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق وأسؤق. قال إنه: أي ما ظننته ماء

صرح ممرد: مملس. من قوارير: من الزجاج. قالت رب إني ظلمت
نفسي: بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في
اللجة. وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين: فيما أمر به
عباده وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع ملك همدان.
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله: بأن اعبدوا
وقرئ بضم النون على اتباعها الباء. فإذا هم فريقان يختصمون:
ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع
الفريقين. قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة: بالعقوبة فتقولون
ائتنا بما تعدنا. قبل الحسنة: قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب
فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ. لولا تستغفرون
الله: قبل نزوله. لعلكم ترحمون: بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ.
قالوا اطيرنا: تشاءمنا. بك وبمن معك: إذ تتابعت علينا الشدائد
ووقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم. قال طائركم: سببكم الذي
جاء منه شركم. عند الله: وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده.
بل أنتم قوم تفتنون: تختبرون بتعاقب السراء والضراء، والإضراب
من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه. و
كان في المدينة تسعة رهط: تسعة أنفس وإنما وقع تمييزا للتسعة
باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة
والنفر من الثلاثة إلى التسعة. يفسدون في الأرض ولا يصلحون: أي
شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح. قالوا: أي قال
بعضهم لبعض. تقاسموا بالله: أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا
بإضمار قد. لنبيتنه وأهله: لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا
خبر. ثم لنقولن: فيه القراءات الثلاث. لوليه: لولي دمه. ما
شهدنا مهلك أهله: فضلا أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر

والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فإن مفعلا قد جاء
مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا. وإنا لصادقون: ونحلف
إنا لصادقون أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا إذ الشاهد للشيء غير المباشر له
عرفا أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا
بل رجلين. ومكروا مكرا: بهذه المواضعة. ومكرنا مكرا: بأن جعلناها سببا لا بهلاكهم
وهم لا يشعرون: بذلك. روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى
الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك
الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه بقوله. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا
دمرناهم وقومهم أجمعين: وكان إن جعلت ناقصة فخبرها كيف وإنا دمرناهم استئناف
أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وإن جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون و
يعقوب أنا دمرناهم بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال.
فتلك بيوتهم خاوية: خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط
وهي حال عمل فيها معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. بما ظلموا:
بسبب ظلمهم. إن في ذلك لآية لقوم يعلمون: فيتعظون. وأنجينا الذين آمنوا:
صالحا ومن معه. وكانوا يتقون: الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة. ولوطا:
واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه. إذ قال لقومه: بدل على الأول
ظرف على الثاني. أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون: تعلمون فحشها من بصر القلب
واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا يعلنون
بها فتكون أفحش. أئنكم لتأتون الرجال شهوة: بيان لإتيانهم للفاحشة وتعليله بالشهوة
للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر. من دون
النساء: اللاتي خلقن لذلك. بل أنتم قوم تجهلون: تفعلون فعل من يجهل قبحها
أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف
في معنى المخاطب. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم
أناس يتطهرون: يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرا. فأنجيناه

واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين: قدرنا كونها من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين: مر مثله. قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى: امر رسوله صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه القصص
الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الكرامة الانتصار من العدى بتحميده
والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلما بما جهل من حالهم و
عرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة
قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك. آلله خير
اما يشركون: الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه
رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء. ام من: بل ام من. خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات
ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله. وانزل لكم من
السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة: عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد
اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة
الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله. ما كان لكم ان
تنبتوا شجرها: شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة. أإله مع الله
غيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل
مثل اتدعون او اتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين
بل هم قوم يعدلون: عن الحق الذي هو التوحيد. امن جعل الارض قرارا: بدل
من ام من خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث تتأتى
استقرار الانسان والدواب عليها. وجعل خلالها: وسطها. انهارا
جارية. وجعل لها رواسي: جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها
المنابع. وجعل بين البحرين: العذب والمالح او خليجي فارس والروم. حاجزا
برزخا وقد مر بيانه في الفرقان. أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون: الحق فيشركون
به. امن يجيب المضطر اذا دعاه: المضطر الذي احوجه شدة ما به
الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا

للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر. ويكشف السوء: ويدفع عن الانسان
ما يسوءه. ويجعلكم خلفاء الارض: خلفاء فيها بان ورثكم سكناها من قبلكم و
التصرف فيها. أإله مع الله: الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة. قليلا
ما تذكرون: اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم
او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح وهشام بالياء وحمزة
والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال. امن يهديكم في ظلمات البر و
البحر: بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى
البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته: يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري
في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها
وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله
والفاعل للسبب فاعل للمسبب. أإله مع الله: يقدر على شيء من ذلك. تعالى
الله عما يشركون: تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق
امن يبدأ الخلق ثم يعيده: والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون
بالحجج الدالة عليها. ومن يرزقكم من السماء والارض: اي باسباب سماوية وارضية
أإله مع الله: يفعل ذلك. قل هاتوا برهانكم: على ان غيره يقدر على شيء
من ذلك. ان كنتم صادقين: في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله: لما بين اختصاصه بالقدرة
التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء
منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات
والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في
السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله
واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف. وما يشعرون ايان يبعثون
متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير فيه للكفرة. بل
ادارك علمهم في الآخرة: لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو

تأتيهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل اسباب علمهم
بالجحود الآيات فيه وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي. بل هم في شك
منها: كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا. بل هم منها عمون: لا يدركون دلائلها
لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب
الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم
وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم
في الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة
لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ ادرك بهمزتين
وادرك بالف بينهما وبل ادرك وبلى ادرك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك
وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم
وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه
ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد لشعورهم
وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون: كالبيان
لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا
من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء
الى الحيوة. لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل: من قبل وعد محمد صلى الله
عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر
فالمقصود به المبعوث. ان هذا الا اساطير الاولين: التي هي كالاسمار
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين: تهديد لهم على
التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين
ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم. ولا تحزن عليهم: على تكذيبهم واعراضهم
ولا تكن في ضيق: في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ

ضيق اي امر ضيق. مما يمكرون: من مكرهم فان الله يعصمك من الناس. ويقولون
متى هذا الوعد: العذاب الموعود. ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف
لكم: تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام
مثل دنا وقرئ بفتح الدال وهو لغة فيه. بعض الذي تستعجلون: حلوله وهو
عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا للوقار وانهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد
الله تعالى ووعيده. وان ربك لذو فضل على الناس: بتأخير عقوبتهم على
المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل. ولكن اكثرهم
لا يشكرون: لا يعرفون حق النعمة فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم: ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي
سترت. وما يعلنون: من عداوتك فيجازيهم عليه. وما من غائبة في السماء
والارض: خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما
في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية. الا في كتاب مبين
بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة. ان
هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون: كالتشبيه والتنزيه و
احوال الجنة والنار وعزير والمسيح. وانه لهدى ورحمة للمؤمنين: فانهم هم
المنتفعون به. ان ربك يقضي بينهم: بين بني اسرائيل. بحكمه: بما يحكم به وهو
الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه. وهو العزيز: فلا يرد قضاؤه. العليم
بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه. فتوكل على الله: ولا تبال بمعاداتهم. انك
على الحق المبين: وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. انك لا
تسمع الموتى: تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم
ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم
كما شبهوا بالصم في قوله. ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين. وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم: حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر. ان تسمع
اي ما يجدي اسماعك. الا من يؤمن بآياتنا: من هو في علم الله كذلك. فهم مسلمون

مخلصون من اسلم وجهه لله. واذا وقع القول عليهم: اذا دنا وقوع
معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب. اخرجنا لهم دابة من الارض
وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان
لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه الصلوة والسلام سئل من
مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام. تكلمهم: من
الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر
نكتة سوداء فيسود وجهه. ان الناس كانوا باياتنا: خروجها وسائر
احوالها فانها من ايات الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح
لا يوقنون: لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله عز و
جل او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار. ويوم نحشر من كل امة
فوجا: يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا: بيان للفوج اي فوجا مكذبين
ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين
فهم يوزعون: يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة
عددهم وتباعد اطرافهم. حتى اذا جاءوا: الى المحشر. قال اكذبتم باياتي
ولم تحيطوا بها علما: الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين
فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او
للعطف اي اجمعتم بين التكذيب وعدم القاء الاذهان لتحققها. اما
ذا كنتم تعملون: ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا
غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك. ووقع
القول عليهم: حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك
بما ظلموا: بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله. فهم لا ينطقون: باعتذار
لشغلهم بالعذاب. الم يروا: ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر
وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون
الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على

الزغب الشعرات الصغر على ريش الطير

على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه
سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم و
معادهم. انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه: بالنوم والقرار. والنهار مبصرا
فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احوال المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها. ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون: لدلالتها على
الامور الثلاثة. ويوم ينفخ في الصور: في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق. ففزع من في السموات ومن
في الارض
من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه. الا من شاء الله: ان لا يفزع بان
يثبت الله قلبه قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة
وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم
ذلك. وكل اتوه: حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى
امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه بتوحيد لفظ الكل. داخرين
صاغرين وقرئ دخرين. وترى الجبال تحسبها جامدة: ثابتة في مكانها. وهي
تمر مر السحاب: في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد
لا تكاد تتبين حركتها. صنع الله: مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة
كقوله وعد الله. الذي اتقن كل شيء: احكم خلقه وسواه على ما ينبغي. انه خبير
بما تفعلون: عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال من
جاء بالحسنة فله خير منها: اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة
بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة. وهم من فزع يومئذ امنون
يعني به خوف العقاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى
من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين
لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا
مكر الله. ومن جاء بالسيئة: قيل بالشرك. فكبت وجوههم في النار: فكبوا فيها
على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا
تلقوا بايديكم. هل تجزون الا ما كنتم تعملون: على الالتفات او باضمار

المقول اي قل لهم ذلك: انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة
اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه
والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم
لشانها وقرئ التي حرمها. وله كل شيء: خلقا وملكا. وامرت ان اكون من
المسلمين: المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام. وان اتلو القرآن
وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا
او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل. فمن اهتدى: باتباعه اياي في ذلك
فانما يهتدي لنفسه: فان منافعه عائدة اليه. ومن ضل: بمخالفتي فقل
انما انا من المنذرين: فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ
وقد بلغت. وقل الحمد لله: على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني بالعمل
سيريكم آياته: القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الآخرة
فتعرفونها: فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة. وما ربك
بغافل عما تعملون: فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ بالياء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية

وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك
نقرأه بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا. من نبإ موسى وفرعون
بعض نبئهما مفعول نتلو. بالحق: محقين. لقوم يؤمنون: لانهم
المنتفعون. ان فرعون علا في الارض: استيناف مبين لذلك البعض
والارض ارض مصر. وجعل اهلها شيعا: فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع

يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف
في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه. يستضعف طائفة
منهم: وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استيناف
وقوله. يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم: بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له
يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو
صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه. انه كان من المفسدين: فلذلك
اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد. ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض: ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال
ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسير النبا او حال
من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد
لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله
بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان تجري مجرى المقارن. ونجعلهم
ائمة: مقدمين في امر الدين. ونجعلهم الوارثين: لما كان في ملك فرعون
وقومه. ونمكن لهم في الارض: ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء
مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر. ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم: من بني اسرائيل. ما كانوا يحذرون: من ذهاب ملكهم على يد
مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان بالرفع. واوحينا الى ام
موسى: بالهام او رؤيا. ان ارضعيه: ما امكنك اخفاؤه. فاذا خفت عليه
بان يحس به. فالقيه في اليم: في البحر يريد النيل. ولا تخافي: عليه ضيعة ولا
شدة. ولا تحزني: لفراقه. انا رادوه اليك: عن قريب بحيث تامنين عليه
وجاعلوه من المرسلين: روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش
مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر
ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له
تابوتا فقذفته في النيل. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا:

تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل
عليه وقرأ حمزة حزنا. ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل
شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل
بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين
تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء. وقالت امرأة فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت. قرة عين لي ولك: هو قرة عين
لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء
وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه
فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله
كما هداها. لا تقتلوه: خطاب بلفظ الجمع للتعظيم. عسى ان ينفعنا
فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه
ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه. او نتخذه ولدا: او نتبناه فانه اهل له
وهم لا يشعرون: حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اي وهم
لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او
من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا
وقد تبنيناه فانه اهل. واصبح فؤاد ام موسى فارغا: صفرا من
العقل حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله وافئدتهم هواء اي خلاء
لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر
او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه
وتبناه. ان كادت لتبدي به: انها كادت لتظهر بموسى اي بامره
وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه. لولا ان ربطنا على قلبها: بالصبر
والثبات. لتكون من المؤمنين: من المصدقين بوعد الله او من الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى
ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب

لولا محذوف دل عليه ما قبله. وقالت لاخته: مريم. قصيه: اتبعي اثره
وتتبعي خبره. فبصرت به عن جنب: عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه. وهم لا يشعرون: انها تقص او انها اخته. وحرمنا
عليه المراضع: ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو
الرضاع او موضعه يعني الثدي. من قبل: من قبل قصصها اثره. فقالت هل
لكنه اهل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم: لاجلكم. وهم له ناصحون: لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها
حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان
تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد
ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني
فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله
فرددناه الى امه كي تقر عينها: بولدها. ولا تحزن: بفراقه. ولتعلم ان
وعد الله حق: علم مشاهدة. ولكن اكثرهم لا يعلمون: ان وعده
حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع
وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون. ولما بلغ اشده
مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل
يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين. واستوى
قده او عقله. آتيناه حكما: اي نبوة. وعلما: بالدين او علم الحكماء
والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو
اوفق لنظم القصة لانه استنبأه بعد الهجرة في المراجعة. وكذلك: ومثل
ذلك الذي فعلنا بموسى وامه. نجزي المحسنين: على احسانهم. ودخل المدينة
ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين شمس من
نواحيها. على حين غفلة من اهلها: في وقت لا يعتاد دخولها ولا
يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين. فوجد

فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه: احدهما ممن شايعه
على دينه وهم بنو اسرائيل والاخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه: فسأله ان يغيثه بالاعانة
ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه. فوكزه موسى: فضرب القبطي بجمع كفه
وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره. فقضى عليه: فقتله واصله انهى حياته
من قوله وقضينا اليه ذلك الامر. قال هذا من عمل الشيطان: لانه لم يؤمر
بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك
في عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما و
استغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. انه عدو
مضل مبين: ظاهر العداوة. قال رب اني ظلمت نفسي: بقتله فاغفر
لي: ذنبي. فغفر له: باستغفاره. انه هو الغفور: لذنوب عباده
الرحيم: بهم. قال رب بما انعمت علي: قسم محذوف الجواب اي اقسم
بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن. فلن اكون ظهيرا للمجرمين: او
استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته
الى جرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في
مظاهرة اعدائك. فاصبح في المدينة خائفا يترقب: يترصد الاستقادة
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه: يستغيثه مشتق من الصراخ
قال له موسى انك لغوي مبين: بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر. فلما
ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما: لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان
القبط كانوا اعداء بني اسرائيل. قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله
انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي. ان تريد: ما تريد. الا ان تكون
جبارا في الارض: تطاول على الناس ولا تنظر العواقب. وما تريد ان
تكون من المصلحين: بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا

انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن
عمه ليخبره كما قال: وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى: يسرع صفة رجل او حال
منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك: يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور
ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر. فاخرج اني لك من الناصحين
اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول. فخرج
منها: من المدينة. خائفا يترقب: لحوق طالب. قال رب نجني من القوم
الظالمين: خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. ولما توجه تلقاء مدين: قبالة
مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها
وبين مصر مسيرة ثمان. قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل: توكلا على
الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطريق فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها و
جاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين. ولما ورد ماء مدين: وصل اليه و
هو بئر كانوا يسقون منها. وجد عليه: وجد فوق شفيرها. امة من الناس
جماعة كثيرة مختلفين. يسقون: مواشيهم. ووجد من دونهم: في مكان اسفل
من مكانهم. امرأتين تذودان: تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم
قال ما خطبكما: ما شأنكما تذودان. قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء: تصرف
الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض
هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن
عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرجال. وابونا
كبير السن لا يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا. فسقى لهما: مواشيهما رحمة عليهما
قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر
فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا
اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها. ثم تولى الى الظل فقال رب اني
لما انزلت الي: لاي شيء انزلت الي. من خير: قليل او كثير. فقير: محتاج
سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدارين صرت

شيخ كبير
يستطيع ان
صح

فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض اظهار التبجح والشكر على
ذلك. فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى
منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك
لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في
الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا
نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان
من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه. فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه. قالت احداهما
يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت
القوي الامين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة
فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف روي ان
شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب
رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه. قال اني اريد ان انكحك احدى
ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من
اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف
اي رعية ثماني حجج. فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه
من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله
جرى على اجرة معينة ومهر اخر وجعله للاجل الاول ووعدا ان يوفي الاخير ان تيسر له
قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك
وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق
عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته. ستجدني ان شاء الله من
الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة. قال ذلك
بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. ايما الاجلين

الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه. فلا عدوان علي
لا تعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثماني او فلا اكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات
الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان
علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما. على من الغيث استهلت
مواطره. واي الاجلين قضيت فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي
الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر. والله على ما نقول من
المشارطة وكيل شاهد حفيظ. فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم
على الرجوع. آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور
قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة
عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم يكن قال باتت حواطب ليلى
يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر. والتي على قبس من النار جذوة
شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم
بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات. لعلكم تصطلون تستدفئون
بها. فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من شاطئه
الايمن لموسى. في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة
بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى
اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل
لفظا فهو طبقه في المقصود. وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي
فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة
والجثة او في السرعة. ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع
يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف
فانه لا يخاف لدي المرسلون. اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج
بيضاء من غير سوء عيب. واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين

تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او
بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو
اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات
عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه
واذا امن واطمأن ضمهما اليه. من الرهب: من اجل الرهب اي اذا عراك
الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وبالفتح وبالسكون وكلها
لغات. فذانك: اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو
ورويس. برهانان: حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء
بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء
وقيل فعلال لقولهم برهن. من ربك: مرسلا بهما. الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين: فكانوا احقاء بان يرسل اليهم. قال رب اني
قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون: بها. واخي هرون هو افصح مني
لسانا فارسله معي ردءا: معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء
وقرأ نافع ردا بالتخفيف. يصدقني: بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف
الشبهة. اني اخاف ان يكذبون: ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل
المراد تصديق القوم بتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب
وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف. قال سنشد
عضدك باخيك: سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور
ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد. ونجعل لكما سلطانا: غلبة او
حجة. فلا يصلون اليكما: باستيلاء او حجاج. بآياتنا: متعلق بمحذوف اي
اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او
قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله: انتما ومن اتبعكما الغالبون
بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي. فلما
جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى: سحر تختلقه لم يفعل

قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر
وما سمعنا بهذا: يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين: كائنا في ايامهم
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده: فيعلم اني محق وانتم مبطلون
وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين
ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد. ومن تكون له عاقبة الدار: العاقبة
المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى
الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ
حمزة والكسائي يكون بالياء. انه لا يفلح الظالمون: لا يفوزون بالهدى في الدنيا
وحسن العاقبة في العقبى. وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري
نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر
ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله: فاوقد لي يا هامان على
الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى: كانه توهم انه لو كان لكان جسما
في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال: واني لاظنه من الكاذبين: او اراد ان يبني
له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة
لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول
من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه
من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام. واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق: بغير استحقاق. وظنوا انهم الينا لا يرجعون
بالنشور. فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم: كما مر بيانه وفيه فخامة
وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف و
طرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه. فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين: و
حذر قومك عن مثلها. وجعلناهم ائمة: قدوة للضلال بالحمل على الاضلال

وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف
الصارفة عنه . يدعون الى النار : الى موجباتها من الكفر والمعاصي . ويوم القيمة
لا ينصرون : بدفع العذاب عنهم . واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة : يلعنهم
الملائكة والمؤمنون . ويوم القيمة هم من المقبوحين : من المطرودين او
ممن قبح وجوههم . ولقد آتينا موسى الكتاب : التورية . من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى : اقوام نوح وهود وصالح ولوط . بصائر للناس :
انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل . وهدى : الى
الشرائع التي هي سبيل الله . ورحمة : لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله
لعلهم يتذكرون : ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه
ما عرفت . وما كنت بجانب الغربي : يريد الوادي او الطور فانه كان في شق
الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي ما كنت حاضرا . اذ قضينا الى موسى الامر : اذ اوحينا اليه الامر
الذي اردنا تعريفه . وما كنت من الشاهدين : للوحي اليه او على الوحي اليه وهم
السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان الاخبار عن ذلك من
قبيل الاخبار التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله . ولكنا انشانا
قرونا فتطاول عليهم العمر : اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد
موسى فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم
فحذف المستدرك واقام سببه مقامه . وما كنت ثاويا : مقيما . في اهل
مدين : شعيب والمؤمنين به . تتلوا عليهم : تقرؤ عليهم تعلما منهم . آياتنا
التي فيها قصتهم . ولكنا كنا مرسلين : اياك ومخبرين لك بها . وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا : لعل المراد به وقت اعطائه التورية و
بالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة . ولكن رحمة من ربك
ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة . لتنذر قوما : متعلق بالفعل
المحذوف . ما اتيهم من نذير من قبلك : لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي
خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى

كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم . لعلهم يتذكرون : يتعظون . ولولا
ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت
بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول لقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء
المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما
يجاب وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا
قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا
رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما
ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم . فنتبع اياتك : يعني الرسول
المصدق بنوع من المعجزات . ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من
عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى : من الكتاب جملة واليد والعصا
وغيرها اقتراحا وتعنتا . او لم يكفروا بما اوتي موسى من قبل : يعني ابناء
جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد
قالوا ساحران : يعنون موسى وهرون او موسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام
تظاهرا : تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرا الكوفيون سحران
بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرا الى فعلهما دلالة
على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام . وقالوا انا بكل كافرون : اي
بكل منهما او بكل الانبياء . قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما : مما
نزل على موسى وعلى محمد واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام . اتبعه ان كنتم صادقين : انا ساحران
مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك
للتهكم بهم . فان لم يستجيبوا لك : دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى
فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء و
باللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله . وداع دعا
من يجيب الى الندى . فلم يستجبه عند ذاك مجيب . فاعلم انما يتبعون

أهواءهم: إذ لو اتبعوا الحجة لأتوا بها. ومن أضل ممن اتبع هواه: استفهام
بمعنى النفي. بغير هدى من الله: في موضع الحال للتأكيد أو التقييد فإن هوى النفس
قد يوافق الحق. إن الله لا يهدي القوم الظالمين: الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى. ولقد وصلنا لهم القول: أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال
ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح
بالعبر. لعلهم يتذكرون: فيؤمنون ويطيعون. الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون: نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل قبل م
الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في
من قبله للقرآن كالمستكن في. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به: أي بأنه كلام
الله. إنه الحق من ربنا: استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به. إنا
كنا من قبله مسلمين: استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه
حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم
على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة. أولئك
يؤتون أجرهم مرتين: مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن. بما
صبروا: بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده
أو على أذى من هاجرهم من دينهم. ويدرؤون بالحسنة السيئة. ويدفعون بالطاعة أهل م
المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم أتبع الحسنة السيئة تمحها. ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه: تكرما. وقالوا لنا
أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم: متاركة لهم أو توديعا ودعاء لهم بالسلامة
عما هم فيه. لا نبتغي الجاهلين: لا نطلب صحبتهم ولا نريدها. إنك لا تهدي
من أحببت: لا تقدر أن تدخله في الإسلام. ولكن الله يهدي من يشاء
فيدخله في الإسلام. وهو أعلم بالمهتدين: بالمستعدين لذلك والجمهور
على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه و
سلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله أحاج بها لك عند الله قال يا ابن أخي خرع أي جبن
قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت. وقالوا إن

إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا: نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان
ابن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا
نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا
فرد الله عليهم بقوله. أولم نمكن لهم حرما آمنا: أو لم نجعل مكانهم حرما ذا أمن
بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه. يجبى إليه: يحمل
إليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء. ثمرات كل شيء: من كل أوب
رزقا من لدنا: فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم
للخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. ولكن أكثرهم لا يعلمون
جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل إنه متعلق بقوله من لدنا أي قليل
منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله إذ لو علموا لما خافوا غيره و
انتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة
ثم بين أن الأمر بالعكس فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله
وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها: أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم
في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم. فتلك
مساكنهم: خاوية. لم تسكن من بعدهم: من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة
يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها. إلا قليلا: من شؤم معاصيهم. وكنا
نحن الوارثين: منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني
مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليها أو مفعول على تضمين بطرت معنى كفرت. وما
كان ربك. وما كانت عادته. مهلك القرى حتى يبعث في أمها: في أصلها التي
هي أعمالها لأن أهلها يكون أفطن وأنبل. رسولا يتلو عليهم آياتنا: لإلزام
الحجة وقطع المعذرة. وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون: بتكذيب
الرسل والعتو في الكفر. وما أوتيتم من شيء: من أسباب الدنيا. فمتاع الحياة
الدنيا وزينتها: تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية. وما عند الله: وهو
ثوابه. خير: في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة. وأبقى: لأنه أبدي

أفلا تعقلون: فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو أبلغ
في الوعظ. أفمن وعدناه وعدا حسنا: وعدا بالجنة وحسن الوعد بحسن الموعود
فهو لاقيه: مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء
المعطية معنى السببية. كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا: الذي هو مشوب
بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع. ثم هو يوم القيمة
من المحضرين: للحساب أو العذاب وثم للتراخي في الزمان أو الرتبة وقرأ نافع وابن
عامر في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل
وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء. ويوم يناديهم
عطف على يوم القيمة أو منصوب باذكر. فيقول أين شركائي الذين كنتم
تزعمون: أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما
قال الذين حق عليهم القول: بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد. ربنا هؤلاء
الذين أغوينا: أي هؤلاء هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول. أغويناهم
كما غوينا: أي أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة
على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلا ويجوز أن
يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لأجل ما اتصل به فأفاد زيادة على الصفة
وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم. تبرأنا إليك: منهم ومما
اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف
وكذا. ما كانوا إيانا يعبدون: أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا
يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا
اي منا م
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم: من فرط الحيرة. فلم يستجيبوا لهم
لعجزهم عن الإجابة والنصرة. ورأوا العذاب: لازما بهم. لو أنهم
كانوا يهتدون: لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما رأوا
العذاب وقيل لو للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين. ويوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم المرسلين: عطف على الأول فإنه تعالى يسأل

يسأل أولا عن إشراكهم ثم عن تكذيبهم الأنبياء. فعميت عليهم الأنباء
يومئذ: فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء
لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج فإذا
أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل أو ما
يعمها وإذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون
إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى
الخفاء. فهم لا يتساءلون: لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
أو العلم بأنه مثله. فأما من تاب: من الشرك. وآمن وعمل صالحا: وجمع بين
الإيمان والعمل الصالح. فعسى أن يكون من المفلحين: عند الله وعسى
تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح. وربك
يخلق ما يشاء ويختار: لا موجب عليه ولا مانع له. ما كان لهم الخيرة
أي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والأمر
كذلك عند التحقيق فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواعي
الاختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك
خلا عن العاطف ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم لولا أنزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع إليه محذوف
والمعنى يختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي الخير والصلاح. سبحان الله
تنزيها له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار. وتعالى عما
يشركون: عن إشراكهم أو مشاركة ما تشركونه به. وربك يعلم ما تكن صدورهم
كعداوة الرسول وحقده. وما يعلنون: كالطعن فيه. وهو الله لا إله
المسحي للعاده م
إلا هو: لا أحد يستحقها إلا هو. له الحمد في الأولى والآخرة: لأنه المولي
للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا
بقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده. وله الحكم: القضاء النافذ في كل شيء
وإليه ترجعون: بالنشور. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا

دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة
باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير
الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة و
عن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط
السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله
لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه لا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر
مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان
استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار
بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك
فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك
او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض
تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم
يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا لكل امة هاتوا برهانكم على صحة
ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه
فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من
الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث
ابن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا
تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل ذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او
حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا
في غير شيء الى متى اصبر واتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما
ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه

خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة والجملة صلة
ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة
الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف
اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا
مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم
بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي
في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى لا تفرحوا بما
آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب
الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار
الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا
تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها
آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن
الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك
بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي
ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي
فضلت به الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في
موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم كنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته
كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك لانه قرأه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه
بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع
عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من
قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن يخصهم بل الله مطلع على ذنو

المحرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة. فخرج على قومه في زينته: كما قيل انه خرج
على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا: على ما هو عادة الناس من الرغبة. يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون: تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد. انه لذو حظ عظيم
من الدنيا. وقال الذين اوتوا العلم: باحوال الاخرة للمتمنين. ويلكم دعاء
بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى. ثواب الله في الآخرة. خير لمن آمن وعمل صالحا
مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها. ولا يلقاها: الضمير فيه للكلمة التي تكلم
بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى
السيرة والطريقة. الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي. فخسفنا به وبداره
الارض: روي انه كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين
بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى عليه الصلوة
والسلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى
محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحي
اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه
فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك
استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل
انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله. فما كان له من فئة
اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته. ينصرونه من دون الله: فيدفعون
عنه عذابه. وما كان من المنتصرين: الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه
فانتصر اذا منعه منه فامتنع. واصبح الذين تمنوا مكانه: منزلته بالامس
منذ زمان قريب. يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

ويقدر: يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا
لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه و
المعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم
ان الله. لولا ان من الله علينا: فلم يعطنا ما تمنينا. لخسف بنا: لتوليده
فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله. ويكأنه لا يفلح الكافرون: لنعمة الله او
المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة. تلك الدار الآخرة
اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة
والخبر. نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض: غلبة وقهرا. ولا فسادا
ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون. والعاقبة: المحمودة. للمتقين:
ما لا يرضاه الله. من جاء بالحسنة فله خير منها: ذاتا وقدرا ووصفا. و
من جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات: وضع فيه الظاهر موضع
الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم. الا ما كانوا يعملون
مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة. ان الذي فرض عليك القرآن: اوجب عليك تلاوته وتبليغه و
العمل بما فيه. لرادك الى معاد: اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك
ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح
كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده
بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده
ومولد آبائه فنزلت. قل ربي اعلم من جاء بالهدى: وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم. ومن هو في ضلال مبين: وما
استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق
وكذا قوله. وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب: اي سيردك الى معاد
كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه. الا رحمة من ربك: ولكن القاه
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي اليك
الكتاب الا رحمة اي لاجل الرحمة. فلا تكونن ظهيرا للكافرين: بمداراتهم و

المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة . فخرج على قومه في زينته : كما قيل انه خرج
على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا : على ما هو عادة الناس من الرغبة . يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون : تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد . انه لذو حظ عظيم
من الدنيا . وقال الذين اوتوا العلم : باحوال الآخرة للمتمنين . ويلكم دعاء
بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرضى . ثواب الله في الآخرة . خير لمن آمن وعمل صالحا
مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها . ولا يلقاها : الضمير فيه للكلمة التي تكلم
بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى
السيرة والطريقة . الا الصابرون : على الطاعات وعن المعاصي . فخسفنا به وبداره
الارض : روي انه كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة
فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين
بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى عليه
السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى
محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحي اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه
فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك
استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل
انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله . فما كان له من فئة
اعوان مشتقة من فاوت راسه اذا اميلته . ينصرونه من دون الله : فيدفعون
عنه عذابه . وما كان من المنتصرين : الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه
فانتصر اذا منعه منه فامتنع . واصبح الذين تمنوا مكانه : منزلته بالامس
منذ زمان قريب . يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

عباده ويقدر : يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا
لهوان يوجب القبض وي كان عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه و
المعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان بتقدير ويك اعلم
ان الله . لولا ان من الله علينا : فلم يعطنا ما تمنينا . لخسف بنا : لتوليده
فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله ويكانه لا يفلح الكافرون : لنعمة الله او
المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة . تلك الدار الآخرة
اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة
والخبر . نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض : غلبة وقهرا . ولا فسادا
ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون . والعاقبة : المحمودة . للمتقين
ما لا يرضاه الله . من جاء بالحسنة فله خير منها : ذاتا وقدرا ووصفا و
من جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات : وضع فيه الظاهر موضع
الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم . الا ما كانوا يعملون
مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة . ان الذي فرض عليك القرآن : اوجب عليك تلاوته وتبليغه و
العمل بما فيه . لرادك الى معاد : اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك
ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح
كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعده
بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده
ومولد آبائه فنزلت . قل ربي اعلم من جاء بالهدى : وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم . ومن هو في ضلال مبين : وما
استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق
وكذا قوله . وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب : اي سيردك الى معاد
كما القي اليك الكتاب وما كنت ترجوه . الا رحمة من ربك : ولكن القاه
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي اليك
الكتاب الا رحمة اي لاجل الرحم . فلا تكونن ظهيرا للكافرين : بمداراتهم و

التحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع
الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم
ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين
عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان
ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ
في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه و
سلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى و
كذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة
انه صادق

سورة العنكبوت

وهي ستون وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق
القول في مثله ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه
احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها و
لذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الخبر كقولك
حسبت ضربه للتأديب اي انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم
الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف
الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من
المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي
الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود
في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار بن ياسر قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب

الخطاب رضي الله عنهم رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع
عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او
بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان
يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه
بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به
ثوابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن وليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم
الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام
حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب
والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل
من الاول ولهذا اعقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا
فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء
الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على
احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان
اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء
آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما
يستوجب القربة والرضاء وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة و
الكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله
لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم
ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان
بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى

يجري مجرى امر معنى تصرفا وقيل هو بمعنى قال اي قلنا لهم احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ
حسنا واحسانا . وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم : بالهيته
عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان
لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه . فلا تطعهما : في ذلك فانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل . الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت
باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد و
لبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمن والاحقاف . والذين امنوا و
عملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين : في جملتهم والكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله : بان عذبهم الكفرة على الا
جعل فتنة الناس : ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان . كعذاب
الله : في الصرف عن الكفر . ولئن جاء نصر من ربك : فتح وغنيمة ليقولن
انا كنا معكم : في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم
فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول . اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين : من الاخلاص والنفاق . وليعلمن الله الذين امنوا : بقلوبهم
وليعلمن المنافقين : فيجازي الفريقين . وقال الذين كفروا للذين امنوا
اتبعوا سبيلنا : الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم : ان كان ذلك خطيئة
او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم
بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان
تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله . وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون : من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير
وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم . وليحملن اثقالهم : اثقال ما اقترفته انفسهم

انفسهم . واثقالا مع اثقالهم : واثقالا اخر معها لما تسببوا له
بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء . و
ليسألن يوم القيمة : سؤال تقريع وتبكيت . عما كانوا يفترون :
من الاباطيل التي اضلوا بها . ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما : بعد المبعث اذ روي انه بعث على راس الاربعين
ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار
هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما
يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان
المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد
من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة . فاخذهم الطو فان
طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما . وهم
ظالمون : بالكفر . فانجيناه : اي نوحا . واصحاب السفينة : وهم من
ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة
نصفهم ذكور ونصفهم اناث . وجعلناها : اي السفينة او الحادثة . اية للعالمين
يتعظون ويستدلون بها . وابراهيم : عطف على نوحا او نصب باضمار
اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم . اذ قال لقومه اعبدوا
الله : ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف
الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر . واتقوه
ذلكم خير لكم : مما انتم عليه . ان كنتم تعلمون : الخير والشر وتميزون ما هو
خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل . انما
تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا : وتكذبون كذبا في تسميتها
الهة وادعاء شفاعتها عند الله وتعليلها وتحويلها وهو استدلال على
شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل الافك وقرئ تخلقون من خلق للتكثير
وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا
افك . ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا : دليل ثان

على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون
ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعظيم. فابتغوا عند الله الرزق
كله فانه المالك له. واعبدوه واشكروا له: متوسلين الى مطالبكم بعبادته
مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه. اليه ترجعون
وقرئ بفتح التاء. وان تكذبوا: وان تكذبوني. فقد كذب امم من قبلكم
من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من
العذاب فكذا تكذيبكم. وما على الرسول الا البلاغ المبين: الذي زال
معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآيات وما بعدها من جملة قصة ابراهيم
الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه
وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته
من حيث ان مساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه
خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم
بحال ابراهيم في قومه. اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق: من مادة
ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدا
ثم يعيده: اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدي فان
الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان تؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان
في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدي. ان ذلك:
الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين. على الله يسير: اذ لا يفتقر
في فعله الى شيء. قل سيروا في الارض: حكاية كلام الله لابراهيم او
محمد عليهما الصلوة والسلام. فانظروا كيف بدأ الخلق: على
اختلاف الاجناس والاحوال. ثم الله ينشئ النشاة الآخرة: بعد
النشاة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان
كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدا
بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان
الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على

الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة
ان الله على كل شيء قدير: لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على
سواء فيقدر على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى. يعذب
من يشاء: تعذيبه. ويرحم من يشاء: رحمته. واليه تقلبون: تردون
وما انتم بمعجزين: ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء: ان فررتم من
قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها او التحصن في السماء
او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان: امن يهجو
رسول الله منكم. ويمدحه وينصره سواء. وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير: يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم
والذين كفروا بآيات الله: بدلائل وحدانيته او بكتبه. ولقائه
بالبعث. اولئك يئسوا من رحمتي: اي ييئسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي
للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء. واولئك لهم عذاب
اليم: بكفرهم. فما كان جواب قومه: قوم ابراهيم وقرئ بالرفع على انه الاسم
والخبر. الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه: وكان ذلك قول بعضهم لكن لما
قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم. فانجاه الله من النار: اي فقذفوه
في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما. ان في ذلك: في انجائه
منها. لآيات: هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير
وانشاء روض مكانها. لقوم يؤمنون: لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتامل
فيها. وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم
محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة
اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقراها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة
الوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها
خبر مبتدا محذوف اي هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا
او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول

الاول ودونه مرفوعة منونة ومضافة بعيح بلكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ
انما مودة بينكم. ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا:
اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين
كقوله ويكونون عليهم ضدا. ومأويكم النار وما لكم من ناصرين: يخلصونكم
فامن له لوط: هو ابن اخيه واول من امن به وقيل انه امن حين راى النار
لم تحرقه. وقال انى مهاجر: من قومى. الى ربى: الى حيث امرنى ربى انه
هو العزيز: الذى يمنعنى من اعدائى. الحكيم: الذى لا يامرنى الا بما فيه صلاحى
روى انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه الى حران
ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم. ووهبنا له اسحق
ويعقوب: ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم
يذكر اسمعيل. وجعلنا فى ذريته النبوة: فكثر منهم الانبياء. والكتاب
يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة. واتيناه اجره: على هجرته الينا
فى الدنيا: باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة
فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى اخر الدهر. وانه
فى الاخرة لمن الصالحين: لفى عداد الكاملين فى الصلاح. ولوطا
عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه. اذ قال لقومه انكم لتاتون
الفاحشة: الفعلة البالغة فى القبح. ما سبقكم بها من احد من العالمين
استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع
وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم. ائنكم لتاتون الرجال
وتقطعون السبيل: وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة
حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما
ليس بحرث. وتاتون فى ناديكم: فى مجالسكم الغاصة ولا يقال النادى الا
لما فيه اهله. المنكر: كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح
عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمى البنادق. فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين: فى

استقباح ذلك او فى دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ. قال رب
انصرنى: بانزال العذاب. على القوم المفسدين: بابتداع الفاحشة
وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا
بانهم احقاء بان يحل بهم العذاب. ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
بالبشارة بالولد والنافلة. قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية
سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال. ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى
قال ان فيها لوطا: اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب
بالمانع وهو كون النبى صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم. قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله: تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه
وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها
وفيه تأخير البيان عن الخطاب. الا امراته كانت من الغابرين: الباقين
فى العذاب او القرية. ولما ان جاءت رسلنا لوطا سىء بهم: جاءته المساءة
والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا: وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم
ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل
الباع ينال ما لا ينال قصير الذراع. وقالوا: لما راوا فيه اثر الضجرة. لا تخف و
لا تحزن: على تمكنهم منا. انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين
وقرا حمزة وابن كثير والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم
ابو بكر فى الثانى وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او
بالعطف على محلها باعتبار الاصل. انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء: عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا
ارتجس اى اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد. بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم. ولقد تركنا منها اية بينة: هى حكايتها الشائعة او اثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها

المسودة لقوم يعقلون: يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية. والى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر: وافعلوا ما ترجون به
ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف. ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة: الزلزلة الشديدة و
قيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها. فاصبحوا في دارهم: في بلدهم
او دورهم ولم يجمع لامن اللبس. جاثمين: باركين على الركب ميتين. و
عادا وثمودا: منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا
وقرا حمزة ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة. وقد
وحفص م
تبين لكم من مساكنهم: اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها. وزين لهم الشيطان اعمالهم
من الكفر والمعاصي. فصدهم عن السبيل: السبيل السوي الذي بين
الرسل لهم. وكانوا مستبصرين: متمكنين من النظر والاستبصار
ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار
الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا. وقارون وفرعون وهامان
معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه. ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته. فكلا: من
المذكورين. اخذنا بذنبه: عاقبنا بذنبه. فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا: ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة: كمدين وثمود. ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا: كقوم نوح وفرعون وقومه. وما كان الله ليظلمهم: ليعاملهم
معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته. ولكن كانوا
انفسهم يظلمون: بالتعرض للعذاب. مثل الذين اتخذوا من دون
الله اولياء: فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا او مثلهم بالاضافة الى الموحد

الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص. كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا: فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعكاب وعكبة واعكب
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت: لا بيت اوهن واقل وقاية للحر و
البرد منه. لو كانوا يعلمون: يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم
او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه
به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم. ان
الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء: على اضمار القول اي قل للكفرة
ان الله يعلم وقرا البصريان وعاصم بالياء حملا على ما قبله وما
استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن
مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة
مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين
تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم. وهو العزيز الحكيم
تعليل على المعنى فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا
شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في
العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على
مجازاتهم. وتلك الامثال: يعني هذا المثل ونظائره. نضربها
للناس: تقريبا لما بعد من افهامهم. وما يعقلها: وما يعقل حسنها
وفائدتها. الا العالمون: الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي
وعنه عليه الصلوة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه. خلق الله السموات والارض
بالحق: محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان
في ذلك لآية للمؤمنين: لانهم المنتفعون بها. اتل ما اوحي اليك

من الكتاب: تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع
سمعه. واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر: بان تكون سببا
للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث
للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه و
سلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان الصلوة
ستنهاه فلم يلبث ان تاب. ولذكر الله اكبر: وللصلوة اكبر من سائر الطاعات
وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على
الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته
من سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة. والله يعلم ما تصنعون. و

الجزء الحادي والعشرون

لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن: الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف
اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم. الا
الذين ظلموا منهم: بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم
يد الله مغلولة او نبذ العهد ومنع الجزية. وقولوا آمنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم: هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه و
سلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله
فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم. والهنا والهكم
واحد ونحن له مسلمون: مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله. وكذلك: ومثل ذلك الانزال. انزلنا اليك
الكتاب: وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله. فالذين
آتيناهم الكتاب يؤمنون به: هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب. ومن هؤلاء: ومن العرب
او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتابيين. من يؤمن
به: بالقرآن. وما يجحد باياتنا: مع ظهورها وقيام الحجة عليها. الا

الا الكافرون: الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم يصدهم عن التأمل فيما يفيد
لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه بقوله. وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك: فان ظهور
هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق
للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد. اذا لارتاب
المبطلون: اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب
الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه
الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم
فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر. بل هو: بل القرآن. آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم: يحفظونه لا يقدر احد تحريفه. و
ما يجحد باياتنا الا الظالمون: الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها. وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه: مثل
ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات
قل انما الآيات عند الله: ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه
وانما انا نذير مبين: ليس من شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات
اولم يكفهم: آية مغنية عما اقترحوه. انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم:
تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات
او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك. ان في
ذلك: في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة. لرحمة: لنعمة عظيمة. وذكرى لقوم
يؤمنون: وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان اناسا من المسلمين اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتبت فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها
ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم فنزلت. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا:
بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم
اياي بالتكذيب والتعنت. يعلم ما في السموات والارض: فلا يخفى عليه حالي
وحالكم. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله: منكم. اولئك هم الخاسرون:

حيث اشتروا الكفر بالايمان . ويستعجلونك بالعذاب : بقولهم امطر علينا
حجارة من السماء . ولولا اجل مسمى : لكل عذاب او قوم . لجاءهم العذاب
عاجلا . وليأتينهم بغتة : فجأة كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت
بهم . وهم لا يشعرون : باتيانه . يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين : ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او كالمحيطة بهم الآن لاحاطة
الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم . يوم
يغشاهم العذاب : ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت . من فوقهم ومن
تحت ارجلهم : من جميع جوانبهم . ونقول : الله او بعض ملائكته بامره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون . ذوقوا ما كنتم تعملون : اى
جزاءه . يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
اى اذا لم تتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا
الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى
ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما
الصلاة والسلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها . كل نفس ذائقة الموت
تنالها لا محالة . ثم الينا ترجعون : للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد
في الاستعداد له . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا : علالي وقرئ لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب
غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين : وقرئ فنعم والمخصوص
بالمدح محذوف دل عليه ما قبله . الذين صبروا : صبروا على اذية المشركين و
الهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق . وعلى ربهم يتوكلون : ولا
يتوكلون الا على الله . وكاين من دابة لا تحمل رزقها : لا تطيق حمله
لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها . الله يرزقها

يرزقها واياكم : ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم
سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان الرزق الكل باسباب هو المسبب
لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم
كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت . وهو السميع : لقولكم هذا العليم
بضميركم . ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
المسؤول عنهم اهل مكة . ليقولن الله : لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود . فانى يؤفكون : يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم
بذلك . الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له : يحتمل ان يكون الموسع
له والمضيق عليه واحدا على ان البسط على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير
موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم . ان الله بكل شيء عليم : يعلم مصالحهم
ومفاسدهم . ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد
موتها ليقولن الله : معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها
ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك . قل الحمد لله : على
عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك . بل اكثرهم لا
يعقلون : فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به
الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم . وما هذه الحيوة الدنيا
اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة . الا لهو ولعب
الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون
متعبين . وان الدار الآخرة لهي الحيوان : لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع
طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو
الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء
فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا . لو كانوا
يعلمون : لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة
سريعة الزوال . فاذا ركبوا في الفلك : متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم
على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر . دعوا الله مخلصين له الدين

كائنين في صورة من اخلص دينه من المومنين حيث لا يذكرون الا الله لا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو . فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون : فاجئوا المعاودة الى الشرك . ليكفروا بما آتيناهم : اللام فيه
لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة . وليتمتعوا : باجتماعهم
على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة
ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون . فسوف
يعلمون : عاقبة ذلك حين يعاقبون . اولم يروا : يعني اهل مكة . انا جعلنا
حرما آمنا : اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل و
السبي . ويتخطف الناس من حولهم : يختلسون قتلا واسرا اذ كانت
العرب حوله في تغاور وتناهب . افبالباطل : ابعد هذه النعمة المكشوفة
وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان . يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون : حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص
على طريق المبالغة . ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا : بان زعم ان له شريكا
او كذب بالحق لما جاءه : يعني الرسول صلى الله عليه وسلم او الكتاب وفي لما
تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب
اول ما سمعوه . اليس في جهنم مثوى للكافرين : تقرير لثوائهم كقوله
الستم خير من ركب المطايا . اي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا
مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي
الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة . والذين
جاهدوا فينا : في حقنا فاطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة
والباطنة بانواعه . لنهدينهم سبلنا : سبل السير الينا والوصول
الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله و
الذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم . وان الله لمع المحسنين : بالنصرة والاعانة
قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة العنكبوت كان

كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين

سورة الروم مكية

الا قوله فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم في ادنى الارض : ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة
عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة . وهم من بعد غلبهم
من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون
في بضع سنين : روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى
وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت
فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث
سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين
الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر
من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به و
استدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه
كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ
غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا
بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل . لله الامر من قبل
ومن بعد : من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم

القلوص من الابل الشابة

مغلوبين ووقت كونهم غالبين اى الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شى
منهما الا بقضائه وقرى من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل
قبلا وبعدا اى اولا واخرا . ويومئذ : ويوم يغلب الروم . يفرح المؤمنون
بنصر الله : من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور
صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم
فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم
بعضا حتى تفانوا . ينصر من يشاء : فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى
وهو العزيز الرحيم : ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم
اخرى . وعد الله : مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد
لا يخلف الله وعده : لامتناع الكذب عليه . ولكن اكثر الناس
لا يعلمون : وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم . يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا : ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها . و
هم عن الاخرة : التى هى غايتها والمقصودة منها . هم غافلون لا تخطر
ببالهم وهم الثانية تكرير للاول او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر
الاول وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى
الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها
لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم
بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها
وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما
باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى
يختص بظاهر الدنيا . او لم يتفكروا فى انفسهم : او لم يحدثوا
التفكر فيها او لم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من
غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها
ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها . ما

وما بينهما :

خلق السموات والارض الا بالحق : متعلق بقول او علم محذوف يدل
الكلام عليه . واجل مسمى : تنتهى عنده ولا تبقى بعده . وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم : بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى او قيام الساعة
لكافرون : جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون . او لم
يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم : تقرير لسيرهم
فى اقطار ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم . كانوا اشد منهم قوة : كعاد
وثمود . واثاروا الارض : وقلبوا وجهها لاستنباط المياه و
استخراج المعادن وزرع البذور وغيرها . وعمروها : وعمروا الارض
اكثر مما عمروها : من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لا تبسط
لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف
حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف
فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع لها . و
جاءتهم رسلهم بالبينات : بالمعجزات او الايات الواضحات . فما
كان الله ليظلمهم : ليفعل بهم فعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير
ولكن كانوا انفسهم يظلمون : حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم . ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوأى : اى ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة
السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك
عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوأ كالحسنى او مصدر
كالبشرى نعت بها . ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن
علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله
بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات
واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صفة الفعل ان كذبوا تابعها والخبر
محذوفا للابهام والتهويل وان تكون مفسرة لان الاساءة اذا كانت
مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرا ابن عامر و
الكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة

ينشئهم ه

الله يبدأ الخلق ثم يعيده: يبعثهم ثم اليه ترجعون: للجزاء والعدول
الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون: يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظره
فابلس اذا سكت وأيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ
بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته. ولم يكن لهم من شركائهم: ممن اشركوا بالله
شفعاء: يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه. وكانوا بشركائهم
كافرين: بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في
المصحف شفعواء وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة
على صورة الحرف الذي منه حركتها. ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون:
اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة: ارض ذات اشجار وانهار. يحبرون: يسرون سرورا
تهللت له وجوههم. واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
فاولئك في العذاب محضرون: مدخلون لا يغيبون عنه. فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون: اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات
او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد
ممن له تمييز من اهل السموات والارض التي فيها يظهر قدرته وتتجدد فيها
نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما
اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها
والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا
معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة
المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر و
تظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول
كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة

بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه
صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى
قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته
في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي: كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة وبعث الحيوة بالموت وبالعكس. ويحيي الارض: بالنبات
بعد موتها: يبسها. وكذلك: ومثل ذلك الاخراج. تخرجون: من قبوركم
فانه ايضا يعقب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء. ومن آياته
ان خلقكم من تراب: اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه. ثم اذا
انتم بشر تنتشرون: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض. و
من آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا: لان حواء خلقت من ضلع آدم
وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر. لتسكنوا
اليها: لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب
للتنافر. وجعل بينكم: بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس. مودة
ورحمة: بالزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او
بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم
وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا. ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون: فيعلمون ان في ذلك من الحكم. ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم: لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها و
اقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية. والوانكم: بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء و
هيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين
مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان
في شيء من ذلك لا محالة. ان في ذلك لآيات للعالمين: لا يكاد يخفى على

عاقل من ملك وانس وجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها
الا العالمون. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله:
منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وطلب معاشكم
فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين
بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر
عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة. ان في ذلك لآيات لقوم
يسمعون: سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة. ومن آياته
يريكم البرق: مقدر بان كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا •
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي • او الفعل فيه منزل منزلة المصدر
كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها
البرق كقوله • فما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش
اكدح • خوفا: من الصاعقة وللمسافر وطمعا: في الغيث وللمقيم و
نصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم يستلزم رؤيتهم او له
على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة
والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها
وينزل من السماء ماء: وقرئ بالتشديد. فيحيي به الارض: بالنبات
بعد موتها: يبسها. ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون: يستعملون عقولهم
في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع و
حكمته. ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره: قيامهما باقامته
لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير
بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة. ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون: عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل
ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم
دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب
حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب

اجابة الداعي المطيع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن
الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا
لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى و
له من في السموات والارض كل له قانتون: منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون
عليه. وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده: بعد هلاكهم. وهو اهون عليه
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم
والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون
او لان الاعادة بمعنى ان يعيد. وله المثل الاعلى: الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية. الاعلى
الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه. في السموات والارض: يصفه به
ما فيهما دلالة ونطقا. وهو العزيز: القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته
الحكيم: الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته. ضرب لكم مثلا من انفسكم: منتزعا
من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم. هل لكم من ما ملكت ايمانكم: من مماليككم من
شركاء فيما رزقناكم: من الاموال وغيرها. فانتم فيه سواء: فتكونون انتم وهم
فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء
والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. تخافونهم
ان تستبدوا بتصرف فيه. كخيفتكم انفسكم: كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض. كذلك
مثل ذلك التفصيل. نفصل الآيات: نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها
لقوم يعقلون: يستعملون عقولهم في تدبر الامثال. بل اتبع الذين ظلموا
بالاشراك. اهواءهم بغير علم: جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما
ردعه علمه. فمن يهدي من اضل الله: فمن يقدر على هدايته. وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها. فاقم وجهك للدين حنيفا: فقومه له
غير ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به. فطرة الله
خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها. التي فطر الناس عليها
خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما

خلقوا عليه اي جبلهم لها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته. لا تبديل لخلق الله
لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير. ذلك: اشارة الى الدين المأمور به او
التوحيد او الفطرة ان فسرت بالملة. الدين القيم: المستوي الذي لا عوج فيه. و
لكن اكثر الناس لا يعلمون: استقامته لعدم تدبرهم. منيبين اليه: راجعين
اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من
الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة. ولا تكونوا من
المشركين: غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما
من الذين فرقوا دينهم: بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم في ما يعبدونه
على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به
وكانوا شيعا: فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها. كل حزب بما لديهم
فرحون: مسرورون ظنا بانهم على الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان
الخبر من الذين فرقوا. واذا مس الناس ضر: شدة. دعوا ربهم منيبين
اليه: راجعين اليه من دون غيره. ثم اذا اذاقهم منه رحمة: خلاصا من تلك الشدة
اذا فريق منهم بربهم يشركون: فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم
ليكفروا بما آتيناهم: اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا
غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا. فسوف تعلمون: عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض. ام انزلنا عليهم سلطانا: حجة وقيل ذا سلطان
اي ملكا معه برهان. فهو يتكلم: تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق
بما كانوا به يشركون: باشراكهم وصحته او بالامر الذي يشركون به في الوهيته و
اذا اذقنا الناس رحمة: نعمة من صحة وسعة. فرحوا بها: بطروا بسببها
وان تصبهم سيئة: شدة. بما قدمت ايديهم: بشؤم معاصيهم. اذا هم
يقنطون: فاجؤوا القنوط من رحمته. اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر: فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون: فيستدلوا بها على كمال القدرة والحكمة

فآت ذا القربى حقه: كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم
وهو غير مشعر به. والمسكين وابن السبيل: ما وظف لهما من الزكوة و
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء
ذلك خير للذين يريدون وجه الله: ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى. واولئك هم المفلحون: حيث حصلوا
بما بسط لهم النعيم المقيم. وما آتيتم من ربا: زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع
بها مزيد مكافات وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى جئتم به من اعطاء ربا. ليربو في اموال
الناس: ليزيد ويزكو في اموالهم. فلا يربوا عند الله: فلا يزكو عنده ولا يبارك
فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا. وما آتيتم من
زكوة تريدون وجه الله: تبتغون به وجهه خالصا. فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة و
اليسار والذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين
وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه
خاطب الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره
المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون. الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء: اثبت له لوازم
الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا
بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من
ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه
بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان تشييع الحكم في جنس الشركاء و
الافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء
ظهر الفساد في البر والبحر: كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق
الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد

اخفاق الصايد

بالبحر قرى السواحل وقرى والبحر بما كسبت ايدي الناس بشوم
معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه
وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي
عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن
كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
مصداق ذلك وتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة
على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم
وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله
متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته
القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في
الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون
والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء
على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم و
المحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح من ترك ضميرهم الى التصريح
تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او
الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل
الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس
مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة

لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو
مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار
المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين
اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم
واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام
ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك
وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا
مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة
اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء
من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على
تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او
الارسال لمبلسين لايسين فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من
النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان
ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم
فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث
لمثل ما كان فيها من القوى النامية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون
من مواد ما تفتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير
لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا
فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا

لم يمطروا واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاءين ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زرعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه. فانك لا تسمع الموتى: وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم. ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين: قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا. وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم: سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم. ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا: فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان. فهم مسلمون: لما تامرهم. الله الذي خلقكم من ضعف: اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة. ثم جعل من بعد ضعف قوة: وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح. ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة: اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والسقم والسقم وتنكير مع تكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم. يخلق ما يشاء: من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة. وهو العليم القدير: فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة. ويوم تقوم الساعة: القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة. يقسم المجرمون ما لبثوا: في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام. غير ساعة: استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا. كذلك: مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون: يصرفون في الدنيا. وقال الذين اوتوا العلم والايمان: من الملائكة والانس. لقد لبثتم في كتاب الله: في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ. الى يوم البعث: ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه. فهذا يوم البعث: الذي انكرتموه. ولكنكم كنتم لا تعلمون: انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم. فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم: وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما. ولا هم يستعتبون: لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل: ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الاسعاف بالمعذرة والاستعتاب وبينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم. ولئن جئتهم بآية: من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا: من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم. ان انتم: يعنون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. الا مبطلون: مزورون. كذلك: مثل ذلك الطبع. يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون: لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق. فاصبر: على اذاهم. ان وعد الله: بنصرتك واظهار دينك على الدين كله. حق: لا بد من انجازه. ولا يستخفنك: ولا يحملنك على الخفة والقلق. الذين لا يوقنون: بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر

عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في
يومه وليلته

سورة لقمان وهي مكية

وقيل الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة
وهو ضعيف لانه ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه
في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة
ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه
الثلثة من شعبه لفضل اعتداده بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة
الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما
يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك
وفضول الكلام والاضافة بمعنى من تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية
ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم
وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود
فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل
الله دينه او قراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت
على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث
استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية
وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم
عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه

آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها
مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل
لا يقدر ان يسمع والاوليان حالان من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او
حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه
بان العذاب يحيق به لا محالة وقرا نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة
خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق اللام وعد
الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد
وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجازه وعده
ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير
عمد ترونها استئناف وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي
جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان تشابه اجزائها يقتضي
تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته ولشيء من لوازمه
بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته
التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها
بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه
فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء
وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين
اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة
يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى
ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس
العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها

ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله
وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود
فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان
والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله
عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا . ان اشكر لله
لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول . ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها . ومن كفر فان الله غني
لا يحتاج الى الشكر . حميد : حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته
بلسان الحال . واذ قال لقمان لابنه : انعم او اشكم او ماثان . وهو يعظه
يا بني : تصغير اشفاق . لا تشرك بالله : قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم
ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما . ان الشرك لظلم عظيم : لانه تسوية بين
من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه . ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا
ذات وهن او تهن وهنا . على وهن : اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها
لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن
وهنا ووهن يوهن وهنا . وفصاله في عامين : وفطامه في انقضاء
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة
الرضاع حولان . ان اشكر لي ولوالديك : تفسير لوصينا او علة له او بدل
من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للوصية
في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام لمن قال من ابر امك ثم امك
ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك . الي المصير : فاحاسبك على شكرك وكفرك
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم : باستحقاقه الاشراك تقليدا
لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه . فلا تطعهما : في ذلك . وصاحبهما في الدنيا
معروفا : صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم . واتبع : في الدين
سبيل من اناب الي : بالتوحيد والاخلاص في الطاعة . ثم الي مرجعكم : مرجعك

اي مولاه امره
كشاف

مرجعك ومرجعهما . فانبئكم بما كنتم تعملون : بان اجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي
عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك
فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك
فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا
لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته . يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل : اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك
مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها
لاضافة المثقال الى الحبة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد
به الحسنة او السيئة . فتكن في صخرة او في السموات او في الارض : في اخفى مكان
واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ
بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته . يأت بها الله : يحضرها فيحاسب
عليها . ان الله لطيف : يصل علمه الى كل خفي . خبير : عالم بكنهه . يا بني اقم
الصلوة : تكميلا لنفسك . وامر بالمعروف وانه عن المنكر : تكميلا لغيرك . و
اصبر على ما اصابك : من الشدائد سيما في ذلك . ان ذلك : اشارة الى الصبر او
الى كل ما امر به . من عزم الامور : مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر
اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد . ولا تصعر
خدك للناس : لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو
الصيد داء يعتري البعير فيلوي منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي
ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه . ولا تمش
في الارض مرحا : اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو
البطر . ان الله لا يحب كل مختال فخور : علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل
للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الآي . واقصد في مشيك
توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب
بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان اذا مشى اسرع فالمراد

ما فوق بين المتفاوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه
نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات
اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال
طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد
او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله
اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالابدال وهو جار في
كل سين اجتمع معه الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو
وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته
بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير
انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو
كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب
السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره
اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد
وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك
بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل بالطاعة بمن اراد ان يترقى
شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور
اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة
وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما
عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه
فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول

يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل
الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث
اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما
يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات
والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين
الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام و
لو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدود بسبعة ابحر
فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل
ان ومعموليها ويمده حال او للابتداء على انه مستانف والواو للحال ونصبه
البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده
بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد
وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله
عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه
عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن
عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما
امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع
بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و
سخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى
الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم
القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل هاهنا منتهى الجري وثم غرضه

او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات. وان الله بما تعملون خبير
عالم بكنهه. ذلك: الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع و
اختصاص الباري بها. بان الله هو الحق: بسبب انه الثابت في ذاته
الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته. وان ما يدعون من دونه الباطل
المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصرف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ
البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالتاء. وان الله هو العلي الكبير: مترفع
على كل شيء ومتسلط عليه. الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله
باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته
وشمول انعامه والباء للصلة او للحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات
الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون. ليريكم من
اياته: دلائله. ان في ذلك لآيات لكل صبار: على المشاق فيتعب نفسه في
التفكر في الآفاق والانفس شكور: يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمن
فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر. واذا غشيهم: علاهم وغطاهم
موج كالظلل: كما يظل من جبل وسحاب وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة
كقلة وقلال. دعوا الله مخلصين له الدين: لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد. فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره
بعض الانزجار. وما يجحد باياتنا الا كل ختار: غدار فانه نقض للعهد
الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر. كفور: للنعم. يا ايها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده: لا يقضي عنه وقرئ
لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه
ولا مولود: عطف على والد او مبتدأ خبره. هو جاز عن والده شيئا
وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من
المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة. ان وعد الله: بالثواب والعقاب
حق: لا يمكن خلفه. فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

الغرور: الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي
ان الله عنده علم الساعة: علم وقت قيامها. روي ان الحارث بن عمرو
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد
القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما
اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب
خمس وتلا هذه الآية. وينزل الغيث: في ابانه المقدر له والمحل المعين
له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد. ويعلم ما في الارحام
اذكر ام انثى اتام ام ناقص. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا: من خير
او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه. وما تدري نفس باي ارض تموت: كما
لا تدري في اي وقت تموت. روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر
الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني
فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه
تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله و
الدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلة
وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا
عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن. ان الله
عليم: يعلم الاشياء كلها. خبير: يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها. وعنه صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة
واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية

وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون. بسم الله الرحمن الرحيم. الم
ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره. تنزيل الكتاب: على ان
التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعدادا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ
خبره لا ريب فيه: فيكون من رب العالمين: حالا من الضمير في فيه لان المصدر

لا يعمل فيما بعد الجزء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب
او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه
فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه
تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله
من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه
على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه
الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك
اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي و
لا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم
سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم
على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا
تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر
الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض
ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة
ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم
يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة
فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة وقيل يقضي قضاء الف
فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة
ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من
السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة
متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك
عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب

الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا
واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة
والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما
يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف
فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان
يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانه تنسل منه اي تنفصل من سلالة
من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ
فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له شانا له
مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا
قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض
اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا
بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر و
العامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع
والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم
به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون
قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل و
الاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم
ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك
تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم
يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز
ان تكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى
مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ

صلى الله عليه وسلم

ون

والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد. ولو شئنا لآتينا كل نفس
هديها: ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له. ولكن حق القول مني
ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو. لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا
يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا: فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له. انا
نسيناكم: تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل
على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم. وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب و
المعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها: وعظوا بها. خروا سجدا و
سبحوا: نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث. بحمد ربهم: حامدين له خوفا من
عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى. وهم لا يستكبرون
عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا. تتجافى جنوبهم: ترتفع وتتنحى
عن المضاجع: الفرش ومواضع النوم. يدعون ربهم: داعين اياه. خوفا: من سخطه
وطمعا: في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى
العشاء فنزلت فيهم. ومما رزقناهم ينفقون: في وجوه الخير. فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم: لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. من قرة اعين: مما تقر به عيونهم وعنه صلى الله
عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ
حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى والفاعل في الكل هو

سجدة

الله تعالى وقرأت اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة
او استفهامية معلق عنها الفعل. جزاء بما كانوا يعملون: اي جزوا جزاء
او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله
ثوابهم. افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا: خارجا عن الايمان. لا يستوون: في الشرف
والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى. اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى: فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل يرتحل عنها لا محالة وقيل
المأوى جنة من الجنان. نزلا: سبق في آل عمران. بما كانوا يعملون: بسبب اعمالهم
او على اعمالهم. واما الذين فسقوا فمأويهم النار: مكان جنة المأوى للمؤمنين
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها: عبارة عن خلودهم فيها. وقيل
لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون: اهانة لهم وزيادة في غيظهم
ولنذيقنهم من العذاب الادنى: عذاب الدنيا ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل
والاسر. دون العذاب الاكبر: عذاب الآخرة. لعلهم: لعل من بقي منهم يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها: فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير
بها عقلا كما في بيت الحماسة. ولا يكشف الغماء الا ابن حرة. يرى غمرات
الموت ثم يزورها. انا من المجرمين منتقمون: فكيف من كان اظلم من كل
ظالم. ولقد آتينا موسى الكتاب: كما آتيناك. فلا تكن في مرية: شك
من لقائه: من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب
مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقائك
موسى وعنه عليه الصلوة والسلام رأيت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم
طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة. وجعلناه: اي المنزل على موسى. هدى
لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون: الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام
بامرنا: اياهم به او بتوفيقنا له. لما صبروا: وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما
صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا. وكانوا باياتنا يوقنون: لامعانهم

جعون

فيها النظر. إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة: فيقضي فيميز الحق من الباطل
فيميز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون: من أمر الدين. أولم يهد لهم:
الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم أهلكنا
من قبلهم من القرون: أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل
القراءة بالنون. يمشون في مساكنهم: يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم
على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد. إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ. أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز: التي جرز
نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله. فنخرج به زرعا: وقيل اسم
موضع باليمن. تأكل منه: من الزرع. أنعامهم: كالتبن والورق. وأنفسهم
كالحب والثمر. أفلا يبصرون: فيستدلون به على كمال قدرته وفضله.
ويقولون متى هذا الفتح: النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا
إن كنتم صادقين: في الوعد. قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم
ولا هم ينظرون: وهو يوم القيمة فإنه يوم نصر المؤمنين على الكفرة
والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون منهم فيه فإنهم لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه
جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم أرادوا
به الاستعجال تكذيبا واستهزاء فأجيبوا بما يمنع الاستعجال. فأعرض
عنهم: ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف. وانتظر: النصرة
عليهم. إنهم منتظرون: الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء
بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه. عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيى ليلة
القدر وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلثة ايام

[illegible]

وهي ثلاث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي

النبي اتق الله: ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى
والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله. ولا تطع الكافرين و
المنافقين: أي فيما يعود بوهن في الدين روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل
وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبي
ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة
وندعك وربك فنزلت. إن الله كان عليما: بالمصالح والمفاسد حكيما
لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة. واتبع ما يوحى إليك من ربك: كالنهي عن طاعتهم
إن الله كان بما تعملون خبيرا: فموح إليك ما يصلح ويغني عن الاستماع إلى الكفرة
وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي إن الله خبير
بمكايدهم فيدفعها عنك. وتوكل على الله: وكل أمرك إلى تدبيره. وكفى بالله
وكيلا: موكولا إليه الأمور كلها. ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه: أي ما جمع
قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الإنساني
أولا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد. وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون
منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم: وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة
ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب
الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر وقيل لجميل بن أسد الفهري ذو القلبين
والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة
الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفي الأمومة والبنوة
عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله
قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى و
غير أصل لم يجعل الزوجة والدعي للرجل ولا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين
بينهما وبينه ولادة. وقرأ أبو عمرو واللاي بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة
فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده وأصل تظاهرون
تتظاهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظّاهرون بالإدغام
وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهّرون من تظهّر

بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد ويظهرون من اظهر ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن
لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة
الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر كناية عن البطن
الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا
يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء وادعياءكم جمع دعي على الشذوذ وكانه
شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم: اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم
بافواهكم: لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي. والله يقول الحق: ماله حقيقة
عينية مطابقة له. وهو يهدي السبيل: سبيل الحق ادعوهم لآبائهم
انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله. هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا
من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق. فان لم تعلموا آباءهم
فتنسبوهم اليهم. فاخوانكم في الدين: فهم اخوانكم في الدين. ومواليكم: واولياؤكم
فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل. وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به
ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق
اللسان. ولكن ما تعمدت قلوبكم: ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت
فيه الجناح. وكان الله غفورا رحيما: لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة
به عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم: في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما
فيه صلاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم و
امره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه صلى الله
عليه وسلم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا و
امهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث
انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة. وازواجه امهاتهم
منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات

كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء
واولوا الارحام: وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض: في التوارث
وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين
في كتاب الله: في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما
فرض الله. من المؤمنين والمهاجرين: بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي
اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين
بحق الهجرة. الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا: استثناء من اعم ما يقدر
الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع. كان
ذلك في الكتاب مسطورا: كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن
وقيل في التوراة. واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم: مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم. ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم: خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم
نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له. واخذنا منهم ميثاقا غليظا: عظيم
الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف. ليسأل الصادقين
عن صدقهم: اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم
عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان
مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على
انفسهم عن صدقهم عهدهم. واعد للكافرين عذابا اليما: عطف على اخذنا
من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه
قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين. يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاءتكم جنود: يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة و
النضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا. فارسلنا عليهم ريحا: ريح الصبا
وجنودا لم تروها: الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة
ثم خرج اليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر
لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في

ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم و
ماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال . و
كان الله بما تعملون : من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون
من التحزب والمحاربة . بصيرا : رائيا . اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم . من
فوقكم : من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان . ومن اسفل منكم من
اسفل الوادي من قبل المغرب قريش . واذ زاغت الابصار : مالت
عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا . وبلغت القلوب الحناجر : رعبا
فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي
منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب . وتظنون بالله الظنونا : الانواع
من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه
او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما
حكى عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع و
ابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب
مطلقا وهو القياس . هنالك ابتلي المؤمنون : اختبروا فظهر المخلص
من المنافق والثابت من المتزلزل . وزلزلوا زلزالا شديدا : من شدة
الفزع وقرئ زلزالا بالفتح . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ضعف اعتقاد . ما وعدنا الله ورسوله : من الظفر واعلاء الدين
الا غرورا : وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس
والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور . واذ قالت
طائفة منهم : يعني اوس بن قيظي واتباعه . يا اهل يثرب : اهل المدينة وقيل هو
اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها . لا مقام لكم : لا موضع قيام لكم
ههنا وقرأ حفص على انه مكان او مصدر من اقام . فارجعوا : الى منازلكم
هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه
لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها . و

بها . ويستأذن فريق منهم النبي : للرجوع . يقولون ان بيوتنا عورة : غير
حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار
اذا اختلت وقد قرئ بها . وما هي بعورة : بل هي حصينة . ان يريدون
وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال . ولو دخلت عليهم : دخلت
المدينة او بيوتهم . من اقطارها : من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان
دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء
الحكم المرتب عليه . ثم سئلوا الفتنة : الردة ومقاتلة المسلمين . لآتوها
لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى جاؤها وفعلوها . وما تلبثوا بها
بالفتنة اي باعطائها . الا يسيرا : ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا
بالمدينة بعد الارتداد . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار : يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان
لا يعودوا لمثله . وكان عهد الله مسؤلا : مسؤلا عن الوفاء مجازى عليه . قل
لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل : فانه لا بد لكل شخص من حتف
انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم . واذا لا تمتعون
الا قليلا : اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا
او زمانا قليلا . قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد
بكم رحمة : اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع . ولا يجدون
لهم من دون الله وليا : ينفعهم . ولا نصيرا : يدفع الضر عنهم . قد يعلم الله
المعوقين منكم : المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم : من ساكني المدينة . هلم الينا : قربوا انفسكم الينا و
قد ذكر اصله في الانعام . ولا يأتون البأس الا قليلا : الا اتيانا او زمانا
او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع
المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي
اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا . اشحة عليكم : بخلاء

ن الا فرارا

عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم. فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم في احداقهم. كالذي يغشى عليه: كنظر المغشي عليه او كدوران
عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه. من الموت: من معالجة سكرات الموت
خوفا ولواذا بك. فاذا ذهب الخوف: وحيزت الغنائم. سلقوكم: ضربوكم
بالسنة حداد: ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان
اشحة على الخير: نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير
لان كلا منهما مقيد من وجه. اولئك لم يؤمنوا: اخلاصا. فاحبط الله
اعمالهم: فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم
وكان ذلك: الاحباط. على الله يسيرا: هينا لتعلق الارادة به وعدم ما
يمنعه عنه. يحسبون الاحزاب لم يذهبوا: اي هولاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة. وان يات الاحزاب
كرة ثانية. يودوا لو انهم بادون في الاعراب: تمنوا انهم خارجون الى
البدو حاصلون بين الاعراب. يسألون: كل قادم من جانب المدينة عن
انبائكم: عما جرى عليكم. ولو كانوا فيكم: هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان
قتال. ما قاتلوا الا قليلا: رياء وخوفا من التعيير. لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة: خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب
ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون
منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة
فيه. لمن كان يرجو الله واليوم الآخر: اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام
الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل
فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر
على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه. وذكر الله كثيرا: وقرن بالرجاء كثرة الذكر
المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك. ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله: بقوله تعالى ام حسبتم ان

صلى الله عليه وسلم

ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله صلى الله عليه و
سلم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة و
السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر. وصدق الله ورسوله: وظهر
صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء و
اظهار الاسم للتعظيم. وما زادهم: فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء. الا
ايمانا: بالله ومواعيده. وتسليما: لاوامره ومقاديره. من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء
الدين من صدقني اذ قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه
فمنهم من قضى نحبه: نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير و
انس بن النضر رضي الله عنهم والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل
حيوان. ومنهم من ينتظر: الشهادة كعثمان وطلحة. وما بدلوا: العهد ولا غيروه
تبديلا: شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه و
سلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض
لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله. ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم: تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن
المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء
العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة. ان الله
كان غفورا رحيما: لمن تاب. ورد الله الذين كفروا: يعني الاحزاب
بغيظهم: متغيظين. لم ينالوا خيرا: غير ظافرين وهما حالان بتداخل او
تعاقب. وكفى الله المؤمنين القتال: بالريح والملائكة. وكان الله قويا
على احداث ما يريده. عزيزا: غالبا على كل شيء. وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب. من اهل الكتاب: يعني قريظة. من صياصيهم: من
حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة
الديك. وقذف في قلوبهم الرعب: الخوف وقرئ بالضم. فريقا
تقتلون وتأسرون فريقا: وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
وقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يامركم بالسير الى
بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة
فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله
من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة. واورثكم
ارضهم: مزارعهم. وديارهم: حصونهم. واموالهم: نقودهم و
مواشيهم واثاثهم روي انه عليه الصلوة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين
فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر
قال لا انما جعلت هذه لي طعمة. وارضا لم تطؤها: كفارس والروم وقيل
خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة. وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على ذلك. يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا:
السعة والتنعم فيها. وزينتها: زخارفها. فتعالين امتعكن: اعطكن
المتعة. واسرحكن سراحا جميلا: طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن
سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما
لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا
لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة رضي
الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم
التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن
كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في
وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات

منكن اجرا عظيما: يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن
كلهن كن محسنات. يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة: بكبيرة. مبينة: ظاهر
قبحها. يضاعف لها العذاب ضعفين: ضعفي عذاب غيرهن اي
مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه
ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرا
البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب
العذاب. وكان ذلك على الله يسيرا: لا يمنعه عن التضعيف كونهن
نساء النبي وكيف وهو سببه. ومن يقنت منكن: ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله: ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله. وتعمل صالحا نؤتها اجرها
مرتين: مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ
من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله. واعتدنا لها رزقا كريما: في الجنة
زيادة على اجرها. يا نساء النبي لستن كاحد من النساء: اصل احد وحد بمعنى
الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير و
المعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل. ان اتقيتن: مخالفة
حكم الله ورضاء رسوله. فلا تخضعن بالقول: فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا
مثل قول المريبات. فيطمع الذي في قلبه مرض: فجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول
وقلن قولا معروفا: حسنا بعيدا عن الريبة. وقرن في بيوتكن: من وقر يقر
وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف
فاستغني به عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر و
هو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع. ولا تبرجن: ولا تتبخترن
في مشيكن. تبرج الجاهلية الاولى: تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية
القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه
الصلوة والسلام كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض

نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
في الاسلام ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ان فيك جاهلية
قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر. واقمن الصلوة وآتين الزكوة
واطعن الله ورسوله: في سائر ما امركن به ونهاكن عنه. انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس: الذنب المدنس ولذلك عمم الحكم بتعليل لامرهن و
نهيهن على الاستئناف. اهل البيت: نصب على النداء او المدح
ويطهركم: عن المعاصي. تطهيرا: واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير
للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله
عنهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من
شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء
الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص
بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة: من الكتاب الجامع بين
الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي
وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة
حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به. ان الله كان لطيفا خبيرا: يعلم و
يدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح ان يكون اهل
بيته. ان المسلمين والمسلمات: الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله
والمؤمنين والمؤمنات: المصدقين بما يجب ان يصدق. والقانتين
والقانتات: المداومين على الطاعة. والصادقين والصادقات في
القول والعمل. والصابرين والصابرات: على الطاعات وعن المعاصي
والخاشعين والخاشعات: والمتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم و
المتصدقين والمتصدقات: بما وجب في مالهم. والصائمين والصائمات

الصائمات: الصوم المفروض. والحافظين فروجهم والحافظات: عن
الحرام. والذاكرين الله كثيرا والذاكرات: بقلوبهم والسنتهم. اعد الله
لهم مغفرة: لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات. واجرا عظيما: على
طاعتهم والآية وعد لهن لامتثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في
القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما
نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك
ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين
هذه الصفات. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة: ما صح له. اذا قضى الله ورسوله
امرا: اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه
قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم
بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد. ان
يكون لهم الخيرة من امرهم: ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا
اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم
مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام
يكون بالياء. ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا: بين الانحراف
عن الصواب. واذ تقول للذي انعم الله عليه: بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه. وانعمت عليه: بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة
امسك عليك زوجك: زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد
ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت
زينب بالتسبيح فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها
شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك

عليك زوجك. واتق الله في أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها و
تخفي في نفسك ما الله مبديه. وهو نكاحها إن طلقها أو إرادة طلاقها و
تخشى الناس. تعييرهم إياك به. والله أحق أن تخشاه. إن كان فيه ما يخشى
والواو للحال وليست المعاتبة على الإخفاء فإنه وحده حسن بل على الإخفاء مخافة
قالة الناس وإظهار ما ينافي إضماره فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض
الأمر إلى ربه. فلما قضى زيد منها وطرا. حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة
وطلقها وانقضت عدتها. زوجناكها. وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق
مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله تولى نكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها و
ذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين لقوة إيمانه. لكي لا يكون على المؤمنين حرج في
أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا. علة للتزويج وهو دليل على أن
حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل. وكان أمر الله. أمره الذي يريده. مفعولا
مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب. ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لأرزاقهم. سنة الله
سن ذلك سنة. في الذين خلوا من قبل. من الأنبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم. و
كان أمر الله قدرا مقدورا. قضاء مقضيا وحكما مبتوتا. الذين يبلغون
رسالات الله. صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع وقرئ رسالة
الله. ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله. تعريض بعد تصريح. وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه. ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها
ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ
الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. ولكن رسول الله. وكل رسول
أبو أمته لا مطلقا بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة. وقرئ رسول الله بالرفع على أنه خبر محذوف

محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولكن رسول الله من عرفتم أنه
لم يعش له ولد ذكر. وخاتم النبيين. وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به وعلى قراءة عاصم
بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام
في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا
نزل كان على دينه مع أن المراد أنه آخر من نبئ. وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه. يا أيها الذين آمنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا. يغلب الأوقات ويعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتمجيد و
التهليل والتحميد. وسبحوه بكرة وأصيلا. أول النهار وآخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين
كإفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان إليهما
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة. هو الذي يصلي عليكم. بالرحمة. وملائكته. بالاستغفار
لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم
وظهور شرفكم مستعار من الصلاة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من
الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار
الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث إنهم مجابو
الدعوة. ليخرجكم من الظلمات إلى النور. من ظلمات الكفر والمعصية إلى
الإيمان والطاعة. وكان بالمؤمنين رحيما. حيث اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة قدرهم
واستعمل في ذلك ملائكته المقربين. تحيتهم. من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون
يوم يلقونه. يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور أو دخول الجنة. سلام
إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة. وأعد لهم أجرا كريما. هي الجنة ولعل اختلاف
النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم. يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة
ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله. إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب الإيمان
به من صفاته. بإذنه. بتيسيره وأطلق له من حيث إنه من أسبابه وقيد به الدعوة
إيذانا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه. وسراجا منيرا. يستضاء

عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر . وبشر المؤمنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا : على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على
محذوف مثل فراقب احوال امتك . ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج
له على ما هو عليه من مخالفتهم . ودع اذاهم : ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او
ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ . وتوكل
على الله فانه يكفيكهم . وكفى بالله وكيلا : موكولا اليه الامر في الاحوال كلها
ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف
مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر
بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي
الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره
الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره . يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن : تجامعوهن
فما لكم عليهن من عدة : ايام يتربصن فيها بانفسهن . تعتدونها : تستوفون
عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها
والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم
وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه
من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة
وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا
مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن
الاصابة كما تؤثر في النسب تؤثر في العدة . فمتعوهن : اي ان لم يكن
مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي
سنة ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك من الوجوب والندب
فان المتعة سنة للمفروض لها . وسرحوهن : اخرجوهن من منازلكم اذ ليس
لكم عليهن عدة . سراحا جميلا : من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق
والضمير لغير المدخول بهن . يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي

اللاتي آتيت اجورهن : مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال
له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل كتقييد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله . وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك : فان
المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات
معه في قوله . وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتي هاجرن معك . ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول
ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء
وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي : نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف
على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام
بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان
اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك
اجلس ما دام زيد جالسا . ان اراد النبي ان يستنكحها : شرط للشرط الاول
في استحلال الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها
جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع
اليه في قوله . خالصة لك من دون المؤمنين : ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير
لاستحقاق الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة
لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ و
الاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها
او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في
وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة . قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم : من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث
لم يسم . وما ملكت ايمانهم : من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض

بالنهي م

عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو
خالصة للدلالة على الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا مجرد قصد التوسع عليه
بل المعاني تقتضي التوسع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله
غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي
من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء
وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن
عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك
التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك
وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء
واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ
بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو
حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي
وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقك كالاربع في حقنا
او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح الاخرى ولا ان
تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن
مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج
المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية
محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى
الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا

ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من
النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا
فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن
معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر
قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في
لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين
وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فا
دخلوا واذا
طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة
بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد
الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل
البيت بالتسمع عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي لا تدخلوا او ولا تمكثوا
مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله و
الاشتغال فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من
الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم
بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا
سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب
ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت
امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل يد عائشة رضي الله تعالى عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم و
ما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان
الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه

عليه الصلوة والسلام فارقها قبل ان يمسها فتركه عمر بكرة. ان ذلكم: يعني ايذاه
ونكاح نسائه. كان عند الله عظيما: ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله
وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال ان تبدوا شيئا
كنكاحهن على السنتكم. او تخفوه: في صدوركم. فان الله كان بكل شيء
عليما: فيعلم ذلك فيجازيكم به، وفي التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة
في الوعيد. لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن: استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه
لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او
نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة
الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما. ولا نسائهن:
يعني نساء المؤمنات. ولا ما ملكت ايمانهن: من العبيد والاماء، وقيل من
الاماء خاصة وقد مر في سورة النور. واتقين الله: فيما امرتن. ان الله كان
على كل شيء شهيدا: لا يخفى عليه خافية. ان الله وملائكته يصلون على النبي:
يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه. يا ايها الذين امنوا صلوا عليه: اعتنوا
انتم فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد. وسلموا تسليما: وقولوا
السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب
الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلوة
والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل
علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا
لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كره ان
يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا. ان الذين يؤذون الله ورسوله:
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم
شاعر مجنون ونحو ذلك فذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق لفظ الواحد على
معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين. لعنهم الله: ابعدهم من رحمته. في

الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا: يهينهم مع الايلام. والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا: بغير جناية استحقوا بها
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا: ظاهرا روي انها نزلت في المنافقين كانوا يؤذون
عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن
كارهات. يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن: يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة
ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض. ذلك ادنى ان
يعرفن: يميزن من الاماء والقينات. فلا يؤذين: فلا يؤذيهن اهل الريبة
بالتعرض لهن. وكان الله غفورا: لما سلف. رحيما: بعباده حيث يراعي
مصالحهم حتى الجزئيات منها. لئن لم ينته المنافقون: عن نفاقهم. والذين
في قلوبهم مرض: ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم
والمرجفون في المدينة: يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من
ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه
متزلزلا غير ثابت. لنغرينك بهم: لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما
يضطرهم الى طلب الجلاء. ثم لا يجاورونك: عطف على لنغرينك وثم للدلالة
على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم. فيها: في
المدينة. الا قليلا: زمانا او جوارا قليلا. ملعونين: نصب على الشتم او
الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان
ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا: لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها. سنة الله في الذين خلوا من قبل: مصدر مؤكد اي سن
الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في
وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا. ولن تجد لسنة الله تبديلا: لانه
لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها. يسألك الناس عن الساعة: عن
وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا. قل انما علمها عند الله: لم
يطلع عليه ملكا ولا نبيا. وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا: شيئا

قريبا او يكون الساعة عرضة او انتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين. ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا: نارا شديدة الايقاد. خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا: يحفظهم. ولا نصيرا: يدفع العذاب عنهم. يوم تقلب وجوههم في النار: تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ومعلق الظرف. يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا: فلن نبتلى بهذا العذاب. وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا: يعني قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة. فاضلونا السبيلا: بما زينوا لنا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب: مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا. والعنهم لعنا كبيرا: كثير العدد وقرا عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه. يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا: فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه. وكان عند الله وجيها: ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها. يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله: في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله. وقولوا قولا سديدا: قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد. يصلح لكم اعمالكم: يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها. ويغفر لكم ذنوبكم: ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل. ومن يطع الله ورسوله: في الاوامر والنواهي. فقد فاز فوزا عظيما: يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا. انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها

الانسان: تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء، والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين. انه كان ظلوما: حيث لم يف بها ولم يراع حقها. جهولا: بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب. وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرا ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة لا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فتحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات: تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات. وكان الله غفورا رحيما: حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا

وقيل الا والذين اوتوا العلم الآية وآيها خمس اربعون بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا
لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية
قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من
يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور
الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ
في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب
والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال
العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها
او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد قل بلى رد لكلامهم
واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم
مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر
وقرا حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب
بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا
في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده
القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على
ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا
جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين
فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا و

امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا
في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا
وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب
من رجز من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى
الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من
مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن
رفع الحق جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع
مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل
منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق
عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو
التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم يحدثكم
باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشئون
خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا و
تقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده
فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب عنه وعنه بان وممزق
يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم
كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج
الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه
على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه
وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم
ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص

منه وما هو مؤداه من العذاب جعل رسيلا في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ
للمبالغة في استحقاقهم له والبعيد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال
به على الاسناد المجازي . افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء :
تذكير بما يعاينوه مما يدل على كمال قدرة وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا او تهديدا والمعنى اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي
وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور
البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على
الله وحفص كسفا بالتحريك . ان في ذلك : النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه
لآية : لدلالة . لكل عبد منيب : راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره
ولقد آتينا داود منا فضلا : اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على
سائر الناس فيندرج النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن . يا جبال
اوبي معه : رجعي معه التسبيح او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل
صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل فيها او سيري معه حيث
سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا
او من آتينا باضمار قولنا او قلنا . والطير : عطف على محل الجبال ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب
او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف
على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال و
الطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء
سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ
مشيته فيها . والنا له الحديد : وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء
من غير احماء وطرق بالآلات او بقوته . ان اعمل : امرناه ان اعمل وان مفسرة
او مصدرية . سابغات : دروعا واسعات وقرئ صابغات

صابغات وهو اول من اتخذها . وقدر في السرد : وقدر في نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق
ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد . واعملوا صالحا
الضمير فيه لداود واهله . اني بما تعملون بصير : فاجازيكم عليه . ولسليمان
الريح : اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة
غدوها شهر ورواحها شهر : جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك و
قرئ غدوتها وروحتها . واسلنا له عين القطر : النحاس المذاب اساله
له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن
ومن الجن من يعمل بين يديه : عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ و
خبر باذن ربه : بامره . ومن يزغ منهم عن امرنا : ومن يعدل منهم عما امرناه
من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه . نذقه من عذاب السعير : عذاب الآخرة
يعملون له ما يشاء من محاريب : قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت
به لانها تذب عنها ويحارب عليها . وتماثيل : وصورا وتماثيل للملائكة و
الانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة
التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه
فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وجفان : وصحاف كالجواب : كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة . وقدور راسيات : ثابتات
على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها . اعملوا آل داود شكرا : حكاية لما قيل لهم و
شكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او
الوصف له او الحال او المفعول به . وقليل من عبادي الشكور : المتوفر على اداء
الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر
نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر . فلما
قضينا عليه الموت : اي على سليمان . ما دلهم على موته : ما دل الجن وقيل آله
الا دابة الارض : اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر

الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت
القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا. تأكل منسأته: عصاه من نسأت البعير
اذا طردته لانها تنسأ بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير
قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضاة ومن سأته اي
طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة. فلما خر تبينت الجن
علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين: انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما
وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل
منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود
اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به
الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان
يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي
متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها
الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات
منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ
عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه. لقد كان لسبأ: لاولاد سبأ
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار
اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي
كما وجب. في مساكنهم: في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب
بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي
بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع. آية: علامة دالة على وجود
الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازي المحسن والمسيء معاضدة
للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان. جنتان: بدل من آية او خبر محذوف
تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين

خالصة

البساتين. عن يمين وشمال: جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها
وتضايقها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله. كلوا
من رزق ربكم واشكروا له: حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا
احقاء بان يقال لهم ذلك. بلدة طيبة ورب غفور: استئناف
للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على
المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة. فاعرضوا
عن الشكر. فارسلنا عليهم سيل العرم: سيل الامر العرم اي الصعب من
عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف
اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت
فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما
الصلوة والسلام. وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط: ثمر بشع فان
الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير
اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان
واثل وشيء من سدر قليل: معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء
ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق
مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
ذلك جزيناهم بما كفروا: بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم
ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص. وهل نجازي الا الكفور
وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب. وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها: بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام. قرى ظاهرة: متواصلة يظهر
بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل. وقدرنا فيها
السير: بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام

اثر العارو ان شديدا في الصحراء

سيروا فيها: على ارادة القول بلسان المقال او الحال. ليالي واياما: متى شئتم
من ليل ونهار. آمنين: لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا
آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا
تلقون فيها الا الامن. فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا: اشروا النعمة
وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا
فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب
القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم
فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين
وظلموا انفسهم: حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها. فجعلناهم احاديث
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل يقولون تفرقوا ايدي سبا. ومزقناهم
كل ممزق: ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب
وجذام بتهامة والازد بعمان. ان في ذلك: فيما ذكر. لآيات لكل صبار
عن المعاصي. شكور: على النعم. ولقد صدق عليهم ابليس ظنه: اي صدق
في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او
وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه
صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف
على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين راى
اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم. فاتبعوه
الا فريقا من المؤمنين: الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان: تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء. الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك: الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا

هولاء اولاد سبا بن يشجب

تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه و
يشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين
نكتة لا تخفى. وربك على كل شيء حفيظ: محافظ والزنتان متآخيتان. قل
ادعوا الذين زعمتم: اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول
لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله
الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه. من دون
الله: والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون
لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة
فقال: لا يملكون مثقال ذرة: من خير او شر. في السموات ولا في الارض
في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب
وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية
وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم. وما لهم فيهما من شرك:
من شركة لا خلقا ولا ملكا. وما له منهم من ظهير: يعينه على تدبير امرهما
ولا تنفع الشفاعة عنده: فلا ينفعهم شفاعتها ايضا كما يزعمون اذ لا
تنفع الشفاعة عند الله. الا لمن اذن له: اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم
يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام
في جئتك لزيد. حتى اذا فزع عن قلوبهم: غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقعا
وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب
الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا
وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من
فرغ الزاد اذا فني. قالوا: قال بعضهم لبعض. ماذا قال ربكم: في الشفاعة
قالوا الحق: قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون
وقرئ بالرفع اي مقوله الحق. وهو العلي الكبير: ذو العلو والكبرياء ليس لملك
ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه. قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقرير قوله لا يملكون. قل الله: اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم

ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم. وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين: اي وان احد الفريقين من الموحد
المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى
المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما
تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من
التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول
حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
وقيل انه على اللف وفيه نظر لاختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا
ينظر الاشيا ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشا والضال
كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيا او محبوس في مطمورة لا يستطيع
ان يتفصى منها. قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون
هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى
انفسهم والعمل الى المخاطبين. قل يجمع بيننا ربنا: يوم القيمة ثم يفتح
بيننا بالحق: يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. وهو
الفتاح: الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة. العليم: بما ينبغي
ان يقضى. قل اروني الذين الحقتم به شركاء: لارى باي صفة الحقتموهم
به في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبههم بعد الزام
الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم. كلا: ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال
المقايسة. بل هو الله العزيز الحكيم: الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة وهولاء الملحقون متسمون بالذلة متابية عن قبول العلم والقدرة
راسا والضمير لله او للشان. وما ارسلناك الا كافة للناس الا
رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار. بشيرا ونذيرا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون: فيحملهم جهلهم على مخالفتك. ويقولون: من

من فرط جهلهم متى هذا الوعد: يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله
يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين: يخاطبون رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنون. قل لكم ميعاد يوم: وعد يوم او زمان وعد و
اضافته الى اليوم للتبيين ويويده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني
لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون: اذا فاجاكم وهو جواب تهديد
جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار. وقال الذين
كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه: ولا بما تقدمه من الكتب
الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله
عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي
بين يديه يوم القيمة. ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم: اي في موضع
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول: يتحاورون ويتراجعون القول. يقول
الذين استضعفوا: يقول الاتباع. للذين استكبروا: للروساء. لولا انتم
لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان. لكنا مومنين: باتباع الرسول صلى
الله عليه وسلم. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صدد
ناكم عن الهدى
بعد اذ جاكم بل كنتم مجرمين: انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا
انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه و
لذلك بنوا الانكار على الاسم. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر
الليل والنهار: اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا
ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا راينا. اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندا
دا
والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع و
قرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل
من الكرور. واسروا الندامة لما راوا العذاب: واضمر الفريقان الندامة على
الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه
من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته. وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا: في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا

موجب اعمالهم. فهل يجزون الا ما كانوا يعملون: اي لا يفعل بهم ما يفعل الا
جزاء على اعمالهم وتعدية يجزي اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض. وما
ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما
مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة
بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك
ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا. انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة
الجمع بالجمع. وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا: فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
وما نحن بمعذبين: اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا
بالعذاب. قل: ردا لحسبانهم. ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: و
لذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك
لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته. ولكن اكثر الناس لا يعلمون: فيظنون
ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال: وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى: قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم و
الاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم. الا
من آمن وعمل صالحا: استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا
الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او
من اموالكم واولادكم على حذف المضاف. فاولئك لهم جزاء الضعف
بان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول
وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء
على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم. بما عملوا وهم في الغرفات
آمنون: من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على
ارادة الجنس. والذين يسعون في آياتنا: بالرد والطعن فيها. معاجزين:
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا. اولئك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له: يوسع عليه تارة و
يضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار الوقتين وما سبق في شخصين فلا

تكرر. وما انفقتم من شيء فهو يخلفه: عوضا اما عاجلا او آجلا. وهو
خير الرازقين: فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته. ويوم يحشرهم
جميعا: المستكبرين والمستضعفين. ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون: تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم و
تخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم
مبدا الشرك واصله. قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم: انت الذي
نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم: بل كانوا يعبدون الجن
اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون ويخيلون
اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم. اكثرهم بهم مؤمنون: الضمير الاول للانس او للمشركين
والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن. فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا: اذ الامر
فيه كله لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده. ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون: عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده. واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا: يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم: فيستتبعكم بما يستبدعه. وقالوا ما هذا:
يعنون القرآن. الا افك: لعدم مطابقة ما فيه الواقع. مفترى: باضافته الى
الله سبحانه. وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم: لامر النبوة او للاسلام
او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه. ان هذا الا سحر
مبين: ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه ومن المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب
بليغ منه. وما آتيناهم من كتب يدرسونها: فيها دليل على صحة الاشراك. وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير: يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه
له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال
وكذب الذين من قبلهم: كما كذبوا. وما بلغوا معشار ما آتيناهم: وما بلغ
هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا

هولاء من البينات والهدى . فكذبوا رسلي فكيف كان نكير : فحين كذبوا رسلي
جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هولاء من مثله ولا تكرير في
كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك
عطف عليه بالفاء . قل انما اعظكم بواحدة : ارشدكم وانصح لكم بخصلة
واحدة هي ما دل عليه . ان تقوموا لله : وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله
وسلم عليه او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد
مثنى وفرادى : متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش
الخاطر ويخلط القول . ثم تتفكروا : في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء
به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان
او الرفع والنصب باضمار هو او اعني . ما بصاحبكم من جنة : فتعلموا ما به
جنون يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في
ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق
ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم نفسه الى الهلاك فكيف
وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من اثار
الجنون . ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد : قدامه لانه مبعوث في
نسم الساعة . قل ما سألتكم من اجر : اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم
والمراد نفي السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع
عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما
موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم . ان اجري
الا على الله وهو على كل شيء شهيد : مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي . قل ان
ربي يقذف بالحق : يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل
فيدمغه . قل ان ربي يقذف بالحق او يرمي به الى اقطار الافاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام وافشائه . علام الغيوب : صفة محمولة على محل
ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب

بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور
وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب . قل جاء الحق : اي الاسلام . وما يبدئ
الباطل وما يعيد : وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه
اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد . فاليوم لا يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا
لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده . قل ان ضللت عن
الحق فانما اضل على نفسي : فان وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة
بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله . وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي : فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه . انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه . ولو ترى اذ فزعوا : عند الموت
او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت امرا فظيعا . فلا فوت
فلا يفوتون الله بهرب او تحصن . واخذوا من مكان قريب : من
ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب
والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا
فوت هناك وهناك اخذ . وقالوا آمنا به : بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره
في قوله ما بصاحبكم . وانى لهم التناوش : ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان
تناولا سهلا . من مكان بعيد : فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل
حالهم في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول
الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير
حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه من ناشت الشيء اذا طلبته قال
رؤبة . اقحمني جار ابي الجاموس . اليك ناش القدر النؤوش .
او من ناشت اذا تاخرت ومنه قوله . تمنى نئيشا ان يكون اطاعني .
وقد حدثت بعد الامور امور . فيكون بمعنى التناول من بعد . وقد كفروا به
بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل : من قبل ذلك اوان
التكليف . ويقذفون بالغيب : ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم

في الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او في العذاب من البت على نفي
من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبهة التي تمحلوها في امر الرسول
صلى الله عليه وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك
بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون
على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية
الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه
من الايمان في الدنيا. وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان
والنجاة به من النار. كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم
الدارجة. انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من
المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة. قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم
القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية

وهي خمس واربعون آية. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله فاطر
السموات والارض. مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما
منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي. جاعل الملائكة رسلا: وسائط
بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي
والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه
اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع: ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله
فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها
لما روي انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح
يزيد في الخلق ما يشاء: استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى
حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان

كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات
الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس. ان الله
على كل شيء قدير: وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة
ما يفتح الله للناس: ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب. من رحمة
كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة. فلا ممسك لها: يحبسها. وما يمسك فلا مرسل
له: يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق
يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه. من بعده: من
بعد امساكه. وهو العزيز: الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه. الحكيم: لا يفعل
الا بعلم واتقان. ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر
الناس بشكر انعامه فقال: يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم: احفظوها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان
يشرك به بقوله: هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون
فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به. ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف
او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه
ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق
مانع من اطلاقه على غير الله. وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك: اي فتأس بهم في الصبر
على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم
المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة. والى الله ترجع الامور: فيجازيك واياهم
على الصبر والتكذيب. يا ايها الناس ان وعد الله: بالحشر والجزاء. حق: لا خلف فيه
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا: فيذهلكم التمتع عن طلب الآخرة والسعي لها. ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا
التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود. ان
الشيطان لكم عدو: عداوة عامة قديمة. فاتخذوه عدوا: في عقائدكم وافعالكم
وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم. انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير: تقرير
لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا. الذين كفروا

قوله لزم الكراهة [illegible] مخالف لما ذكر [illegible]
يستعمل في الاثبات لا للاستفهام والانكار [illegible]
قال الله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون [illegible]
الت عاطرة دانت [illegible]
ويجوز ان يقال الانكار على [illegible] انكار على من
او على نوع الشيء كقوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين
وانكار على من اوقع الشيء نحو اتضرب زيدا [illegible]
[illegible] وانكار لوقوع الشيء ويستعمل فيه هل
[illegible] لا يستعمل في الاول [illegible]
قوله لان الاستفهام بمعنى النفي تعليل لصحة البدلية فان [illegible]
[illegible] الكلام المنفي لانها [illegible]
[illegible] او استئناف مفسر له
[illegible] من خالق [illegible]
ضعيف [illegible]
[illegible]
الطيبي [illegible]
[illegible] مبتدأ [illegible]
[illegible]
[illegible] البقاء [illegible]
البقاء [illegible]
بكلام المعترض [illegible]
[illegible] مبتدأ [illegible]
[illegible]
[illegible] الالف [illegible] الفعل
[illegible]
[illegible] الفعل [illegible]
[illegible]
[illegible]

لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير وعيد
لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأماني الفارغة وبناء للأمر كله على الإيمان و
العمل الصالح وقوله: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا: تقرير له أي أفمن زين له سوء عمله
بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن
لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف
الجواب لدلالة: فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء: وقيل تقديره أفمن زين
له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة: فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات: عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم على
التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير أن الأوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب و
جمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية
للتأسف وعليهم ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه
إن الله عليم بما يصنعون: فيجازيهم عليه. والله الذي أرسل الرياح وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح. فتثير سحابا: على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده
إليها ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر. فسقناه إلى
بلد ميت فأحيينا به الأرض: بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب
فإنه سبب السبب أو الصائر مطرا. بعد موتها: بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة
إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع. كذلك النشور: أي مثل إحياء
الموات نشور الأموات في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة
في المقيس والمقيس عليه وذلك لا مدخل لها وقيل في كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت
العرش تنبت منه أجساد الخلق. من كان يريد العزة: الشرف والمنعة. فلله
العزة جميعا: أي فليطلبها من عنده فإن له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه: بيان لما يطلب به العزة
وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو صعود
الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤ

يده أنه نصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل
بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى
أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن
وعنه صلى الله عليه وسلم هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن
عمل صالح لم يقبل. والذين يمكرون السيئات: المكرات السيئات يعني مكر
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداريهم الرأي في إحدى ثلاث
حبسه وقتله وإجلائه. لهم عذاب شديد: لا يؤبه دونه بما يمكرون به. ومكر
أولئك هو يبور: يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه
بقوله. والله خلقكم من تراب: بخلق آدم منه. ثم من نطفة: بخلق ذريته منها
ثم جعلكم أزواجا: ذكرانا وإناثا. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه: إلا معلومة
له. وما يعمر من معمر: وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر. ولا ينقص من عمره
من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله
ناقصا والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم
السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد
باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكون فيه إن حج عمرو فعمره ستون
سنة وإلا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في صحيفة
عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل. إلا في كتاب: هو علم الله أو
ذلك على ه: اللوح أو الصحيفة. إن ذلك على الله يسير: إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقص. وما
يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج: ضرب مثل للمؤمن
والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي
يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل. ومن كل تأكلون لحما
ومن اللؤلؤ والمرجان كذا: طريا وتستخرجون حلية تلبسونها: استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم أو تمام
التمثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا
يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره

عن كل الفطرة لا يساوي المؤمن الكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على الفطرة
الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع و
المراد بالحلية اللآلي واليواقيت . وترى الفلك فيه : في كل . مواخر : تشق
الماء بجريها . لتبتغوا من فضله : من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلق بمواخر
ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة . ولعلكم تشكرون : على ذلك و
حرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال . يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى : هي مدة دوره او منتهاه
او يوم القيمة . ذلكم الله ربكم له الملك : الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء و
فيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك
كلاما مبتدا في قران . والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير : للدلالة
على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة . ان تدعوهم لا
يسمعوا دعاءكم : لانهم جماد . ولو سمعوا : على سبيل الفرض . ما استجابوا
لكم : لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم . ويوم القيمة
يكفرون بشرككم : باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير : فلا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الله سبحانه
فانه الخبير على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون
لهم . يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله : في انفسكم وما يعن لكم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء و
ان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق
الانسان ضعيفا . والله هو الغني الحميد : المستغني على الاطلاق المنعم
على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد . ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه . وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر . ولا تزر وازرة وزر اخرى : ولا تحمل نفس آثمة اثم
نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين

المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم
ليس فيها شيء من وزر غيرهم . وان تدع مثقلة : نفس اثقلها الاوزار . الى حملها
يحمل بعض اوزارها . لا يحمل منه شيء : لا تجب لحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها
كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها . ولو كان ذا قربى : ولو كان المدعو ذا قرابتها
فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى
من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام . انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب : غائبين عن عذابه او عن الناس او غائبا عنهم عذابه . واقاموا
الصلوة : فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر . ومن
تزكى : ومن تطهر عن دنس المعاصي . فانما يتزكى لنفسه : اذ نفعه لها وقرئ و
من ازكى فانما يزكى وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من
جملة التزكي . والى الله المصير : فيجازيهم على تزكيهم . وما يستوي الاعمى
والبصير : الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل . ولا الظلمات
ولا النور : ولا الباطل ولا الحق . ولا الظل ولا الحرور : ولا الثواب و
لا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول
من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما يهب بالليل
وما يستوي الاحياء ولا الاموات : تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين
ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء . ان الله يسمع
من يشاء : هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته . وما انت بمسمع
من في القبور : ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه
عنهم . ان انت الا نذير : فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك
ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم . انا ارسلناك بالحق : محقين او
محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله . بشيرا ونذيرا
اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق . وان من امة : اهل عصر . الا
خلا : مضى . فيها نذير : من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم
بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو

ترشيح م

المقصود الاسم من الجملة. وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات: بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم. وبالزبر: وبصحف ابراهيم
وبالكتاب المنير: كالتورية والانجيل على التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما
واحد والعطف لتغاير الوصفين. ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير: اي
نكيري بالعقوبة. الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها: اجناسها او اصنافها على ان كلا منها اصناف مختلفة او هيئاتها
من الصفرة والخضرة ونحوهما. ومن الجبال جدد: اي ذو جدد اي خطط وطرائق
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى
الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح. بيض وحمر مختلف الوانها: بالشدة و
الضعف. وغرابيب سود: عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد
مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد
للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن
العائذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك: كاختلاف الثمار والجبال
انما يخشى الله من عباده العلماء: اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته
وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اني اخشاكم لله و
اتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود
حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم
فان المعظم يكون مهيبا. ان الله عزيز غفور: تعليل لوجوب الخشية لدلالته على
انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه. ان الذين يتلون كتاب
الله: يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب
الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص
حال المكذبين. واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة: تحصيل ثواب الطاعة وهو خبر ان. لن تبور: لن تكسد ولن

تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله. ليوفيهم اجورهم: علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد
وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك
ليوفيهم او عاقبة ليرجون. ويزيدهم من فضله: على ما يقابل اعمالهم. انه غفور: لفرطاتهم
شكور: لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون
حال من واو وانفقوا. والذي اوحينا اليك من الكتاب: يعني القرآن ومن للتبيين
او الجنس ومن للتبعيض. هو الحق مصدقا لما بين يديه: احقه مصدقا لما تقدمه من
الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان
الله بعباده لخبير بصير: عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح
اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان
العمدة في ذلك الامور الروحانية. ثم اورثنا الكتاب: حكمنا بتوريثه منك او نورثه
فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي
اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث. الذين اصطفينا من عبادنا: يعني علماء الامة
من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم. فمنهم
ظالم لنفسه: بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد: يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله: بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ
والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه
وسلم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك
يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم
الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين
ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير: اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق. جنات
عدن يدخلونها: مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد
بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها
على بناء المفعول. يحلون فيها: خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت

المرأة فهي حالية. من أساور من ذهب: من الأولى للتبعيض والثانية للتبيين.
ولؤلؤا: عطف على ذهب أي من ذهب مرصع باللؤلؤ، أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ،
ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من أساور. ولباسهم فيها حرير. وقالوا
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن: همهم من خوف العاقبة، أو همهم من أجل المعاش
وآفاته، أو من وسوسة إبليس وغيرها، وقرئ الحُزن. إن ربنا لغفور: للمذنبين. شكور:
للمطيعين. الذي أحلنا دار المقامة: دار الإقامة. من فضله: من إنعامه و
تفضله، إذ لا واجب عليه. لا يمسنا فيها نصب: تعب. ولا يمسنا فيها
لغوب: كلال، إذ لا تكليف فيها ولا كد، أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة.
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم: لا يحكم عليهم بموت ثان. فيموتوا:
ويستريحوا، ونصبه بإضمار أن، وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله: ولا يؤذن لهم
فيعتذرون. ولا يخفف عنهم من عذابها: بل كلما خبت زيد إسعارها. كذلك:
مثل ذلك الجزاء. نجزي كل كفور: مبالغ في الكفر أو الكفران. وقرأ أبو عمرو يُجزى
على بناء المفعول وإسناده إلى كل، وقرئ يجازى. وهم يصطرخون فيها:
يستغيثون، يفتعلون من الصراخ وهو الصياح، استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته. ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل: بإضمار القول، وتقييد
العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح، والاعتراف به، و
الإشعار بأن استخراجهم لتلافيه، وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق
لهم خلافه. أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير: جواب من الله وتوبيخ
لهم، وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر، وقيل ما بين العشرين
إلى الستين، وعنه عليه الصلاة والسلام: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون
سنة. والعطف على معنى أولم نعمركم فإنه للتقرير كأنه قيل عمرناكم وجاءكم النذير، وهو
النبي أو الكتاب، وقيل العقل أو الشيب أو موت الأقارب. فذوقوا فما للظالمين
من نصير: يدفع العذاب عنهم. إن الله عالم غيب السماوات والأرض: فلا
يخفى عليه خافية، فلا يخفى عليه أحوالهم. إنه عليم بذات الصدور: تعليل له لأنه إذا
علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيره. هو الذي جعلكم خلائف

خلائف في الأرض: ألقى إليكم مقاليد التصرف فيها، وقيل خلفا بعد خلف، جمع خليفة،
والخلفاء جمع خليف. فمن كفر فعليه كفره: جزاء كفره. ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا: بيان له،
والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين مستقل باقتضاء قبحه
ووجوب التجنب عنه، والمراد بالمقت وهو أشد البغض مقت الله، وبالخسار
خسار الآخرة. قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله: يعني آلهتهم،
والإضافة إليهم لأنهم جعلوه شركاء أو لأنفسهم فيما يملكونه. أروني ماذا خلقوا
من الأرض: بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لأنه بمعنى أخبروني كأنه قال أخبروني عن
هؤلاء الشركاء أروني أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه. أم لهم شرك في السماوات:
أم لهم شركة مع الله في خلق السماوات فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية. أم
آتيناهم كتابا: ينطق على أنا اتخذناهم شركاء. فهم على بينة منه: على حجة من ذلك
الكتاب بأن لهم شركة جعلية، ويجوز أن يكون هم للمشركين كقوله: أم أنزلنا عليهم سلطانا.
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر على بينات، فيكون إيماء على أن الشرك خطير لا بد
فيه من تعاضد الدلائل. بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا: لما نفى أنواع
الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف الأخلاف أو الرؤساء
الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليهم. إن الله يمسك
السماوات والأرض أن تزولا: كراهة أن تزولا، فإن الممكن حال بقائه لا بد له
من حافظ، أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع. ولئن زالتا إن أمسكهما:
ما أمسكهما. من أحد من بعده: من بعد الله، أو من بعد الزوال، والجملة سادة مسد
الجوابين، ومن الأولى زائدة والثانية للابتداء. إنه كان حليما غفورا: حيث أمسكهما
وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا كما قال تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض.
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم: وذلك
أن قريشا بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود و
النصارى وغيرهم، أو من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها
في الهدى والاستقامة. فلما جاءهم نذير: يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. ما زادهم

أي للنذير أو مجيئه على التسبب. إلا نفورا: تباعدا عن الحق. استكبارا
في الأرض: بدل من نفورا أو مفعول له. ومكر السيء: أصله أن مكروا المكر السيء
ثم حذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر ثم أضيف
ولا يحيق: ولا يحيط. المكر السيء إلا بأهله: وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وروي
ولا يحيق المكر أي لا يحيق به. فهل ينظرون: ينتظرون. إلا سنة الأولين: سنة
الله فيهم بعذاب مكذبيهم. فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا
إذ لا يبدلها بجعل غير العذاب عذابا ولا يحولها أن يعدلها من المكذبين إلى غيرهم ولم
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم: استشهاد
عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين
وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء: ليسبقه ويفوته في
السموات ولا في الأرض إنه كان عليما: بالأشياء كلها. قديرا: عليها. و
لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا: من المعاصي. ما ترك على ظهرها: ظهر الأرض من
دابة: من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الإنس وحده
لقوله. ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى: وهو يوم القيمة. فإذا جاء أجلهم فإن الله
كان بعباده بصيرا: فيجازيهم على أعمالهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

[illegible] مكية

وعنه صلى الله عليه وسلم تدعى في التوراة المعمة تعم صاحبها خير الدارين الدافعة والقاضية
تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وآياتها ثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
يس: كالم في المعنى والإعراب وقيل معناه يا إنسان بلغة طي على أن أصله
يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر
بالجر وبالفتح على البناء كأين أو بالإعراب على اتل يس أو بإضمار حرف القسم والفتحة
لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث أو إعرابا على هذه يس وأمال الياء حمزة والكسائي
وحفص وروح وأدغم النون في واو. والقرآن الحكيم: ابن عامر والكسائي ويعقوب

منصوب وهي أو القسم أو العطف إن جعل يس مقسما به. إنك لمن المرسلين
على صراط مستقيم: لمن الذين أرسلوا على طريق مستقيم وهو التوحيد و
الاستقامة في الأمور ويجوز أن يكون على صراط خبرا ثانيا أو حالا من المستكن في
الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وإن دل عليه لمن المرسلين
التزاما. تنزيل العزيز الرحيم: خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر و
حمزة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار أعني أو فعله على أنه على أصله وقرئ بالجر على
البدل من القرآن. لتنذر قوما: متعلق بتنزيل أو بمعنى لمن المرسلين. ما أنذر
آباؤهم: قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الأقربين لتطاول مدة الفترة فيكون
صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرساله أو الذي أنذر به أو شيئا أنذر به آباؤهم
الأبعدين فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو إنذار آبائهم على المصدر. فهم غافلون:
متعلق بالنفي على الأول أي لم ينذروا فبقوا غافلين أو بقوله إنك لمن المرسلين
على الوجوه الأخيرة أي أرسلناك إليهم لتنذرهم فإنهم غافلون. لقد
حق القول على أكثرهم: يعني قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فهم لا يؤمنون: لأنهم ممن علم أنهم لا يؤمنون. إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا:
تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم
بالذين غلت أعناقهم. فهي إلى الأذقان: فالأغلال واصلة إلى أذقانهم
فلا تخليهم يطأطئون. فهم مقمحون: رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم
في أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له. وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم
فهم لا يبصرون: وبمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم
ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح
وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف
أبو جهل إن صح رأس النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما
رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم

فلون

فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله. وسواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون: سبق تفسيره في البقرة. انما تنذر: انذارا يترتب عليه
البغية المرومة. من اتبع الذكر: اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به. وخشي الرحمن
بالغيب: وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته
فانه كما هو رحمن منتقم قهار. فبشره بمغفرة واجر كريم. انا نحن نحيي الموتى: الاموات
بالبعث او الجهال بالهداية. ونكتب ما قدموا: ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
او الطالحة. وآثارهم: الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل و
تأسيس ظلم. وكل شيء احصيناه في امام مبين: يعني اللوح المحفوظ. واضرب
لهم: مثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى
مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية: على حذف مضاف
اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا
من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية. اذ جاءها المرسلون: بدل من اصحاب
القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ
ارسلنا اليهم اثنين: لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما
فكذبوهما فعززنا: فقويناهما وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول
لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به. بثالث: هو شمعون. فقالوا انا
اليكم مرسلون: وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى اثنين فلما
قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن
حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق فبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا
اله سوى آلهتنا قالا من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث
عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه
الى الملك فأنس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما
يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما

آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق
له البصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون
ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي
عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا الله فقام وقال اني ادخلت
سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت
شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر
فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا. قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا: لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض
النفي المقتضي اعمال ما بالا. وما انزل الرحمن من شيء: وحي ورسالة. ان
انتم الا تكذبون: في دعوى رسالته. قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون:
استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب
عن انكارهم. وما علينا الا البلاغ المبين: الظاهر البين بالآيات الشاهدة
لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة. قالوا انا تطيرنا بكم: تشاءمنا
بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه. لئن لم تنتهوا
عن مقالتكم هذه. لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم. قالوا طائركم معكم:
سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم. أئن ذكرتم:
وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والعذاب وقد
زيد بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام وأين
ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ. بل انتم قوم مسرفون: قوم
عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم
وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به. وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو
حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما
ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه. قال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا: على النصح وتبليغ الرسالة و

وهم مهتدون: الى خير الدارين. وما لي لا اعبد الذي فطرني: تلطف
في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد
لها والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه
ترجعون: مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال: أأتخذ من
دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا: لا تنفعني شفاعتهم
ولا ينقذون: بالنصر والمظاهرة. اني اذا لفي ضلال مبين: فان
ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر
واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل. اني آمنت بربكم: الذي خلقكم. فاسمعون
فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع
نحوهم قبل ان يقتلوه. قيل ادخل الجنة: قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة
او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى
الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه
معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء
ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين: فانه جواب عن سؤال عن حاله عند ذلك القول له وانما
تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان
والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا
انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق [illegible] وما خبرية
او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء
صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم و
ما انزلنا على قومه من بعده: من بعد اهلاكه او رفعه. من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه تحقير
لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم. وما كنا منزلين: وما
صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قوم اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا
ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا

الجزو الثالث والعشرون

كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة. ان كانت
ما كانت الاخذة او العقوبة. الا صيحة واحدة: صاح بها جبريل وقرئ بالرفع
على كان التامة. فاذا هم خامدون: ميتون شبهوا بالنار رمزا الى
ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد: وما المرء الا كالشهاب
وضوئه. يحور رمادا بعد اذ هو ساطع. يا حسرة على العباد: تعالي
فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها. ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون: فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين
احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين
ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على
انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار
فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او
المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف. الم يروا: الم
يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون: لان كم لا يعمل فيها ما قبلها
وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام. انهم اليهم لا يرجعون: بدل
من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ
بالكسر على الاستئناف. وان كل لما جميع لدينا محضرون: يوم القيامة للجزاء
وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا
ظرف له او لمحضرون. وآية لهم الارض الميتة: وقرا نافع بالتشديد
احييناها: خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معين وهي
الخبر او المبتدا والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية. واخرجنا
منها حبا: جنس الحب. فمنه ياكلون: قدم الصلة للدلالة على ان
الحب معظم ما يؤكل ويعاش به. وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس
مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق

والاعناب لاختصاص شجرهما بمزيد النفع وآثار الصنع. وفجرنا فيها
وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى. من العيون
اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن
مزيدة عند الاخفش. ليأكلوا من ثمره: ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير
لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي
بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون. وما عملته ايديهم عطف
على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان
الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه
من الصلة احسن من غيرها. افلا يشكرون: امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه
سبحان الذي خلق الازواج كلها: الانواع والاصناف. مما تنبت
الارض: من النبات والشجر. ومن انفسهم: الذكر والانثى. ومما لا
يعلمون: وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار: نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ
الجلد والكلام في اعرابه ما سبق. فاذا هم مظلمون: داخلون في الظلام. و
الشمس تجري لمستقر لها: لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر
اذا قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك
وقفة قال. والشمس حيرى لها بالجو تدويم. او لاستقرار لها على نهج مخصوص
او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين
مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام
القابل او لمنقطع حركتها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون فانها
متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس. ذلك: الجري على هذا التقدير
المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها. تقدير العزيز: الغالب بقدرته
على كل مقدور. العليم: المحيط علمه بكل معلوم. والقمر قدرناه: مسيره
منازل: او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون. الشرطان. البطين
الثريا. الدبران. الهقعة. الهنعة. الذراع. النثرة. الطرف. الجبهة

الجبهة. الزبرة. الصرفة. العواء. السماك. الغفر. الزبانا. الاكليل
القلب. الشولة. النعائم. البلدة. سعد الذابح. سعد بلع.
سعد السعود. سعد الاخبية. فرغ الدلو المقدم. فرغ الدلو المؤخر
الرشاء. وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه
فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس. حتى عاد
كالعرجون: كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون
وهما لغتان كالبزيون والبزيون. القديم: العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا
لا الشمس ينبغي لها: يصح لها ويتسهل. ان تدرك القمر: في سرعة سيره
فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول
الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة
لا يتيسر لها الا ما اريد بها. ولا الليل سابق النهار: يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره. وكل: وكلهم والتنوين عوض المضاف
اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او
الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها. في فلك يسبحون: يسيرون فيه بانبساط. وآية
لهم انا حملنا ذريتهم: اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان
استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب. في الفلك المشحون: المملوء وقيل
المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم
ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجيب مع الايجاز. و
خلقنا لهم من مثله: من مثل الفلك. ما يركبون: من الابل فانها سفائن البر او
من السفن والزوارق. وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم: فلا مغيث لهم يحرسهم عن
الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ. ولا هم ينقذون: ينجون من
الموت به. الا رحمة منا ومتاعا: الا لرحمة ولتمتع بالحيوة. الى حين: زمان
قدر لآجالهم. واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم: الوقائع التي

والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر. لعلكم ترحمون: لتكونوا راجين رحمة الله
وجواب اذا محذوف دل عليه قوله. وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين: كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا
عليه. واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله: على محاويجكم. قال الذين كفروا
بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة. للذين آمنوا: تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور
بمشيئته. أنطعم من لو يشاء الله اطعمه: على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش
حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فلم يطعمهم فنحن
احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على
اطعام الفقراء وتوفيقهم له. ان انتم الا في ضلال مبين: حيث امرتمونا بما يخالف
مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم. ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين: يعنون وعد البعث. ما ينظرون: ما ينتظرون
الا صيحة واحدة: هي النفخة الاولى. تأخذهم وهم يخصمون: يتخاصمون في متاجرهم
ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون
واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه
وابو عمرو به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين
اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله. فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم. ولا الى اهلهم يرجعون: فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم. ونفخ
في الصور: اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين. فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء. الى ربهم ينسلون: يسرعون وقرئ بالضم.
قالوا يا ويلنا: وقرئ يا ويلتنا. من بعثنا من مرقدنا: وقرئ من اهبنا من هب
من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم
يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن بعثنا على من الجارة والمصدر. هذا ما

وعد الرحمن وصدق المرسلون: مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة
الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او المؤمنين
عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو
السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث
وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم
السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال. ان كانت: ما كانت
الفعلة. الا صيحة واحدة: هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة. فاذا
هم جميع لدينا محضرون: بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر
واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه. فاليوم لا
تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون: حكاية لما يقال لهم حينئذ
تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله. ان اصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون: متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه
تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب
عن كنهه الكلام. وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب
في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون
وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن
في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات. هم وازواجهم في ظلال
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل. على
الارائك: على السرر المزينة. متكئون: وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى
الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد
للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم
عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف
عليه. لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون: ما يدعون به لانفسهم يفعلون من الدعاء
كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقوله ارتموه بمعنى

ترامود او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في
الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها
وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف
او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي
لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم
قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص و
امتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين
يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل
اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال
لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها
المزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه
لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان
اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة
الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه
او بشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد
سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم
تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور
عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق و
قرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف
اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات
وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه
جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا

حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها
على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم و
تكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فا
ستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق
معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق
وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال
قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا
مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون
عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعصي و
مضيا كالصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم
نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ننكسه في
الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره
قرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر
على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر
رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون و
ليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له
وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع
مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا
هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية
وقيل الضمير للقرآن اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد
من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر

مسبقوا الصراط

الابتدار

التسابق ... الى ... ابتدروا الى ...

المضي

مضاح الفرخ

المصرين على الكفر

لما فيه من الاعجاز. لينذر من كان حيا: عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق
القول: ويجب كلمة العذاب على الكافرين. وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار
بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة. اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا: مما تولينا احداثه ولم يقدر احد غيرنا وذكر الايدي واسناد
العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث. انعاما
خصها بالذكر لما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع. فهم لها مالكون: متملكون
بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا. وذللناها لهم: وصيرناها
منقادة لهم. فمنها ركوبهم: مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل
جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم. ومنها ياكلون: اي ما ياكلون لحمه
ولهم فيها منافع: من الجلود والاصواف والاوبار. ومشارب: من اللبن جمع مشرب
بمعنى الموضع او المصدر. افلا يشكرون: نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله
اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة. واتخذوا من دون الله آلهة: اشركوها
به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد
بها. لعلهم ينصرون: رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه. لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم: لآلهتهم. جند محضرون: معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون
اثرهم في النار. فلا يحزنك: فلا يهمنك. قولهم: في الله بالالحاد
والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين. انا نعلم ما يسرون وما يعلنون: فنجازيهم عليه وكفى
ذلك ان تسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل
جاز. اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين: تسلية ثانية بتهوين
ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعل افراطه
في الخصومة بينا ومنافاته لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلته النعمة
التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا كرما بالعقوق والتكذيب روي
ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله

المرخ . والعفار

الله يحيي هذا بعد ما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت
وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام
معرب عما في نفسه. وضرب لنا مثلا: امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى
وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه. ونسي خلقه: خلقنا اياه. قال من
يحيي العظام وهي رميم: منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى
فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل
على ان العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء. قل يحييها الذي انشاها
اول مرة: فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة
لذاتها. وهو بكل خلق عليم: يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء
الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى
بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر: كالمرخ والعفار. نارا: بان يسحق المرخ على العفار
وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار. فاذا انتم منه توقدون: لا
تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من
المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي
وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون. اوليس الذي خلق
السموات والارض: مع كبر جرمهما وعظم شانهما. بقادر على ان يخلق مثلهم
في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو
المعاد وعن يعقوب يقدر. بلى: جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه
لا جواب سواه. وهو الخلاق العليم: كثير المخلوقات والمعلومات. انما
امره: انما شانه. اذا اراد شيئا ان يقول له كن: اي تكون. فيكون: فهو يحدث
وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع
وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة
الله تعالى على قدرة الخلق. ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول. فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء: تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا

لكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء · واليه ترجعون · وعد ووعيد للمقرين
والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء · وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم
ما روي في فضل يس كيف خصت فاذا انه لهذه الآية · وعنه صلى الله عليه وسلم
ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له و
اعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده
اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا
يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون
عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم
يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على
فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج
الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات

وآيها احدى او اثنان وثمانون · بسم الله الرحمن الرحيم · والصافات
صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا · اقسم بالملائكة الصافين في
مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله
الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي
بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه
واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة
لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون
او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج و
النصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد
الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو
والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله
يا لهف زيابة للحارث · الصابح فالغانم فالآيب · فان الصف كمال والزجر

تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او
الرتبة كقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل
المتقدم على المتاخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها
لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا · ان الهكم لواحد ·
جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف
في كلامهم واما تحقيقه فبقوله · رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارق · فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره
دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او
خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول اعمال العباد فيدل على انها
من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي
ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك
اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون
انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال · انا زينا السماء الدنيا · القربى
منكم · بزينة الكواكب · بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده
قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او
بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة
المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده
قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زانتها الكواكب على اضافته
الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات
في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض
يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة · و
حفظا · منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا
خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا · من كل شيطان مارد · خارج من
الطاعة برمي الشهب · لا يسمعون الى الملأ الاعلى · كلام مبتدأ لبيان
حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان

يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك
ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله: الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان
اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى
الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص
بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملا الاعلى الملائكة او اشرافهم. و
يقذفون: ويرمون. من كل جانب: من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده
دحورا: علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى
مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل
ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا. ولهم عذاب: اي
عذاب اخر. واصب: دائم او شديد وهو عذاب الاخرة. الا من خطف
الخطفة: استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد
اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطّف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها واصله اختطف. فاتبعه شهاب: اتبع بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فتخمين ان صح لم ينافِ
ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل
الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر
في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان
ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته او وقوعه
او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن قد
يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون
عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف
كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على
الضعيفة استهلكتها. ثاقب: مضيء كانه يثقب الجو بضوئه. فاستفتهم
فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني ادم. اهم اشد خلقا ام من خلقنا: يعني

يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا
ام من عددنا وقوله. انا خلقناهم من طين لازب: فانه الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر
فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية
المادة وما هي منه الاصلية بل الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء
الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه
اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه
بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل
فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن
ذلك بدؤهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير. بل عجبت: من قدرة الله وانكارهم
البعث. ويسخرون: من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بضم التاء
اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها
او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من
الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة
تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل
عجبت. واذا ذكروا لا يذكرون: واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا
ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم. واذا راوا اية
معجزة تدل على صدق القائل به. يستسخرون: يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها. وقالوا ان هذا: يعنون ما
يرونه. الا سحر مبين: ظاهر سحريته. ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون: اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا
الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في
نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة
الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية. او اباؤنا الاولون

عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة
الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو
على معنى الترديد . قل نعم وانتم داخرون : صاغرون وانما اكتفى في الجواب
بذلك لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرى قال اى الله او
الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه . فانما هي زجرة واحدة : جواب شرط مقدر
اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه
اذا صاح عليها وامرها بالاعادة كامر كن في الابدا ولذلك رتب عليها
فاذا هم ينظرون : فاذا هم قيام من مراقدهم احيا يبصرون او ينتظرون
ما يفعل بهم . وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين : اليوم الذي نجازى باعمالنا
وقد تم به كلامهم وقوله . هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون : جواب الملائكة
وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضا او الفرق بين المحسن والمسى
احشروا الذين ظلموا : امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم
الى الموقف وقيل منه الى الجحيم . وازواجهم : واشباههم عابد الصنم مع عبدة
الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلثة او نساهم اللاتى
على دينهم او قرناهم من الشياطين . وما كانوا يعبدون من دون الله
من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون . فاهدوهم
الى صراط الجحيم : فعرفوهم طريقها ليسلكوها . وقفوهم : احبسوهم في الموقف
انهم مسؤلون : عن عقايدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان
يكون الموقف . مالكم لا تناصرون : لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ
وتقريع . بل هم اليوم مستسلمون : منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كان يسلم بعضهم بعضا ويخذله و
اقبل بعضهم على بعض : يعنى الروسا والاتباع او الكفرة والقرنا . يتسالون
يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بتخاصمون . قالوا انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين : عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح

السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين و
اشرفه وانفعه ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال
او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق . قالوا بل لم تكونوا مؤمنين
وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين : اجابهم الروسا اولا بمنع
اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن
لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان . فحق علينا
قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين : ثم بينوا ان ضلال الفريقين
ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم
دعوتهم الى الغى فانهم ارادوا ان يكونوا امثالهم وفيه ايما بان غوايتهم في الحقيقة ليست
من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغوا غاو فمن اغواهم . فانهم : فان الاتباع
والمتبوعين . يومئذ في العذاب مشتركون : كما كانوا مشتركين في الغواية
انا كذلك : مثل ذلك الفعل . نفعل بالمجرمين : بالمشركين لقوله . انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون : اى عن كلمة التوحيد او على
من يدعوهم اليه . ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون : يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم . بل جاء بالحق وصدق المرسلين : رد عليهم بان
ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون . انكم لذائقوا
العذاب الاليم : بالاشراك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرى
بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف
في غير المحلى باللام وعلى الاصل . وما تجزون الا ما كنتم تعملون : الا مثل ما
الا عباد الله المخلصين : استثنا منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون
لجميع المكلفين فيكون استثناوهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف
والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار . اولئك لهم رزق معلوم : خصايصه
من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله . فواكه : فان الفاكهة ما يقصد
للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة
محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة . وهم مكرمون : في

بيان تفصيل لهم عقيب سؤال كأنه عليه رزق الدنيا في جنات النعيم: في
جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أو خبر ثان
لأولئك. على سرر: يحتمل الحال والخبر فيكون. متقابلين: حال من المستكن
فيه أو مكرمون وأن يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون. يطاف
عليهم بكأس: بإناء فيه خمر أو خمر كقوله وكأس شربت على لذة. من
معين: من شراب معين أو نهر معين أي ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو
صفة للماء من عان الماء إذا نبع وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء أو
للإشعار بأن ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الأشربة
لكمال اللذة وكذلك قوله. بيضاء لذة للشاربين: وهما أيضا صفتان
لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغة أو لأنها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب
ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته. بأرض العدى من خشية الحدثان
لا فيها غول: غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله إذا أفسده ومنه الغول
ولا هم عنها ينزفون: يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف
إذا ذهب عقله أفرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لأنه من عظم فساده كأنه جنس برأسه
وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه
وأصله للنفاد يقال نزف المطعون إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى
نزفتها. وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون: معطوف على يطاف عليهم أي يشربون فيتحادثون على
الشراب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام والتعبير
عنه بالماضي للتأكيد فإنه ألذ تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم عن المعارف
والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا. قال قائل منهم: في مكالمتهم
إني كان لي قرين: جليس في الدنيا. يقول أإنك لمن المصدقين: يوبخني
على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق. أإذا متنا و
كنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون: لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء. قال
أي ذلك القائل. هل أنتم مطلعون: إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين

القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا
على أهل النار لأريكم ذلك القرين وقيل تعلموا أين منزلتكم من منزلتهم. فاطلع عليهم
فرآه: أي قرينه. في سواء الجحيم: وسطه. قال تالله إن كدت لتردين: لتهلكني
بالإغواء وقرئ لتغوين وإن هي المخففة واللام هي الفارقة. ولولا نعمة ربي: بالهداية
والعصمة. لكنت من المحضرين: معك فيها. أفما نحن بميتين: عطف على
محذوف أي نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين
إلا موتتنا الأولى: التي كانت فيها وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء
للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع
وما نحن بمعذبين: كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة
إلى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين
بالتوبيخ. إن هذا لهو الفوز العظيم: يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون
كلام الله لتقرير قوله والإشارة إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن من
العذاب. لمثل هذا فليعمل العاملون: أي لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون
لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الأمرين
أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم: شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا
على التمييز أو الحال وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما
يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الأفهام وكذلك الزقوم
لأهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت
به الشجرة الموصوفة. إنا جعلناها فتنة للظالمين: محنة وعذابا لهم في الآخرة
أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار
تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر
على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم
منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها. طلعها: حملها مستعار من
طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل أو الطلوع من الشجر. كأنه رؤوس
الشياطين: في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن

بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت
بها لذلك. فانهم لآكلون منها: من الشجرة او من طلعها. فمالئون
منها البطون: لغلبة الجوع او الجبر على اكلها. ثم ان لهم عليها: اي
بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم
لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة. لشوبا من حميم: لشرابا من غساق
او مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به
والاول مصدر سمي به. ثم ان مرجعهم لالى الجحيم: الى دركاتها
او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها
لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم
انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون: تعليل لاستحقاقهم
تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد
كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك
من غير توقف على نظر وبحث. ولقد ضل قبلهم: قبل قومك. اكثر الاولين
ولقد ارسلنا فيهم منذرين: انبياء انذروهم من العواقب. فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين: من الشدة والفظاعة. الا عباد الله المخلصين
الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله
لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم
ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم. ولقد نادانا نوح: شرع في تفصيل
القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه. فلنعم المجيبون: اي
فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم: من الغرق او اذى قومه. وجعلنا ذريته
هم الباقين: اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي
انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم. وتركنا عليه في الآخرين
من الامم. سلام على نوح: هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه

عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء
في العالمين: متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في
الملائكة والثقلين جميعا. انا كذلك نجزي المحسنين: تعليل لما فعل بنوح
من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه. انه من عبادنا المؤمنين: تعليل
لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره. ثم اغرقنا الآخرين
يعني كفار قومه. وان من شيعته لابراهيم: ممن شايعه في الايمان واصول
الشرع ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان
وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح. اذ جاء ربه
متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر. بقلب سليم
من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى
اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه. اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون: بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم. ائفكا آلهة دون الله
تريدون: اي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له
لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا
مفعولا به والهة بدل منه على انها افك في نفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها
بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين. فما ظنكم برب العالمين: بمن هو حقيق
بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من
عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك
به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله. فنظر نظرة في النجوم
فراى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم
وذلك حين سالوه ان يعبد معهم. فقال اني سقيم: اراهم انه استدل بها لانهم
كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب
اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم
او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه
المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا

ليصحبني فإذا السلامة داء . فتولوا عنه مدبرين : هاربين مخافة العدوى
فراغ إلى آلهتهم : فذهب إليها في خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة
فقال : أي للأصنام استهزاء . ألا تأكلون : يعني الطعام الذي كان عندهم . ما لكم
لا تنطقون : بجوابي . فراغ عليهم : فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء
وأن الميل لمكروه . ضربا باليمين : مصدر لراغ عليهم لأنه في معنى ضربهم أو
لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته
فإن قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله
لأكيدن أصنامكم . فأقبلوا إليه : إلى إبراهيم بعدما رجعوا فرأوا أصنامهم
مكسورة وبحثوا عن كاسره فظنوا أنه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا
الآية . يزفون : يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من أزفه
أي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون أي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف
إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم
إليه . قال أتعبدون ما تنحتون : ما تنحتونه من الأصنام . والله خلقكم و
ما تعملون : أي وما تعملونه فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم و
لذلك جعل من أعمالهم فبإقداره إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي
والعدد أو عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون أو أنه بمعنى الحدث فإن فعلهم إذا كان بخلق
الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك وبهذا المعنى تمسك أصحابنا
على خلق الأعمال ولهم أن يرجحوا الأولين لما فيهما من حذف أو مجاز . قالوا ابنوا
له بنيانا فألقوه في الجحيم : في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج و
اللام بدل الإضافة أي جحيم ذلك البنيان . فأرادوا به كيدا : فإنه لما قهرهم
بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم . فجعلناهم الأسفلين :
الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا
وسلاما . وقال إني ذاهب إلى ربي : إلى حيث أمرني ربي وهو الشام
أو حيث أتجرد فيه لعبادته . سيهدين : إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى
مقصدي وإنما بت القول لسبق وعده أو لفرط توكله أو البناء على عادته

عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء
السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع . رب هب لي من الصالحين : بعض
الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لأن
لفظ الهبة غالب فيه ولقوله . فبشرناه بغلام حليم : بشره بالولد
بأنه ذكر يبلغ أوان الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما أي حلم مثل
حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني إن شاء الله من
الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه
عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه . فلما
بلغ معه السعي : أي فلما وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله ومعه متعلق بمحذوف
دل عليه السعي لا به لأن صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فإن بلوغهما لم يكن
كأنه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لأن الأب أكمل في الرفق
وبالاستصلاح له فلا يستسعيه قبل أوانه أو لأنه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلاث عشرة سنة . قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك : يحتمل أنه رأى ذلك
وأنه رأى ما هو تعبيره وقيل رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له إن الله يأمرك
بذبح ابنك فلما أصبح روى أنه من الله أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك
فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا
سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والأظهر أن المخاطب إسمعيل لأنه
الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا
الغلام ولقوله عليه الصلوة والسلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده
إسمعيل والآخر أبوه عبد الله فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا إن
سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرا فلما سهل أقرع فخرج السهم على عبد
الله ففداه بمائة من الإبل ولذلك سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة
وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في أيام ابن الزبير ولم يكن
إسحق ثمة ولأن البشارة بإسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا
يناسبها الأمر بذبحه مراهقا وما روي أنه عليه الصلاة والسلام سئل

اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل
ذلك لم يثبت . فانظر ماذا ترى : من الرأي انما شاوره وهو حتم ليعلم
ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن
نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله . قال يا ابت افعل
ما تؤمر : اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة
المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا
او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر
في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد
والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا . ستجدني ان شاء
الله من الصابرين : على الذبح او على قضاء الله . فلما اسلما
استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما و
اصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه . وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه
باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في
موضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم . وناديناه ان
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا : بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه
امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان
ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على
ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله و
اظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك . انا كذلك
نجزي المحسنين : تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز
النسخ قبل وقوعه فانه كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل . ان هذا
لهو البلاء المبين : الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة

البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها . وفديناه بذبح : بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم : عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله
سيد المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين وقيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه
فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر
على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه شاة
وليس فيه ما يدل عليه . وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم : سبق بيانه
في قصة نوح . كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين : لعله طرح عنه
انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين و
لا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل
الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف
يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت
الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام
الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم
لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق
وباركنا عليه : على ابراهيم في اولاده . وعلى اسحق : بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وقرئ وبركنا . ومن ذريتهما محسن : في عمله او على نفسه بالايمان و
الطاعة . وظالم لنفسه : بالكفر والمعاصي . مبين : ظاهر ظلمه وفي ذلك
تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة وعيب . ولقد مننا على موسى وهرون : انعمنا
عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية . ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم : من تغلب فرعون او الغرق . ونصرناهم : الضمير

لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه . وآتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة . وهديناهما الصراط
المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب . وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثله وكذا . وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون
اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف
ابي وان ابليس . اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله . أتدعون
بعلا أتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام
وهو البلد الذي يقال الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار
المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله . الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل . فكذبوه فانهم لمحضرون
اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص
بالشر عرفا . الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين
لفساد المعنى . وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين لغة في الياس كسيناء
وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع
يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل
ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف
مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او
غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله . انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس . وان
لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم
دمرنا الآخرين سبق بيانه . وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في
متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل اي مساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها الم

المرتحل عنها صباحا والقاصد لها مساء . أفلا تعقلون أفليس فيكم
عقل تعتبرون به . وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون . اذ
ابق هرب واصل الاباق الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه
حسن اطلاقه عليه . الى الفلك المشحون المملوء . فساهم فقارع اهله فكان
من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام
الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله فركب
السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال
انا الآبق ورمى بنفسه في الماء . فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة . وهو
مليم داخل في الملامة آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم
كمشيب في مشوب . فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين . للبث في بطنه الى يوم يبعثون
حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في
السراء اخذ بيده عند الضراء . فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه
بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار
مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه و
اختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون
وقيل اربعون . وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد .
وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على
الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها
كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل
التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره . وارسلناه
الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من
ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم . او يزيدون من مرأى الناظر

الربع الرابع من
القرآن العظيم

فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره

اي ذا انظر اليهم قال بهم ادا الف وا كثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ
بالواو. فمتعناهم الى حين: الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط
بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم
من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة
فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون: معطوف على مثله في اول
السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث
وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض
ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم
البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات
اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام
الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له و
ارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى
انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم
حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم. ام خلقنا الملائكة اناثا و
هم شاهدون: انما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا به
فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من
الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم شاهدوا
خلقهم. الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله: لعدم ما يقتضيه و
قيام ما ينفيه. وانهم لكاذبون: فيما يتدينون به وقرئ ولد الله
اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث. اصطفى البنات على البنين: استفهام انكار و
استبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة
على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات

باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون
بما لا يرتضيه عقل. افلا تذكرون: انه منزه عن ذلك. ام لكم سلطان مبين
حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته. فاتوا بكتابكم: الذي انزل
عليكم. ان كنتم صادقين: في دعواكم. وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا: يعني الملائكة
ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر
الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان. ولقد علمت الجنة انهم
ان الكفرة او الانس والجن ان فسرت بغير الملائكة. لمحضرون: في العذاب
سبحان الله عما يصفون: من الولد والنسب. الا عباد الله المخلصين
استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض
او من يصفون. فانكم وما تعبدون: عود الى خطابهم. ما انتم عليه: على الله
بفاتنين: مفسدين الناس بالاغواء. الا من هو صال الجحيم: الا من سبق في
علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر
اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين
على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال على انه جمع محمول على معنى من
ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك
او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية. وما منا
الا له مقام معلوم: حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى
وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير
العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله
ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا
سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة
بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم
فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه. وانا لنحن الصافون
في اداء الطاعة ومنازل الخدمة. وانا لنحن المسبحون: المنزهون الله عما

لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما
في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على
ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن
الصافون في الصلوة والمنزهون الله عن السوء. وان كانوا ليقولون
اي مشركوا قريش. لو ان عندنا ذكرا من الاولين: كتابا من الكتب التي نزلت
عليهم. لكنا عباد الله المخلصين: لاخلصنا العبادة له ولم نخالف
مثلهم. فكفروا به: اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها
فسوف يعلمون: عاقبة كفرهم. ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اي وعدنا لهم النصر والغلبة وهو قوله. انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون: وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات
لانتظامها في معنى واحد. فتول عنهم: فاعرض عنهم. حتى حين: هو الموعد
لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح. وابصرهم: على ما ينالهم حينئذ والمراد
بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه. فسوف يبصرون: ما قضينا
لك من التاييد والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد.
افبعذابنا يستعجلون: روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا
فنزل. فاذا نزل بساحتهم: فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم
فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور
اي نزل العذاب. فساء صباح المنذرين: فبئس صباح المنذرين صباحهم
واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول
العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا
وان وقعت في وقت اخر. وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط
به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني
لعذاب الاخرة. سبحان ربك رب العزة عما يصفون: عما قاله

المشركون فيه على ما حكى في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها
به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع
الاشعار بالتوحيد. وسلام على المرسلين: تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص
بعضهم. والحمد لله رب العالمين: على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم
من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره من التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه و
يسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من
الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى اخر السورة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص وهي مكية

وآيها ست او ثمان وثمانون. بسم الله الرحمن الرحيم. ص: قرئ بالكسر لالتقاء
الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت
الاول اي عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه
او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على
تاويل الكتاب. والقران ذي الذكر: الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا
للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او السورة خبرا لمحذوف
او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة
على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا صلى الله
عليه وسلم لصادق او قوله. بل الذين كفروا في عزة وشقاق: اي ما كفر به من
كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة: استكبار عن الحق وشقاق خلاف
لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر لكن من حيث
اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه
في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على

شديد بتهاونا وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم النظر فيه. كم اهلكنا من قبلهم من
قرن: وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا. فنادوا: استغاثة او توبة
واستغفارا. ولات حين مناص: اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة
بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم
الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل
للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا
او مبتدا محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم
وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء
اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا
العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله
اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من
الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر
كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال
وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف
خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل
ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان اين المطعم والمناص
المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته. وعجبوا ان جاءهم منذر منهم: بشر مثلهم او
امي من عدادهم. وقال الكافرون: وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا
عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول. هذا ساحر: فيما يظهره
معجزة. كذاب: فيما يقول على الله. اجعل الالهة الها واحدا: بان
جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد. ان هذا لشيء عجاب: بليغ في العجب
فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته
بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي ان اسلام
عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن

اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسالونك
السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة والسلام ماذا يسالونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم
ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك. وانطلق
الملا منهم: وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم. ان امشوا: قائلين بعضهم لبعض امشوا. و
اصبروا: واثبتوا. على الهتكم: على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد
بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت
ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا.
ان هذا لشيء يراد: ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له
او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم. ما سمعنا
بهذا: بالذي يقوله. في الملة الاخرة: في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او
في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من
هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة. ان هذا الا اختلاق:
كذب اختلقه. ءانزل عليه الذكر من بيننا: انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او
ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
وامثال ذلك دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي.
بل هم في شك من ذكري: من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون عليه من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق. بل لما
يذوقوا عذاب: بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا
يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه. ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز
الوهاب: بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها

عن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل
بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب
الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال: ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما: كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي
لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير
من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها: فليرتقوا في الاسباب: جواب شرط
محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية
التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات
لانها اسباب الحوادث السفلية: جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب: اي هم
جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير
الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة
للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده
وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول: كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد: ذو الملك الثابت بالاوتاد
كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من
ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها
ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت: وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة
واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب: اولئك الاحزاب: يعني المتحزبين على الرسل
الذين جعل الجند المهزوم منهم: ان كل الا كذب الرسل: بيان لما اسند اليهم
من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم
للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب: وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب
الواحد منهم تكذيب جميعهم: وما ينظر هؤلاء: وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم
كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله: الا صيحة واحدة وهي

النفخة: ما لها من فواق: من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع
وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان: وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا: قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو
من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها
اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها: قبل يوم الحساب: استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود: واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية
في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة
نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب
فما الظن بكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه
من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال: ذا الايد: ذا القوة يقال فلان ايد وذو
ايد وآد وايادي بمعنى: انه اواب: رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد ودليل
على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه يسبحن: قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال: بالعشي والاشراق
ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت
الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ رضي
الله عنها انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية: والطير
محشورة: اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة
منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر: كل له اواب: كل واحد من الجبال والطير لاجل
تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا
يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح: وشددنا ملكه: و
قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة
على آخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه
واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته: وآتيناه الحكمة: النبوة و

كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن
الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار
ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل
هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في صفة كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤا الخصم استفهام
معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ
تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من
السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على
ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف
اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله
عليه وسلم لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا
ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب
لا يتركون من يدخل عليه فانه كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان
في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو
المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط
اي لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد
واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او
بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد
يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ
تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب
وغلبني في المخاطبة اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي

اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخطبني خطبا حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل
خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي و
السؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى
الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط
ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفه كقوله اضرب
عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام
والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه
بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا
على تسمية السجود ركوعا لانه مبداه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم
بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار
بانه ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب
عنه وما روي ان بصره وقع على امراة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه
سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا
فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى
الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال علي
رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا
عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان
ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه
وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة
ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع

الهوى: ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى التصديق المدعي
وتظليم الآخر قبل مسألته. فيضلك عن سبيل الله: دلائله التي نصبها
على الحق. ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب: بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة
الحق ومخالفة الهوى. وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا: خلقا
باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات و
الارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو
مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا. ذلك ظن الذين كفروا: اشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون. فويل للذين كفروا من النار: بسبب
هذا الظن. ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام منقطعة والاستفهام فيه لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها
باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله. ام نجعل المتقين كالفجار: فانه انكر التسوية
اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان
يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم
والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا و
الغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال
اخرى يجازون فيها. كتاب انزلناه اليك مبارك: نفاع وقرئ بالنصب على
الحال. ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب: وليتعظ ذووا العقول
السليمة ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني
المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك
وليتذكر اولوا الالباب: وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب
الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل
التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني. ووهبنا لداود سليمان نعم العبد

العبد: اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله. انه
اواب: رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له. اذ عرض عليه: ظرف
لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور. بالعشي: بعد الظهر
الصافنات: الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل و
هو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص. الجياد:
جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد
روي انه غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة
فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر و
عن ورد كان له فاغتم لما فاته واستردها فعقرها تقربا لله. فقال اني احببت
حب الخير عن ذكر ربي: اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب
مناب انبت عدي بعن وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته
ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها
الخير الى يوم القيمة. حتى توارت بالحجاب: اي غربت الشمس شبه غروبها
بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها. ردوها علي
الضمير للصافنات. فطفق مسحا: فاخذ بمسح السيف مسحا. بالسوق و
الاعناق: اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه
وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز
الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب: واظهر ما قيل فيه ما روي
مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل
الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي
نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت
الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على
كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل عليه وقيل انه غزا صيدون في الجزاير

فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر فاخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره. قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة. انك انت الوهاب المعطي ما يشاء لمن يشاء. فسخرنا له الريح: فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح. تجري بامره رخاء: لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد. حيث اصاب: اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب. والشياطين: عطف على الريح. كل بناء وغواص بدل منه. وآخرين مقرنين في الاصفاد: عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم

مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة. هذا عطاؤنا: اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا. فامنن او امسك: فاعط من شئت وامنع من شئت. بغير حساب: حال من المستكن في الامر غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد. وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا. وحسن مآب: وهو الجنة. واذكر عبدنا ايوب: وهو ابن عيص بن اسحاق وامراته ليا بنت يعقوب. اذ نادى ربه: بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له. اني مسني: باني مسني. الشيطان بنصب بتعب. وعذاب: الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرئ بنصب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل. اركض برجلك: حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض. هذا مغتسل بارد وشراب: اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى. ووهبنا له اهله: بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم. ومثلهم معهم: حتى كان له ضعف ما كان. رحمة منا: لرحمتنا عليه. وذكرى

وقرا حمزة والكسائي باسكان الياء واسقاطها من الوصل

اي فاستجبنا له فقلنا له اركض ... بحارض جابية من قرى الشام

لاولي الالباب

وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم. وخذ بيدك ضغثا: عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه. فاضرب به ولا تحنث: روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود. انا وجدناه صابرا: فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين. نعم العبد: ايوب. انه اواب: مقبل بشراشره الى الله. واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب: وقرأ ابن كثير عبدنا على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه. اولي الايدي والابصار: اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة. انا اخلصناهم بخالصة: جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار: تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله. وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار: لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خيّر او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميّت. واذكر اسمعيل واليسع: هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا. وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع. وذا الكفل: ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة. وكل: اي كلهم من الاخيار. هذا: اشارة الى ما تقدم من امورهم. ذكر: شرف لهم او نوع من

الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال: وان للمتقين لحسن مآب: مرجع. جنات عدن: عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها. مفتحة لهم الابواب: على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف. متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب: حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة. وعندهم قاصرات الطرف: لا ينظرن الى غير ازواجهن. اتراب: لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد. هذا ما توعدون ليوم الحساب: لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله. ان هذا لرزقنا ما له من نفاد: انقطاع. هذا: اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا. وان للطاغين لشر مآب جهنم: اعرابه ما سبق. يصلونها: حال من جهنم. فبئس المهاد: المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد. هذا فليذوقوه: اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره. حميم وغساق: وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها. وآخر: اي مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اي مذوقات او انواع عذاب اخر. من شكله: من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة. ازواج: اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر المحذوف مثل لهم. هذا فوج مقتحم معكم: حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها. لا مرحبا بهم: دعاء من المتبوعين على اتباعهم

للفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة. انهم صالوا النار
داخلون النار باعمالهم مثلنا. قالوا اي الاتباع للرؤسا. بل انتم لا مرحبا بكم
بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا. انتم قدمتموه
لنا: قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمنا من العقائد الزائغة
والاعمال القبيحة. فبئس القرار: فبئس المقر جهنم. قالوا: اي الاتباع ايضا
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار: مضاعفا اي ذا ضعف
وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب
وقالوا: اي الطاغون. ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار: يعنون
فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم. اتخذناهم سخريا: صفة
اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار
على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم
وقد سبق مثله في المؤمنين. ام زاغت: مالت. عنهم الابصار: فلا نراهم
وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا
ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارها
على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان
لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم. ان ذلك: الذي حكيناه عنهم
لحق: لابد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال: تخاصم اهل النار: وهو بدل من
حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك. قل: يا محمد للمشركين
انما انا منذر: انذركم عذاب الله. وما من اله الا الله الواحد الذي
لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته. القهار: لكل شيء. رب السموات والارض
وما بينهما: منه خلقها واليه امرها. العزيز: الذي لا يغلب اذا عاقب. الغفار
الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء. وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد
ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به اولا
قل هو: اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الالوهية

والالوهية وقيل لتعدد من نبأ آدم. نبأ عظيم انتم عنه معرضون: لتمادي غفلتكم فان
العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على
النبوة فقوله: ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون: فان اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور
الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى. ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين: اي لانما كانه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا
لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية. اذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين: بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت
اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر
في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار
المشركين على استكبارهم على النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على
آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله
والملائكة. فاذا سويته: عدلت خلقته. ونفخت فيه من روحي: واحييته بنفخ الروح فيه و
اضافته الى نفسه لشرفه وطهارته. فقعوا له: فخروا له. ساجدين: تكرمة وتبجيلا له وقد
تقدم الكلام فيه في البقرة. فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر:
تعظم. وكان: وصار. من الكافرين: باستكباره عن امر الله واستكباره عن المطاوعة
او كان منهم في علم الله. قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي: خلقته بنفسي
من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ
على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث
به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص
استكبرت ام كنت من العالين: تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق
وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام
عليها او بمعنى الاخبار. قال انا خير منه: ابدأ المانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من
طين: دليل عليه وقد سبق الكلام فيه. قال فاخرج منها: من الجنة او السماء او من الصورة الملكية
فانك رجيم: مطرود من الرحمة ومحل الكرامة. وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال

رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر. قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين. قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شاركه الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين

قل ما اسالكم عليه من اجر اي على القران او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيانه بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر

الا قوله قل يا عبادي الاية وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول

السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا او الزم. انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال تعالى الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة. لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجود المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلفه عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به

كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارًّا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار
العمامة. وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى: هو منتهى دوره او منقطع
الا هو العزيز: القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء. الغفار: حيث لم يعاجل
بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة. خلقكم من نفس
واحدة ثم جعل منها زوجها: نوع استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي
مبدوءا من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث
دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق
الفائت للحصر منهما. وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او
على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على
خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الثانية عادة مستمرة دون الاولى وقيل اخرج من ظهره
ذريته كالذر ثم خلق منه حواء. وانزل لكم: وقضى او قسم لكم فان قضاياه توصف بالنزول
من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة منها كاشعة الكواكب و
الامطار. من الانعام ثمانية ازواج: ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز.
يخلقكم في بطون امهاتكم: بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام
اظهارا لما فيه من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم
بالخطاب لانهم المقصودون. خلقا من بعد خلق: حيوانا سويا من بعد عظام
مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف. في
ظلمات ثلاث: ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن. ذلكم
الذي هذه افعاله. الله ربكم: هو المستحق لعبادتكم والمالك. له الملك لا اله الا
هو: اذ لا يشاركه في الخلق غيره. فانى تصرفون: يعدل بكم عن عبادته الى
الاشراك. ان تكفروا فان الله غني عنكم: عن ايمانكم. ولا يرضى لعباده
الكفر: لاستضرارهم به رحمة عليهم. وان تشكروا يرضه لكم: لانه سبب فلاحكم
وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت
بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة
فيها. ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون

تعملون: بالمحاسبة والمجازاة. انه عليم بذات الصدور: فلا يخفى عليه خافية
من اعمالكم. واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه: لزوال ما ينازع العقل
في الدلالة على ان مبدأ الكل منه. ثم اذا خوله: اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول
وهو الافتخار. نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه: اي الضر الذي كان
يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر
والانثى. من قبل: من قبل النعمة. وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة
جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين. قل تمتع بكفرك قليلا: امر تهديد
فيه اشعار بان الكفر نوع تشهٍّ لا سند له واقناط للكافر من التمتع في الآخرة
ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار: على سبيل الاستئناف للمبالغة
امن هو قانت: قائم بوظائف الطاعات. آناء الليل: ساعاته وام متصلة
بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو
قانت كمن هو بضده. وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله
كمن جعل له اندادا. ساجدا وقائما: حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع
على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين. يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه: في
موقع الحال او الاستئناف للتعليل. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون: نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار
القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي
كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون. انما
يتذكر اولوا الالباب: بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم: بلزوم طاعته. للذين احسنوا في
هذه الدنيا حسنة: اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة
وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا با
بمكان حسنة. وارض الله واسعة: فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه
فليهاجر الى حيث يتمكن منه. انما يوفى الصابرون: على مشاق الطاعة

من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها. اجرهم بغير حساب: اجرا لا
يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة
والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء
من الفضل. قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين: موحدا له. وامرت لان
اكون اول المسلمين: وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان
قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم
والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزم من السبق في الدين ويجوز ان
يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في
الدعاء اليه بعد الامر به. قل اني اخاف ان عصيت ربي: بترك الاخلاص والميل
بما انتم عليه من الشرك والرياء. عذاب يوم عظيم: لعظم ما فيه. قل الله اعبد مخلصا
له ديني: امر بالاخبار عن اخلاصه وان يخلص له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا
بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه: تهديدا وخذلانا لهم. قل ان الخاسرين: الكاملين
في الخسران. الذين خسروا انفسهم: بالضلال. واهليهم: بالاضلال يوم
القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسار وقيل خسروا اهليهم لانهم
ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا
عنهم ذهابا لا رجوع بعده. الا ذلك هو الخسران المبين: مبالغة في خسرانهم
لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه
بالمبين. لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل: اطباق من النار هي ظلل لآخرين
ذلك يخوف الله به عباده: ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عباد فاتقون: ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي. والذين اجتنبوا الطاغوت:
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في
المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان. ان

يعبدوها: بدل الاشتمال منه. وانابوا الى الله: واقبلوا اليه بشراشرهم عما
سواه. لهم البشرى: بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه: وضع فيه الظاهر موضع ضمير
الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل
ويؤثرون الافضل فالافضل. اولئك الذين هداهم الله: لدينه. واولئك
هم اولوا الالباب: العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة
على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها. افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذ من في النار: جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت
مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار
والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه
بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم
في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة
جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف. لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف: علالي بعضها فوق بعض مبنية: بنيت
بناء المنازل على الارض. تجري من تحتها الانهار: اي من تحت تلك الغرف
وعد الله: مصدر مؤكد لان لهم غرف في معنى الوعد. لا يخلف الله الميعاد
لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال. الم تر ان الله انزل من السماء ماء:
هو المطر. فسلكه: فادخله. ينابيع في الارض: عيونا ومجاري كائنة فيها
او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف
او الحال. ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه: اصنافه من بر وشعير وغيرهما
او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما. ثم يهيج: ثم يتم جفافه حان له ان يثور
عن منبته. فتراه مصفرا: من يبسه. ثم يجعله حطاما: فتاتا. ان في
ذلك لذكرى: لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة
الدنيا فلا يغتر بها. لاولي الالباب: اذ لا يتذكر به غيرهم. افمن شرح
الله صدره للاسلام: حتى تمكن فيه بيسر عبر عنه عمن خلق نفسه شديدة الاستعد

لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق
بالنفس القابل للاسلام. فهو على نور من ربه: يعني المعرفة والاهتداء الى
الحق وعنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه. فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد
تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول و
هؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب
واسنده اليه. اولئك في ضلال مبين: يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت
في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده. الله نزل احسن الحديث
يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه و
تفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه. كتابا متشابها: بدل من احسن او حال منه وتشابهه
تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة
مثاني: جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك
القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها
كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل. تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه
وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب
القمطرير من القمط وهو الشد. ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله: بالرحمة
وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه
والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها
ذلك: اي الكتاب او الكائن. هدى الله يهدي به من يشاء: هدايته. ومن يضلل
الله: ومن يخذله. فما له من هاد: يخرجه من الضلال. افمن يتقي بوجهه: يجعله
درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء

سوء العذاب يوم القيامة: كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره
وقيل للظالمين: اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب
لما يقال لهم وهو. ذوقوا ما كنتم تكسبون: اي وباله والواو للحال وقد مقدرة
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون: من الجهة التي لا
يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها. فاذاقهم الله الخزي: الذل في الحيوة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء. ولعذاب الآخرة: المعد لهم
اكبر: لشدته ودوامه. لو كانوا يعلمون: لو كانوا من اهل العلم والنظر
لعلموا ذلك واعتبروا به. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
يحتاج اليه الناظر في امر دينه. لعلهم يتذكرون: يتعظون. قرآنا عربيا: حال
مؤكدة والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له
غير ذي عوج: لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل
بالشك استشهادا بقوله. وقد اتاك يقين غير ذي عوج: من الاله وقول
غير مكذوب. وهو تخصيص له ببعض مدلوله. لعلهم يتقون: علة اخرى مرتبة
على الاولى. ضرب الله مثلا: للمشرك والموحد. رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل: مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد
من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه و
يتعاورونه في المهام المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد
ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين
وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها
ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر و
النفع. هل يستويان مثلا: صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك
وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين
على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل. الحمد لله: كل الحمد لا
يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق. بل

أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم. إنك ميت وإنهم ميتون فإن الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لأنه مما سيحدث. ثم إنكم على تغليب المخاطب على الغيب. يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الإرشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا. فمن أظلم ممن كذب على الله بإضافة الولد والشريك إليه. وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه من غير توقف وتفكر في أمره. أليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فإنهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به صلى الله عليه وسلم بالتكذيب. والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أولئك هم المتقون. وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق أبو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصدق على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند ربهم في الجنة. ذلك جزاء المحسنين على إحسانهم. ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وأن ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان وقرئ أسواء جمع سوء. ويجزيهم أجرهم ويعطيهم ثوابهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم. أليس الله بكاف عبده استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر

بالأنبياء. ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فإنهم قالوا إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها وقيل إنه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها أحذركها يا خالد فإن لها لشدة فعمد إليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لأنه الآمر له بما خوف عليه. ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر. فما له من هاد يهديه إلى الرشاد. ومن يهد الله فما له من مضل إذ لا راد لفعله كما قال. أليس الله بعزيز غالب منيع. ذي انتقام ينتقم من أعدائه. ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أي أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفنه أو أرادني برحمة بنفع. هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني. قل حسبي الله كافيا في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير وشر روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وإنما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها. عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بأن الكل منه. قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم. إني عامل أي على مكانتي فحذف للاختصار ومبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تقف فإنه تعالى يزيده على مر الأيام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فإن خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر. ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار. إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به. فمن اهتدى فلنفسه إذ نفع به نفسه. ومن ضل فإنما يضل عليها فإن وباله لا يتخطاها. وما أنت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت. الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو في النوم. فيمسك

وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين ونصب ضره ورحمته

التي قضى عليها الموت: ولا يردها الى البدن. ويرسل الاخرى: اي النائمة
الى بدنها عند اليقظة. الى اجل مسمى: وهو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس
الارسال. وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس و
الحيوة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرنا
ان في ذلك: من التوفي والامساك والارسال. لآيات: دالة على كمال قدرته
وحكمته وشمول رحمته. لقوم يتفكرون: في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها
عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي
آجالها. ام اتخذوا: بل اتخذ قريش. من دون الله شفعاء: تشفع لهم
عند الله. قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون: ايشفعون
ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم. قل
لله الشفاعة جميعا: لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص
مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه
ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله
لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه. ثم اليه ترجعون: يوم القيمة
فيكون الملك له ايضا حينئذ. واذا ذكر الله وحده: دون آلهتهم. اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة: انقبضت ونفرت. واذا ذكر
الذين من دونه: يعني الاوثان. اذا هم يستبشرون: لفرط افتتانهم
ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى ينقبض
اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة. قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة: التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت
في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون: فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني

وبينهم. ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
من سوء العذاب يوم القيمة: وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص. وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون: زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم في الوعد. وبدا لهم سيئات ما كسبوا: سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم.
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن: احاط بهم جزاؤه. فاذا مس الانسان ضر
دعانا: اخبار عن الجنس بما يفعله والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده
بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده
ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من
استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم. ثم اذا خولناه
نعمة منا: اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به. قال انما اوتيته على علم:
على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطيه لما لي من استحقاقه او من الله بي واستيجابي
والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها. بل هي
فتنة: امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر
او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير. ولكن اكثرهم لا يعلمون: ذلك وهو دليل على ان
الانسان للجنس. قد قالها الذين من قبلهم: الهاء لقوله انما اوتيته على علم
عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي
به قومه. فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون: من متاع الدنيا. فاصابهم سيئات
ما كسبوا: جزاء سيئات اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا
الى ان جميع اعمالهم كذلك. والذين ظلموا: بالعتو. من هؤلاء: المشركين
ومن للبيان او للتبعيض. سيصيبهم سيئات ما كسبوا: كما اصاب اولئك
وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم. وما هم بمعجزين:
فائتين. او لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: حيث حبس عنهم
الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا. ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون: بان الحوادث
كلها من الله بوسط او غيره. قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم: افرطوا
في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما

عن القرآن. لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله
ثانياً. إن الله يغفر الذنوب جميعاً: عفواً ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة
خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية
والتعليل بقوله إنه هو الغفور الرحيم: على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة
بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقاً
عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع
اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد
بالجميع وما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها فقال
رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلث مرات وما
روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف
ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد
في جماعة فتنوا فافتتنوا أو في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وأنيبوا إلى
ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون: فإنها لا تدل على
حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والإخلاص
في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة. من
قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون: بمجيئه فتتداركون. أن
تقول نفس: كراهة أن تقول وتنكير نفس لأن القائل بعض الأنفس أو للتكثير
كقول الأعشى. ورب بقيع لو هتفت بجوه. أتاني كريم ينفض الرأس مغضباً.
يا حسرتا: وقرئ بالياء على الأصل. على ما فرطت: بما قصرت. في جنب الله
في جانبه أي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري. أما تتقين الله في
جنب وامق. له كبد حرى عليك تقطع. وهو كناية فيها مبالغة كقوله.
إن السماحة والمروة والندى. في قبة ضربت على ابن الحشرج. وقيل

في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب
بالجنب وقرئ في ذكر الله. وإن كنت لمن الساخرين: المستهزئين بأهله ومحل
إن كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر. أو تقول لو أن الله
هداني: بالإرشاد إلى الحق لكنت من المتقين: الشرك والمعاصي. أو تقول حين
ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين: في العقيدة والعمل وأو للدلالة
على أنه لا يخلو من هذه الأقوال تحيراً أو تعللاً بما لا طائل تحته. بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين: رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله
هداني من معنى النفي وفصله عنه لأن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم
المطابق للوجود لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجوع وهو لا يمنع
تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير
الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس. ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد. وجوههم مسودة: بما ينالهم من الشدة
أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال إذ الظاهر أن ترى من رؤية البصر واكتفى
فيها بالضمير عن الواو. أليس في جهنم مثوى: مقام للمتكبرين: عن الإيمان و
الطاعة وهو تقرير لأنهم يرون كذلك. وينجي الله الذين اتقوا: وقرئ ينجي. بمفازتهم
بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص بأهم أقسامه وبالسعادة
والعمل الصالح إطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقاً له
بالمضاف إليه والباء فيها للسببية صلة لينجي أو لقوله. لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال أو استئناف لبيان المفازة. الله خالق كل شيء: من خير وشر وإيمان وكفر
وهو على كل شيء وكيل: يتولى التصرف فيه. له مقاليد السموات والأرض لا
يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيه مزيد
دلالة على الاختصاص لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها و
هو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا ألزمته وقيل جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ
كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال
تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول

ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شي قدير والمعنى ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح
خير السموات والارض من تكلم بها اصابه. والذين كفروا بآيات الله اولئك
هم الخاسرون: متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على
انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة
في فلاح المومنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد
والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده
بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم
ذو حظ من الرحمة والثواب. قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون: اي افغير
الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به
عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونومن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب
غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف
ان ورفع كقوله احضر الوغى ويويده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النونين
على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا. ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك: اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين: كلام
على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة
وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق
الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت
كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب. بل الله فاعبد: رد لما امروه
به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك. وكن من الشاكرين: انعامه
عليه وفيه اشارة الى موجب الاختصاص. وما قدروا الله حق قدره: ما قدروا
عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركا ووصفوه بما لا يليق به.
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه: تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة

على ان تخريب العالم اهون شي عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى
القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضته وقرئ بالنصب
على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او
جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منظومة في حكمها. سبحانه وتعالى عما يشركون: ما ابعد وما اعلى من هذه
قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء. ونفخ في الصور
يعني المرة الاولى. فصعق من في السموات ومن في الارض: خروا ميتا
او مغشيا عليه الا من شاء الله: قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون
بعد وقيل حملة العرش. ثم نفخ فيه اخرى: نفخة اخرى وهو يدل على ان المراد بالاول
ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى تحتمل النصب والرفع. فاذا هم
قيام: قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون: وهو حال
من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم. واشرقت
بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة و
في الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها
بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافها الى نفسه. ووضع الكتاب: الحساب
والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال
واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف. وجيء بالنبيين و
والشهداء: للامم وعليهم من الملائكة والمومنين وقيل المستشهدون. وقضي
بينهم: بين العباد بالحق. وهم لا يظلمون: بنقص ثواب او زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد. ووفيت كل نفس ما عملت: جزاءه. وهو اعلم بما يفعلون
فلا يفوته شي من افعالهم ثم فصل التوفية وقال: وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة
واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة
الشعر ورجل زمر قليل المروة وهي جمع القليل. حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها: ليدخلوها

وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة. وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء. وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا. ألم يأتكم رسل منكم: من جنسكم. يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا: وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أن لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب. قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين: كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها: أبهم القائل لتهويل ما يقال لهم. فبئس مثوى المتكبرين: اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها لأن كلمة العذاب حقت عليهم فإن تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار. وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة: إسراعا بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين. زمرا: على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة. حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها: حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين لهم وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف. وقال لهم خزنتها سلام عليكم: لا يعتريكم بعد مكروه. طبتم: طهرتم من دنس المعاصي. فادخلوها خالدين: مقدرين الخلود والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لأنه يطهره. وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده: بالبعث والثواب. وأورثنا الأرض: يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه. نتبوأ من الجنة حيث نشاء: أي يتبوأ كل منا في أي مقام أراده من جنته الواسعة مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها. فنعم أجر العاملين: الجنة. وترى الملائكة حافين محدقين. من حول العرش: أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف. يسبحون بحمد ربهم: ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق. وقضي بينهم بالحق: أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم. وقيل الحمد لله رب العالمين: أي على ما قضي بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين. وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية

خمس أو ثمان وثمانون آية. بسم الله الرحمن الرحيم. حم: أماله ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحا ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب بإضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أو لأنها على زنة أعجمي كقابيل وهابيل. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم: لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول: صفات أخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو إبدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة

رجحانها. لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته. اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي. ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدال الآخر على الحقيقة. فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود. وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر. وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به. فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم. فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب. وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم. انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى. الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره. يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح. ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان

المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة. ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال. وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هاهنا. فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق. وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب. ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها. ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد. انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور. الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد. وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او تخصيص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب. وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما. ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء. اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالها الخبيثة الا على تأويل نحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد. قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر. واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان في

القبر والبعث والمقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله. فاعترفنا بذنوبنا: فإن اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للبعث. فهل إلى خروج: نوع خروج من النار. من سبيل: طريق فنسلكه وذلك إنما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله: ذلكم: أي الذي أنتم فيه. بأنه: بسبب أنه. إذا دعي الله وحده: متحدا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية. كفرتم: بالتوحيد. وإن يشرك به تؤمنوا: بالإشراك. فالحكم لله: المستحق للعبادة. العلي الكبير: من أن يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة. هو الذي يريكم آياته: الدالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم تكميلا لنفوسكم. وينزل لكم من السماء رزقا: أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم. وما يتذكر: بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى. إلا من ينيب: يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها فإن الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه. فادعوا الله مخلصين له الدين: من الشرك. ولو كره الكافرون: إخلاصكم وشق عليهم. رفيع الدرجات ذو العرش: خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الألوهية فإن من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به. وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة إلى العرش أو السموات أو درجات الثواب. وقرئ رفيع بالنصب على المدح. يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده: خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لأمره بإظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن أمره بيانه لأنه أمر بالخير أو مبدؤه والأمر هو الملك المبلغ إلى اختياره للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية. لينذر: غاية الإلقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني. يوم التلاق: فإن فيه تتلاقى الأرواح والأجساد وأهل السماء والأرض والمعبود والعباد والأعمال والعما

حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد

العمال. يوم هم بارزون: خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شيء أو ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الأبدان وأعمالهم وسرائرهم. لا يخفى على الله منهم شيء: من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وإزاحة لنحو ما يتوهمونه في الدنيا. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار: حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت: كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والأعمال هيئات توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها. لا ظلم اليوم: بنقص الثواب وزيادة العقاب. إن الله سريع الحساب: إذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل إليهم ما يستحقونه سريعا. وأنذرهم يوم الآزفة: أي القيامة سميت بها لأزوفها أي قربها أو الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت. إذ القلوب لدى الحناجر: فإنها ترتفع عن أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا. كاظمين: على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى لأنه على الإضافة أو منها أو من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لأن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة. ما للظالمين من حميم: قريب مشفق. ولا شفيع يطاع: ولا شفيع مشفع والضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم. يعلم خائنة الأعين: النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين. وما تخفي الصدور: من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء. والله يقضي بالحق: لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه. والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء: تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي. وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات أو إضمار قل. إن الله هو السميع البصير: تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحق

ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه. أولم
يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم: مآل حال الذين
كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود. كانوا هم أشد منهم قوة: قدرة وتمكنا، وإنما
جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول
اللام عليه، وقرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف. وآثارا في الأرض: مثل القلاع
والمدائن الحصينة، وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله: متقلدا سيفا ورمحا.
فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق: يمنع العذاب عنهم. ذلك
الأخذ. بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات: بالمعجزات والأحكام الواضحة.
فكفروا فأخذهم الله إنه قوي: متمكن مما يريده غاية التمكن. شديد العقاب
لا يؤبه بعقاب دون عقابه. ولقد أرسلنا موسى بآياتنا: يعني المعجزات
وسلطان مبين: وحجة قاهرة ظاهرة، والعطف لتغاير الوصفين أو لإفراد
بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه. إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب: يعنون موسى، وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة
من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا. فلما جاءهم بالحق من
عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم: أي أعيدوا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم أولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى. وما كيد الكافرين إلا
في ضلال: في ضياع، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على
العلة. وقال فرعون ذروني أقتل موسى: كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس الذي
تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة، وتعلله بذلك مع كونه
سفاكا في أهون شيء دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله، أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له،
ويؤيده قوله: وليدع ربه: فإنه تجلد وعدم مبالاة بدعائه. إني أخاف
إن لم أقتله أن يبدل دينكم: أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام
لقوله: ويذرك وآلهتك. أو أن يظهر في الأرض الفساد: ما يفسد دنياكم
من التحارب والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية. وقرأ ابن كثير ونافع
وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع، وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير

أوله
ياليت زوجك قد غدا

حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد. وقال موسى: أي لقومه لما سمع كلامه
إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب: صدر الكلام بأن تأكيدا و
إشعارا على أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله، وخص اسم الرب لأن
المطلوب هو الحفظ والتربية، وأضافه إليه وإليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر
الأرواح من استجلاب الإجابة، ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة
ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي عذت
فيه وفي الدخان بالإدغام، وعن نافع مثله. وقال رجل مؤمن من آل فرعون: من أقاربه
وقيل من متعلق بقوله يكتم إيمانه. والرجل إسرائيلي أو غريب موحد كان ينافقهم. أتقتلون
رجلا: أتقصدون قتله. أن يقول: لأن يقول، أو وقت أن يقول من غير روية و
تأمل في أمره. ربي الله: وحده، وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد. وقد
جاءكم بالبينات: المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات. من ربكم:
أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم إلى الاعتراف، ثم
أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال: وإن يك كاذبا فعليه كذبه: لا يتخطاه
وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله. وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم:
فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم
التعصب، ولذلك قدم كونه كاذبا، أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض
مواعيده، كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم، وتفسير البعض بالكل كقول لبيد:
تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها. مردود لأنه أراد
بالبعض نفسه. إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب: احتجاج ثالث ذو
وجهين: أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله إلى البينات ولما عضده
بتلك المعجزات، وثانيهما أن من خذله الله أهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعله أراد به
المعنى الأول وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم، وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب
لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة. يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
غالبين في الأرض: أرض مصر. فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا: أي
فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد. إنما

بعلة ذات جهتين

ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح
لهم. قال فرعون ما اريكم: ما اشير اليكم. الا ما ارى: واستصوبه من قتله وما
اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه. الا سبيل
الرشاد: طريق الصواب. وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او
من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد
كعواج وبتات. وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم: في تكذيبه والتعرض له
مثل يوم الاحزاب: مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع
التفسير اغنى عن جمع اليوم. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود: مثل جزاء ما
كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل. والذين من بعدهم: كقوم لوط. وما
الله يريد ظلما للعباد: فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام
وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته
بالظلم. ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد: يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا
للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور. او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب
النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم
يفر المرء من اخيه. يوم تولون: عن الموقف. مدبرين: منصرفين عنه الى النار
وقيل فارين عنها. ما لكم من الله من عاصم: يعصمكم من عذابه. ومن يضلل الله
فما له من هاد. ولقد جاءكم يوسف: يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون
موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف
من قبل: من قبل موسى. بالبينات: بالمعجزات. فما زلتم في شك مما
جاءكم به: من الدين. حتى اذا هلك: مات. قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول
مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث
كذلك: مثل ذلك الاضلال. يضل الله: في العصيان. من هو مسرف
مرتاب: شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد
الذين يجادلون في آيات الله: بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير

بغير سلطان: بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة. اتاهم كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا: فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان
يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي جدال الذين يجادلون كبر
مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر. كذلك: اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون
قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار: استئنافا للدلالة على الموجب
لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا: بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا
ظهر. لعلي ابلغ الاسباب: الطرق. اسباب السموات: بيان لها
وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها. فاطلع
عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له
رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل
على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى
فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا
بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه
واني لاظنه كاذبا: في دعوى الرسالة. وكذلك: ومثل ذلك التزيين. زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل: سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه
انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان. وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو
وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات
ويؤيده. وما كيد فرعون الا في تباب: اي خسار. وقال الذي آمن يعني
مؤمن آل فرعون وقيل موسى. يا قوم اتبعون اهدكم: بالدلالة سبيل الرشاد
سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي
يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع: تمتع يسير لسرعة زوالها. وان الآخرة
هي دار القرار: لخلودها. من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها: عدلا من الله
وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها. ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو

الى اله موسى

مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب: بغير تقدير وموازنة
بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة
اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة
والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم
ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار: كرر نداءهم ايقاظا لهم عن
سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول
فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول. تدعونني
لاكفر بالله: بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام
واشرك به ما ليس لي به: بربوبيته علم: والمراد نفي المعلوم والاشعار
بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان. وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار: المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة
والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران. لا جرم: لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق و
فاعله. انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة: اي حق عدم
دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها
او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله
مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو
التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد. وان مردنا
الى الله: بالموت. وان المسرفين: في الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء. هم اصحاب النار: ملازموها. فستذكرون: فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب. ما اقول لكم: من النصيحة. وافوض امري
الى الله: ليعصمني من كل سوء. ان الله بصير بالعباد: فيحرسهم وكانه جواب

جواب لتوعدهم المفهوم من قوله. فوقاه الله سيئات ما مكروا: شدائد
مكرهم وقيل الضمير لموسى. وحاق بآل فرعون: بفرعون واقتصر على ذكرهم عن
ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة
فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم. سوء العذاب
الغرق او القتل او النار. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا: جملة مستانفة
او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال
منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون
مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على
السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل
التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر. ويوم تقوم الساعة
اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم. ادخلوا آل فرعون
يا آل فرعون. اشد العذاب: عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه
او اشد عذاب جهنم وقرا نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا
على امر الملائكة بادخالهم النار. واذ يتحاجون في النار: واذكر وقت
تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا. فيقول الضعفاء للذين استكبروا
تفصيل له. انا كنا لكم تبعا: تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع
بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز. فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر
كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة
مغنون. قال الذين استكبروا انا كل فيها: نحن وانتم فكيف نغني عنكم
ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه
عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال
المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب. ان الله قد
حكم بين العباد: بان ادخل اهل النار النار ولا معقب لحكمه. وقال الذين في النار

اهل الجنة الجنة و

لخزنة جهنم: اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم
فيها. ويحتمل ان تكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر.
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما: قدر يوم. من العذاب: شيئا من العذاب
ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه. قالوا اولم
تك تأتيكم رسلكم بالبينات: اراد به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات
الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة. قالوا بلى قالوا فادعوا: فانا لا نجترئ
فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة. وما دعاء
الكافرين الا في ضلال: ضياع لا يجاب. انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا: بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة. في الحيوة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد: اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا
اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب
والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم: بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها
باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء. ولهم اللعنة
البعد من الرحمة. ولهم سوء الدار: جهنم. ولقد آتينا موسى الهدى: ما يهتدى به
في الدين من المعجزات والصحف والشرايع. واورثنا بني اسرائيل الكتاب: وتركنا
عليهم بعده من ذلك التورية. هدى وذكرى: هداية وتذكرة او هاديا و
مذكرا. لاولي الالباب: لذوي العقول السليمة. فاصبر على اذى المشركين
ان وعد الله حق: بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون. و
استغفر لذنبك: واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام
بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر. وسبح بحمد
ربك بالعشي والابكار: ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين
الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا. ان الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان اتاهم: عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في
مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه

سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار. ان في صدورهم الا كبر: الا تكبر عن
الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا
لهم. ما هم ببالغيه: ببالغي دفع الآيات او المراد. فاستعذ بالله: فالتجئ اليه
انه هو السميع البصير: لاقوالكم وافعالكم. لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس: فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان
ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد. ولكن اكثر الناس
لا يعلمون: لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم. وما
يستوي الاعمى والبصير: الغافل والمستبصر. والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء: والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل
والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير
الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل. قليلا ما تتذكرون: اي
تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على
تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة. ان الساعة لآتية لا
ريب فيها: في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون: لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما
يحسون. وقال ربكم ادعوني: اعبدوني. استجب لكم: اثبكم لقوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين: صاغرين
وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة
او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون
بضم الياء وفتح الخاء. الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه: لتستريحوا فيه بان
خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس. والنهار مبصرا
يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
الى الحال. ان الله لذو فضل على الناس: لا يوازيه فضل والاشعار به لم يقل
لمفضل. ولكن اكثر الناس لا يشكرون: لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم

وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم. ذلكم: المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية
والربوبية. الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو: أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة
وتقررها وقرئ خالقَ بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة
للأوصاف المذكورة. فأنى تؤفكون: فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى
عبادة غيره. كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون: أي كما أفكوا
أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها. الله الذي جعل لكم الأرض
قرارا والسماء بناء: استدلال بأفعال أخر مخصوصة. وصوركم فأحسن
صوركم: بأن خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات. ورزقكم من الطيبات: اللذائذ.
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين: فإن كل ما سواه مربوب مفتقر
بالذات معرض للزوال. هو الحي: المتفرد بالحياة الذاتية. لا إله إلا هو
إذ لا موجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته. فادعوه: فاعبدوه. مخلصين
له الدين: أي الطاعة من الشرك والرياء. الحمد لله رب العالمين: قائلين له.
قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
من الحجج والآيات أو من الآيات فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها. وأمرت أن
أسلم لرب العالمين: أن أنقاد له وأخلص له ديني. هو الذي خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا: أطفالا والتوحيد لإرادة الجنس أو على
تأويل كل واحد منكم. ثم لتبلغوا أشدكم: اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا: ويجوز عطفه على لتبلغوا
وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله
طفلا. ومنكم من يتوفى من قبل: من قبل الشيخوخة أو بلوغ الأشد. ولتبلغوا
ويفعل ذلك لتبلغوا. أجلا مسمى: هو وقت الموت أو يوم القيامة. ولعلكم
تعقلون: ما في ذلك من الحجج والعبر. هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا
فإذا أراده. فإنما يقول له كن فيكون: فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وتجشم
كلفة والفاء الأولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث إنه يقتضي قدرة ذاتية

غير متوقفة على العدد والمواد. ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله
أنى يصرفون: عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل فيه أو
للتأكيد. الذين كذبوا بالكتاب: بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية. وبما أرسلنا به رسلنا
من سائر الكتب أو الوحي والشرائع. فسوف يعلمون: جزاء تكذيبهم. إذ الأغلال
في أعناقهم: ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه.
والسلاسل: عطف على الأغلال أو مبتدأ خبره. يسحبون في الحميم: والعائد
محذوف أي يسحبون بها وهو على الأول حال. وقرئ والسلاسلَ يسحبون بالنصب
وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسلِ بالجر حملا على
المعنى إذ الأغلال في أعناقهم بمعنى أعناقهم في الأغلال أو إضمار الباء ويدل عليه القراءة
به. ثم في النار يسجرون: يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق
كأنه سجر بالحب أي ملئ والمراد تعذيبهم بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها إلى بعض.
ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا: غابوا عنا و
ذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم. بل لم
نكن ندعو من قبل شيئا: أي بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فإنهم
ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن. كذلك: مثل هذا الضلال. يضل الله الكافرين
حتى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا.
ذلكم: الإضلال. بما كنتم تفرحون في الأرض: تبطرون وتتكبرون. بغير الحق
وهو الشرك والطغيان. وبما كنتم تمرحون: تتوسعون في الفرح والعدول
إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ. ادخلوا أبواب جهنم: الأبواب السبعة المقسومة
لكم. خالدين فيها: مقدرين الخلود. فبئس مثوى المتكبرين: عن الحق جهنم وكان
مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء
عبر بالمثوى. فاصبر إن وعد الله: بهلاك الكفار. حق: كائن لا محالة. فإما نرينك
فإن نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع إن وحدها.
بعض الذي نعدهم: وهو القتل والأسر. أو نتوفينك: قبل أن تراه. فإلينا يرجعون
يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل

فذاك ويجوز جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة
اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض. ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك. اذ قيل عدد
الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة
وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله. فان المعجزات عطايا قسمها بينهم
على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها. فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا او الآخرة
قضي بالحق: بانجاء المحق وتعذيب المبطل. وخسر هنالك المبطلون: المعاند
باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها. الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تأكلون: فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب و
هو الابل والبقر. ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار. ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم: بالمسافرة عليها. وعليها: في البر. وعلى الفلك
في البحر. تحملون: وانما قال وعلى الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير
النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب
والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة وللفرق بين العين
والمنفعة. ويريكم آياته: دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته. فاي
آيات الله: اي فاي آية من تلك الآيات. تنكرون: فانها لظهورها لا
تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى
رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه. افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة وآثارا في الارض: ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوها و
قيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم. فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون: ما الاولى
نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به. فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات: بالمعجزات او الآيات الواضحات. فرحوا بما عندهم
من العلم: واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم

الداحضة لقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب
وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم
والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به
ويؤيده. وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون: وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما
رأوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم. فلما رأوا بأسنا
شدة عذابنا. قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين: يعنون
الاصنام. فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا: لامتناع قبوله حينئذ
ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما
اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير
لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع
نفع الايمان مسبب عن الرؤية. سنة الله التي قد خلت في عباده: اي
سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة. وخسر
هنالك الكافرون: اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق
ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية

وآيها ثلاث او اربع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم: ان جعلته
مبتدأ فخبره. تنزيل من الرحمن الرحيم: وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل
خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره. كتاب: وهو على الاولين بدل
منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به
لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل
الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية. فصلت
آياته: ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض

باختلاف الفواصل والمقاطع او فصلت بين الحق والباطل. قرآنا عربيا: نصب
على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه. لقوم يعلمون: لقوم
يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او
لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات. بشيرا ونذيرا: للعاملين به والمخالفين
له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف. فاعرض اكثرهم: عن تدبره
وقبوله. فهم لا يسمعون: سماع تأمل وطاعة. وقالوا قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه: اغطية جمع كنان. وفي آذاننا وقر: صمم واصله الثقل و
قرئ بالكسر. ومن بيننا وبينك حجاب: يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة
على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ
وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له
وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول. فاعمل: على دينك او في
ابطال امرنا. اننا عاملون: على ديننا او في ابطال امرك. قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد: لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم
الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد
النقل. فاستقيموا اليه: فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا
اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل. واستغفروه: مما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك فقال. وويل للمشركين: من فرط جهالتهم و
استخفافهم بالله. الذين لا يؤتون الزكوة: لبخلهم وعدم اشفاقهم على
الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه
لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة. وهم بالآخرة هم كافرون:
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم
للآخرة. ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون: لا يمن
به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في
المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون

يعملون. قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين: في مقدار يومين
او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما
في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته. و
تجعلون له اندادا: ولا يصح ان يكون له ند. ذلك: الذي خلق الارض في
رب العالمين: خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها. وجعل فيها رواسي:
استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة. من فوقها: مرتفعة
عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب
وبارك فيها: واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان. وقدر فيها
اقواتها: اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها
بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها. في اربعة ايام:
في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر
ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على
الفذلكة. سواء: اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل
عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على
هي سواء. للسائلين: متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق
الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها. ثم استوى الى
السماء: قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض
بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها. وهي دخان: امر
ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها. فقال
لها وللارض ائتيا طوعا او كرها: بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر ابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود و
على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء
حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الآخر

في حدوث ما اريد توليده منهما وتوليده قراءة آتينا من المؤاتاة اي لتوافق
كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد
اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما و
هما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات
والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلها
بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه خاطبهما و
اقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين
على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين. فقضاهن سبع سموات
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع
حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس و
الشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها
وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره
وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ
عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات ومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له
على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز
العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان
فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة
عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم
ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي
بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في
الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين
واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل
ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ألا

ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو
شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على
زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من
اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع
الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما يقدر عليه غيره و
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي
يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع
نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على
التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من
الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه
لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف
العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فا
فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة
من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا
يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من
تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرأ نافع نحشر بالنون
وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فهم
يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار
حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله

او يظهر عليها امارات تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال . وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا : سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب . قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء : اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله
الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي و
لو اول الجواب والنطق بدلالة الحال لبقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون : يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان
يكون استينافا . وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم : اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة
الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم بما استترتم عنها و
فيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون : فلذلك اجترأتم على ما
فعلتم . وذلكم : اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم : خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا . فاصبحتم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء
المنزلين . فان يصبروا فالنار مثوى لهم : لا خلاص لهم عنها . وان
يستعتبوا : يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون . فما هم من المعتبين
المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم
فما هم فاعلون لفوات المكنة . وقيضنا : وقدرنا لهم للكفرة
قرناء : اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض
وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة
فزينوا لهم ما بين ايديهم : من امر الدنيا واتباع الشهوات . وما
خلفهم من امر الآخرة وانكاره . وحق عليهم القول : اي كلمة العذاب
في امم : في جملة امم كقوله ان تك عن الحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا
وهو حال من الضمير المجرور . قد خلت من قبلهم من الجن والانس . وقد

عملوا مثل اعمالهم . انهم كانوا خاسرين : تعليل لاستحقاقهم العذاب
والضمير لهم وللامم . وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم
الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغي ولغا يلغو اذا هذى . لعلكم تغلبون : اي تغلبونه
على قراءته . فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا : المراد بهم هؤلاء القائلون او
عامة الكفار . ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون : سيئات اعمالهم وقد سبق مثله
ذلك : اشارة الى الاسوأ . جزاء اعداء الله : خبره . النار : عطف بيان
لهم فيها : في النار . دار الخلد : فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار
دار السرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة . جزاء بما كانوا باياتنا
يجحدون : ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو . وقال
ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس : يعني شيطاني النوعين الحاملين على
الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل و
قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ
في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء . نجعلهما تحت اقدامنا : ندوسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما ...... في الدرك الاسفل . ليكونا من الاسفلين
مكانا او ذلا . ان الذين قالوا ربنا الله : اعترافا بربوبيته واقرارا
بوحدانيته . ثم استقاموا : في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من
حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسير قلما تتبع الاقرار وما روي عن
الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص
العمل واداء الفرائض بجزئياتها . تتنزل عليهم الملائكة : فيما يعن لهم
بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او
الخروج من القبر . الا تخافوا : ما تقدمون عليه . ولا تحزنوا : على ما خلفتم
وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة . وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون : في الدنيا على لسان الرسل . نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا
نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة . نحن

اوليآؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة: بالشفاعة والكرامة حينما يتعادى
الكفرة وقرناؤهم. ولكم فيها: في الآخرة. ما تشتهي انفسكم: من اللذائذ. ولكم
فيها ما تدعون: ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول. نزلا
من غفور رحيم: حال مما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون
مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف. ومن احسن قولا ممن دعا الى الله: الى عبادته
وعمل صالحا: فيما بينه وبين ربه. وقال انني من المسلمين: تفاخرا به واتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع
تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة: في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد
النفي. ادفع بالتي هي احسن: ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها
وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات
وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك
وضع احسن موضع الحسنة. فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق. وما يلقيها: وما
يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان. الا الذين صبروا: فانها
تحبس النفس عن الانتقام. وما يلقيها الا ذو حظ عظيم: من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة. واما ينزغنك من الشيطان نزغ: نخس شبه به وسوسته لانها
تبعث الانسان على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد
به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر. فاستعذ بالله: من شره ولا تطعه. انه
هو السميع: لاستعاذتك. العليم: بنيتك او بصلاحك. ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر: لانهما مخلوقان مأموران
مثلكم. واسجدوا لله الذي خلقهن: الضمير للاربعة المذكورة والمقصود
تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار. ان كنتم
اياه تعبدون: فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا
لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة رضي الله عنه آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى

583

المعنى. فان استكبروا: عن الامتثال. فالذين عند ربك: من الملائكة
يسبحون له بالليل والنهار: اي دائما لقوله. وهم لا يسأمون: اي لا يملون
ومن آياته انك ترى الارض خاشعة: يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى
التذلل. فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت: تزخرفت وانتفخت بالنبات
وقرئ ربأت اي زادت. ان الذي احياها: بعد موتها. لمحيي الموتى انه على كل شيء
قدير: من الاحياء والاماتة. ان الذين يلحدون: يميلون عن الاستقامة. في آياتنا
بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها. لا يخفون علينا: فنجازيهم
على الحادهم. افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة: قابل الالقاء في
النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين. اعملوا ما شئتم: تهديد شديد
انه بما تعملون بصير: وعيد بالمجازاة. ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم: بدل من
قوله ان الذين يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او
هالكون او اولئك ينادون. والذكر القرآن. وانه لكتاب عزيز: كثير النفع عديم النظير
او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: لا يتطرق
اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية. تنزيل
من حكيم حميد: يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه. ما يقال لك: اي ما يقول لك كفار
قومك. الا ما قد قيل للرسل من قبلك: الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول
لك الله الا مثل ما قال لهم. ان ربك لذو مغفرة: لانبيائه. وذو عقاب اليم
لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم
وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة. ولو جعلناه قرآنا اعجميا: جواب
لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر. لقالوا لولا فصلت آياته
بينت بلسان نفقهه. أأعجمي وعربي: أكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر
للتحضيض والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وكلامه وهذه قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي
وقرأ الباقون أأعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز
ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا
لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور والدلالة على

اي حكيم

لا يتكلمون عن التعنت في الآيات كيف جاءت. قل هو للذين آمنوا هدى: إلى الحق
وشفاء: لما في الصدور من الشك والشبه. والذين لا يؤمنون: مبتدأ خبره
في آذانهم وقر: على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله: وهو عليهم عمى: وذلك لتصامهم
عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك
على للذين آمنوا هدى. أولئك ينادون من مكان بعيد: أي هم مثل لهم في
عدم قبولهم واستماعهم لمن يصيح بهم من مسافة بعيدة. ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه: بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن. ولولا كلمة سبقت
من ربك: وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي
بينهم: باستئصال المكذبين. وإنهم: وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون لفي شك
منه: من التوراة أو القرآن مريب: موجب للاضطراب. من عمل صالحا فلنفسه
نفعه. ومن أساء فعليها: ضره. وما ربك بظلام للعبيد: فيفعل بهم
ما ليس له أن يفعله. إليه يرد علم الساعة: أي إذا سئل عنها إذ لا يعلمها إلا هو
وما تخرج من ثمرة من أكمامها: من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص
من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى
مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف
قوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه: إلا مقرونا بعلمه واقعا
حسب تعلقه به. ويوم يناديهم أين شركائي: بزعمكم. قالوا آذناك: أخبرناك
ما منا من شهيد: من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون
السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء
أي ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين. وضل عنهم ما كانوا يدعون: يعبدون
من قبل: لا ينفعهم ولا يرونه. وظنوا: وأيقنوا. ما لهم من محيص: مهرب
والظن معلق عنه بحرف النفي. لا يسأم الإنسان: لا يمل. من دعاء الخير
من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير. وإن مسه الشر: الضيق. فيؤس
قنوط: من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله إنه لا ييأس من روح الله
إلا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من

من ظهور أثر اليأس. ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته: بتفريجها عنه ليقولن
هذا لي: حقي أستحقه لما لي من الفضل والعمل أو لي دائما لا يزول. وما أظن الساعة قائمة
تقوم. ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى: أي ولئن قامت على التوهم كان
لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا
فلاستحقاق لا ينفك عنه. فلننبئن الذين كفروا: فلنخبرنهم. بما عملوا
بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها. ولنذيقنهم من عذاب غليظ
لا يمكنهم التفصي عنه. وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض: عن الشكر. ونأى بجانبه
وانحرف أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب
في قوله في جنب الله. وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض: كثير مستعار مما له عرض
متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين
فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله. قل أرأيتم: أخبروني. إن كان: أي القرآن
من عند الله ثم كفرتم به: مع تعذر نظر واتباع دليل. من أضل ممن هو في شقاق بعيد
أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم
يعني ما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية
وما يسر الله له وللخلفاء من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق
للعادة. وفي أنفسهم ما ظهر منها بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن الإنسان من عجائب
الصنع الدالة على كمال القدرة. حتى يتبين لهم أنه الحق: الضمير للقرآن أو الرسول
صلى الله عليه وسلم أو التوحيد أو الله. أولم يكف بربك: أي أولم يكف ربك
والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل
إلا مع كفى. أنه على كل شيء شهيد: بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء
شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة أو
مطلع فيعلم حالك وحالهم أو لم يكف الإنسان رادعا عن المعاصي أنه تعالى مطلع على كل
شيء لا يخفى عليه خافية. ألا إنهم في مرية: شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية
من لقاء ربهم: بالبعث والجزاء. ألا إنه بكل شيء محيط: عالم بجمل الأشياء و
تفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها. عن النبي صلى الله عليه وسلم من

سنريهم آياتنا في الآفاق

من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى

ويسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق
لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وإن كانا اسما واحدا فالفصل
ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق. كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أو إيحاء مثل إيحائها أوحى الله إليك وإلى
الرسل قبلك وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي
وأن إيحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند
إلى ضميره أو مصدر يوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم
صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة وبالابتداء كما في قراءة
نوحي بالنون والعزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي
العظيم خبران له وعلى الوجوه الأخر استيناف مقرر لعزته وحكمته. تكاد السموات
وقرأ نافع والكسائي بالياء. يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ
البصريان وأبو بكر ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ
تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر. من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية
وتخصيصها على الأول لأن أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني
ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى وقيل الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس. و
الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم
من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن
والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث
خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة. ألا إن الله هو الغفور الرحيم إذ ما من مخلوق إلا
وهو ذو حظ من رحمته والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما
نسب إليه وأن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته. والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا. الله

الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم. وما أنت يا محمد
عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم. وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا
الإشارة إلى مصدر يوحي أو إلى معنى الآية المتقدمة فإنه مكرر في القرآن في مواضع
جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه. لتنذر أم القرى أهل أم القرى
وهي مكة. ومن حولها من العرب. وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق أو
الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال وحذف ثاني مفعولي الأول وأول
مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن. لا ريب
فيه اعتراض لا محل له. فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون
أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على
الحال منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري الثواب
والعقاب. ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة مهتدين أو ضالين. ولكن يدخل
من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة. والظالمون ما لهم من ولي ولا
نصير أي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد والكف
عن الإنذار. أم اتخذوا بل اتخذوا. من دونه أولياء كالأصنام
فالله هو الولي جواب شرط محذوف مثل إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي
بالحق. وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية.
وما اختلفتم أنتم والكفار. فيه من شيء من أمر من أمور الدين والدنيا. فحكمه
إلى الله مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالإثابة والمعاقبة وقيل وما
اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله. ذلكم الله ربي
عليه توكلت في مجامع الأمور. وإليه أنيب أرجع في المعضلات. فاطر
السموات والأرض خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل
من الضمير أو الوصف لإلى الله. من أنفسكم من جنسكم أزواجا نساء. ومن
الأنعام أزواجا أي خلق للأنعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الأنعام
أصنافا أو ذكورا وإناثا. يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو
والذر. فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد

فانه كالمنبع للبث والتكثير. ليس كمثله شيء: اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد
من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا
نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا
عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله
عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة
وهو السميع البصير: لكل ما يسمع ويبصر. له مقاليد السموات والارض
خزائنها. يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: يوسع ويضيق على وفق مشيئته
انه بكل شيء عليم: فيفعله على ما ينبغي. شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و
الذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى: اي شرع
لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن بينهما من ارباب الشرائع
وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله. ان اقيموا الدين: وهو الايمان
بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول
شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل
من هاء به. ولا تتفرقوا فيه: ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة
كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا. كبر على المشركين: عظم عليهم. ما تدعوهم اليه
من التوحيد. الله يجتبي اليه من يشاء: يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين. ويهدي
اليه: بالارشاد والتوفيق. من ينيب: يقبل اليه. وما تفرقوا: يعني الامم
السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب. الا من بعد ما
جاءهم العلم: العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب
العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها. بغيا بينهم: عداوة او طلبا للدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك: بالامهال. الى اجل مسمى: هو يوم القيمة او آخر اعمارهم
المقدرة. لقضي بينهم: باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا. وان
الذين اورثوا الكتاب من بعدهم: يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا
وورثوا. لفي شك منه: من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون حق الايمان

الايمان او من القران. مريب: مقلق او مدخل في الريبة. فلذلك: فلاجل ذلك
التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته. فادع: الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان تكون اللام في موضع الى لافادة
الصلة والتعليل. واستقم كما امرت: واستقم على الدعوة كما امرك الله
ولا تتبع اهواءهم: الباطلة. وقل امنت بما انزل الله من كتاب: يعني جميع
الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض. وامرت لاعدل
بينكم: في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية
وهذا اشارة الى كمال القوة العملية. الله ربنا وربكم: لانه خالق الكل ومتولي
امره. لنا اعمالنا ولكم اعمالكم: فكل مجازى بعمله. لا حجة بيننا وبينكم: لا حجاج
بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدا سوى العناد. الله
يجمع بيننا: يوم القيمة. واليه المصير: مرجع الكل لفصل القضاء وليس في
الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى تكون منسوخة باية القتال. والذين يحا
في دينه. من بعد ما استجيب له: من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما
استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب
له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به. حجتهم داحضة عند ربهم: زائلة
باطلة. وعليهم غضب: بمعاندتهم. ولهم عذاب شديد: على كفرهم. الله
الذي انزل الكتاب: جنس الكتاب. بالحق: ملتبسا به بعيدا من الباطل
او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام. والميزان: والشرع الذي
يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة
الوزن اوحى باعدادها. وما يدريك لعل الساعة قريب: اتيانها
فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم
الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب
او لان الساعة بمعنى البعث. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها: استهزاء. و
الذين امنوا مشفقون منها: خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب
ويعلمون انها الحق: الكائن لا محالة. الا ان الذين يمارون في الساعة

حجون فى الله

يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا
من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة. لفي ضلال بعيد عن الحق فان
البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء
الى ما وراءه. الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا يبلغها الا
يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته
حكمته. وهو القوي الباهر القدرة. العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان
يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا
ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض
ويقال للزرع الحاصل منه. نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة
فما فوقها. ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى. ام لهم شركاء
بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم. شرعوا لهم
بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل
شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها
لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدين به او صور من سنه لهم. ولولا كلمة الفصل
اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة. لقضي
بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم. وان الظالمين لهم عذاب
اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي لولا كلمة الفصل وتقدير عذاب
الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب
الآخرة. ترى الظالمين في القيامة مشفقين خائفين. مما كسبوا من
السيئات. وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا. والذين
آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها و
انزهها. لهم ما يشاؤون عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم. ذلك
اشارة الى ما للمؤمنين. هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا
ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب

الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي
يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره. قل لا اسألكم
عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة. اجرا نفعا منكم. الا المودة
في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي
القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله و
البغض في الله وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة
وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى. ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة
سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته
لهم رضي الله عنهم. نزد له فيها في الحسنة. حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد
الله حسنا. ان الله غفور لمن اذنب. شكور لمن اطاع بتوفية الثواب و
التفضل عليه بالزيادة. ام يقولون بل ايقولون. افترى على الله كذبا بدعوى
محمد بدعوى النبوة او القرآن. فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء
عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة
ومعرفة فلا فكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل
يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط
عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم. ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات
الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقولونه بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو
الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعد لمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه
الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله
ويدع الانسان. وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه و
القبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة
التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما

رتبتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذاقها حلاوة المعصية والبكا
بدل كل ضحك ضحكه. ويعفو عن السيئات: صغيرها وكبيرها لمن يشاء. و
يعلم ما تفعلون: فيجازي ويتجاوز عن اتقان حكمة وقرأ حمزة وحفص والكسائي
ما تفعلون بالتاء. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات: اي يستجيب الله
لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة
فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الدعاء الحمد لله
او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها. ويزيدهم من فضله: على ما سألوا
واستوجبوا له بالاستجابة. والكافرون لهم عذاب شديد: بدل ما للمؤمنين
من الثواب والتفضل. ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا
على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية. ولكن ينزل
بقدر: بتقدير. ما يشاء: ما اقتضته مشيئته. انه بعباده خبير بصير: يعلم خفايا
امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى
فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا. و
هو الذي ينزل الغيث: المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد. من بعد ما قنطوا: ايسوا منه وقرئ
بكسر النون. وينشر رحمته: في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان. وهو
الولي: الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته. الحميد: المستحق للحمد على
ذلك. ومن آياته خلق السموات والارض: فانها بذاتها وصفاتها تدل
على وجود صانع قادر حكيم. وما بث فيهما: عطف على السموات او الخلق
من دابة: من حي على اطلاق المسبب للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد
الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة. وهو على جمعهم اذا يشاء قدير: متمكن منه
واذا كما تدخل الماضي تدخل المضارع. وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر
استغناء بما في الباء من معنى السببية. ويعفو عن كثير: من الذنوب فلا يعاقب

في اي وقت شاء

يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر
منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه. وما انتم بمعجزين في الارض: فائتين ما
قضي عليكم من المصائب. وما لكم من دون الله من ولي: يحرسكم عنها. ولا نصير
يدفعها عنكم. ومن آياته الجوار: السفن الجارية. في البحر كالاعلام: كالجبال
قالت الخنساء: وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم في راسه نار. ان
يشأ يسكن الريح. وقرئ الرياح. فيظللن رواكد على ظهره: فيبقين ثوابت
على ظهر البحر. ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور: لكل من وكل همته وحبس
نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر. او يوبقهن: او يرسل الريح العاصفة المغرقة والمراد
اهلاك اهلها لقوله. بما كسبوا: واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن
فاقتصر على المقصود كما في قوله. ويعف عن كثير: اذ المعنى او يرسلها عاصفة
فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا: عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم
او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ
نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او
يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين. ما لهم من محيص: محيد من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل. فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا: تمتعون به
مدة حياتكم. وما عند الله: من ثواب الآخرة. خير وابقى: لخلوص نفعه ودوامه
وما الاولى ضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة
الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق
ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت. للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون: بما بعده
عطف على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا
للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة: نزلت في الانصار دعاهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم

الى الايمان فاستجابوا. وامرهم شورى بينهم: ذو شورى لا ينفردون برأي
حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا
بمعنى التشاور. ومما رزقناهم ينفقون: في سبيل الخير. والذين اذا
اصابهم البغي هم ينتصرون: على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم
بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران
فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مخالفة والحلم عن العاجز محمود وعن
المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار
للمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها: وسمى الثانية سيئة للازدواج
او لانها تسوء من تنزل به. فمن عفا واصلح: بينه وبين عدوه فاجره على الله
عدة مبهمة تدل على عظم الموعود. انه لا يحب الظالمين: المبتدئين بالسيئة
والمتجاوزين في الانتقام. ولمن انتصر بعد ظلمه: بعدما ظلم وقد قرئ به
فاولئك ما عليهم من سبيل: بالمعاتبة والمعاقبة. انما السبيل على
الذين يظلمون الناس: يبتدؤنهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه
تجبرا عليهم. ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم
على ظلمهم وبغيهم. ولمن صبر: على الاذى. وغفر: ولم ينتصر. ان ذلك
لمن عزم الامور: اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان
بدرهم للعلم به. ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده: من ناصر يتولاه من
بعد خذلان الله اياه. وترى الظالمين لما راوا العذاب: حين يرونه
وذكر بلفظ الماضي تحقيقا. يقولون هل الى مرد من سبيل: اي الى رجعة
الى الدنيا. وتراهم يعرضون عليها: على النار يدل عليها العذاب
خاشعين من الذل: متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل. ينظرون من
طرف خفي: اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر الى السيف. وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم: بالتعريض للعذاب المخلد. يوم القيمة: تمام كلامهم او تصديق
من الله لهم. وما كان لهم من اولياء ينصرونهم ظرف لخسروا والقول

القول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال. الا ان
الظالمين في عذاب مقيم: تمام كلامهم او تصديق من الله لهم. وما كان لهم
من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل: الى الهدى او النجاة
استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله: لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة
لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن رده. ما لكم من ملجا: مفر. يومئذ
وما لكم من نكير: انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم ويشهد عليه
السنتكم وجوارحكم. فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا: رقيبا او
محاسبا. ان عليك الا البلاغ: وقد بلغت. وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة
فرح بها: اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور: بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم
يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في
الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة. لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء. يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
من غير لزوم ومجال اعتراض. او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية
فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين
ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما تتعلق
به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء
او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير
وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه
قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة. انه عليم قدير: فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار
وما كان لبشر: وما صح له. ان يكلمه الله الا وحيا: كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل
ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه

به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية او بالهاتف كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله «او من وراء حجاب» عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله «او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء» او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام «انه علي» عن صفات المخلوقين «حكيم» يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب «وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا» يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان» اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع «ولكن جعلناه» اي الروح او الكتاب او الايمان «نورا نهدي به من نشاء من عبادنا» بالتوفيق للقبول والنظر فيه «وانك لتهدي الى صراط مستقيم» هو الاسلام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله «صراط الله» بدل من الاول «الذي له ما في السموات وما في الارض» خلقا وملكا «الا الى الله تصير الامور» بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف

وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم

«حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا» اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى مصيره كذلك «لعلكم تعقلون» لكي تفهموا معانيه «وانه» عطف على انا «في ام الكتاب» في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر «لدينا» محفوظا عندنا عن التغيير «لعلي» رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها «حكيم» ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب «افنضرب عنكم الذكر صفحا» افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف يعني انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه «ان كنتم قوما مسرفين» اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء «وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون» تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه «فاهلكنا اشد منهم بطشا» اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم مخبرا عنهم «ومضى مثل الاولين» وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين «ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم» لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي

جعل لكم الارض مهدا

فتستقرون فيها وقرأ الحرميان وابن عامر وابو عمرو مهادا . وجعل لكم
فيها سبلا : تسلكونها . لعلكم تهتدون : لكي تهتدوا الى مقاصدكم
او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك . والذي نزل من السماء ماء بقدر : بمقدار
ينفع ولا يضر . فانشرنا به بلدة ميتا : مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة
بمعنى البلد والمكان . كذلك : مثل ذلك الانشار . تخرجون : تنشرون من
قبوركم . والذي خلق الازواج كلها : اصناف المخلوقات . وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون : ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه
على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق
للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على
ظهوره : اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى . ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها . وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين : مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله
وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد
وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا الى قوله وانا
الى ربنا لمنقلبون : اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة
العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه
ويستعد للقاء الله . وجعلوا له من عباده جزءا : متصل بقوله ولئن
سالتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة
بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على
استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين . ان الانسان
لكفور مبين : ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط
الجهل والتحقير لشانه . ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين :
معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا
حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث

النماء

الخبيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم به كما قال . واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن
مثلا : بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد . ظل وجهه مسودا : صار
اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة . وهو كظيم : مملو قلبه من الكرب وفي ذلك
دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد
على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا . او من ينشا في الحلية اي
او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات . وهو في الخصام في المجادلة
غير مبين : مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراي ويجوز ان يكون من مبتدا
محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه
كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشا اي يربى وقرئ ينشا ويناشا بمعنا
ونظيره ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا : كفر اخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على
الله انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبد وقرا الحجازيان والشامي عند على تمثيل
زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع . اشهدوا خلقهم : احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرا نافع اأشهدوا
بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين واشهدوا واأشهدوا بمدة بينهما . ستكتب
شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة . ويسألون : اي عنها يوم القيمة وهو وعيد
وقرئ وسيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له
بنات هن الملائكة ويساءلون من المساءلة . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة
على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات
على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال . ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون : يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى
اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها
علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم
من قبل القران او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه . فهم به مستمسكون : بذلك الكتاب

جعله

تم كتاب من صله

مستمسكون. بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون: اى لا حجة
لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد ابائهم الجهلة والامة الطريقة التى
تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها
الدين. وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة
على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه و
تخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد. قل أولو
جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم: اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين
ابائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله. قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه. فانتقمنا منهم بالاستئصال
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين: ولا تكترث بتكذيبهم. واذ قال ابراهيم: واذكر
وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد
من التقليد فانه اشرف ابائهم. لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون: برئ من
عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام. الا الذى فطرنى: استثناء منقطع او متصل
على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان
ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى. فانه سيهدين:
سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى ما وراء ما هدانى اليه. وجعلها كلمة: وجعل ابراهيم
او الله كلمة التوحيد. باقية فى عقبه: فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله و
يدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه. لعلهم
يرجعون: يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده. بل متعت هؤلاء واباءهم: هؤلاء
المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش واباءهم بالمد فى العمر والنعمة
فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به
على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم. حتى جاءهم الحق: دعوة التوحيد

التوحيد او القرآن. ورسول مبين: ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد
بالحجج والآيات. ولما جاءهم الحق: لينبههم عن غفلتهم. قالوا هذا سحر وانا به كا
فرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا
به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم. وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين: من احدى القريتين مكة والطائف. عظيم: بالجاه والمال كالوليد
ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم
يعلموا انها رتبة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا
التزخرف بزخارف الدنيوية. اهم يقسمون رحمة ربك: انكار فيه تجهيل وتعجيب من
تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة. نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا: وهم
عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التى هى اعلى
المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله. ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات: واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره. ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا: ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام
العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك
ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه. ورحمة ربك: هذه يعنى النبوة وما يتبعها
خير مما يجمعون: من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه. ولولا ان يكون
الناس امة واحدة: لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا راوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم
الدنيا فيجتمعوا عليه. لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج: و
مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج. عليها يظهرون: يعلون السطوح
لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه و
قرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا
وسقفا وهو لغة فى سقف. ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون: اى
ابوابا وسررا من فضة. وزخرفا: وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف
على محل من فضة. وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا: ان هى المخففة واللام هى
الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية

قرون

وقرئ به مع ان وما . والآخرة عند ربك للمتقين : عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة
على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك
للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة
مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله . ومن
يعش عن ذكر الرحمن : يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه
في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا
اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة . نقيض له شيطانا
فهو له قرين : يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى
ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه . وانهم ليصدونهم عن السبيل
عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له . ويحسبون انهم مهتدون : الضمائر الثلاثة الاول له والباقي
للشيطان . حتى اذا جاءنا : اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا
اي العاشي والشيطان . قال : اي العاشي للشيطان . يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين : بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما
فبئس القرين : انت . ولن ينفعكم اليوم : اي ما انتم عليه من التمني . اذ ظلمتم
اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم . انكم في العذاب مشتركون : لان
حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان
يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته
وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول . افانت تسمع الصم او تهدي العمي : انكار تعجب
من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في
الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت . ومن كان في ضلال
مبين : عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك
تمكنهم في ضلال لا يخفى . فاما نذهبن بك : فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم

عذابهم ما زائدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة . فانا منهم
منتقمون : بعدك في الدنيا والآخرة . او نرينك الذي وعدناهم : او ان اردنا
ان نريك وعدناهم من العذاب . فانا عليهم مقتدرون : لا يفوتوننا
فاستمسك بالذي اوحي اليك : من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على البناء
للفاعل وهو الله تعالى . انك على صراط مستقيم : لا عوج له . وانه لذكر لك
لشرف لك . ولقومك وسوف تسألون : اي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : اي واسأل اممهم وعلماء دينهم
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون : هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت
في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على
انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب
والمخالفة . ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول
رب العالمين : يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة
قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين والاستشهاد بدعوة موسى الى
التوحيد . فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون : فاجأوا وقت ضحكهم
منها اي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها . وما نريهم من آية الا
هي اكبر من اختها : الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها
اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم
افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي
يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها
بذلك الاعتبار . واخذناهم بالعذاب : كالسنين والطوفان والجراد
لعلهم يرجعون : على وجه يرجى رجوعهم . وقالوا يا ايها الساحر : نادوه
بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم
الباهر ساحرا . ادع لنا ربك : اي يدعو لنا فيكشف عنا العذاب
بما عهد عندك : بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف
العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة

انّنا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون: فاجئوا نكث
عهدهم بالاهتداء. ونادى فرعون: بنفسه او بمناديه. في قومه: في مجمعهم
وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم. قال يا قوم
أليس لي ملك مصر وهذه الانهار: انهار النيل ومعظمها اربعة نهر
الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي: تحت قصري
او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك
فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها
افلا تبصرون: ذلك. ام انا خير: مع هذه المملكة والبسطة من هذا
الذي هو مهين: ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة
ولا يكاد يبين: الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما
منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة
المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه
فلولا القي عليه اسورة من ذهب: اي فهلا القي اليه مقاليد الملك
ان كان صادقا اذ كانوا اذا سوّدوا رجلا سوّروه وطوّقوه
بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى سوار على تعويض التاء من
ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار
وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل
وهو الله تعالى. او جاء معه الملائكة مقترنين: مقرونين يعينونه او يصدقونه
من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن. فاستخف قومه: فطلب
منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم. فاطاعوه: فيما امرهم به انهم
كانوا قوما فاسقين: فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق. فلما آسفونا
اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد
غضبه. انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين: في اليم. فجعلناهم سلفا
قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر
نعت به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع

جمع سليف كرغف وسالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة
اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت. ومثلا للآخرين: وعظة لهم او
قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون. ولما ضرب ابن
مريم مثلا: اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل الكتاب وهم يعبدون عيسى
ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا قبلك
من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح. اذا قومك قريش منه
من هذا المثل يصدون: يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم
صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن
الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف. وقالوا ءالهتنا خير
ام هو: اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه او
آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك
او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين
والالف بعدهما. ما ضربوه لك الا جدلا: ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل
والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل. بل هم قوم خصمون: شداد الخصومة
حراص على اللجاج. ان هو الا عبد انعمنا عليه: بالنبوة. وجعلناه مثلا
لبني اسرائيل: امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة
ولو نشاء لجعلنا منكم: لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا
بدلكم. ملائكة في الارض يخلفون: ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان
كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات
ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية و
الانتساب الى الله سبحانه. وانه: وان عيسى. لعلم للساعة: لان حدوثه او نزوله
من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ
لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية
بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس

والمكس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس و
يقتل النصارى الا من آمن وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة و
الدلالة عليها. فلا تمترن بها: فلا تشكن فيها. واتبعون: واتبعوا هداي
او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم امر ان يقوله. هذا
هذا الذي ادعوكم اليه. صراط مستقيم: لا يضل سالكه. ولا يصدنكم الشيطان
عن المتابعة. انه لكم عدو مبين: ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم
للبلية. ولما جاء عيسى بالبينات: بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع
الواضحات. قال قد جئتكم بالحكمة: بالانجيل او الشريعة. ولأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه: وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء
لم تبعث لبيانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامور دنياكم. فاتقوا
الله واطيعون: فيما ابلغه عنه. ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه: بيان
لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع. هذا صراط مستقيم
الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استئناف من الله تعالى على ما هو
المقتضي للطاعة في ذلك. فاختلف الاحزاب: الفرق المتحزبة. من بينهم
من بين النصارى او اليهود والنصارى من بعث اليهم. فويل للذين ظلموا
من المتحزبين. من عذاب يوم اليم: القيامة. هل ينظرون الا الساعة: الضمير
لقريش او للذين ظلموا. ان تأتيهم بغتة: بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة بغتة: فجأة. وهم لا يشعرون: غافلون عنها لاشتغالهم بامور
الدنيا وانكارهم لها. الاخلاء: الاحباء. يومئذ بعضهم لبعض عدو: اي يتعادون
يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب. الا المتقين
فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد. يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون: حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ
الذين آمنوا بآياتنا: صفة للمنادى. وكانوا مسلمين: حال من الواو اي الذين
آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد. ادخلوا الجنة انتم وازواجكم: نساؤكم

نساؤكم المؤمنات تحبرون: تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما
وصف بجميل. يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب: الصحاف
جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له. وفيها: وفي الجنة. ما تشتهيه
الانفس: وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل. وتلذ الاعين: بمشاهدته
وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ. وانتم فيها خالدون
فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني
الحال. وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون: وقرئ ورثتموها شبه جزاء
العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت
مبتداء والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة
الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها. لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون: بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل
النعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعم
الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة. ان المجرمين: الكاملين في الاجرام وهم
الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار. في عذاب جهنم
خالدون: خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به. لا يفتر عنهم: لا يخفف
عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف. وهم فيه في العذاب
مبلسون: آيسون من النجاة. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
مر مثله غير مرة وهم فصل. ونادوا يا مالك: وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا
ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك
اختصروا وقالوا. ليقض علينا ربك: والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى
عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة. قال
انكم ماكثون: لا خلاص لكم بموت ولا بغيره. لقد جئناكم بالحق: بالارسال و
الانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى
جوابهم بعد جواب مالك. ولكن اكثركم للحق كارهون: لما في اتباعه من اتعاب النفس

لدون

واذواب الجوارح. ام ابرموا امرا: في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته
فانا مبرمون: امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك
اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول صلى الله عليه
وسلم فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله. ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
حديث انفسهم بذلك. ونجويهم: وتناجيهم. بلى: نسمعها. ورسلنا: والحفظة
مع ذلك. لديهم يكتبون: ذلك. قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين: منكم
فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه
ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ
المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لا تشعر به
ولا بنقيضه فانها مجرد الشرطية بل الانتفاء معلول للازم الدال على انتفاء
ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس
بالاعتراف وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين
من اهل مكه وقرا حمزه والكسائي ولد بالضم. سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون: عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا
ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك
بمبدعها وخالقها. فذرهم يخوضوا: في باطلهم. ويلعبوا: في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون: اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا
جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة. وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله: مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه
بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله
والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز
جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدأ محذوف
يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار
وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو

وهو الحكيم العليم: كالدليل عليه. وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما: كالهواء. وعنده علم الساعة: العلم بالساعة التي
تقوم القيمة فيها. واليه ترجعون: للجزاء وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم
وروح بالتاء على الالتفات للتهديد. ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله. الا من شهد بالحق وهم يعلمون: بالتوحيد
والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة
والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام. ولئن سالتهم من خلقهم: سالت
العابدين او المعبودين. ليقولن الله: لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره
فانى يؤفكون: يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره. وقيله: وقول الرسول صلى الله
عليه وسلم ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي قال قيله وجره
عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدا وخبره. يا رب ان
هؤلاء قوم لا يؤمنون: او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو
قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله
قسمي وان هؤلاء جوابه. فاصفح عنهم: فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم
وقل سلام: تسلم ومتاركة. فسوف يعلمون: تسلية للرسول وتهديد لهم
وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور بقوله. عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية

الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وآيها سبع او تسع وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين: القرآن والواو للعطف
ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله. انا انزلناه في ليلة مباركة
في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا
من اللوح ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول

القران سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية. انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي
للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة
او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها ويجوز ان
يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها
لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق
كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون. امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا
من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او
امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا
ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه
بمعنى آمرين او مأمورا. انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين
اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل
الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه
اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر
او تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة
الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك هي رحمة. انه
هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته فانها لا تحق
الا لمن هذه صفاته. رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف
وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك. ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في
العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فعلمتم ان الامر
كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك. لا اله الا هو اذ لا خالق سواه. يحيي
ويميت كما تشاهدون. ربكم ورب آبائكم الاولين قرئ بالجر بدلا. بل
هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين. فارتقب فانتظر لهم. يوم تأتي
السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء
كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار

الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا
جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار
او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه صلى الله عليه وسلم
لما قال اول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الآية وقال يملأ ما بين
المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر
فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين
يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان
ان كشف العذاب عنهم. انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة
وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الآيات و
المعجزات. ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون. انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي
فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم
انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط
قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين
فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة اوله بالشرط والتقدير. يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون
فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش اي نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم او
نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة. ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ
بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم. وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين
او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه. ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم
معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة
او مفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة. اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة

اسم رجل نسب اليه عدن

المعجزات على صدقه او لايتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على
الله ولا تستكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجوهها. اني
آتيكم بسلطان مبين: علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن
لا يخفى. واني عذت بربي وربكم: التجأت اليه وتوكلت عليه. ان ترجمون
ان تؤذوني ضربا او شتما او تقتلوني وقرئ عت بالادغام. وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون: فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بسوء فانه ليس جزاء من
دعاكم الى ما فيه فلاحكم. فدعا ربه: بعد ما كذبوه. ان هؤلاء: بان هؤلاء. قوم
مجرمون: وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء
وقرئ بالكسر على اضمار القول. فاسر بعبادي ليلا: فقال اسر او قال ان كان
الامر كذلك فاسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى. انكم متبعون: يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم. واترك البحر رهوا: مفتوحا ذا فجوة واسعة
او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا
ليدخله القبط. انهم جند مغرقون: وقرئ بالفتح بمعنى لانهم. كم تركوا
كثيرا تركوا. من جنات وعيون وزروع ومقام كريم: محافل مزينة و
منازل حسنة. ونعمة: وتنعم. كانوا فيها فاكهين: متنعمين وقرئ فكهين
كذلك: مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك. واورثناها
عطف على الفعل المقدر او على تركوا. قوما آخرين: ليسوا منهم في شيء
وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر. فما بكت عليهم السماء
والارض: مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم
كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه
ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط
رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض. وما كانوا منظرين
ممهلين الى وقت آخر. ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد
فرعون وقتله ابناءهم. من فرعون: بدل من العذاب على حذف المضاف
او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته

جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة
انه كان عاليا: متكبرا. من المسرفين: في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي
كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم
ولقد اخترناهم: اخترنا بني اسرائيل. على علم: عالمين بانهم احقاء بذلك او
مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال. على العالمين: لكثرة الانبياء
فيهم او على عالمي زمانهم. وآتيناهم من الآيات: كفلق البحر وتظليل الغمام و
انزال المن والسلوى. ما فيه بلاء مبين: نعمة جلية او اختبار ظاهر. ان هؤلاء
يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم
في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم. ليقولون ان هي الا موتتنا
الاولى: ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد
فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون
موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي
ما الموتة التي من شأنها ذلك الا الموتة الاولى. وما نحن بمنشرين: بمبعوثين. فأتوا
بآبائنا: خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. ان
كنتم صادقين: في وعدكم ليدل عليه. اهم خير: في القوة والمنعة. ام قوم
تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها كان
مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال
لانهم يتقيلون. والذين من قبلهم: كعاد وثمود. اهلكناهم: استيناف بحال
قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول
ان استؤنف به. انهم كانوا مجرمين: بيان للجامع المقتضي للاهلاك. وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما: وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين: لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها. ما خلقناهما
ما الا بالحق
الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن
اكثرهم لا يعلمون: لقلة نظرهم. ان يوم الفصل: فصل الحق عن الباطل او المحق

عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه احبابه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم
في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل
عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى
كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى
لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل
من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينتصر منه من اراد
تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين و
معنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به
الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب
وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء
على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما
كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية
فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان
وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا
فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل
يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق
انك انت العزيز الكريم وقولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا على ما كان
يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا
ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان
المتقين في مقام في موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون
بفتح الميم امين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون
بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل و
المشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير

الضمير في الحال او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ
منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك
اي الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك
عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن
نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار
ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا
يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء
منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها
بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت
فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل و
وقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقّاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل
ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن
المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه
بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون
به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما
يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا

سورة الجاثية مكية

وهي سبع اوست وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان
جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم
مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض
لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق
السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطفه على الضمير
المجرور بل عطفه على المضاف لانه احد المتضايفين فان بثه وتنوعه واستجماعه

لما يتم به معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار. آيات لقوم
يوقنون: محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا
على الاسم. واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
من مطر وسماه رزقا لانه سببه. فاحيا به الارض بعد موتها: يبسها. و
تصريف الرياح: باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف
الريح. آيات لقوم يعقلون: فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في
والابتداء او ان الا ان تضمر في او تنصب آيات على الاختصاص او ترفع باضمار
هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور. تلك
آيات الله: اي تلك الآيات دلائله. نتلوها عليك: حال عاملها معنى الاشارة
بالحق: ملتبسين او ملتبسة به. فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد
وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث
وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان
وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله. ويل لكل افاك: كذاب
اثيم: كثير الاثم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر: يقيم على كفره
مستكبرا: عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات
كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها. كأن لم يسمعها: اي كأنه فخفف و
حذف ضمير الشأن والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع. فبشره
بعذاب اليم: على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم. واذا علم من
آياتنا شيئا: واذا بلغه شيء وعلم انه منها. اتخذها هزوا اولئك لهم
عذاب مهين: لذلك من حيث انه يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا
وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء
بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية. من ورائهم
جهنم: من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم. ولا
يغني عنهم: ولا يدفع. ما كسبوا: من الاموال والاولاد. شيئا: من

من عذاب الله. ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء: اي الاصنام. ولهم
عذاب عظيم: لا يتحملونه. هذا هدى: الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله و
الذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم: وقرأ ابن كثير ويعقوب و
حفص برفع اليم والرجز اشد العذاب. الله الذي سخر لكم البحر: بان جعله املس
السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص. لتجري الفلك
بامره: بتسخيره وانتم راكبوها. ولتبتغوا من فضله: بالتجارة والغوص
والصيد وغيرها. ولعلكم تشكرون: هذه النعم. وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا: بان خلقها نافعة لكم. منه: حال من ما اي سخر هذه الاشياء
كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد
او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد
المجازي او خبر محذوف. ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون: في صنائعه
قل للذين آمنوا يغفروا: حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل
لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا. للذين لا يرجون ايام الله: لا يتوقعون
وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها
الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري
فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال. ليجزي قوما بما كانوا يكسبون: علة للامر
والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير
او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى
لا المصدر فان الاسناد اليه مع المفعول به ضعيف. من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها: اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه. ثم الى ربكم
ترجعون: فيجازيكم على اعمالكم. ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب: التوراة
والحكم: والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات. والنبوة: اذ كثر فيهم
الانبياء ما لم يكثر في غيرهم. ورزقناهم من الطيبات: مما احل الله من اللذائذ
وفضلناهم على العالمين: حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم. وآتيناهم بينات

من الامر: ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل ايات من امر النبي
صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه. فما اختلفوا: في ذلك الامر. الا من بعد
ما جاءهم العلم: بحقيقة الحال. بغيا بينهم: عداوة وحسدا. ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون: بالمواخذة والمجازاة. ثم جعلناك
على شريعة: طريقة. من الامر: امر الدين. فاتبعها: فاتبع شريعتك الثابتة
بالحجج. ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون: آراء الجهال التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش قالوا ارجع الى دين ابائك. انهم لن يغنوا عنك من الله
شيئا: مما اراد بك. وان الظالمين بعضهم اولياء بعض: اذ الجنسية
علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم. والله ولي المتقين: فواله بالتقى
واتباع الشريعة. هذا: اي القران او اتباع الشريعة. بصائر للناس: بينات
تبصرهم وجه الفلاح. وهدى من الضلالة ورحمة. لقوم يوقنون: لقوم
يطلبون اليقين. ام حسب الذين اجترحوا السيئات: ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة. ان نجعلهم: ان نصيرهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات: مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء
محياهم ومماتهم: بدل ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار
ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة
حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف
او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي
للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا
بعد الممات في الكرامة او ترك المواخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة
او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ
مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج. ساء ما يحكمون
ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك. وخلق الله السموات والارض
بالحق: كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل
يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في

كما في المحيا كان بعد الممات. ولتجزى كل نفس بما كسبت: عطف على بالحق
لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى. وهم
لا يظلمون: بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم
يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار. افرايت من
اتخذ الهه هواه: ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ
آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه. واضله
الله على علم: عالما بضلاله وفساد جوهر روحه. وختم على سمعه وقلبه: فلا يبالي
بالمواعظ ولا يتفكر في الايات. وجعل على بصره غشاوة: فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة. فمن يهديه من بعد الله: من بعد اضلاله
افلا تذكرون: وقرئ تتذكرون. وقالوا ما هي: ما الحيوة او الحال. الا حيوتنا
الدنيا: التي نحن فيها. نموت ونحيى: اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد
ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او
يصيبنا الموت والحيوة وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ
فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان. وما يهلكنا الا الدهر: الا مرور الزمان وهو في
الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه. وما لهم بذلك من علم: يعني
نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث
ان هم الا يظنون: اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار
لما لم يحسوا به. واذا تتلى عليهم اياتنا بينات: واضحات الدلالة على ما يخالف
معتقدهم او مبينات له. ما كان حجتهم: ما كان لهم متشبث يعارضونها به
الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين: وانما سماه حجة على حسبانهم
ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم
حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا. قل الله يحييكم ثم يميتكم: على ما دلت عليه
الحجج. ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه: فان من قدر على الابداء قدر
على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرره مرارا والوعد المصدق
بالايات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بابائهم لكن الحكمة اقتضت

وخذله م

ان يعادوا يوم الجمع للجزاء. ولكن اكثر الناس لا يعلمون: لقلة تفكرهم و
قصور نظرهم على المحسوس. ولله ملك السموات والارض: تعميم للقدرة
بعد تخصيصها. ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون: اى يخسر يوم تقوم
ويومئذ بدل منه. وترى كل امة جاثية: مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة
مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم
كل امة تدعى الى كتابها: صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول
وتدعى صفة او مفعول ثان. اليوم تجزون ما كنتم تعملون: محمول على
القول. هذا كتابنا: اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة
ان يكتبوا فيها اعمالهم. ينطق عليكم بالحق: يشهد عليكم بما عملتم بلا
زيادة ونقصان. انا كنا نستنسخ: نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون
اعمالكم. فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته
التي من جملتها الجنة. ذلك هو الفوز المبين: الظاهر لخلوصه عن الشوائب
واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم: اى فيقال لهم الم ياتكم رسلي فلم
تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود و
استغناء بالقرينة. فاستكبرتم: عن الايمان بها. وكنتم قوما مجرمين
عادتكم الاجرام. واذا قيل ان وعد الله: يحتمل الموعود والمصدر
حق: كائن هو او متعلقه لا محالة. والساعة لا ريب فيها: افرد للمقصود
وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان. قلتم ما ندري ما الساعة: اى
شيء الساعة استغرابا لها. ان نظن الا ظنا: اصله نظن ظنا فادخل حرف
النفي والاستثناء لاثبات الظن كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم
فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله. وما نحن بمستيقنين: اى لامكانه
ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا لما سمعوا من اباءهم وما تليت عليهم من
الايات في امر الساعة. وبدا لهم: ظهر لهم. سيئات ما عملوا: على
ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها. و
حاق بهم ما كانوا به يستهزءون: وهو الجزاء. وقيل اليوم ننساكم

استوفز في قعدته اذا قعد قعودا منتصبا غير مطمئن صحاح

ننساكم: نترككم في العذاب ترك ما ينسى. كما نسيتم لقاء يومكم هذا: كما
تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى
ظرفه. ومأواكم النار وما لكم من ناصرين: يخلصونكم منها. ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا: استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها. وغرتكم الحيوة الدنيا
فحسبتم ان لا حيوة سواها. فاليوم لا يخرجون منها: وقرأ حمزة والكسائي
بفتح الياء وضم الراء. ولا هم يستعتبون: يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اى يرضوه لفوات اوانه. فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين: اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته. وله الكبرياء في
السموات والارض: اذ ظهر فيها اثارها. وهو العزيز: الذي لا يغلب
الحكيم: فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له. عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية

واياتها اربع او خمس وثلثون. بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق: الا
خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع
الحكيم والبعث في المجازاة على ما قررناه مرارا. واجل مسمى: وبتقدير اجل
مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذ
ين كفروا عما انذروا
من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون: لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله. قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات: اى اخبروني عن حال الهتكم بعد تامل فيها
هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة
وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد
الحوادث السفلية. ائتوني بكتاب من قبل هذا: من قبل هذا الكتاب يعني القرءان
فانه ناطق بالتوحيد. او اثارة من علم: او بقية من علم بقيت عليكم من علوم

الاولين هل فيها ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم لعدم ما يقتضيها
عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء
اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة
من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له: انكار ان يكون
احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة
من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم
الى يوم القيمة: ما دامت الدنيا. وهم عن دعائهم غافلون: لانهم اما جمادات
واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم. واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا
يضرونهم ولا ينفعونهم. وكانوا بعبادتهم كافرين: مكذبين بلسان الحال او
المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين. واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات: واضحات او مبينات. قال الذين كفروا
للحق: اي لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها و
وضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر
والانهماك في الضلالة. لما جاءهم: حين جاءهم من غير نظر وتامل. هذا سحر
مبين: ظاهر بطلانه. ام يقولون افتريه: اضراب عن ذكر تسميتهم اياه
سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب. قل ان افتريته: على الفرض
فلا تملكون لي من الله شيئا: اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون
على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع
ولا دفع ضر من قبلكم. هو اعلم بما تفيضون فيه: تندفعون فيه من القدح
في اياته. كفى به شهيدا بيني وبينكم: يشهد لي بالصدق والبلاغ و
عليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم. وهو الغفور الرحيم
وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم
قل ما كنت بدعا من الرسل: بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على
ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى

الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع. و
ما ادري ما يفعل بي ولا بكم: في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب
ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية
مرفوعة وقرئ يفعل اي الله. ان اتبع الا ما يوحى الي: وهو جواب عن اقتراحهم
الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من
اذى المشركين. وما انا الا نذير: عن عقاب الله. مبين: بين الانذار
بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة. قل ارايتم ان كان من عند الله: اي
القران. وكفرتم به: وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط
وكذا الواو في قوله: وشهد شاهد من بني اسرائيل: الا انها تعطفه بما عطف
عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشهادته ما في التورية من نعت الرسول. على مثله: مثل القران وهو ما في
التورية من المعاني المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من
عند الله. فامن: اي القران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق. و
استكبرتم: عن الايمان. ان الله لا يهدي القوم الظالمين: استيناف
مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف
مثل الستم ظالمين. وقال الذين كفروا للذين امنوا: لاجلهم لو كان
خيرا: اي الايمان او ما اتى به محمد. ما سبقونا اليه: وهم سقاط اذ عامتهم
فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد و
اشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام
واصحابه. واذ لم يهتدوا به: ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله
فسيقولون هذا افك قديم: مسبب عنه كقولهم اساطير الاولين
ومن قبله: ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى: ناصب لقوله
اماما ورحمة: على الحال. وهذا كتاب مصدق: لكتاب موسى او
لما بين يديه وقد قرئ به. لسانا عربيا: حال من ضمير كتاب في مصدق
او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار

بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف
من الله سبحانه وقيل مصدقا اي يصدق ذا لسان عربيا باعجازه. لينذر مفعول ه
الذين ظلموا: علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير
قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء. وبشرى للمحسنين
عطف على محله. ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا: جمعوا بين
التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم
للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد. فلا خوف عليهم
من لحوق مكروه. ولا هم يحزنون: على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط. اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب
وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء. ووصينا الانسان
بوالديه حسنا: وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا. حملته
امه كرها ووضعته كرها: ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ
الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم
اسم والمفتوح مصدر. وحمله وفصاله: ومدة حمله وفصاله والفصال
الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع
التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة كقوله كل حي
مستكمل عدة العمر مود اذا انتهى امده. ثلاثون شهرا: كل ذلك بيان
لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل
مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين
لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل و
اكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما
حتى اذا بلغ اشده: اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله. وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين. قال رب اوزعني: الهمني واصله اولعني
من اوزعته بكذا. ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي: يعني

نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه. وان اعمل صالحا
ترضاه: نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل. و
اصلح لي في ذريتي: واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه
يجرح في عراقيبها نصلي. اني تبت اليك: عما لا ترضاه او يشغل عنك
واني من المسلمين: المخلصين لك. اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما
عملوا: يعني طاعاتهم فان المباح حسن لا يثاب عليه. ويتجاوز عن سيئاتهم
لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما. في اصحاب الجنة: كائنين
في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم. وعد الصدق: مصدر مؤكد
لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد. الذي كانوا يوعدون: اي في الدنيا. والذي قال
لوالديه اف لكما: مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن
ابن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في
سورة بني اسرائيل. اتعدانني ان اخرج: ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة
مشددة. وقد خلت القرون من قبلي: فلم يرجع واحد منهم. وهما يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان. ويلك آمن: اي يقولان له
ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه. ان وعد الله حق فيقول
ما هذا الا اساطير الاولين: اباطيلهم التي كتبوها. اولئك الذين حق عليهم القول
بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب
عنه ان كان للاسلام. في امم قد خلت من قبلهم: كقوله في اصحاب الجنة. من الجن والانس
بيان للامم. انهم كانوا خاسرين: تعليل للحكم على الاستئناف. ولكل من الفريقين درجات
مما عملوا: مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في
المثوبة وههنا جاءت على التغليب. وليوفيهم اعمالهم: جزاءها وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي بالنون. وهم لا يظلمون: بنقص ثواب وزيادة عقاب. ويوم
يعرض الذين كفروا على النار: يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم
عرضت الناقة على الحوض. اذهبتم: اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ

ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن
بهاوين محققتين. طيباتكم: لذائذكم. في حياتكم الدنيا: باستيفائها. واستمتعتم
بها: فما بقي لكم منها شيء. فاليوم تجزون عذاب الهون: الهوان وقد قرئ. بما
كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون: بسبب الاستكبار الباطل والفسوق
عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر. واذكر اخا عاد: يعني هودا. اذ انذر قومه بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن. وقد خلت النذر: الرسل. من بين يديه
ومن خلفه: قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض. ان لا تعبدوا الا الله
اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته. اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم: هائل بسبب شرككم. قالوا اجئتنا لتأفكنا: لتصرفنا. عن
آلهتنا: عن عبادتها. فأتنا بما تعدنا: من العذاب على الشرك. ان كنت من الصادقين
في وعدك. قال انما العلم عند الله: لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل
وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له. وابلغكم ما ارسلت به: وما
على الرسول الا البلاغ. ولكني اراكم قوما تجهلون: لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين
منذرين لا معذبين مقترحين. فلما رأوه عارضا: سحابا عرض في افق من السماء
مستقبل اوديتهم: متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله. قالوا هذا
عارض ممطرنا: اي يأتينا بالمطر. بل هو: اي قال هود بل هو. ما استعجلتم به: من العذاب
وقرئ قل بل. ريح: هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما. فيها عذاب اليم: صفتها وكذا
قوله. تدمر: تهلك. كل شيء: من نفوسهم واموالهم. بامر ربها: اذ لا توجد نابضة
حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق
ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء
في ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم و
لا يتأخر وتكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء. فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم: اي
فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم و
حمزة ويعقوب لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن. كذلك نجزي

شطّ البحر

القوم المجرمين: روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت
الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت
عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر. ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه: ان نافية وهي
احسن من ما هاهنا لانها توجب التكرير المستبشع لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او
شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر
او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب
والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا. و
جعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة: ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها
على مانحها ويواظبوا على شكرها. فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شيء: من الاغناء وهو قليل. اذ كانوا يجحدون بآيات الله: صلة
لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه
وكذلك حيث. وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: من العذاب. ولقد اهلكنا
ما حولكم: يا اهل مكة. من القرى: كحجر ثمود وقرى قوم لوط. وصرفنا الآيات
بتكريرها. لعلهم يرجعون: عن كفرهم. فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة: فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف
وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه
بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء. بل ضلوا عنهم: غابوا عن نصرهم وامتنع
ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال. وذلك افكهم: وذلك الاتخاذ
الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين
وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك. وما كانوا يفترون. واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن: املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار. يستمعون
القرآن: حال محمولة على المعنى. فلما حضروه: اي القرآن او الرسول صلى الله عليه و
سلم. قالوا انصتوا: قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمعه. فلما قضي: اتم و
فرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم. ولوا الى

قومهم منذرين: أي منذرين إياهم بما سمعوا. روي أنهم وافوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده.
قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى: قيل إنما قالوا ذلك لأنهم
كانوا يهودا أو ما سمعوا أمر عيسى. مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق
من العقائد. وإلى طريق مستقيم: من الشرائع. يا قومنا أجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم: بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى
فإن المظالم لا تغفر بالإيمان. ويجركم من عذاب أليم: هو معد للكفار
واحتج أبو حنيفة رضي الله عنه باقتصارهم على المغفرة والإجارة على أن
لا ثواب لهم والأظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم. ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الأرض: إذ لا ينجي منه مهرب. وليس له من دونه أولياء
يمنعونه منه. أولئك في ضلال مبين: حيث أعرضوا عن إجابة من هذا
شأنه. أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن
ولم يتعب ولم يعجز والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد
الآباد. بقادر على أن يحيي الموتى: أي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر
والباء مزيدة لتأكيد النفي فإنه مشتمل على أن وما في حيزها ولذلك أجاب عنه
بقوله بلى إنه على كل شيء قدير: تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد.
ويوم يعرض الذين كفروا على النار: منصوب بقول مضمر مقوله أليس هذا
بالحق: والإشارة إلى العذاب. قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون: بكفركم في الدنيا ومعنى الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم.
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل: أولوا الثبات والجد منهم فإنك من
جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا
في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها
لقوله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي سليمان وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت
ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء

بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار
وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف
على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا
إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة
على لبنة. ولا تستعجل لهم: لكفار قريش بالعذاب فإنه نازل بهم في وقته لا
محالة. كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار:
استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة. بلاغ: هذا
الذي وعظتم به أو هذه السورة بلاغ أي كفاية أو تبليغ من الرسول صلى الله
عليه وسلم ويؤيده أنه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض أي
لهم وقت يلبثون كأنهم إذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروه وقرئ بالنصب
أي بلغوا بلاغا. فهل يهلك إلا القوم الفاسقون: الخارجون عن الاتعاظ
أو الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك يهلك ونهلك بالنون ونصب
القوم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له
عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله: امتنعوا عن
الدخول في الإسلام وسلوك طريقه أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو
شياطين قريش أو المصرين من أهل الكتاب. أضل أعمالهم: جعل مكارمهم
كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار ضالة أي ضائعة محبطة بالكفر أو
مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالا حيث لم يقصدوا به
وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله صلى الله
عليه وسلم وإظهار دينه على الدين كله. والذين آمنوا وعملوا الصالحات: يعم
المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم. وآمنوا بما نزل

على محمد: تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان
لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله: وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر
وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل
بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم: سترها بالايمان وعملهم الصالح. واصلح بالهم
حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد. ذلك: اشارة الى ما مر من الاضلال
والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره. بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان
الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم: بسبب اتباع هولاء الباطل واتباع هولاء
الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك تسمى تفسيرا. كذلك: مثل ذلك الضرب
يضرب الله للناس: يبين لهم. امثالهم: احوال الفريقين او احوال الناس
او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم
واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم. فاذا لقيتم الذين كفروا
في المحاربة. فضرب الرقاب: اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم
المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به
عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع
صورة. حتى اذا اثخنتموهم: اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ
فشدوا الوثاق: فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به. فاما
منا بعد واما فداء: اي فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر
بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف
اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية
او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا
كعصا. حتى تضع الحرب اوزارها: الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها
كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها
والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او
للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم و
قيل بنزول عيسى. ذلك: اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك. ولو يشاء الله لانتقم

منهم: لانتقم منهم باستئصال. ولكن ليبلو بعضكم ببعض: ولكن امركم بالقتال
ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان
يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر. والذين قتلوا في سبيل
الله: اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا. فلن يضل اعمالهم
فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول. سيهديهم الى الثواب
او سيثبت هدايتهم. ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم: وقد عرفها لهم في
الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد
منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة
او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة. يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان
تنصروا دينه ورسوله. ينصركم: على عدوكم. ويثبت اقدامكم: في القيام بحقوق
الاسلام والمجاهدة مع الكفار. والذين كفروا فتعسا لهم: فعثورا وانحطاطا
ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا. وانتصابه بفعله
الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه. واضل اعمالهم
عطف عليه. ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله: القران لما فيه من التوحيد والتكاليف
المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس و
الاضلال. فاحبط اعمالهم: كرره اشعارا بانه يلزم الكفر ولا ينفك عنه بحال
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم. وللكافرين: من وضع
الظاهر موضع المضمر. امثالها: امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير
يدل عليها او للسنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت. ذلك بان الله مولى الذين
امنوا: ناصرهم على اعدائهم. وان الكافرين لا مولى لهم: فيدفع العذاب عنهم
وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك. ان
الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
والذين كفروا يتمتعون: ينتفعون بمتاع الدنيا. ويأكلون كما تأكل الانعام
حريصين غافلين عن العاقبة. والنار مثوى لهم: منزل ومقام. وكأين من

ع
يقال تعسا لفلان اي الزمه الله هلاكا صح

قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك: على حذف المضاف وإجراء
أحكامه على المضاف إليه والإخراج باعتبار التسبب. أهلكناهم: بأنواع العذاب
فلا ناصر لهم: يدفع عنهم وهو كالحال المحكية. أفمن كان على بينة من ربه: حجة من عنده
وهو القرآن أو ما يعمه وهو الحجج العقلية كالنبي والمؤمنين. كمن زين له سوء عمله
كالشرك والمعاصي. واتبعوا أهواءهم: في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة
مثل الجنة التي وعد المتقون: أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل
مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد
وأمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الإنكار وحذف ما حذف
استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع
للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الأول خبر محذوف تقديره
أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما
اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لإنكار المساواة
فيها أنهار من ماء غير آسن: استئناف شرح المثل أو حال من العائد
المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على
معنى الحدوث وقرئ أسن. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه: لم يصر قارصا
ولا حازرا. وأنهار من خمر لذة للشاربين: لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح
ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به بإضمار أو تجوز وقرئت بالرفع على
صفة الأنهار والنصب على العلة. وأنهار من عسل مصفى: لم يخالطه الشمع
وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ
منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها و
استمرارها. ولهم فيها من كل الثمرات: صنف على هذا القياس. ومغفرة من
ربهم: عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما: مكان تلك الأشربة. فقطع أمعاءهم
من فرط الحرارة. ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك: يعني المنافقين
كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فإذا خرجوا قالوا

قالوا للذين أوتوا العلم: أي لعلماء الصحابة. ماذا قال آنفا: ما الذي قال
الساعة استهزاء أو استعلاما إذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم
أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو
ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في قال وقرئ أنفا. أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا أهواءهم: فلذلك استهزؤوا بها وتهاونوا بكلامه. والذين
اهتدوا زادهم هدى: أي زادهم الله بالتوفيق والإلهام أو قول الرسول
صلى الله عليه وسلم. وآتاهم تقواهم: بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم
جزاءها. فهل ينظرون إلا الساعة: فهل ينتظرون غيرها. أن تأتيهم بغتة: بدل
اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء أشراطها: كالعلة له وقرئ إن تأتهم على أنه
شرط مستأنف جزاؤه. فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم: والمعنى إن تأتهم الساعة
بغتة لأنه قد ظهر أماراتها كمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر
فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم إذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع
فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك: أي إذا علمت سعادة المؤمنين
وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس
بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك. وللمؤمنين والمؤمنات
ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي إعادة الجار وحذف
المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وأنها جنس آخر فإن الذنب
له تبعة ما بترك الأولى. والله يعلم متقلبكم: في الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها
ومثواكم: في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا لمعادكم
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة: أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد
فإذا أنزلت سورة محكمة: مبينة لا تشابه فيها. وذكر فيها القتال: أي الأمر
به. رأيت الذين في قلوبهم مرض: ضعف في الدين وقيل نفاق. ينظرون إليك
نظر المغشي عليه من الموت: جبنا ومخافة. فأولى لهم: فويل لهم أفعل من
الولي وهو القرب وقيل فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو
يؤول إليه أمرهم. طاعة وقول معروف: استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة

وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة. فاذا عزم الامر
اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا
الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل
عسيتم فهل يتوقع منكم وقرأ نافع بكسر السين ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او
اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناجزا
على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة
الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من
عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره
ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع. اولئك اشارة
الى المذكورين. الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام. فاصمهم عن
استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله. افلا يتدبرون القرآن
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي. ام على قلوب
اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام
امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال
اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ
اقفالها على المصدر. ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة. الشيطان
سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات
من السول وهو التمني وفيه ان السؤال مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك
التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان
سول لهم. واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فتكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ
ابو عمرو واملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم. ذلك بانهم قالوا

قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم
في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج
معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول. والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي
افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر. فكيف اذا توفتهم
الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع
المحذوف احدى تاءيه. يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون
ويجبنون عن القتال لاجله. ذلك اشارة الى التوفي الموصوف. بانهم اتبعوا ما
اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر. وكرهوا رضوانه
ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات. فاحبط اعمالهم لذلك. ام
حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله وللمؤمنين
اضغانهم احقادهم. ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم
فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف
ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة
تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب. والله يعلم
اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات. ولنبلونكم بالامر بالجهاد
وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها
ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم
وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على القطع عما قبله ونحن نبلو. ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون
يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف
المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته. وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات عملوها
بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر
لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم. يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

۳۳ ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هولاء كالكفر والنفاق والعجب والريا والمن
ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكباير. ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان
صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره ساير ذنوبه
فلا تهنوا فلا تضعفوا. وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا
ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرا ابو بكر وحمزة بكسر السين
وانتم الاعلون الاغلبون. والله معكم ناصركم. ولن يتركم اعمالكم ولن
يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من
الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه. انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات
لها. وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم. ولا يسألكم
اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره. ان يسألكموها
فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية
يقال احفى شاربه اذا استاصله. تبخلوا فلا تعطوا. ويخرج اضغانكم
وتضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده
القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم
ها انتم هولاء اي انتم يا مخاطبون هولاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في
سبيل الله فمنكم من يبخل استيناف مقرر لذلك وصلة لهولاء على انه بمعنى الذين
وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما. ومن يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على
الاية المتقدمة. فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عايدان اليه
والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق
والله الغني وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان
توليتم فعليكم. وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا. يستبدل قوما
غيركم يقم مقامكم قوما آخرين. ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في
الايمان وهم الفرس لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنه وكان سلمان رضي
الله عنه الى جنبه فضرب فخذه فقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة

الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله
ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية

نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا. وعد بفتح مكة والتعبير عنه
بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح
الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح و
تسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لساير العرب فغزاهم وفتح
مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي انه
نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح
الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله
عليه وسلم في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة
من قابل. ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة
الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا
وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة. ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك
مما يصح ان تعاتب عليه. ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة. وينصرك
الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف به وصفا مبالغة
هو الذي انزل السكينة الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا
حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام. ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا
مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى
ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم
الآخر. ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على
بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته. وكان الله عليما

بالمصالح حكيما: فيما يقدر ويدبر. ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها: علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود
السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله
فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك او
فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال. و
يكفر عنهم سيئاتهم: يغطيها ولا يظهرها. وكان ذلك: اي الادخال والتكفير
عند الله فوزا عظيما: لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال
من الفوز. ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات: عطف
على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل. الظانين بالله ظن السوء:
ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين. عليهم دائرة السوء:
دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما
يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر. وغضب
الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم: عطف لما استحقوه في الآخرة على ما
استوجبوه في الدنيا والواو في الاخريين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب
للاعداد والغضب سببه لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية. و
ساءت مصيرا: جهنم. ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما. انا ارسلناك شاهدا: على امتك. ومبشرا ونذيرا: على
الطاعة والمعصية. لتؤمنوا بالله ورسوله: الخطاب للنبي صلى الله عليه و
سلم والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم. وتعزروه: و
تقووه بتقوية دينه ورسوله. وتوقروه: وتعظموه. وتسبحوه: وتنزهوه
او تصلوا له. بكرة واصيلا: غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو
الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعززوه بفتح التاء و
ضم الزاي وكسرها وتعزروه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره. ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله: لانه المقصود ببيعته. يد الله فوق ايديهم: حال او

او استيناف مؤكد له على سبيل التخييل. فمن نكث: نقض العهد. فانما
ينكث على نفسه: فلا يعود ضرر نكثه الا عليه. ومن اوفى بما عاهد عليه الله: وفى
في مبايعته. فسيؤتيه اجرا عظيما: هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء
وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان. سيقول
لك المخلفون من الاعراب: هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم
وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم.
شغلتنا اموالنا واهلونا: اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير.
فاستغفر لنا: من الله على التخلف. يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم:
تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار. قل فمن يملك لكم من الله شيئا: فمن يمنعكم
من مشيئته وقضائه. ان اراد بكم ضرا: ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل في المال والاهل
وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم. او اراد بكم نفعا: ما يضاد ذلك وهو
تعريض بالرد. بل كان الله بما تعملون خبيرا: فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه. بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا: لظنكم ان المشركين يستأصلونهم.
واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال
فاسم جمع كليال. وزين ذلك في قلوبكم: فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله او الشيطان. وظننتم ظن السوء: الظن المذكور والمراد التسجيل عليه
بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة. وكنتم قوما بورا:
هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم. ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا: وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين
الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل
او لانها نار مخصوصة. ولله ملك السموات والارض: يدبره كيف يشاء. يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء: اذ لا وجوب عليه. وكان الله غفورا رحيما: فان
الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث
الالهي سبقت رحمتي غضبي. سيقول المخلفون: يعني المذكورين. اذا

انطلقتم الى مغانم لتاخذوها: يعني اهل خيبر فانه صلى الله عليه وسلم رجع من
الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها ثم غزا خيبر بمن شهد
الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم. ذرونا نتبعكم يريدون ان
يبدلوا كلام الله: ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من
مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك و
الكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو
جمع كلمة. قل لن تتبعونا: نفي في معنى النهي. كذلكم قال الله من قبل: من قبل تهيؤهم
للخروج الى خيبر. فسيقولون بل تحسدوننا: ان نشارككم في الغنائم وقرئ
بالكسر. بل كانوا لا يفقهون: لا يفهمون. الا قليلا: الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين. قل للمخلفين
من الاعراب: كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة
التخلف. ستدعون الى قوم اولي باس شديد: بني حنيفة او غيرهم ممن
ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تعالى
او يسلمون: اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل
عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة
ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون
ليتناول تقبلهم الجزية. فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا: هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الآخرة. وان تتولوا كما توليتم من قبل: عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما: لتضاعف جرمكم. ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج: لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين
استثناء لهم من الوعيد. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار: فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته
ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما

النفع م

اليما: اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة: روي انه صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به
فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة
او خمسمائة فبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة
او سدرة. فعلم ما في قلوبهم: من الاخلاص. فانزل السكينة عليهم: الطمانينة
وسكون النفس بالتشجيع والصلح. واثابهم فتحا قريبا: فتح خيبر غب انصرافهم
وقيل مكة او هجر. ومغانم كثيرة ياخذونها: يعني مغانم خيبر. وكان الله عزيزا
حكيما: غالبا مراعيا مقتضى الحكمة. وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة. فعجل لكم هذه: يعني مغانم خيبر. وكف
ايدي الناس عنكم: ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح. ولتكون: هذه الكفة او الغنيمة. آية للمؤمنين: امارة يعرفون بها
انهم من الله بمكان او صدق وعد الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بها في وعده
فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك
ويهديكم صراطا مستقيما: هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه. واخرى: و
مغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط بها مثل قضى
ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب. لم تقدروا
عليها: بعد لما كان فيها من الجولة. قد احاط الله بها: استولى فاظفركم
بها وهي مغانم هوازن او فارس. وكان الله على كل شيء قديرا: لان قدرته
ذاتية لا تختص بشيء دون شيء. ولو قاتلكم الذين كفروا: من اهل مكة ولم
يصالحوا. لولوا الادبار: لانهزموا. ثم لا يجدون وليا: يحرسهم
ولا نصيرا: ينصرهم. سنة الله التي قد خلت من قبل: اي سن غلبة
انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلي وهو

الغلبة

تجد لسنة الله تبديلا: تغييرا. وهو الذي كف ايديهم عنكم: ايدي
كفار مكة. وايديكم عنهم ببطن مكة: في داخل مكة. من بعد ان اظفركم عليهم
اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث
رسول الله خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد
وقيل كان يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف
اذ السورة نزلت قبله. وكان الله بما تعملون: من مقاتلتهم اولا
طاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء
بصيرا: فيجازيهم عليه. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام
والهدي معكوفا ان يبلغ محله: يدل على ان ذلك كان عام الحديبية
والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهي فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه
الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان
ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض
حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم. ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم: لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين
ان تطؤوهم: ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطا على حنق
وطء المقيد نابت الهرم وقال صلى الله عليه وسلم ان آخر وطاة
وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في
تعلموهم. فتصيبكم منهم: من جهتهم. معرة: مكروه كوجوب الدية والكفارة
بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث
عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه. بغير علم: متعلق بان تطؤوهم اي
تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا
كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم. ليدخل الله في رحمته: علة لما دل
عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل

اي كي لا يهلك

ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والاسلام. من يشاء: من
مؤمنيهم او مشركيهم. لو تزيلوا: لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا. لعذبنا
الذين كفروا منهم عذابا اليما: بالقتل والسبي. اذ جعل الذين كفروا: مقدر
باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم. في قلوبهم الحمية: الانفة. حمية الجاهلية
التي تمنع اذعان الحق. فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين: انزل
عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما هم بقتالهم
بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع
من عامه على ان يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف
هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو
كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم
المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا
والزمهم كلمة التقوى: كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها
او كلمة اهلها. وكانوا احق بها: من غيرهم. واهلها: والمستاهل لها. وكان
الله بكل شيء عليما: فيعلم اهل كل شيء وييسره له. لقد صدق الله رسوله الرؤيا
راى محمد صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا بها وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخروا قال
بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
بالحق: ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل
ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد
الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض
الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاول جواب القسم المحذوف
ان شاء الله: تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا

يدخل الموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه. آمنين
حال من الواو والشرط معترض. محلقين رؤسكم ومقصرين: اي محلقا بعضكم
ومقصرا اخرون. لا تخافون: حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك
فعلم ما لم تعلموا: من الحكمة في تاخير ذلك. فجعل من دون ذلك: من دون دخولكم المسجد
او فتح مكة. فتحا قريبا: هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود
هو الذي ارسل رسوله بالهدى: ملتبسا به او بسببه ولاجله. ودين الحق: و
بدين الاسلام. ليظهره على الدين كله: ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا و
اظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد
قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح. وكفى بالله شهيدا: على ان ما وعده
كائن او على نبوته باظهار المعجزات. محمد رسول الله: جملة مبينة للمشهود به ويجوز
ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا. والذين معه: معطوف
عليه خبرهما. اشداء على الكفار رحماء بينهم: واشداء جمع شديد ورحماء
جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين. تريهم ركعا سجدا: لانهم مشتغلون في
بالصلوة
اكثر اوقاتهم. يبتغون فضلا من الله ورضوانا: الثواب والرضا. سيماهم
في وجوههم من اثر السجود: يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى
من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن
في الجار. ذلك: اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع. مثلهم
في التورية: صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها. ومثلهم في الانجيل: عطف عليه
اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع: تمثيل مستانف او تفسير او مبتدا وكزرع
خبره. اخرج شطأه: فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرا ابن كثير وابن
عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف
الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا
فآزره: فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرا ابن
عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجر في آجر. فاستغلظ: فصار من الدقة

الى الغلظ. فاستوى على سوقه: فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير
سؤقه بالهمزة. يعجب الزراع: بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله
للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار: علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان. وعن النبي صلى الله عليه و
سلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات [illegible]

وآيها ثمان عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا
تقدموا: اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان
المقصود نفي التقدم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده
قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم. بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه
والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله تعظيم له
واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله. واتقوا الله: في التقديم او مخالفة
الحكم. ان الله سميع: لاقوالكم. عليم: بافعالكم. يا ايها الذين امنوا لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي: اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم
عن صوته. ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض: ولا تبلغوا به الجهر الدائر
بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة
للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا و
خاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة
في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به. ان تحبط
اعمالكم: كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل
باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك

اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه
وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه
فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان
يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك
من اهل الجنة. وانتم لا تشعرون: انها محبطة. ان الذين يغضون اصواتهم: يخفضونها
عند رسول الله: مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما كانا يسرانه حتى يستفهمهما. اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان
سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم
بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها
او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه. لهم مغفرة: لذنوبهم
خالص،
واجر عظيم: لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف
لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ
اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى
الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر
وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك. ان الذين ينادونك من وراء الحجرات: من خارجها
خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة
على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم
وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة
الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه
وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه
من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان
الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم. اكثرهم

لا يعقلون: اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن
كان بهذا المنصب. ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم: اي ولو ثبت صبرهم و
انتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة
بغاية الشيء في نفسه لذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف
الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم. لكان خيرا لهم: لكان الصبر خيرا من الاستعجال لما فيه
حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب والاسعاف
بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف
وفادى النصف. والله غفور رحيم: حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء
المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم. يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا: فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وسلم بعث
وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه
فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة
فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين
على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق بشيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان
خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل و
ما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال
ان تصيبوا: كراهة ان تصيبوا. قوما بجهالة: جاهلين بحالهم. فتصبحوا
فتصيروا. على ما فعلتم نادمين: مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه
الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام. واعلموا ان فيكم رسول الله: ان بما في حيزه
ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله. لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم: فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة
والمعنى ان فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان

ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار
بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله : ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان : استدراك ببيان عذرهم و
سوانهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او
بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويويده قوله : اولئك
هم الراشدون : اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى
بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة
مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع
عن الانقياد : فضلا من الله ونعمة : تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون
فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله
فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام : والله عليم : باحوال المومنين وما بينهم
من التفاضل : حكيم : حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم : وان طائفتان من المومنين
اقتتلوا : تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع : فاصلحوا بينهما : بالنصح
والدعاء الى حكم الله : فان بغت احديهما على الاخرى : تعدت عليها : فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله : ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل
لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين : فان فاءت فاصلحوا
بينهما بالعدل : بفصل ما بينهما على حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف
من حيث انه بعد المقاتلة : واقسطوا : واعدلوا في كل الامور : ان الله يحب
المقسطين : يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج
في عهده صلى الله عليه وسلم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مومن وانه
اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه
بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة : انما المومنون اخوة : من حيث انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح
ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال : فاصلحوا بين اخويكم : فوضع الظاهر موضع الضمير
مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع

بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم
واتقوا الله : في مخالفة حكمه والاهمال فيه : لعلكم ترحمون : على تقواكم : يا ايها
الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن
خيرا منهن : اي لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا
عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع
او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون
على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع و
عسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ
عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر : ولا تلمزوا انفسكم : اي
ولا يعب بعضكم بعضا فان المومنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به
فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرا يعقوب بالضم
ولا تنابزوا بالالقاب : ولا يدعو بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز
مختص بلقب السوء عرفا : بئس الاسم الفسوق بعد الايمان : اي بئس الذكر
المرتفع للمومنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد
به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المومنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في
صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن
لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى و
زوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح و
من لم يتب : عما نهي عنه : فاولئك هم الظالمون : بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب : يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن : كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم
انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء
بالمومنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية : ان بعض الظن اثم : تعليل مستانف

دخولهم

للازم والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال
اى يكسرها. ولا تجسسوا: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار
ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرى بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك
قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته. ولا يغتب بعضكم بعضا: ولا
يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عنه عليه الصلوة والسلام عن الغيبة
فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا: تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع
مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية
الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك
بقوله. فكرهتموه: تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا
فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
نافع. واتقوا الله ان الله تواب رحيم: لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه
والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او
لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضى
الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه
فقال ما عندى شى فاخبرهما سلمان رضى الله عنه فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة
لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لى ارى خضرة
اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت. يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى: من آدم وحوا او خلقنا كل واحد منكم
من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون
تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب. وجعلناكم شعوبا وقبايل: الشعب
الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصايل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة

فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبايل بطون العرب. لتعارفوا:
ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآبا والقبايل وقرى لتعارفوا و
لتتعارفوا ولتعرفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم: فان التقوى بها تكمل
النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلوة
والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس
انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله
ان الله عليم: بكم. خبير: ببواطنكم. قالت الاعراب آمنا: نزلت
فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم
نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون. قل لم تؤمنوا: اذ
الايمان التصديق مع ثقة وطمانينة قلب لم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول
صلى الله عليه وسلم بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة. ولكن قولوا
اسلمنا: فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك
ترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا
اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى
عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا. ولما
يدخل الايمان فى قلوبكم: توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا
ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد. وان تطيعوا الله ورسوله: بالاخلاص
وترك النفاق. لا يلتكم من اعمالكم: لا ينقصكم من اجورها. شيئا: من لات
ليتا اذا نقص وقرا البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان. ان
الله غفور: لما فرط من المطيعين. رحيم: بالتفضل عليهم. انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا: لم يشكوا من ارتاب مطاوع
رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان
عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال
الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا

وسلم

وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله: فى طاعته والمجاهدة تكون
بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها. اولئك
هم الصادقون: الذين صدقوا فى ادعاء الايمان. قل اتعلمون الله
بدينكم: اتخبرونه به بقولكم آمنا. والله يعلم ما فى السموات وما فى
الارض والله بكل شىء عليم: لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى
انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون
فنزلت هذه. يمنون عليك ان اسلموا: يعدون اسلامهم عليك منة
وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان
المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن. قل لا تمنوا على اسلامكم
اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد. بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان: على ما زعمتم مع ان الهداية لا يستلزم الاهتدا
وقرى ان هداكم بالكسر واذ هداكم. ان كنتم صادقين: فى ادعاء الايمان و
جوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الاية لطف وهو انهم لما
سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو
فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة
عليهم بالهداية له لا لهم. ان الله يعلم غيب السموات والارض: ما غاب
فيهما. والله بصير بما تعملون: فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى
ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما فى الاية من الغيبة. عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية

وهى خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد
الكلام فيه كما مر فى ص والقران اى ذى المجد والشرف على سائر
الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد. بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم: انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او
من ابناء جلدتهم. فقال الكافرون هذا شىء عجيب: حكاية لتعجبهم و
اشارة الى اختيار الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم
اظهاره للتشنيع عليهم بهذه المقالة ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من
البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية
تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة
الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول
استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون
مما يشاهدون من صنعه. ائذا متنا وكنا ترابا: اى نرجع اذا متنا وصرنا
ترابا ويدل على المحذوف قوله. ذلك رجع بعيد: اى بعيد عن الوهم او العادة
او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع. قد علمنا ما تنقص الارض منهم: ما تاكل من اجساد
موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم و
اللام محذوف لطول الكلام. وعندنا كتاب حفيظ: حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده
كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده. بل كذبوا
بالحق: يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القران. لما جاءهم: وقرى لما
بالكسر. فهم فى امر مريج: مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا خرج وذلك
قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن. افلم ينظروا: حين
كفروا بالبعث. الى السماء فوقهم: الى اثار قدرة الله فى خلق العالم. كيف
بنيناها: ورفعناها بلا عمد. وزيناها: بالكواكب. وما لها من فروج
فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق. والارض مددناها: بسطناها. و
القينا فيها رواسى: جبالا ثوابت. وانبتنا فيها من كل زوج: من كل
صنف. بهيج: حسن. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب: راجع الى ربه متفكر
فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا عن الفعل الاخير
ونزلنا من السماء ماء مباركا: كثير المنافع. فانبتنا به جنات: اشجارا و
اثمارا. وحب الحصيد: وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالبر والشعير

مرج مرجا واضطرب
منتخب صحاح

والنخل باسقات: طوالا او حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو
فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف
لها طلع نضيد: منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من
الثمر. رزقا للعباد: علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق. واحيينا
به: بذلك الماء. بلدة ميتا: ارضا جدبة لا نماء فيها. كذلك الخروج: كما
حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم. كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط: سبق في الحج والفرقان
كل كذب الرسل: اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظ
فحق وعيد: فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد
لهم. افعيينا بالخلق الاول: افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر
اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار. بل هم في لبس من خلق جديد: اي هم
لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه
من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه
غير متعارف ولا معتاد. ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه: ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها
وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا
او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية. ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
اي نحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم
لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل
العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده. اذ
يتلقى المتلقيان: مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب
حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظه وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين
فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
تثبيط العبد عن المعصية وتأكيد اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام

الزام الحجة يوم يقوم الاشهاد. عن اليمين وعن الشمال قعيد: اي عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني
وقيار بها لغريب. وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك
ظهير. ما يلفظ من قول: ما يرمي به من فيه. الا لديه رقيب: ملك يرقب عمله عتيد
معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير
على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر. وجاءت سكرة الموت
بالحق: لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم
بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر
عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية
كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود
الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت
بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له
كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات
الموت ذلك: اي الموت. ما كنت منه تحيد: تميل وتفر عنه والخطاب للانسان. ونفخ
في الصور: يعني نفخة البعث. ذلك يوم الوعيد: اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه
والاشارة الى مصدر نفخ. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد: ملكان احدهما
يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد
كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب
على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة. لقد كنت في غفلة من هذا: على
الحكاية والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر. فكشفنا
عنك غطاءك: الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
والالف بها وقصور النظر عليها. فبصرك اليوم حديد: نافذ لزوال المانع للابصار
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك
غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون

سكرة الحق م

الاول قرأه من كسر انا والكافات على خطاب النفس . وقال قرينه : قال الملك
الموكل عليه هذا ما لدى عتيد : هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له
هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف . القيا فى
جهنم كل كفار : خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر
وان تدعانى احم عرضا ممنعا والالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة . عنيد : معاند للحق . مناع للخير
كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى
الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه عنه . معتد مريب : متعد شاك فى الله وفى
الذى جعل مع الله الها آخر : مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره . فالقياه
فى العذاب الشديد : او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول
لمضمر يفسره فالقياه . قال قرينه : اى الشيطان المقيض له وانما استؤنف
كما استؤنفت الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا
ما اطغيته : كان الكافر قال هو اطغانى فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى
فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهومها ومفهوم ما قبلها فى الحصول اعنى مجئ
كل نفس مع الملكين وقول قرينه . ولكن كان فى ضلال بعيد : فاعنته عليه فان
اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى . قال : اى الله . لا تختصموا لدى
اى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول . وقد قدمت
اليكم بالوعيد : على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال
فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على
ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما
يبدل القول لدى : اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى
وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص

الوعيد . وما انا بظلام للعبيد : فاعذب من ليس لى تعذيبه . يوم نقول
لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد : سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن
او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها و
حدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع و
ابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر
او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف . وازلفت الجنة
للمتقين : قربت لهم . غير بعيد : مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره
لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان
هذا ما توعدون : على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت
وقرا ابن كثير بالياء . لكل اواب : رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار
حفيظ : حافظ لحدوده . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب : بدل بعد
بدل او بدل من موصوف اواب ويجوز ان يكون فى حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره
ادخلوها : على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول
او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او العقاب
بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم
رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب
بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله . بسلام : سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما
عليكم من الله وملائكته . ذلك يوم الخلود : يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين
لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد : وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر . وكم اهلكنا قبلهم : قبل قومك . من قرن هم اشد منهم بطشا
قوة كعاد وفرعون . فنقبوا فى البلاد : فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها او
جالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى
لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه . هل من محيص : اى
لهم من الله او من الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم

في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم. ان في ذلك: فيما ذكر في هذه السورة لذكرى: لتذكرة. لمن كان له قلب: اي قلب واع يتفكر في حقائقه. او القى السمع: او اصغى لاستماعه. وهو شهيد: حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر. ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام: مر تفسيره مرارا. وما مسنا من لغوب: من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش. فاصبر على ما يقولون: ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه. وسبح بحمد ربك: ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها. قبل طلوع الشمس وقبل الغروب: يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين. ومن الليل فسبحه: وسبحه بعض الليل. وادبار السجود: واعقاب الصلوة جمع دبر وقرأ الحجازيان وخلف وحمزة بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة والصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء. واستمع: لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به. يوم يناد المناد: اسرافيل او جبرئيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء. من مكان قريب: بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج. يوم يسمعون الصيحة: بدل منه والصيحة النفخة الثانية. بالحق: متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء. ذلك يوم الخروج: من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد.

انا نحن نحيي ونميت: في الدنيا. والينا المصير: للجزاء في الاخرة. يوم تشقق: تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف. الارض عنهم سراعا: مسرعين. ذلك حشر: بعث وجمع. علينا يسير: هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة. نحن اعلم بما يقولون: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم. وما انت عليهم بجبار: بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع. فذكر بالقرآن من يخاف وعيد: فانه لا ينتفع به غيره. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية

وآيها ستون. بسم الله الرحمن الرحيم. والذاريات ذروا: يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال. فالحاملات وقرا: فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر. فالجاريات يسرا: فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر. فالمقسمات امرا: الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر. انما توعدون لصادق وان الدين لواقع: جواب للقسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود

وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء الواقع لحاصل. والسماء ذات الحبك: ذات الطرائق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق. انكم لفي قول مختلف: في الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها. يؤفك عنه من افك: يصرف عنه الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه وكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان. قتل الخراصون: الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن. الذين هم في غمرة: في جهل يغمرهم. ساهون: غافلون عما امروا به. يسألون ايان يوم الدين: اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر. يوم هم على النار يفتنون: يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون وهو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع. ذوقوا فتنتكم: اي مقولا لهم هذا القول. هذا الذي كنتم به تستعجلون: هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته. ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم: قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول. انهم كانوا قبل ذلك محسنين: قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك. كانوا قليلا من الليل ما يهجعون: تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا

هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما. وبالاسحار هم يستغفرون: اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه. وفي اموالهم حق: نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس. للسائل والمحروم: للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة. وفي الارض آيات للموقنين: اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته. وفي انفسكم: اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة. افلا تبصرون: تنظرون نظر من يعتبر. وفي السماء رزقكم: اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الارزاق. وما توعدون: من الثواب فان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره. فورب السماء والارض انه لحق: وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد. مثل ما انكم تنطقون: اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزه ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع. هل اتاك حديث ضيف ابراهيم: فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا

اثنى عشر ملكا وقيل جبرئل ميكائل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا
فى صورة الضيف. المكرمين: اى مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم
بنفسه وزوجته. اذ دخلوا عليه: ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا
سلاما: اى نسلم عليكم سلاما. قال سلام: اى عليكم سلام عدل به الى الرفع
بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقريا مرفوعين وقرا حمزة و
الكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد. قوم منكرون: اى انتم قوم وانما
انكرهم لانه ظن انهم بنوا آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام
وهو كالتعرف عنهم. فراغ الى اهله: فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب
المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا. فجاء بعجل
سمين: لانه كان عامة ماله البقر. فقربه اليهم: بان وضعه بين يديهم. قال الا
تاكلون: اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل
على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حيث ما راى اعراضهم
فاوجس منهم خيفة: فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤا
لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب. قالوا لا تخف: انا رسل
الله وقيل مسح جبرئل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم. و
بشروه بغلام: هو اسحق. عليم: يكمل علمه اذا بلغ. فاقبلت امرأته
سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم. فى صرة: فى صيحة من الصرير
ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت. فصكت
وجهها: فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة
دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء. وقالت عجوز عقيم: اى انا عجوز عاقر
فكيف الد. قالوا كذلك: مثل ذلك الذى بشرنا به. قال ربك: وانما
نخبرك به عنه. انه هو الحكيم العليم: فيكون قوله حقا وفعله محكما. قال
فما خطبكم ايها المرسلون: لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين
الا لامر عظيم سال عنه. قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين: يعنون
قوم لوط. لنرسل عليهم حجارة من طين: يريد السجيل فانه طين متحجر

متحجر. مسومة: مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة
عند ربك للمسرفين: المجاوزين الحد فى الفجور. فاخرجنا من كان فيها: فى قرى
قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة. من المؤمنين: ممن آمن بلوط
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين: غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على
اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من
اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات
واحدة. وتركنا فيها آية: علامة. للذين يخافون العذاب الاليم فانهم
المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن. و
فى موسى: عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله علفتها
تبنا وماء باردا. اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين: هو معجزاته كاليد
والعصا. فتولى بركنه: فاعرض عن الايمان كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان
يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشىء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر: اى هو ساحر. او مجنون: كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا
الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما. فاخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم: فاغرقناهم فى البحر. وهو مليم: آت بما يلام عليه من الكفر والعناد
والجملة حال من الضمير فى فاخذناه. وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم
سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او
الجنوب او النكباء. ما تذر من شىء اتت عليه: مرت عليه. الا جعلته كالرميم
كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت. وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام. فعتوا عن امر ربهم: فاستكبروا عن امتثاله
فاخذتهم الصاعقة: اى العذاب بعد الثلث وقرا الكسائى الصعقة وهى
المرة من الصعق. وهم ينظرون: اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار. فما
استطاعوا من قيام: كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم
به اذا عجز عن دفعه. وما كانوا منتصرين: ممتنعين منه. وقوم نوح: اى و
اهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى

عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر. من قبل: من قبل هؤلاء المذكورين
انهم كانوا قوما فاسقين: خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان. والسما
بنيناها بايد: بقوة. وانا لموسعون: لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة و
الموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او
الرزق. والارض فرشناها: مهدناها لتستقروا عليها. فنعم الماهدون
اي نحن. ومن كل شيء: من الاجناس. خلقنا زوجين: نوعين. لعلكم
تذكرون: فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل
التعدد والانقسام. ففروا الى الله: من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة
الطاعة. اني لكم منه: اي من عذابه المعد لمن اشرك وعصى. نذير مبين
بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه. ولا تجعلوا مع
الله الها آخر: افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه. اني لكم منه نذير مبين: تكرير
للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك: اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم
وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله. ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون: كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما
النافية لا يعمل فيما قبلها. اتواصوا به: اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى
بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوا جميعا. بل هم قوم طاغون: اضراب
عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم
في الطغيان الحامل عليه. فتول عنهم: فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم
الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد. فما انت بملوم: على الاعراض بعد ما بذلت
جهدك في البلاغ. وذكر: ولا تدع التذكير والموعظة. فان الذكرى تنفع
المؤمنين: من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزيده بصيرة. وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون: لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة
مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان
الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه

معناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي. ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون: اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما هم كالمأمورين
به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم
فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى
قوله قل لا اسالكم عليه اجرا. ان الله هو الرزاق: الذي يرزق كل ما يفتقر الى
الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق. ذو القوة المتين
شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة. فان للذين ظلموا ذنوبا: اي للذين
ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب. مثل ذنوب اصحابهم: مثل
نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء
فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو. فلا يستعجلون: جواب لقولهم متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين. فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون
من يوم القيامة او يوم بدر. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والذاريات
اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية

وآيها تسع او ثمان واربعون. بسم الله الرحمن الرحيم. والطور: يريد طور
سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور بالسريانية الجبل او ما طار
من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة. وكتاب
مسطور: مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد القرآن او ما كتب
الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او
ما يكتبه الحفظة. في رق منشور: الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب
فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين
الناس. والبيت المعمور: يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح
وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته
بالمعرفة والاخلاص. والسقف المرفوع: يعني السماء. والبحر المسجور

اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم
القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك
لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على
ذلك انها امور دالة على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبطه اعمال
العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء و
الذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه
الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين
هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا
يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى
اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين
ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي فيقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا
سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا
كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت
في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم
اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء
فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان
المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم
فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه
الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما
مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال من
فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا
او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه
او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه

جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
الباء للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق
والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور و
رفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم
بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء
للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو
واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال
من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم والاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة
في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة لما روي انه صلى
الله عليه وسلم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم
تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم
من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء
الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ
ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من آلت
يؤلت وولتناهم من ولت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله
مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم
مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون
فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها
ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث
في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا و
ذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم
اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين
سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم
وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون

يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله. قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة. فمن الله علينا
بالرحمة أو التوفيق. ووقانا عذاب السموم: عذاب النار النافذة في المسام
نفوذ السموم وقرئ ووقّانا بالتشديد. إنا كنا من قبل: من قبل ذلك في
الدنيا. ندعوه: نعبده أو نسأله الوقاية. إنه هو البر: المحسن وقرأ نافع والكسائي
أنه بالفتح. الرحيم: الكثير الرحمة. فذكر: فاثبت على التذكير ولا تكترث لقولهم
فما أنت بنعمة ربك: بحمد الله وإنعامه. بكاهن ولا مجنون: كما يقولون
أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون: ما يقلق النفوس من حوادث الدهر
وقيل المنون الموت والمنون فعول من منه إذا قطعه. قل تربصوا فإني معكم
من المتربصين: أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي. أم تأمرهم أحلامهم: عقولهم
بهذا: بهذا التناقض في القول فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى
عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الأحلام
به مجاز عن أدائها إليه. أم هم قوم طاغون: مجاوزون الحد في العناد وقرئ
بل هم. أم يقولون تقوله: اختلقه من تلقاء نفسه. بل لا يؤمنون: فيرمون
بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم. فليأتوا بحديث مثله: مثل القرآن إن
كانوا صادقين: في زعمهم إذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للأقوال المذكورة
بالتحدي ويجوز أن يكون ردا للتقول فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد. أم خلقوا
من غير شيء: أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه
أو من أجل لا شيء من عبادة ومجازاة. أم هم الخالقون: يؤيد الأول
فإن معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله أم خلقوا السموات و
الأرض: وأم في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. بل لا يوقنون
إذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله إذ لو أيقنوا
ذلك لما أعرضوا عن عبادته. أم عندهم خزائن ربك: خزائن رزقه
حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره
حكمته. أم هم المصيطرون: الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف

كيف شاؤوا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف
عن خلاد من الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة. أم لهم سلم
مرتقى إلى السماء. يستمعون فيه: صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم
من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن. فليأت مستمعهم بسلطان مبين
بحجة واضحة تصدق استماعه. أم له البنات ولكم البنون: فيه تسفيه
لهم وإشعار بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا أن يترقى بروحه إلى عالم الملكوت
فيتطلع على الغيوب. أم تسألهم أجرا: على تبليغ الرسالة. فهم من مغرم من
التزام غرم. مثقلون: محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك. أم عندهم
الغيب: اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات. فهم يكتبون منه. أم يريدون
كيدا: وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم. فالذين كفروا
يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة
على أنه الموجب للحكم المذكور. هم المكيدون: هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود
عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته. أم
لهم إله غير الله: يعينهم ويحرسهم من عذابه. سبحان الله عما يشركون: عن إشراكهم
أو شركة ما يشركون به. وإن يروا كسفا: قطعة. من السماء ساقطا يقولوا
من فرط طغيانهم وعنادهم. سحاب مركوم: هذا سحاب تراكم بعضها على
بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء. فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون: وهو عند النفخة الأولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر و
عاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه أو أصعقه. يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا: أي شيئا من الإغناء في رد العذاب. ولا هم ينصرون: يمنعون من
عذاب الله. وإن للذين ظلموا: يحتمل العموم والخصوص. عذابا دون ذلك
أي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر
والقحط سبع سنين. ولكن أكثرهم لا يعلمون: ذلك. واصبر لحكم ربك
بإمهالهم وإبقائك في عنائهم. فإنك بأعيننا: في حفظنا بحيث نراك
ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ. وسبح

بحمد ربك حين تقوم: من اي مكان قمت او من منامك والى الصلوة. ومن
الليل فسبحه: فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك افرده بالذكر
وقدمه على الفعل. وادبار النجوم: واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح
في اعقابها اذا غربت او خفيت. وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم وهي مكية

وآيها احدى او اثنان وستون بسم الله الرحمن الرحيم والنجم
اذا هوى: اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة
او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا
بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط
على الارض او اذا نما وارتفع على قوله. ما ضل صاحبكم: ما عدل محمد صلى الله
عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش. وما غوى: وما اعتقد
باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه. وما ينطق عن الهوى: وما يصدر نطقه بالقرآن
عن الهوى. ان هو: ما القرآن او الذي ينطق به. الا وحي يوحى: اي الا
وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه
بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ
يكون بالوحي لا الوحي. علمه شديد القوى: ملك شديد قواه وهو
جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها
الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين. ذو مرة: حصافة
في عقله ورايه. فاستوى: فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله
عليها قيل ما راه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين
مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر
وهو بالافق الاعلى: افق السماء والضمير لجبريل. ثم دنا: من النبي عليه الصلاة
والسلام. فتدلى: فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلى الله عليه

وسلم وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول عليه الصلاة والسلام
فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي
استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه
والدلو والي الثمر المعلق. فكان: جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة
بينهما. قاب قوسين: مقدارهما. او ادنى: على تقديركم كقوله او يزيدون
والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس. فاوحى
جبريل. الى عبده: عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها
ما اوحى: جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو
المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته
وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس. ما كذب الفؤاد ما راى: ببصره
من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية
تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم
اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقيل ما راه بقلبه
والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك
فقال رايته بفؤادي وقرا هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه. افتمارونه
على ما يرى: افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة
فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا الكوفيون غير عاصم ويعقوب
افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا
جحده وعلى لتضمن الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما
غلبة الخصم. ولقد راه نزلة اخرى: مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول
والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى
ونصبها على المصدر والمراد بها نفي الريبة عن المرة الاخيرة. عند سدرة المنتهى
التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها
ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي

مرفوعا انها في السماء السابعة. عندها جنة المأوى: الجنة التي يأوي اليها
المتقون او ارواح الشهداء. اذ يغشى السدرة ما يغشى: تعظيم وتكثير
لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها الجم الغفير
من الملائكة يعبدون الله عندها. ما زاغ البصر: ما مال بصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما راه. وما طغى: وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا
او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها. لقد راى والله
لقد راى. من ايات ربه الكبرى: اي والله لقد راى الكبرى من اياته و
عجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز
ان تكون الكبرى صفة للايات على ان المفعول محذوف اي شيئا من ايات
الله او مزيدة. افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة
وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرى هبة الله
عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به صورة رجل كان
يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها
تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة
من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرا
ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا
بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من
التاخر في الرتبة. الكم الذكر وله الانثى: انكار لقولهم الملائكة بنات الله
وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله افرايتم. تلك اذا قسمة ضيزى: جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى
بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به
ان هي الا اسماء: الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء

اسماء يطلقونها عليها لانهم يقولون انها الهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية
او للصفة التي يصفونها بها من كونها الهة وبنات وشفعاء او للاسماء
المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على
عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق التقرب اليها بالقرابين
سميتموها انتم: سميتم بها. واباؤكم: بهواكم. ما انزل الله بها من سلطان
برهان تتعلقون به. ان يتبعون: وقرئ بالتاء. الا الظن: الا توهم ان ما هم عليه
حق تقليدا وتوهما باطلا. وما تهوى الانفس: وما تشتهيه انفسهم. ولقد جاءهم
من ربهم الهدى: الرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب فتركوه. ام للانسان
ما تمنى: ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد
نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها. فلله الاخرة والا [ولى]
يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما. وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا: وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا
ولا تنفع. الا من بعد ان ياذن الله: في الشفاعة. لمن يشاء: من الملائكة ان
يشفع او من الناس ان يشفع له. ويرضى: ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام
لعبدتهم. ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة: اي كل واحد
منهم تسمية الانثى: بان سموه بنتا. وما لهم به من علم: اي بما يقولون وقرئ
بها او بالملائكة او التسمية. ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من
الحق شيئا: فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار
له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها. فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا: فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت
منتهى همه ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل. ذلك
اي امر الدنيا او كونها شهية. مبلغهم من العلم: لا يتجاوزه علمهم والجملة
اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا. وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى : تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله
من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ و
قد بلغت . ولله ما في السموات وما في الارض : خلقا وملكا . ليجزي
الذين اساؤا بما عملوا : بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا
من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال
عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك . ويجزي الذين احسنوا بالحسنى : بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة او بأحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى . الذين يجتنبون
كبائر الاثم : ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما
اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك . والفواحش
وما فحش من الكبائر خصوصا . الا اللمم : الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر
والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه
خبر محذوف . ان ربك واسع المغفرة : حيث يغفر الصغائر باجتناب
الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد
المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب
العقاب على الله . هو اعلم بكم : اعلم باحوالكم منكم . اذ انشأكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم : علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ
خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام . فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل
هو اعلم بمن اتقى : فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم . افرأيت
الذي تولى : عن اتباع الحق والثبات عليه . واعطى قليلا واكدى : وقطع
العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر
والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه و
سلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى
عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى
بعض المشروط ثم بخل بالباقي . اعنده علم الغيب فهو يرى : يعلم ان

ان صاحبه يتحمل عنه . ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى
وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمروذ حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال
الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا
فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت
اكثر واشهر عندهم . الا تزر وازرة وزر اخرى : ان هي المخففة من الثقيلة
وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه
قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف
ذلك قوله كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكأنما قتل الناس جميعا وقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره
وان ليس للانسان الا ما سعى : الا سعيه اي كما
لا يؤاخذ بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج
ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه . ثم يجزيه الجزاء الاوفى
اي يجزي العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزي والجزاء بدله . وان
الى ربك المنتهى : انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في
الصحف وكذلك ما بعده . وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى
لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده
بفعل الله على سبيل العادة . وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من
نطفة اذا تمنى : تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من مني اذا قدر و
ان عليه النشأة الاخرى : الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير
وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ . وانه هو اغنى واقنى
واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال او اقرأ بالانه اشرف الاموال او
ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية . وانه هو رب الشعرى : يعني العبور

اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم
وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم
ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلوة والسلام وان وافق ابا كبشة
في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها. وانه اهلك عادا الاولى: القدماء لانهم اولى
الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى
بحذف الهمزة والقاء ضمتها الى لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو كذلك مع جعل الواو
همزة وعادلولى بادغام التنوين في اللام. وثمودا: عطف على عادا لان ما بعده
لا يعمل فيما قبله وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف. فما ابقى الفريقين. وقوم
نوح: الفه معطوف عليه. من قبل: من قبل عاد وثمود. انهم كانوا هم اظلم
واطغى: من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك.
والمؤتفكة: والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط. اهوى
بعد ان رفعها فقلبها. فغشاها ما غشى: فيه تهويل وتعميم لما اصابهم. فباي
آلاء ربك تتمارى: تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات و
ان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين و
الانتقام للانبياء والمؤمنين. هذا نذير من النذر الاولى: اي هذا القران انذار
من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين. ازفت
الآزفة: دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة. ليس لها من
دون الله كاشفة: ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها
او الان بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه
او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية. افمن هذا الحديث
يعني القران. تعجبون: انكارا. وتضحكون: استهزاء. ولا تبكون
تحزنا على ما فرطتم. وانتم سامدون: لاهون او مستكبرون من سمد
البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء. فاسجدوا لله واعبدوا: اي واعبدوه
دون الالهة. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والنجم اعطاه الله

عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر وهي مكية

وآيها خمس وخمسون. بسم الله الرحمن الرحيم. اقتربت الساعة وانشق القمر
روي ان الكفار سالوا رسول الله آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة
ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها
انشقاق القمر وقوله. وان يروا آية يعرضوا: عن تاملها والايمان بها. ويقولوا
سحر مستمر: مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة
حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع
من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى. وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ المضي للاشعار
بانهما من عادتهم القديمة. وكل امر مستقر: منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا
وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح
اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة.
ولقد جاءهم: في القران من الانباء: انباء القرون الخالية او انباء الآخرة.
ما فيه مزدجر: ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال
والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها. حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها
موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها. فما تغن النذر: نفي او استفهام
انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار.
فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم. يوم يدع الداع: اسرافيل ويجوز ان
يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف و
انتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر. الى شيء نكر: فظيع تنكره النفوس لانها
لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر. خاشعا
ابصارهم يخرجون من الاجداث: اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم

من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل
وقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين
غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ويكون
الجملة حالا. كأنهم جراد منتشر: في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة. مهطعين
الى الداع: مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه. يقول الكافرون هذا يوم
عسر: صعب. كذبت قبلهم قوم نوح: قبل قومك. فكذبوا عبدنا: نوحا
وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل. وقالوا مجنون
اي هو مجنون. وازدجر: وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم
اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته. فدعا ربه اني: اي باني وقرئ بالكسر
على ارادة القول. مغلوب: غلبني قومي. فانتصر: فانتقم لي منهم وذلك
بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه
فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون. ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر: منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها
وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب. وفجرنا الارض
عيونا: وجعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض
فغير للمبالغة. فالتقى الماء: ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف
النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا. على امر قد قدر: على حال قدرها الله
في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على
قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. وحملناه
على ذات الواح: ذات اخشاب عريضة. ودسر: ومسامير جمع دسار
من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها
شرح لها تؤدي مؤداها. تجري باعيننا: بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا
جزاء لمن كان كفر: اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي
من نعمة ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى

الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين. ولقد تركناها: اي السفينة او الفعلة آية
يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر. فهل من مدكر: معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر
بقلب التاء ذالا والادغام فيها. فكيف كان عذابي ونذر: استفهام تعظيم و
وعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع. ولقد يسرنا القرآن: سهلناه او هيأناه
من يسر ناقته للسفر اذا رحلها. للذكر: للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع
المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ. فهل من مدكر: متعظ
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر: وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن
بعدهم في تعذيبهم. انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا: باردا او شديد الصوت
في يوم نحس: شؤم. مستمر: استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم
وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
تنزع الناس: تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض
فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى. كأنهم اعجاز نخل منقعر: اصول نخل منقلع
عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤوسهم و
طرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث في قوله اعجاز نخل خاوية
للمعنى. فكيف كان عذابي ونذر: للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا و
الثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في
الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر. كذبت ثمود بالنذر: بالانذارات او المواعظ او الرسل. فقالوا ابشرا
المنا:
منا: من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع
على الابتداء والاول اوجه للاستفهام. واحدا: منفردا لا تبع له او من آحادهم
دون اشرافهم. نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر: جمع سعير كأنهم عكسوا عليه
فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة
أالقي الذكر: الكتاب والوحي. عليه من بيننا: وفينا من هو احق منه بذلك
بل هو كذاب اشر: حمله بطره على الترفع علينا بادعائه. سيعلمون غدا
عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة. من الكذاب الاشر: الذي حمله اشره على

الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اشر ام من كذب به وقرا ابن عامر وحمزة ورويس
ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر
في حذر والاشر كقولهم اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير. انا
مرسلوا الناقة: مخرجوها وباعثوها. فتنة لهم: امتحانا لهم. فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما يصنعون. واصطبر: على اذاهم. ونبئهم ان الماء
قسمة بينهم: مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء. كل شرب
محتضر: يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره. فنادوا صاحبهم قدار
ابن سالف احيمر ثمود. فتعاطى فعقر: فاجترا على تعاطي قتلها فقتلها
او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف. فكيف كان
عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة: صيحة جبرئيل. فكانوا
كهشيم المحتظر: كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس
الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة
او الشجر المتخذ لها. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا: ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم. الا
آل لوط نجيناهم بسحر: في سحر وهو آخر الليل او مسحرين. نعمة من عندنا
انعاما منا وهو علة لنجينا. كذلك نجزي من شكر: نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم: لوط. بطشتنا: اخذتنا بالعذاب. فتماروا بالنذر
فكذبوه بالنذر متشاكين. ولقد راودوه عن ضيفه: قصدوا الفجور
بهم. فطمسنا اعينهم: فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا
داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم. فذوقوا عذابي ونذر: فقلنا
لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال. ولقد صبحهم بكرة: وقرئ
بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين. عذاب مستقر: يستقر بهم
حتى يسلمهم الى النار. فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر: كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض
لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا

استئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله
فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما. ولقد جاء آل فرعون النذر
اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك. كذبوا بآياتنا كلها: يعني
الآيات التسع. فاخذناهم اخذ عزيز: لا يغالب. مقتدر: لا يعجزه شيء
اكفاركم: يا معشر العرب. خير من اولئكم: الكفار المعدودين قوة وعدة
او مكانة ودينا عند الله. ام لكم براءة في الزبر: ام نزل لكم في الكتب السماوية
انه من كفر منكم فهو في امان من العذاب. ام يقولون نحن جميع: جماعة امرنا مجتمع
ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ
الجميع. سيهزم الجمع ويولون الدبر: اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل
احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه لما
نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع
ويقول سيهزم الجمع فعلمته. بل الساعة موعدهم: موعد عذابهم الاصلي وما
يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه. والساعة ادهى: اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى
لدوائه. وامر: مذاقا من عذاب الدنيا. ان المجرمين في ضلال: عن الحق في الدنيا
وسعر: ونيران في الآخرة. يوم يسحبون في النار على وجوههم: يجرون عليها. ذوقوا مس سقر
اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته. انا كل شيء خلقناه بقدر: اي انا
كل شيء مقدر مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب
بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا
ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود. وما امرنا الا واحدة: الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا
معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن. كلمح بالبصر: في اليسر والسرعة وقيل
معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر. ولقد اهلكنا اشياعكم: اشباهكم في
الكفر ممن قبلكم. فهل من مدكر: متعظ. وكل شيء فعلوه في الزبر: مكتوب في كتب الحفظة
وكل صغير وكبير: من الاعمال. مستطر: مسطور في اللوح. ان المتقين في جنات ونهر

انهار الكعب باسم الجلال وسعة وضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون
والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمعا نهر كاسد واسد. في مقعد صدق: في
مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق. عند مليك مقتدر: مقربين عند من تعالى امره
في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن وهي مكية

او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن
علم القران: لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها
بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه
اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان
خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه
لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن
عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد. الشمس والقمر بحسبان: يجريان بحساب معلوم مقدر
في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات
ويعلم السنون والحساب. والنجم: والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له
والشجر: والذي له ساق. يسجدان: ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد
الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر و
اسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا
ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا
بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس
من تغير احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره. والسماء رفعها: خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على
الابتداء. ووضع الميزان: العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق

حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت
السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف
السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما
يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى الحقوق والمواجب. الا تطغوا في
الميزان: لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة
القول. واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان: ولا تنقصوه فان من حقه ان
يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية وزيادة حث على استعماله وقرئ
ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف
الجار واوصل الفعل. والارض وضعها: خفضها مدحوة. للانام: للخلق وقيل الانام
كل ذي روح. فيها فاكهة: ضروب مما يتفكه به. والنخل ذات الاكمام: اوعية التمر جمع
كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع. والحب
والثمر. ذو العصف: كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات
اليابس كالتبن وقرا ابن عامر والحب ذا العصف. والريحان: يعني المشموم او الرزق
من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى اي خلق الحب والريحان او واخص ويجوز ان يراد
وذا الريحان بحذف المضاف وقرا حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع
وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء
للتخفيف. فباي الاء ربكما تكذبان: الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله
للانام وقوله ايها الثقلان. خلق الانسان من صلصال كالفخار: الصلصال
الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا
ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا ينافي ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه. وخلق الجان:
الجن او ابا الجن. من مارج: من صاف من الدخان. من نار: بيان لمارج فانه في الاصل
للمضطرب من مرج اذا اضطرب. فباي الاء ربكما تكذبان: مما افاض عليكما
في اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات. رب المشرقين
ورب المغربين: مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما. فباي الاء ربكما تكذبان
مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث

تماسك كل فصل منه الى عجزك. مرج البحرين: ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها
والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب. يلتقيان: يتجاوران يتماس سطوحهما او بحرى
فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه. بينهما برزخ: حاجز
من قدرة الله او من الارض. لا يبغيان: لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال
الخاصية ولا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما. فبأي آلاء ربكما تكذبان. يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان: كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان
الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما
لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرا نافع و
ابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان. فبأي آلاء
ربكما تكذبان. وله الجوار: السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء
كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان. المنشآت: المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرا حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي
ينشئن الامواج او السفن. في البحر كالاعلام: كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فبأي آلاء ربكما تكذبان: من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره. كل من
عليها: من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب او الثقلين. فان.
ويبقى وجه ربك: ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها
باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته. ذو الجلال والاكرام
ذو الاستغناء المطلق والفضل العام. فبأي آلاء ربكما تكذبان: اي مما ذكرنا من
بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب
على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم. يسأله من في السموات
والارض: فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم
والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره. كل يوم هو
في شأن: كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه
وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد

لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا. فبأي آلاء ربكما تكذبان: اي مما
يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا. سنفرغ لكم ايه
الثقلان: اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره
وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه
واجد فيه وقرا حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم و
الثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما وقدرهما او
لانهما مثقلان بالتكليف. فبأي آلاء ربكما تكذبان. يا معشر الجن والانس ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض: ان قدرتم ان
تخرجوا من جوانب السماء والارض هاربين من الله فارين من قضائه. فانفذوا
فاخرجوا. لا تنفذون: لا تقدرون على النفوذ. الا بسلطان: الا
بقوة وقهر وانى لكم ذلك وان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض
فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها
بافكاركم. فبأي آلاء ربكما تكذبان: اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع
كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها
الى ما فوق السموات العلى. يرسل عليكما شواظ: لهب. من نار ونحاس
ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر
مذاب يصب على رؤوسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا
على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية ونحس وهو جمع كلحف. فلا تنتصران
فلا تمتنعان. فبأي آلاء ربكما تكذبان: فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع
والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء. فاذا انشقت السماء
فكانت وردة: اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من
باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم
كالدهان: مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل
الاديم الاحمر. فبأي آلاء ربكما تكذبان: اي مما يكون بعد ذلك. فيومئذ
اي فيوم تنشق السماء. لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان: لانهم يعرفون بسيماهم وذلك

حين يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما
قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ
فانه وان تاخر لفظا تقدم رتبة. فباي آلاء ربكما تكذبان: اي مما انعم الله على عباده
في هذا اليوم. يعرف المجرمون بسيماهم: وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن. فيؤخذ بالنواصي
والاقدام: مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى. فباي آلاء ربكما
تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها: بين النار يحرقون بها و
بين حميم: ماء حار آن: بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا
استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم. فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام
الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام
مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين. جنتان
جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او
لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد
فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان: انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان
جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق
وتثمر وتمد الظل. فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان: حيث شاءوا
في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل. فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان: صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس. فباي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق: من ديباج ثخين واذا كان
البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف
في معنى الجمع. وجنى الجنتين دان: قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ
بكسر الجيم. فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن: في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي
للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش. قاصرات الطرف: نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن

ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان: لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن
وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم. فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان: في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما. فباي آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان: في العمل الا الاحسان: في الثواب. فباي آلاء ربكما تكذبان و
ومن دونهما جنتان (margin)
ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان: خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت. فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان: فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان: عطفهما على الفاكهة بيانا
لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
رضي الله عنه على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث. فباي آلا ر
آلا ربكما تكذبان (margin)
فيهن خيرات حسان: اي خيرات فخففت لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل
حسان حسان الخلق والخلق. فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات: قصرن في
خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف
على ازواجهن. في الخيام. فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور
الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم. فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على رفرف: وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل
فباي آلاء ربكما تكذبان (margin)
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض. خضر وعبقري حسان: العبقري منسوب الى
عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك
جمع حسان حملا على المعنى. تبارك اسم ربك: تعالى اسمه من حيث انه
مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول
ثم اسم السلام عليكما. ذي الجلال والاكرام: وقرأ ابن عامر بالرفع صفة
للاسم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن
ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية

وآيها تسع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة: اذا حدثت
القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت و
كيت. ليس لوقعتها كاذبة: اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في
نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحيوتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة
فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها و
احتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت
له انه يطيقه. خافضة رافعة: تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان
الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه
وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال.
اذا رجت الارض رجا: حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء
وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت. وبست الجبال بسا:
فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس
الغنم اذا ساقها. فكانت هباء منبثا: منتشرا. وكنتم ازواجا:
اصنافا. ثلثة: وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج. فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة: فاصحاب
المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل و
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم و
الاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما
باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين. والسابقون
السابقون: الذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان
او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء عليهم الصلوة والسلام
فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مالهم كقول

القائل ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة. اولئك المقربون
في جنات النعيم: الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم. ثلة من الاولين
وقليل من الآخرين: اي كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم عليه السلام الى محمد
صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه الصلوة والسلام ولا يخالف
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم
اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من
الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من
هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع. على سرر موضونة: خبر آخر للضمير المحذوف
والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن و
نسج الدرع. متكئين عليها متقابلين: حالان من الضمير في على. يطوف عليهم
للخدمة. ولدان مخلدون: مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم. باكواب
واباريق: حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء
له ذلك. وكاس من معين: من خمر. لا يصدعون عنها: بخمار. ولا ينزفون: ولا
ينزف عقولهم ولا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون
اي لا يتفرقون. وفاكهة مما يتخيرون: اي يختارون. ولحم طير مما يشتهون: يتمنون
وحور عين: عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي فيها او لهم حور وقرأ حمزة والكسائي
بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان
معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون
حورا. كامثال اللؤلؤ المكنون: المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء. جزاء بما
كانوا يعملون: اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم. لا يسمعون فيها لغوا: باطلا
ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم. الا قيلا: اي الا قولا. سلاما سلاما: بدل
من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما
او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية. و
اصحاب اليمين ما اصحاب اليمين. في سدر مخضود: لا شوك له من خضد الشوك
اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب. وطلح

وشجر موز او ام غيلان له انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين. منضود: نضد
حمله من اسفله الى اعلاه. وظل ممدود: منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت. وماء
مسكوب: يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما
شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما
يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين. وفاكهة كثيرة: كثيرة
الاجناس. لا مقطوعة: لا تنقطع في وقت. ولا ممنوعة: ولا تمنع عن متناولها
بوجه. وفرش مرفوعة: رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها
انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء: اي ابتدأناهن ابتداء جديدا
من غير ولادة ابداء او اعادة. وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فجعلناهن ابكارا عربا: متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة
وروي عن نافع وعاصم مثله. اترابا: فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن
لاصحاب اليمين: متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل
هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين. وهو على الوجه الاول خبر محذوف
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم: في حر نار ينفذ في المسام. وحميم
وماء متناه في الحرارة. وظل من يحموم: من دخان اسود يفعول من الحمة. لا بارد
كسائر الظل. ولا كريم: ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح. انهم كانوا
قبل ذلك مترفين: منهمكين في الشهوات. وكانوا يصرون على الحنث العظيم: الذنب
العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث
في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم. وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون: كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا
في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله أوآباؤنا الاولون: للدلالة على
ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن
في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف
ما دل عليه مبعوثون وهو نبعث لا هو للفصل بان والهمزة. قل ان الاولين والآخرين

الآخرين لمجموعون: وقرئ لمجمعون. الى ميقات يوم معلوم: الى ما وقتت
به الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له. ثم انكم ايها الضالون المكذبون: اي
بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم. لآكلون من شجر من زقوم: من الاولى للابتداء و
الثانية للبيان. فمالئون منها البطون: من شدة الجوع. فشاربون عليه من الحميم
لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون
التذكير للزقوم فانه تفسيرها. فشاربون شرب الهيم: الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء
جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها
هيامها. وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد
وقرأ نافع وحمزة وعاصم بضم الشين. هذا نزلهم يوم الدين: يوم الجزاء فما ظنك بما يكون
لهم بعدما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد
للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف. نحن خلقناكم فلولا تصدقون: بالخلق متيقنين
محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على
الاعادة. أفرأيتم ما تمنون: اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى
النطفة بمعنى امناها. أأنتم تخلقونه: تجعلونه بشرا سويا. ام نحن الخالقون. نحن قدرنا
بينكم الموت: قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال. و
ما نحن بمسبوقين: لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته
على كذا اذا غلبته عليه. على ان نبدل امثالكم: على الاول حال او علة لقدرنا وعلى
اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق
بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل. وننشئكم فيما لا تعلمون: في خلق او صفات
لا تعلمونها. ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون: ان من قدر عليها قدر على
النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس. أفرأيتم ما تحرثون: تبذرون حبه. أأنتم تزرعونه
تنبتونه. ام نحن الزارعون: المنبتون. لو نشاء لجعلناه حطاما: هشيما
فظلتم تفكهون: تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي

تعجبون منه والتفكه التنقل بصنوف الفواكه وقد استعير للتنقل بالحديث
وقرئ فظلتم بالكسر وفظلتم على الاصل. انا لمغرمون: لملزمون غرامة ما انفقنا
او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام. بل نحن محرومون
حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون. افرأيتم الماء الذي تشربون
اي العذب الصالح للشرب. أانتم انزلتموه من المزن: من السحاب واحده
مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب. ام نحن المنزلون: بقدرتنا
والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام. لو نشاء جعلناه اجاجا
ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب محض الشرط وما تضمن
معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون
اهم وفقده اصعب لمزيد التأكيد. فلولا تشكرون: امثال هذه النعم الضرورية
افرأيتم النار التي تورون: تقدحون. أانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون
يعني الشجرة التي منها الزناد. نحن جعلناها: جعلنا نار الزناد. تذكرة: تبصرة في
امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم. و
متاعا: ومنفعة للمقوين: للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم
او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها. فسبح باسم ربك
العظيم: فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم
صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه
تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه
او للشكر على ما عدها من النعم. فلا اقسم: اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم
ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء
ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه. بمواقع النجوم: بمساقطها
وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره
او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة
والكسائي بموقع. وانه لقسم لو تعلمون عظيم: لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة
وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في

في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة
انه لقرآن كريم: كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد
او حسن مرضي في جنسه. في كتاب مكنون: مصون وهو اللوح. لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع الا المطهرون: لا يطلع الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم
الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه
الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره و
المطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام. تنزيل من رب العالمين: صفة ثالثة
او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ تنزيلا اي نزل تنزيلا. افبهذا الحديث يعني القرآن
انتم مدهنون: متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به
يدهن في الامر. وتجعلون رزقكم: اي شكر رزقكم. انكم تكذبون: اي بمانحه حيث تنسبونه الى
الانواء وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القرآن
تنظرون — انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء. فلولا اذا بلغت الحلقوم: اي النفس. وانتم حينئذ
حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال. ونحن اقرب اليه: ونحن اعلم اليه اي المحتضر
منكم: عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع. ولكن لا تبصرون: لا تدركون كنه
ما يجري عليه. فلولا ان كنتم غير مدينين: اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه
اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد. ترجعونها: ترجعون النفس الى
تكرير — مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل
جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته
ان كنتم صادقين: في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم
فاما ان كان من المقربين: اي ان كان المتوفى من السابقين. فروح: فله استراحة وقرئ
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة. وريحان: ورزق
طيب. وجنة نعيم: ذات تنعم. واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك: يا صاحب
اليمين من اصحاب اليمين: اي من اخوانك يسلمون عليك. واما ان كان من المكذبين الضالين
يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به
فنزل من حميم وتصلية جحيم: وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها. ان هذا اي

الذي ذكر في السورة او في شان المفرق. لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين. فسبح
باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظم شانه. عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد

وقيل مكية وآيها تسع وعشرون. بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ
المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا
تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه
على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له
في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه. وهو العزيز الحكيم
حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح. له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف
فيها. يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له. وهو على كل شيء
من الاحياء والاماتة قدير تام القدرة. هو الاول السابق على سائر الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها. والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع
قطع النظر عن غيرها او الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول
خارجا والآخر ذهنا. والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن
حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو
الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين. وهو بكل شيء
عليم يستوي عنده الظاهر والخفي. هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها
كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة. وهو معكم
اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال. والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه. له ملك السموات والارض ذكره
مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما. والى الله ترجع الامور

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها
آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي
جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في
تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس. فالذين آمنوا
منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان
والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر. وما لكم لا تؤمنون
بالله اي ما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما. والرسول يدعوكم لتو
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج و
الآيات. وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب
الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول
ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه. هو الذي ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر
الى نور الايمان. وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث نبهكم بالرسل والآيات و
لم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية. وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا
تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة له. ولله ميراث السموات والارض
يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى
وهو الثواب كان اولى. لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين
وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال
للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة
اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق. من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح. وكلا وعد الله الحسنى اي وعد
الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء
اي وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه. والله بما تعملون خبير عالم بظاهره
وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى عنه فانه اول من

منوا بربكم

وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف بها على الهلاك. من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا: من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان
يعوضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له. فيضاعفه
له: اي يعطي اجره اضعافا. وله اجر كريم: اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا
وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال
ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب
فيضعفه منصوبا. يوم ترى المؤمنين والمؤمنات: ظرف لقوله وله او فيضاعف
او مقدر باذكر. يسعى نورهم: ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة. بين ايديهم وبايمانهم
لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين. بشراكم اليوم جنات:
اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم: الاشارة الى
ما تقدم من النور والبشرى بالجنان المخلدة. يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى. للذين آمنوا انظرونا: انتظرونا فانهم يسرع بهم الى
الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم
امهال لهم. نقتبس من نوركم: نصب منه. قيل ارجعوا وراءكم: الى الدنيا
فالتمسوا نورا: بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد
منها او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل
لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة. فضرب بينهم: بين
المؤمنين والمنافقين. بسور: بحائط. له باب: يدخل فيه المؤمنون
باطنه: باطن السور او الباب. فيه الرحمة: لانه يلي الجنة. وظاهره من
قبله العذاب: من جهته لانه يلي النار. ينادونهم الم نكن معكم: يريدون
موافقتهم في الظاهر. قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم: بالنفاق. وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر. وارتبتم: وشككتم في الدين. وغرتكم الاماني: كامتداد

العمر. حتى جاء امر الله: وهو الموت. وغركم بالله الغرور:
الشيطان او الدنيا. فاليوم لا يؤخذ منكم فدية: فداء وقرا ابن عامر ويعقوب
بالتاء. ولا من الذين كفروا: ظاهرا وباطنا. ماواكم النار هي مولاكم: هي اولى
بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل
انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا. وبئس المصير: النار.
الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله: الم يات وقته يقال انى الامر يانى
انيا وانا واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى
والم يان. روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق و
النعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت. وما نزل من الحق: اي القرآن وهو عطف
على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا
نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل. ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل: عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل
الكتاب فيما حكي عنهم بقوله. فطال عليهم الامد فقست قلوبهم: اي فطال عليهم
الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد
وهو الوقت الاطول. وكثير منهم فاسقون: خارجون عن دينهم رافضون لما في
كتابهم من فرط القسوة. اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها: تمثيل لاحياء
القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا
عن القساوة. قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون: كي تكمل عقولكم. ان المصدقين
والمصدقات: ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير و
ابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله. واقرضوا الله قرضا
حسنا: عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او
صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم: معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم

لانه خبر ثان او مسند الى لهم او الى ضمير المصدر. والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم: اي اولئك عند الله بمنزلة
الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا
جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل
والشهداء عند ربهم مبتدا وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله. لهم اجرهم ونورهم: مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور
الموعودان لهم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم: فيه دليل
على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة
تدل على الملازمة. اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد: لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا اعني ما
لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال
لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة و
لهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة
وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله. كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما: وهو تمثيل لها في سرعة
تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او
الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا انتقل فكره
الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا
ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله
وفي الآخرة عذاب شديد: تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب
كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله. ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور: لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها. سابقوا: سارعوا مسارعة
المسابقين في المضمار. الى مغفرة من ربكم: الى موجباتها. وجنة عرضها
كعرض السماء والارض: اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك

فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض. اعدت للذين
آمنوا بالله ورسله: فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء: ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب
والله ذو الفضل العظيم: فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره. ما اصاب
من مصيبة في الارض: كجدب وعاهة. ولا في انفسكم: كمرض وآفة. الا في
كتاب: الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى. من قبل ان نبراها: نخلقها
والضمير للمصيبة او للارض او للانفس. ان ذلك: ان اثباته في كتاب. على الله يسير
لاستغنائه فيه عن العدة والمدة. لكيلا تاسوا: اي اثبت وكتب لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم: من نعم الدنيا. ولا تفرحوا بما آتاكم: بما اعطاكم الله منها فان من
علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرا ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم
وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها
وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد منه نفي الاسى المانع عن التسليم
لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله. والله لا يحب كل
مختال فخور: اذ قل من يثبت نفسه في حالي الضراء والسراء. الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل: بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدا
خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد: لان معناه ومن
يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن
شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة
المنفق وقرا نافع وابن عامر فان الله الغني. لقد ارسلنا رسلنا: اي الملائكة الى الانبياء
او الانبياء الى الامم. بالبينات: بالحجج والمعجزات. وانزلنا معهم الكتاب: ليبين
الحق ويميز صواب العمل. والميزان: لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم
الناس بالقسط: وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح و
يجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال. وانزلنا الحديد
فيه باس شديد: فان آلات الحروب متخذة منه. ومنافع للناس: اذ ما من
صنعة الا والحديد آلتها. وليعلم الله من ينصره ورسله: باستعمال الاسلحة في مجاهدة

الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة
لمحذوف أي أنزله ليعلم الله. بالغيب: حال من المستكن في ينصره. إن الله
قوي: على إهلاك من أراد إهلاكه. عزيز: لا يفتقر إلى نصرة وإنما أمرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه. ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب: بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب
وقيل المراد بالكتاب الخط. فمنهم: فمن الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم
أرسلنا. مهتد وكثير منهم فاسقون: خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال. ثم قفينا على
آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم: أي أرسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى إلى عيسى والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم أو من عاصرهما
من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية. وآتيناه الإنجيل: وقرئ
بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لأنه أعجمي. وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة: وقرئ رآفة على فعالة. ورحمة ورهبانية: أي ابتدعوا رهبانية
ابتدعوها: أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة
والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف
من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع
راهب كراكب وركبان. ما كتبناها عليهم: ما فرضناها عليهم. إلا ابتغاء
رضوان الله: استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
وقيل متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب
المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة
الله وهو يخالف قوله ابتدعوها إلا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا إليها و
ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها أولا لا أنهم اخترعوها من تلقاء
أنفسهم. فما رعوها: فما رعوها جميعا. حق رعايتها: بضم التثليث
والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها إليها. فآ
الذين آمنوا: أتوا بالإيمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الإيمان بمحمد عليه الصلاة

الصلاة والسلام. منهم: من المتسمين باتباعه. أجرهم وكثير منهم فاسقون:
خارجون عن حال الاتباع. يا أيها الذين آمنوا: بالرسل المتقدمة. اتقوا الله
فيما نهاكم عنه. وآمنوا برسوله: محمد صلى الله عليه وسلم. يؤتكم كفلين
نصيبين من رحمته: لإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانكم بمن قبله ولا يبعد
أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخا ببركة الإسلام وقيل الخطاب
للنصارى الذين كانوا في عصره. ويجعل لكم نورا تمشون به: يريد المذكور
في قوله يسعى نورهم أو الهدى الذي يسلك به إلى جناب القدس. ويغفر لكم
والله غفور رحيم. لئلا يعلم: أي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم
ولكي يعلم ولأن يعلم بإدغام النون في الياء. أهل الكتاب ألا يقدرون
على شيء من فضل الله: أن هي المخففة والمعنى أنه لا ينالون شيئا مما ذكر من
فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به أو لا
يقدرون على شيء من فضله فضلا أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصوها
بمن أرادوا ويؤيده قوله. وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم: وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب
أنه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون و
أن الفضل عطفا على لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغم
النون في اللام ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الأصل في الحروف
المفردة الفتح. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب
الله من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية

وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون. بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله: روي أن خولة
بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال

عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات
الاربع وقد تشعر بان الرسول صلى الله عليه وسلم او المجادلة يتوقع ان الله
يجادلها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام
عن ابن عامر في السين والله يسمع تحاوركما: تراجعكما الكلام وهو على
تغليب الخطاب. ان الله سميع بصير: للاقوال والاحوال. والذين
يظهرون منكم من نسائهم: الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر
امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم
فيه وانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر. ما هن امهاتهم: اي
على الحقيقة. ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم: فلا تشبه بهن في الحرمة الا من
الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم. وعن عاصم
امهاتهم بالرفع وقرئ بامهاتهم وهو على لغة من ينصب. وانهم ليقولون
منكرا من القول: اذ الشرع انكره. وزورا: محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه
الام. وان الله لعفو غفور: لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه. والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا: اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل
عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك
المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة
استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة استمتاعها
ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام
على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول
الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بالحلف على ما قال وهو قول
ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها
فتحرير رقبة: اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا
على كفارة القتل. من قبل ان يتماسا: ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها

عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى المساواة ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل
التكفير. ذلكم: اي ذلك الحكم بالكفارة. توعظون به: لانه يدل على ارتكاب الجناية
الموجبة للغرامة ويردع عنه. والله بما تعملون خبير: لا يخفى عليه خافية. فمن لم يجد
اي الرقبة والذي غاب ماله واجد. فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
فان افطر لغير عذر لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها
ليلا انقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك. فمن لم يستطع: اي الصوم
لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للاعرابي المفرط
ان يعدل لاجله. فاطعام ستين مسكينا: ستين مدا بمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة رحمه
الله تعالى يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس
اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه في خلال الطعام كما قال ابو حنيفة. ذلك: اي
ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله
اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم
وتلك حدود الله: لا يجوز تعديها. وللكافرين: اي الذين لا يقبلونها. عذاب
اليم: وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين. ان الذين يحادون
الله ورسوله: يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر او يضعون
او يختارون حدودا غير حدودهما. كبتوا كما كبت: اخزوا او اهلكوا واصل
الكبت الكب. الذين من قبلهم: يعني كفار الامم الماضية. وقد انزلنا آيات
بينات: تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به. وللكافرين عذاب
مهين: يذهب عزهم وتكبرهم. يوم يبعثهم الله: منصوب بمهين او باضمار
اذكر. جميعا: كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين. فينبئهم بما عملوا: اي
على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم. احصاه الله: احاط به
عددا لم يغب منه شيء. ونسوه: لكثرته او تهاونهم به. والله على كل شيء شهيد
لا يغيب عنه شيء. الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض: كليا وجزئيا
ما يكون من نجوى ثلثة: ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى

عنها

بمتناجين وتحمل له صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان
السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه. الا هو رابعهم الا الله
يجعلهم اربعة من حيث انه شاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال
ولا خمسة. ولا خمسة الا هو سادسهم: وتخصيص العددين اما لخصوص
الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة
اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط
وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين
ولا ادنى من ذلك: ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين. ولا اكثر الا هو معهم يعلم
ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان
جعلت لا لنفي الجنس. اينما كانوا: فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت
باختلاف الامكنة. ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة: تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء. ان الله بكل شيء عليم: لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه: نزلت في اليهود والمنافقين
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم. ويتناجون بالاثم والعدوان و
معصية الرسول: اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى
الله عليه وسلم وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى و
اذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله: فيقولون السام عليك او انعم صباحا
والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى. ويقولون في
انفسهم: فيما بينهم. لولا يعذبنا الله بما نقول: هلا يعذبنا بذلك لو كان
محمد نبيا. حسبهم جهنم: عذابا. يصلونها: يدخلونها. فبئس المصير جهنم
يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول: كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا. وتناجوا بالبر والتقوى
فيما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم. واتقوا
الله الذي اليه تحشرون: فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه. انما النجوى

النجوى: اي النجوى بالاثم والعدوان. من الشيطان: فانه المزين لها والحامل
عليها. ليحزن الذين امنوا: بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم. وليس: الشيطان
او التناجي. بضارهم: بضار المؤمنين. شيئا الا باذن الله: بمشيئته. وعلى
الله فليتوكل المؤمنون: ولا يبالوا بنجواهم. يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا في المجالس: توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني
اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع
او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون تنافسا على
القرب منه وحرصا على استماع كلامه. فافسحوا يفسح الله لكم: فيما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها. واذا قيل انشزوا: انهضوا
للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا في المجلس. فانشزوا: وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما. يرفع الله الذين امنوا منكم: بالنصر
وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الاخرة. والذين اوتوا
العلم درجات: ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان
العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في
افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب. والله بما تعملون خبير: تهديد لمن لم يمتثل
الامر او استكرهه. يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة: فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر
تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال
والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب
او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به
نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان
لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
لا يقدح في غيره ولعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي
انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة. ذلك: اي ذلك التصدق. خير لكم

واطهر : اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم
تجدوا فان الله غفور رحيم : اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق
ادل على الوجوب . ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات : اخفتم الفقر
من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات
لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى . فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم : بان
رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم ما
قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان . فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة : فلا تفرطوا فى ادائهما . واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما
تعملون : ظاهرا وباطنا . الم تر الى الذين تولوا : والوا . قوما غضب
الله عليهم : يعنى اليهود . ما هم منكم ولا منهم : لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك . ويحلفون على الكذب : وهو ادعاء الاسلام . وهم يعلمون :
ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب
يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه صلى الله عليه وسلم كان فى
حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق فقال عليه الصلوة والسلام له علام تشتمنى انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت . اعد الله لهم
عذابا شديدا : نوعا من العذاب متفاقما . انهم ساء ما كانوا يعملون
فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه . اتخذوا ايمانهم : التى حلفوا بها وقرئ
بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه . جنة : وقاية دون دمائهم واموالهم . فصدوا
عن سبيل الله : فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط
فلهم عذاب مهين : وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر
وهذا عذاب الاخرة . لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون : فقد يسمى شيئا يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
اى لله على انهم مسلمون وتعوذون . كما يحلفون لكم : فى الدنيا انهم لمنكم . ويحسبون
انهم على شىء : لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الاخرة ان الايمان

سائر الاوامر فان القيام
بها كالجابر للتفريط فى
ذلك صح

الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروج عليكم فى الدنيا . الا انهم هم
الكاذبون : البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب و
الشهادة ويحلفون عليه . استحوذ عليهم الشيطان : استولى عليهم من حذت
الابل وحذتها اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل . فانسيهم
ذكر الله : لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم . اولئك حزب الشيطان : جنوده
واتباعه . الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون : لانهم فوتوا على انفسهم
النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد . ان الذين يحادون الله ورسوله
اولئك فى الاذلين : فى جملة من هو اذل خلق الله . كتب الله لاغلبن انا ورسلى
بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء . ان الله لقوى : على نصر انبيائه
عزيز : لا يغلب عليه فى مراده . لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادوا
اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغى ان يوادهم ولو كانوا
اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم : ولو كان المحادون اقرب
الناس اليهم . اولئك : اى الذين لم يوادوهم . كتب فى قلوبهم الايمان
اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب
يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه . وايدهم بروح منه : اى من
عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
فانه سبب لحيوة القلب . ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها رضى الله عنهم : بطاعتهم . ورضوا عنه : بقضائه او بما وعدهم من
الثواب . اولئك حزب الله : جنده وانصار دينه . الا ان حزب
الله هم المفلحون : الفائزون بخير الدارين . عن النبى صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

ذون من حاد الله ورسوله

سورة الحشر مدنية

وايها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات
وما فى الارض وهو العزيز الحكيم : روى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة

صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي
المنعوت في التوريه بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة بقتله فقتله غيلة ثم
صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلا فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت
طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شي قدير. هو
الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر: اي في اول
حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول الحشر للقتال
او الجلا الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر اليه او في اول
حشرهم فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او نار تخرج من المشرق
فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر. ما ظننتم ان يخرجوا
لشدة باسهم ومنعتهم. وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله: اي ان حصونهم
تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة
على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها
ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم. فاتاهم الله: اي عذابه وهو الرعب و
الاضطرار الى الجلا وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم
اي العذاب او النصر. من حيث لم يحتسبوا: لقوة وثوقهم. وقذف في قلوبهم
الرعب: واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها. يخربون بيوتهم
بايديهم: ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها. وايدي
المؤمنين: فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال
وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم
استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد و
هو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشي خرابا والتخريب
الهدم. فاعتبروا يا اولي الابصار: فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا
ولا تعتمدوا على شي غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه

انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة
المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية. ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء:
الخروج من اوطانهم. لعذبهم في الدنيا: بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة
ولهم في الآخرة عذاب النار: استئناف معناه انهم ان نجوا من
عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن
يشاق الله فان الله شديد العقاب: الاشارة الى ذكر ما حاق بهم وما كانوا
بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير. ما قطعتم من لينة: اي شي قطعتم من نخلة
فعلة من اللون على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ليان. او
تركتموها: الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة. قائمة على اصولها: وقرئ
على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن. فباذن الله: فبامره. و
ليخزي الفاسقين: علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على
فسقهم بما غاظهم منه روي انه لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن
الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم
ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم. وما افاء الله على رسوله: وما
اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق
الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين. منهم:
من بني النضير او من الكفرة. فما اوجفتم عليه: فما اجريتم على تحصيله من الوجيف
وهو سرعة السير. من خيل ولا ركاب: ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من
المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا
ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة.
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء: بقذف الرعب في قلوبهم. والله
على كل شي قدير: فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها.
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى: بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه. فلله و
للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل: اختلف في

فيقسم الفيء وقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة و
سائر المساجد وقيل يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول
صلى الله عليه وسلم إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فإنه عليه الصلوة والسلام كان
يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور
كيلا يكون: أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء وقرئ هشام في رواية بالتاء
دولة بين الأغنياء منكم: ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية
وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم أو أخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام
دولة بالرفع على كان التامة أي كيلا تقع دولة جاهلية. وما آتاكم الرسول و
ما أعطاكم من الفيء أو من الأمر. فخذوه: لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب
الطاعة. وما نهاكم عنه: عن أخذه منه أو عن إتيانه. فانتهوا: عنه واتقوا
الله: في مخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم. إن الله شديد العقاب
لمن خالف. للفقراء المهاجرين: بدل من لذي القربى وما عطف عليه فإن
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال
بما بعده أو الفيء بفيء بني النضير. الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم. يبتغون فضلا من الله و
رضوانا: حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم. وينصرون الله
ورسوله: بأنفسهم وأموالهم. أولئك هم الصادقون: الذين ظهر صدقهم
في إيمانهم. والذين تبوؤا الدار والإيمان: عطف على المهاجرين والمراد
بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار
الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول
وعوض عنه اللام أو تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبنا وماء
باردا وقيل سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومصيره. من قبلهم: من قبل
هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والإيمان
يحبون من هاجر إليهم: ولا يثقل عليهم. ولا يجدون في صدورهم في

في أنفسهم حاجة: ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ
مما أوتوا: مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره. ويؤثرون على أنفسهم
ويقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى إن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة
وزوجها من أحدهم. ولو كان بهم خصاصة: حاجة من خصاص البناء وهي فرجه
ومن يوق شح نفسه: حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض
الإنفاق. فأولئك هم المفلحون: الفائزون بالثناء العاجل
والثواب الآجل. والذين جاؤوا من بعدهم: هم الذين هاجروا بعد حين
قوي الإسلام أو التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم
القيامة ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين. يقولون ربنا اغفر
لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل: أي لإخواننا في
الدين. في قلوبنا غلا للذين آمنوا: حقدا لهم. ربنا إنك رؤوف رحيم
فحقيق بأن تجيب دعاءنا. ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب: يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصداقة
والموالاة. لئن أخرجتم: من دياركم. لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم: في قتالكم
أو خذلانكم. أحدا أبدا: أي من الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. و
إن قوتلتم لننصرنكم: لنعاوننكم. والله يشهد إنهم لكاذبون: لعلمه بأنهم
لا يفعلون ذلك كما قال: لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان كذلك فإن ابن أبي وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم أخلفوهم وفيه
دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن. ولئن نصروهم: على الفرض والتقدير
ليولن الأدبار: انهزاما. ثم لا ينصرون: بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم
نصرة المنافقين أو نفاقهم إذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون
للمنافقين. لأنتم أشد رهبة: أي أشد مرهوبية مصدر للفعل المبني
للمفعول. في صدورهم: فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين. من
الله: على ما يظهرونه نفاقا فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة
الله. ذلك بأنهم قوم لا يفقهون: لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته

وبعلمون انه الحين بالخشى. لا يقاتلونكم: اليهود والمنافقون. جميعا: مجتمعين
الا في قرى محصنة: بالدروب والخنادق. او من وراء جدر: لفرط رهبتهم وقرا
ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال. باسهم بينهم شديد: اي ليس
ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب
في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله. تحسبهم جميعا:
مجتمعين متفقين. وقلوبهم شتى: متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون: ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم. كمثل
الذين من قبلهم: اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا
قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية. قريبا: في زمان قريب وانتصابه بمثل
اذ التقدير كوجود مثل. ذاقوا وبال امرهم: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا. و
لهم عذاب اليم: في الاخرة. كمثل الشيطان: اي مثل المنافقين في اغراء اليهود
على القتال كمثل الشيطان. اذ قال للانسان اكفر: اغراه على الكفر اغراء
الامر المامور. فلما كفر قال اني بري منك: تبرا عنه مخافة ان يشاركه في العذاب
ولم ينفعه ذلك كما قال. اني اخاف الله رب العالمين. فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين: والمراد من الانسان الجنس
وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية
وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرى عاقبتهما على انهما الخبر لكان
وخالدان على انه خبر ان وفي النار لغو. يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و
لتنظر نفس ما قدمت لغد: ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم و
الاخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر
فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك. واتقوا الله: تكرير
للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم
لاقترانه بقوله. ان الله خبير بما تعملون: وهو كالوعيد على المعاصي. و لا
تكونوا كالذين نسوا الله: نسوا حقه. فانساهم انفسهم: فجعلهم ناسين
لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من

من الهول ما انساهم انفسهم. اولئك هم الفاسقون: الكاملون في الفسوق
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة: الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا
الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر
اصحاب الجنة هم الفائزون: بالنعيم المقيم. لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله: تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا
الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة
القران لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرى مصدعا على الادغام
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم: ما غاب
عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم
الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود والسر و
العلانية. هو الذي لا اله الا هو الملك القدوس: البليغ في النزاهة عما
يوجب نقصانا وقرى بالفتح وهو لغة فيه. السلام: ذو السلامة من كل
نقص وافة مصدر وصف به للمبالغة. المؤمن: واهب الامن وقرى بالفتح بمعنى المؤمن
به على حذف الجار. المهيمن: الرقيب الحافظ لكل شي مفيعل من الامن قلبت
همزته هاء. العزيز الجبار: الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه. المتكبر:
الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا. سبحان الله عما يشركون: اذ لا
يشاركه في شي من ذلك. هو الله الخالق: المقدر للاشياء على مقتضى حكمته
البارى: الموجد لها بريا من التفاوت. المصور: الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراده ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المسمى
بمنتهى المنى. له الاسماء الحسنى: لانها دالة على محاسن المعاني. يسبح له ما في
السموات والارض: لتنزهه عن النقائص كلها. وهو العزيز الحكيم:
الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الحشر غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية

وآيها ثلث عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء: نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم
فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد
رضي الله تعالى عنهم وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من
يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره. تلقون اليهم بالمودة: اي
تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت
على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل
وقد كفروا بما جاءكم من الحق: حال من فاعل احد الفعلين. يخرجون الرسول واياكم
اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه. ان تؤمنوا بالله ربكم: بان
تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب
الايمان. ان كنتم خرجتم: عن اوطانكم. جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا
تسرون اليهم بالمودة: بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في
اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة. وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية. ومن يفعله

منكم: اي يفعل الاتخاذ. فقد ضل سواء السبيل: ان يثقفوكم
يظفروا بكم. يكونوا لكم اعداء: ولا ينفعكم القاء المودة اليهم. ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء: ما يسوءكم كالقتل والشتم. وودوا لو تكفرون
وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل
شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم. لن تنفعكم ارحامكم: قراباتكم. ولا
اولادكم: الذين توالون المشركين لاجلهم. يوم القيمة يفصل بينكم: يفرق بينكم
بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم
غدا وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل
على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل. والله بما
تعملون بصير: فيجازيكم عليه. قد كانت لكم اسوة حسنة: قدوة اسم لما
يؤتسى به. في ابراهيم والذين معه: صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من
المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت. اذ قالوا لقومهم
ظرف لخبر كان. انا برآء منكم: جمع بريء كظريف وظرفاء. ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم: اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده
فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة. الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك: استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي
ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه. وما املك لك من الله من
شيء: من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير: متصل بما قبل الاستثناء
او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين
الكفار. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا: بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب
لا نحتمله. واغفر لنا: ما فرطنا. ربنا انك انت العزيز الحكيم: ومن كان كذلك
كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي. لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
تكرير لمزيد الحث على التأسي بهم وان تركه بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل

اخطاه م

قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن
ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله و
من يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة . عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون
اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم و
صاروا لهم اولياء . والله قدير على ذلك . والله غفور رحيم لما فرط منكم
في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم . لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء و
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين . وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم
بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان
قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه
بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت . انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة
فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم
بدل من الذين بدل الاشتمال . ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها . يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن في الايمان . الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان
علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف و
ظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به . فلا
ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا
هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة و
الثاني للمنع عن الاستيناف . واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من
المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه
ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه الصلاة والسلام

السلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل
زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه . ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار . اذا
اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن
لا يقوم مقام المهر . ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من
عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ
البصريان ولا تمسكوا بالتشديد . واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات
بالكفار . وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات . ذلكم
حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استيناف او حال من الحكم على
حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة . والله عليم حكيم يشرع ما تقتضي
حكمته . وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار احد
من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن
فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور اولئك
تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره . فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه
زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت
وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه . يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم
الفتح فانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء . ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات . ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها و
التقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يامر الا به تنبيه على انه لا
يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق . فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب

على الوفاء بهذه الاشياء. واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم
يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار
او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم. قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه
لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول صلى الله عليه وسلم المنعوت في التورية
المؤيد بالايات. كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا
او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان
الكفر آيسهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان
له المؤمنون والمؤمنات شفعاء

سورة الصف مدنية

وقيل مكية وآيها اربع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا
فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم
احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها
مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز
للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به
كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى
والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه. واذ قال موسى لقومه
مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد
تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار
فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن

عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله
لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال
عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي
لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين
ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول
الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين صلى الله
عليه وسلم. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء
او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان
الاشارة الى عيسى. ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى
الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين
فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية اياته سحرا فانه يعم اثبات
المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا
يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا
اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت
لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته
بنشره واعلائه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون
ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او المعجزة ودين
الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان ولو
كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف
مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر

وانما جي بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك. ذلكم خير لكم: يعني ما ذكر من
الايمان والجهاد. ان كنتم تعلمون: ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله
يغفر لكم ذنوبكم: جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام
دل عليه الكلام تقديره ان تومنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة. ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم: الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة. واخرى تحبونها
ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يوثرون
العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر
من الله: وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد
قري بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر. وفتح قريب
عاجل. وبشر المومنين: عطف على محذوف مثل يا ايها الذين امنوا و
بشر او على تومنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المومنون و
بشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا واجلا. يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله: وقرا الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان
المعنى كونوا بعض انصار الله. كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري
الى الله: اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله. قال الحواريون
نحن انصار الله: والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما
من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى
اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال
لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياوه وهم اول من امن
من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلا. فامنت طايفة من بني
اسرايل وكفرت طايفة: اي بعيسى. فايدنا الذين امنوا على
عدوهم: بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى. فاصبحوا ظاهرين
فصاروا غالبين. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف
كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم
القيمة رفيقه

سورة الجمعة وهي مكية

وايها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات
وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم: وقد قري الصفات الاربع
بالرفع على المدح. هو الذي بعث في الاميين: اي في العرب لان اكثرهم لا
يكتبون ولا يقرون. رسولا منهم: اي من جملتهم اميا مثلهم. يتلو عليهم اياته
مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراة ولا تعلم. ويزكيهم: من خبايث العقايد
والاعمال. ويعلمهم الكتاب والحكمة: القران والشريعة او معالم الدين من
المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه. وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين: من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى
نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك من معلم
وان هي المخففة واللام تدل عليها. واخرين منهم: عطف على الاميين او
المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم
الجميع. لما يلحقوا بهم: لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون. وهو العزيز: في
تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة. الحكيم: في اختياره وتعليمه. ذلك
فضل الله: ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله. يوتيه من يشاء:
تفضلا وعطية. والله ذو الفضل العظيم: الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا
ونعيم الاخرة. مثل الذين حملوا التورية: علموها وكلفوا العمل بها
ثم لم يحملوها: لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها. كمثل الحمار يحمل اسفارا
كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل
او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا. بيس مثل الذين كذبوا بايات
الله: مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بايات الله الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم

القوم ه

محذوفا. والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا. ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس. ان كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه. فتمنوا الموت: فتمنوا من الله
ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة. ان كنتم صادقين: في زعمكم
ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم: بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي
والله عليم بالظالمين: فيجازيهم على اعمالهم. قل ان الموت الذي
تفرون منه: وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم
فانه ملاقيكم: لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار
الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان
يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة. ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون: بان يجازيكم عليه. يا ايها الذين امنوا اذا
نودي للصلوة: اي اذن لها. من يوم الجمعة: بيان لاذا وانما سمي جمعة
لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه
كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل
المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف. فاسعوا الى ذكر الله
فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل
الصلوة والامر بالسعي يدل على وجوبها. وذروا البيع: واتركوا المعاملة
ذلكم خير لكم: اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير و
ابقى. ان كنتم تعلمون: الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم
فاذا قضيت الصلوة: اديت وفرغ منها. فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله: اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد
الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما
هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله. واذكروا الله كثيرا
واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة. لعلكم تفلحون

تفلحون: بخير الدارين. واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
روي انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم
الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو
الطبل الذي كانوا يستقبلون العير به والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع
الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا
راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه. وتركوك قائما على المنبر
قل ما عند الله: من الثواب. خير من اللهو ومن التجارة: فان ذلك محقق مخلد بخلاف
ما تتوهمون من نفعهما. والله خير الرازقين: فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية

وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله: الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك
صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون: لانهم لم يعتقدوا ذلك. اتخذوا ايمانهم
حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم
جنة: عن القتل والسبي. فصدوا عن سبيل الله: صدا او صدودا. انهم
ساء ما كانوا يعملون: من نفاقهم وصدهم. ذلك: اشارة الى الكلام
المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق
والكذب والاستجنان بالايمان. بانهم امنوا: بسبب انهم امنوا ظاهرا. ثم كفروا
سرا او امنوا اذا راوا الاية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة. فطبع
على قلوبهم: حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه. فهم لا يفقهون: حقيقة الايمان ولا
يعرفون صحته. واذا رايتهم تعجبك اجسامهم: لضخامتها وصباحتها. وان
يقولوا تسمع لقولهم: لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر

مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم
كانهم خشب مسندة: حال من الضمير المجرور في قولهم اي تستمع لما يقولون
مشبهين باخشاب منصوبة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر
وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح
المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او
على انه كبدن في جمع بدنة. يحسبون كل صيحة عليهم: اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم
فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول هم العدو: وعلى
هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله: فاحذرهم
عليه يدل على ان الضمير للمنافقين. قاتلهم الله: دعاء عليهم وهو طلب من ذاته
ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك. انى يؤفكون: كيف يصرفون عن
الحق. واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم: عطفوها
اعراضا واستكبارا عن ذلك. ورايتهم يصدون: يعرضون عن الاستغفار
وهم مستكبرون عن الاعتذار. سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم: لرسوخهم في الكفر. ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق. هم الذين
يقولون: اي للانصار. لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعني فقراء المهاجرين. ولله خزائن السموات والارض: بيده الارزاق و
القسم. ولكن المنافقين لا يفقهون: ذلك لجهلهم بالله. يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل: روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض
الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل
عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لنخرجن بفتح الياء و
ليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءة
مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج الاذل. ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين: ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين. ولكن المنافقين

دعون

لا يعلمون: من فرط جهلهم وغرورهم. يا ايها الذين امنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله: لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها
عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو
بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال: ومن يفعل ذلك: اي اللهو بها وهو
الشغل. فاولئك هم الخاسرون: لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني
وانفقوا مما رزقناكم: بعض اموالكم ادخارا للاخرة: من قبل ان
ياتي احدكم الموت: ان يرى دلائله. فيقول رب لولا اخرتني: امهلتني
الى اجل قريب: امد غير بعيد. فاصدق: فاتصدق. واكن من الصالحين
بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون
منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا: ولن يمهلها. اذا جاء اجلها: اخر عمرها. والله
خبير بما تعملون: فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء لتوافق ما قبله في الغيبة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية

مختلف فيها وايها ثمان عشرة. بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في
السموات وما في الارض: بدلالتها على كماله واستغنائه. له الملك و
له الحمد: قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة. وهو
على كل شيء قدير: لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما
ادعاه فقال: هو الذي خلقكم فمنكم كافر: مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه و
منكم مؤمن: مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه. والله بما تعملون بصير
فيعاملكم بما يناسب اعمالكم. خلق السموات والارض بالحق: بالحكمة البالغة
وصوركم فاحسن صوركم: فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة
حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات
وجعلكم انموذج جميع المخلوقات. واليه المصير: فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ
بالعذاب ظواهركم. يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون

والله عليم بذات الصدور. فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا
لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقدير القدرة على العلم لان دلالة
المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص
ببعض الانحاء. الم يأتكم. ايها الكفار. نبؤ الذين كفروا من قبل كقوم
هود وصالح. فذاقوا وبال امرهم. ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه نوح وم
الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار. ولهم عذاب
اليم. في الاخرة. ذلك. اي المذكور من الوبال والعذاب. بانه كانت
تأتيهم رسلهم بالبينات. بالمعجزات. فقالوا ابشر يهدوننا. انكروا و
تعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع. فكفروا. بالرسل و
تولوا. عن التدبر في البينات. واستغنى الله. عن كل شيء فضلا عن طاعتهم
والله غني. عن عبادتهم وغيرها. حميد. يدل على حمده كل مخلوق. زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا. الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما
ان بما في حيزه. قل بلى. اي بلى تبعثون. وربي لتبعثن. قسم اكد به الجواب
ثم لتنبؤن بما عملتم. بالمحاسبة والمجازاة. وذلك على الله يسير. لقبول
المادة وحصول القدرة التامة. فآمنوا بالله ورسوله. محمد صلى الله عليه و
سلم. والنور الذي انزلنا. فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه
وبيانه. والله بما تعملون خبير. فمجاز عليه. يوم يجمعكم. ظرف لتنبؤن او
مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم. ليوم الجمع. لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين. ذلك يوم التغابن. يغبن فيه بعضهم بعضا
لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من
تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة
لعظمها ودوامها. ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا. اي عملا صالحا. يكفر
عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا. وقرأ
نافع وابن عامر بالنون فيهما. ذلك الفوز العظيم. الاشارة الى المجموع الا
ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع

المنافع. والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير. كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له. ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله. الا بتقديره وارادته. ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات
والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب
على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اي يسكن. والله بكل شيء عليم. حتى القلوب
واحوالها. واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا
البلاغ المبين. اي فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ. الله
لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون. لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك
يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم. يشغلكم عن طاعة الله
او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا. فاحذروهم. ولا تأمنوا غوائلهم. وان تعفوا
عن ذنوبهم بترك المعاقبة. وتصفحوا. بالاعراض وترك التثريب عليها. وتغفروا
باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها. فان الله غفور رحيم. يعاملكم بمثل ما عملتم و
يتفضل عليكم. انما اموالكم واولادكم فتنة. اختبار لكم. والله عنده اجر عظيم
لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم. فاتقوا الله
ما استطعتم. اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم. واسمعوا. مواعظه و
اطيعوا اوامره. وانفقوا. في وجوه الخير خالصا لوجهه. خيرا لانفسكم. اي انفقوا
انفاقا خيرا لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر. ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون. سبق تفسيره. ان تقرضوا الله. بصرف المال فيما امره. قر ضا حسنا
مقرونا باخلاص وطيب قلب. يضاعفه لكم. يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة
واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم. ويغفر لكم. ببركة الانفاق
والله شكور. يعطي الجزيل بالقليل. حليم. لا يعاجل بالعقوبة. عالم الغيب
والشهادة. لا يخفى عليه شيء. العزيز الحكيم. تام القدرة
والعلم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية

وآيها اثنتا عشرة. بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي إذا طلقتم
النساء: خص النداء وعم الخطاب بالحكم لأنه إمام أمته فنداؤه كندائهم
أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف
له منزلة الشارع فيه. فطلقوهن لعدتهن: أي وقتها وهو الطهر فإن اللام في
الأزمان وما يشبهها للتوقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات
وظاهره يدل على أن العدة بالأطهار وأن طلاق المعتدة بالأقراء ينبغي أن يكون
في الطهر وأنه يحرم في الحيض من حيث إن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا
يدل على عدم وقوعه إذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر
رضي الله عنهما لما طلق امرأته حائضا أمره عليه الصلاة والسلام بالرجعة
وهو سبب نزوله. وأحصوا العدة: واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء
واتقوا الله ربكم: في تطويل العدة والإضرار بهن. لا تخرجوهن من بيوتهن
من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن. ولا يخرجن: باستبدادهن أما لو اتفقا
على الانتقال جاز إذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها
السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة
مستثنى من الأول والمعنى إلا أن يبذون على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط
حقها أو إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليها أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة
على أن خروجها فاحشة. وتلك حدود الله: الإشارة إلى الأحكام المذكورة
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه: بأن عرضها للعقاب. لا تدري
أي لا تدري النفس أو أنت أيها النبي أو المطلق. لعل الله يحدث بعد ذلك
أمرا: وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو استئناف. فإذا بلغن أجلهن
شارفن آخر عدتهن. فأمسكوهن: فراجعوهن. بمعروف: بحسن عشرة
وإنفاق مناسب. أو فارقوهن بمعروف: بإيفاء الحق واتقاء الضرار
مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها. وأشهدوا ذوي عدل منكم

منكم: على الرجعة أو الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله
وأشهدوا إذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة. وأقيموا الشهادة لله:
أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه. ذلكم: يريد الحث على الإشهاد و
الإقامة أو على جميع ما في الآية. يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فإنه
المنتفع به والمقصود تذكيره. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب: جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي
عنه صريحا أو ضمنا من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة وإخراجها من
المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على إقامتها بأن
يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا
من وجه لا يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز
بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه
صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرؤها ويعيدها وروي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا
أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا
بالله ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو
فاستاقها. ومن يتوكل على الله فهو حسبه: كافيه. إن الله بالغ أمره: يبلغ
ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالإضافة وقرئ بالغ أمره أي نافذ وبالغا على أنه حال
والخبر. قد جعل الله لكل شيء قدرا: تقديرا أو مقدارا أو أجلا لا يتأتى تغييره
وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والأمر
بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها. واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم: لكبرهن. إن ارتبتم: شككتم في عدتهن أي جهلتم. فعدتهن ثلاثة
أشهر: روي أنه لما نزل والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة
اللائي لا يحضن فنزلت. واللائي لم يحضن: أي واللائي لم يحضن بعد كذلك
وأولات الأحمال أجلهن: أي منتهى عدتهن. أن يضعن حملهن: وهو حكم
يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة

عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال
بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هنا بخلافه ثمه ولانه صح ان
سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه
تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه
ومن يتق الله: في احكامه فيراعي حقوقها. يجعل له من امره يسرا: يسهل
عليه امره ويوفقه للخير. ذلك: اشارة الى ما ذكر من الاحكام. امر الله انزله
اليكم ومن يتق الله: في احكامه فيراعي حقوقها. يكفر عنه سيئاته: فان
الحسنات يذهبن السيئات. ويعظم له اجرا: بالمضاعفة. اسكنوهن من
حيث سكنتم: اي مكانا من مكانكم. من وجدكم: من وسعكم اي مما تطيقونه
وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم. ولا تضاروهن: في السكنى لتضيقوا
عليهن: فتلجئوهن الى الخروج. وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن: فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة
بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده. فان ارضعن لكم: بعد انقطاع
علقة النكاح. فآتوهن اجورهن: على الارضاع. واتمروا بينكم بمعروف:
وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر. وان تعاسرتم: تضايقتم
فسترضع له اخرى: امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة. لينفق
ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله: اي لينفق كل من الموسر
والمعسر ما بلغه وسعه. لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها: فانه تعالى لا
يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال
سيجعل الله بعد عسر يسرا: اي عاجلا او آجلا. وكاين من قرية: اي
قرية. عتت عن امر ربها ورسله: اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند.
فحاسبناها حسابا شديدا: بالاستقصاء والمناقشة. وعذبناها عذابا
نكرا: منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق.
فذاقت وبال امرها: عقوبة كفرها ومعاصيها. وكان عاقبة امرها خسرا

خسرا لا ربح فيها اصلا. اعد الله لهم عذابا شديدا: تكرير للوعيد و
بيان لما يوجب التقوى المامور به في قوله. فاتقوا الله يا اولي الالباب
ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف
الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا. الذين آمنوا قد انزل الله اليكم
ذكرا رسولا: يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه
مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا عليه الصلوة والسلام لمواظبته على
تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل
ارسل او بذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة. يتلو عليكم آيات
الله مبينات: حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين. ليخرج
الذين آمنوا وعملوا الصالحات: اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن. من الظلمات الى النور: من
الضلالة الى الهدى. ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا: وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون. قد احسن
الله له رزقا: فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب. الله الذي خلق سبع
سموات: مبتدأ وخبر. ومن الارض مثلهن: اي وخلق مثلهن في العدد
من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر. يتنزل الامر بينهن: اي يجري امر
الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن. لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما: علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان
كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم

وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك: روي انه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة

نافع و م

او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية وقيل شرب
عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت. تبتغي مرضات ازواجك تفسير
لتحرم او حال من فاعله او استئناف لبيان الداعي اليه. والله غفور
لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله. رحيم: رحمك حيث لم يؤاخذك
به وعاتبك محاماة على عصمتك. قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم: قد
شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة
حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم
مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين
فيه كونه يمينا مع احتمال انه صلى الله عليه وسلم اتى بلفظ اليمين كما قيل. و
الله مولاكم: متولي امركم. وهو العليم: بما يصلحكم. الحكيم: المتقن
في افعاله واحكامه. واذ اسر النبي الى بعض ازواجه: يعني حفصة حديثا
تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما. فلما
نبأت به: اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث. واظهره الله عليه: و
اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشائه. عرف بعضه: عرف
الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت. واعرض عن بعض: عن اعلام
بعض تكرما او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي
بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق المسبب للسبب و
المخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم
الخبير: فانه اوفق للاعلام. ان تتوبا الى الله: خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات
للمبالغة في المعاتبة. فقد صغت قلوبكما: فقد وجد منكما ما يوجب التوبة و
هو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول صلى الله عليه وسلم بحب ما يحبه وكراهة ما
يكرهه. وان تظاهرا عليه: وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين: فلن يعدم من يظاهره من الله
والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه

قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه. والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون
وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالاضافة وقوله بعد
ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به. عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن: على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم
يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق
بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف. مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات او منقادات مصدقات. قانتات: مصليات او مواظبات
على الطاعة. تائبات: عن الذنوب. عابدات: متعبدات او متذللات
لامر الرسول صلى الله عليه وسلم. سائحات: صائمات سمي الصائم سائحا لانه
يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات. ثيبات وابكارا: وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم: بترك المعاصي وفعل الطاعات. واهليكم
بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين
على تغليب المخاطبين. نارا وقودها الناس والحجارة: نارا تتقد بهما اتقاد
غيرها بالحطب. عليها ملائكة: تلي امرها وهم الزبانية. غلاظ شداد: غلاظ
الاقوال شداد الافعال الشديده. لا يعصون الله ما امرهم: فيما مضى. ويفعلون
ما يؤمرون: فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون
به. يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون: اي يقال
لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم
يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا: بالغة في النصح وهو صفة التائب
فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة و
هي الخياطة كانها تنصح ما خرق من الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر
والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على
الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم

متعلق الكل على المعنى

وان تعزم على ان لا تعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ذكر
بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب
وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء. يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم
والذين آمنوا معه عطف على النبى صلى الله عليه وسلم احمادا لهم وتعريضا لمن
ناواهم وقيل مبتدا وخبره. نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط
يقولون اذا طفئ انوار المنافقين. ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على
كل شئ قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا
يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين بالحجة. واغلظ عليهم واستعمل الخشونة
بالسيف م
فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه. ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم
يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة
لحالهما. ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد تعظيم نوح ولوط. فخانتاهما
بالنفاق. فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج
اغناء ما. وقيل ادخلا اى لهما عند موتهما او يوم القيامة النار مع الداخلين
مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء. وضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال
آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله. اذ قالت
ظرف للمثل المحذوف. رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى
اعلى درجات المقربين. ونجنى من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيئ
ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم. ومريم ابنة عمران
عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل. التى احصنت فرجها من الرجال
فنفخنا فيه فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او الحمل. من روحنا من روح خلقناه
بلا توسط اصل. وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه
وكتابه ما كتب فى اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص وكتبه
بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل. وكانت من القانتين
من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم
تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم فيكون من ابتدائية. عن
النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية
بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله
توبة نصوحا

سورة الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر وآيها ثلثون
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك بقبضة قدرته
التصرف فى الامور كلها. وهو على كل شئ قدير على كل ما يشاء قدير. الذى
خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت
لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل. ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر بالتكليف ايها المكلفون. ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وعن ابن عمر
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا
لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا
فلا تعلق الفعل عنها بخلاف اذا وقعت موقع المفعولين. وهو العزيز الغالب
الذى لا يعجزه من اساء العمل. الغفور لمن تاب منهم. الذى خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا
على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او
طبقة كرحبة ورحاب. ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائى
من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب
من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع

فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى خلق مثل ذلك
بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور
متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا
فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور
الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك
ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة
المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة
وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض
بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون
بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير
للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى
هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها
رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر
سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق
بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب
جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب
على عذاب السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت
الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ
تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية
كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم
هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في
التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال

الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل
انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل
فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار
على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون
فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا
على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين
ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم
والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به الكفر
فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب
للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم
بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن
اعين الناس او بالخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر
دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور
بالضمائر قبل ان تعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر
من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه
الى ما ظهر من خلقه وما بطن او لا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد
بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون
فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله
محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم
السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط
التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض
في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا
من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم
من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على

ما ول من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى
في السماء وقرا ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها
وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع برواية ورش ورويس. ان
يخسف بكم الارض: فيغيبكم كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال
فاذا هي تمور: تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب. ام امنتم من في
السماء ان يرسل عليكم حاصبا: ان يمطر عليكم حصباء. فستعلمون كيف
نذير: كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير: انكاري عليهم بانزال العذاب
وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه. اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات: باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها
صففن قوادمها. ويقبضن: ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد
وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين
الاصيل في الطيران والطارئ عليه. ما يمسكهن: في الجو على خلاف الطبع
الا الرحمن: الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هياتهن
للجري في الهواء. انه بكل شيء بصير: يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب
امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن: عديل لقوله اولم يروا
على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم
بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه
فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذي بصلته صفته
وينصركم وصف لجند محمول على لفظه. ان الكافرون الا في غرور. امن هذا
لا معتمد لهم
الذي يرزقكم: ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم. ان امسك رزقه
بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم. بل لجوا: تمادوا
في عتو: عناد. ونفور: شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه. افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى: يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع

فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي
كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر
على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله: امن يمشي سويا
قائما سالما من العثار. على صراط مستقيم: مستوي الاجزاء او الجهة والمراد
تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين ولعل الاكتفاء بما في الكب من
الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا
كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب
وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا
الذي يحشر على قدميه الى الجنة. قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع: لتسمعوا
المواعظ. والابصار: لتنظروا صنائعه. والافئدة: لتتفكروا وتعتبروا
قليلا ما تشكرون: باستعمالها فيما خلقت لاجلها. قل هو الذي ذراكم في
الارض: للجزاء. واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد: اي الحشر او ما وعدوا
من الخسف والحاصب. ان كنتم صادقين: يعنون النبي صلى الله عليه وسلم و
المؤمنين. قل انما العلم: اي علم وقته. عند الله: لا يطلع عليه غيره. و
انما انا نذير مبين: والانذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه. فلما
راوه: اي الوعد فانه بمعنى الموعود. زلفة: ذا زلفة اي قرب منهم. سيئت
وجوه الذين كفروا: بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب. وقيل
هذا الذي كنتم به تدعون: تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون
ان لا بعث فهو من الدعوى. قل ارايتم ان اهلكني الله: اماتني. ومن معي من
المؤمنين. او رحمنا: بتاخير آجالنا. فمن يجير الكافرين من عذاب اليم: لا
ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون
قل هو الرحمن: الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها. آمنا به: للعلم بذلك
وعليه توكلنا: للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع. فستعلمون
وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار. من هو في ضلال مبين: منا ومنكم
وقرا الكسائي بالياء. قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا: غائرا في الارض بحيث

بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به. فمن يأتيكم بماء معين: جار او ظاهر
سهل المأخذ. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

سورة ن وهي مكية

وآيها ثنتان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم ن: من اسماء الحروف
وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة
فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه
وكتبته بصورة الحرف. والقلم: هو الذي خط اللوح او الذي يخط به
اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل
مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك
عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد. وما يسطرون: وما يكتبون
والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد
الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما
مصدرية او موصولة. ما انت بنعمة ربك بمجنون: جواب القسم والمعنى
مجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون
لان الباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى. وان لك لاجرا
على الاحتمال والابلاغ. غير ممنون: مقطوع او ممنون به عليك من الناس
فانه تعالى يعطيك بلا توسط. وانك لعلى خلق عظيم: اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله
امثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ
القرآن قد افلح المؤمنون. فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون: ايكم الذي فتن بالجنون
والباء مزيدة او بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او بأي
الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا
الاسم. ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله: وهم المجانين على الحقيقة. وهو
اعلم بالمهتدين: الفائزين بكمال العقل. فلا تطع المكذبين: تهييج للتصميم على
معاصاتهم. ودوا لو تدهن: تلاين بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم

فيه احيانا. فيدهنون: فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف
اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو
تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض
المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني. ولا تطع كل حلاف: كثير الحلف في
الحق والباطل مهين: حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة. هماز: عياب
مشاء بنميم: نقال للحديث على وجه السعاية. مناع للخير: يمنع الناس عن
الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح. معتد: متجاوز في الظلم. اثيم
كثير الاثم. عتل: جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة. بعد ذلك
بعدما عد من مثالبه. زنيم: دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من
اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة. ان كان ذا مال و
بنين. اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين: اي قال ذلك حينئذ لان
كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان
ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال
وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة
الثانية بين بين اي ألان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان
بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد
او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكأنه شرطه في الطاعة
سنسمه: بالكي. على الخرطوم: على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة
يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه
ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم
القيامة. انا بلوناهم: بلونا اهل مكة بالقحط. كما بلونا اصحاب الجنة: يريد بستانا
كان دون صنعاء لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك
لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم
شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها

وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال: اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين:
ليقطعنها داخلين في الصباح. ولا يستثنون: ولا يقولون ان شاء الله وانما
سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء
عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون
حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم. فطاف عليها: على الجنة. طائف: بلاء
طائف. من ربك: مبتدأ منه. وهم نائمون فاصبحت كالصريم: كالبستان
الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها و
اسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما
ينصرم عن صاحبه او كالرمال. فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم
اي اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال
او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء. ان كنتم
صارمين: قاطعين له. فانطلقوا وهم يتخافتون: يتشاورون فيما بينهم
وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش. ان لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين: ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن
الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا. وغدوا على
حرد قادرين: وغدوا قادرين على نكد من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت
الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم
بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان
كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على
حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من
امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على
صرامها وقيل علم للجنة. فلما راوها: اول ما راوها. قالوا انا لضالون: طريق
جنتنا وما هي بها. بل نحن: اي بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي. محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا. قال اوسطهم: رايا او سنا. الم اقل
لكم لولا تسبحون: لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا

على ذلك ويدل على هذا المعنى. قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن
ان يجري في ملكه ما لا يريده. فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون: يلوم بعضهم بعضا
فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره
قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين: متجاوزين حدود الله. عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها: ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها و
قرئ يبدلنا بالتخفيف. انا الى ربنا راغبون: راجون العفو طالبون الخير والى
لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع. كذلك العذاب: مثل ذلك الذي
بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا. ولعذاب الآخرة اكبر
اعظم منه. لو كانوا يعلمون: لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب. ان للمتقين
عند ربهم: اي في الآخرة او في جوار القدس. جنات النعيم: جنات
ليس فيها الا التنعم الخالص. افنجعل المسلمين كالمجرمين: انكار لقول الكفرة
فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون
احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا. ما لكم كيف تحكمون: التفات فيه تعجب
من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي
ام لكم كتاب: من السماء. فيه تدرسون: تقرؤون. ان لكم فيه لما تخيرون: ان
لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام
كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ
خيره. ام لكم ايمان علينا: عهود موكدة بالايمان. بالغة: متناهية في
التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين. الى يوم القيمة
متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك
اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم. ان لكم لما تحكمون: جواب القسم لان معنى
ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم. سلهم ايهم بذلك زعيم: بذلك الحكم قائم يدعيه
ويصححه. ام لهم شركاء: يشاركونهم في هذا القول. فليأتوا بشركائهم ان كانوا
صادقين: في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما

حكم ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل على استحقاقهم او وعد او محض تقليد على
الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء
يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان
يكون مما يشركون الله به . يوم يكشف عن ساق : يوم يشتد الامر و
يصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن
في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت
عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث
يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او
للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والمسند له الساعة او الحال
ويدعون الى السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقا
توبيخا على تركهم السجود صح
تها ان كان وقت النزع . فلا يستطيعون : لذهاب وقته او زوال القدرة عليه
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة : تلحقهم ذل . وقد كانوا يدعون الى
السجود : في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون : متمكنون منه مزاحو العلل
فيه . فذرني ومن يكذب بهذا الحديث : كله الي فاني اكفيكه . سنستدرجهم
سنستدنيهم من العذاب درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من
حيث لا يعلمون : انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضلا
لهم على المؤمنين . واملي لهم : وامهلهم . ان كيدي متين : لا يدفع بشيء
وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته . ام تسألهم اجرا
على الارشاد . فهم من مغرم : من غرامة . مثقلون : بحملها فيعرضون
عنك . ام عندهم الغيب : اللوح او المغيبات . فهم يكتبون : منه ما
يحكمون ويستغنون به عن علمك . فاصبر لحكم ربك : وهو امهالهم وتاخير
نصرتك عليهم . ولا تكن كصاحب الحوت : يونس . اذ نادى : في بطن
الحوت وهو مكظوم : مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه . لولا ان
تداركه نعمة من ربه : يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل و
قرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كا

كان يقال فيه تداركه . لنبذ بالعراء : بالارض الخالية عن الاشجار . وهو مذموم
مليم مطرود عن الرحمة والكرامة حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ
فاجتباه ربه : بان رد الوحي اليه او استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة
فجعله من الصالحين : من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى
وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم : ان هي المخففة واللام
دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون
يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره
الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد
عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت و
في الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص
بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك
اي ليهلكونك . لما سمعوا الذكر : اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم
ويقولون انه لمجنون : حيرة في امره وتنفيرا عنه . وما هو الا ذكر للعالمين
لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل
الناس عقلا وامتنهم رايا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية

وآيها احدى وخمسون . بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة : اي الساعة او الحالة
التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور
من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها . ما الحاقة : واصلها
ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه
اهول لها . وما ادراك ما الحاقة : واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها

فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادريك خبره. كذبت ثمود
وعاد بالقارعة: بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار و
الانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها. فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية: بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم
بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهي لا
يطابق قوله: واما عاد فاهلكوا بريح صرصر: اي شديد الصوت او البرد
من الصرير او الصر. عاتية: شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم
يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها. سخرها عليهم: سلطها
عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من
اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب. سبع ليال و
ثمانية ايام حسوما: متتابعات جمع حاسم من حسمت الداء اذا تابعت بكيها
او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان
يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي
تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبح اربعاء الى غروب
الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد
توارت في سرب فانتزعها الريح في الثامن فاهلكتها. فترى القوم: ان كنت
حاضرهم فيها: في مهابها او في الليالي والايام. صرعى: موتى جمع صريع. كانهم
اعجاز نخل: اصول نخل خاوية: متاكلة الاجواف. فهل ترى لهم من باقية
من بقية او نفس باقية او بقاء. وجاء فرعون ومن قبله: ومن تقدمه وقرا
البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه. والمؤتفكات
قرى قوم لوط والمراد اهلها. بالخاطئة: بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات
الخطاء. فعصوا رسول ربهم: اي فعصى كل امة رسولها. فاخذهم اخذة رابية
زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح. انا لما طغى الماء: جاوز حده المعتاد
او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله. حملناكم: اباءكم وانتم في
اصلابهم في الجارية: في سفينة نوح. لنجعلها لكم: لنجعل الفعلة وهي انجاء

المؤمنين واغراق الكافرين. تذكرة: عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال
قهره ورحمته. وتعيها: وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها
بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك. اذن
واعية: من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر فيه و
العمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم
الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف. فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة: لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها
وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى
الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم. وحملت الارض
والجبال: رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة
فدكتا دكة واحدة: فضرب الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فتصير
الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا
لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء
للمتسعة المستوية. فيومئذ: فحينئذ وقعت الواقعة: قامت القيامة. وانشقت
السماء: لنزول الملائكة. فهي يومئذ واهية: ضعيفة مسترخية. والملك:
والجنس المتعارف بالملك على ارجائها: جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل
لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان
على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك. ويحمل عرش ربك فوقهم: فوق الملائكة
الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم. يومئذ ثمانية: ثمانية
املاك لما روي انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى
وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد
من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال: يومئذ تعرضون
تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية
لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفخات والصعقة والنشور والحساب و

ادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل. لا تخفى منكم خافية:
سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة
في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء. فاما
من اوتي كتابه بيمينه: تفصيل للعرض. فيقول: تبجحا. هاؤم اقرؤوا كتابيه
ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان
وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لانه
اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه اذ الاولى اضماره حيث
امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف و
تسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل. اني
ظننت اني ملاق حسابيه: اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح
في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية
غالبا. فهو في عيشة راضية: ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها
مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم. في جنة عالية:
مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار. قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر. دانية: يتناولها
القاعد. كلوا واشربوا: باضمار القول وجمع الضمير للمعنى. هنيئا:
اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا. بما اسلفتم: بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية: الماضية من ايام الدنيا. واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة. يا ليتني لم اوت كتابيه ولم
ادر ما حسابيه يا ليتها: يا ليت الموتة التي متها. كانت القاضية: القاطعة
لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي فانه لما
صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة
ولم اخلق حيا. ما اغنى عني ماليه: مالي من المال والتبع وما للنفي والمفعول محذوف
او استفهام انكار مفعول لاغنى. هلك عني سلطانيه: ملكي وتسلطي على
الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا. خذوه: يقوله الله لخزنة النار. فغلوه

فغلوه ثم الجحيم صلوه: ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان
يتعظم على الناس. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا: اي طويلة
فاسلكوه: فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر
على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر
انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة. انه كان لا يؤمن بالله العظيم
تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق
للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك. ولا يحض على طعام المسكين: ولا يحث
على بذل طعامه او اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض
للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف
الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله و
اشنع الرذائل البخل وقسوة القلب. فليس له اليوم هاهنا حميم: قريب
يحميه. ولا طعام الا من غسلين: غسالة اهل النار وصديدهم فعلين
من الغسل. لا ياكله الا الخاطئون: اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا
تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء
والخاطون بطرحها. فلا اقسم: لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او
فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف. بما تبصرون
وما لا تبصرون: بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات
باسرها. انه لقول رسول: يبلغه عن الله فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول
عن نفسه. كريم: على الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل. وما هو بقول
شاعر: كما تزعمون تارة. قليلا ما تؤمنون: تصدقون لما ظهر لكم صدقه
تصديقا قليلا لفرط عنادكم. ولا بقول كاهن: كما تزعمون اخرى. قليلا
ما تذكرون: تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي
الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره
الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله
عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير و

مصدوق بالرد فيهما. تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان
جبريل. ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافترا تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين بيمينه. ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب
عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان
ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة
فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه
عام والخطاب للناس. وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم
المنتفعون. وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم. وانه
لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المومنين. وانه لحق اليقين لليقين
الذى لا ريب فيه. فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها
له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية

وايها اربع واربعون بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب
واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل
نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال
فاسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم
استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السوال على لغة قريش
قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت و
لم تصب او من السيلان ويويده انه قرى سال سيل على ان السيل مصدر
بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما
فى الدنيا وهو قتل بدر او الاخرة وهو عذاب النار. للكافرين صفة
اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السوال كان عمن يقع به العذاب

العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم. ليس له دافع
يرده. من الله من جهته لتعلق ارادته به. ذى المعارج ذى المصاعد وهى
الدرجات التى تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المومنون
فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون
فيها. تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة
استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها
بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى
الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار
خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان
ما بين اسفل العالم واعلى العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض
ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات
السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة
يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع
او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته
على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة و
الروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة. فاصبر صبرا جميلا
لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السوال كان عن
استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر و
بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام. انهم يرونه
الضمير للعذاب او ليوم القيمة. بعيدا عن الامكان. ونريه قريبا منه
او من الوقوع. يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون او
لمضمر دل عليه واقع او بدل عن فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات
او دردى الزيت. وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال
مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح
ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن كثير ولا يسال

على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله. يبصرونهم
استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما
يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضمير لعموم الحميم. يود
المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه: حال من احد الضميرين
او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس
واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
لانه بمعنى تعذيب. وفصيلته: وعشيرته الذين فصل عنهم. التي تؤويه: تضمه
في النسب او عند الشدائد. ومن في الارض جميعا: من الثقلين والخلائق. ثم ينجيه
عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد. كلا: ردع للمجرم
عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه. انها: الضمير للنار او مبهم يفسره
لظى: وهو خبر او بدل او للشان ولظى مبتدأ خبره. نزاعة للشوى: وهو
اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب
على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى
الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس. تدعو: تجذب وتحضر كقول
ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل
تدعو زبانيتها وقيل تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه. من ادبر عن الحق و
تولى: عن الطاعة. وجمع فاوعى: وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا
وتاميلا. ان الانسان خلق هلوعا: شديد الحرص قليل الصبر. اذا مسه
الشر: الضر. جزوعا: يكثر الجزع. واذا مسه الخير: السعة. منوعا:
يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها
طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا.
الا المصلين: استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعده من المطبوعين
على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة
على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف
من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب

حب العاجل وقصور النظر عليها. الذين هم على صلاتهم دائمون: لا يشغلهم
عنها شاغل. والذين في اموالهم حق معلوم: كالزكوات والصدقات الموظفة.
للسائل: الذي يسأل. والمحروم: والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم. والذين
يصدقون بيوم الدين: تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله
طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين. والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون: خائفون على انفسهم. ان عذاب ربهم غير مامون: اعتراض
يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذاب الله وان بالغ في طاعته. والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين: سبق
تفسيره في سورة المؤمنين. فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون
وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق
العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع. والذين هم على صلاتهم
يحافظون: فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة
ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي
نظم هذه الصلات مبالغة لا تخفى. اولئك في جنات مكرمون: بثواب
الله. فمال الذين كفروا قبلك: حولك. مهطعين: مسرعين. عن اليمين و
عن الشمال عزين: فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة
تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله
عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه. ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم: بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما
في الدنيا. كلا: ردع لهم عن هذا الطمع. انا خلقناهم مما يعلمون: وما بعده
الى آخر السورة تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او
انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ
في منازل الكاملين او استدلال بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية

حافظون م

شرفها

امستي بوميض مجاز المرتعه
من ذي الفوارس تدعو انفه الربب
[illegible]

التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد رده عليهم. فلا اقسم
برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم: ان نهلكهم
ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم وهو خير منكم وهم
الانصار. وما نحن بمسبوقين: بمغلوبين ان اردنا. فذرهم يخوضوا و
يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا
مر في اخر الطور. سراعا مسرعين جمع سريع. كانهم الى نصب: منصوب
للعبادة او علم. يوفضون: يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه
تخفيف نصب او جمع. خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة: مر تفسيره.
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون: عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح وهي مكية

وآيها تسع وثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى
قومه ان انذر: بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة
لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول. ان انذر قومك
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم: عذاب الاخرة او الطوفان. قال يا قوم
اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون: مر في الشعراء نظيره
وان يحتمل الوجهان. يغفر لكم من ذنوبكم: بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام
يجب ما قبله فلا يؤاخذكم به في الاخرة. ويؤخركم الى اجل مسمى: هو اقصى ما قدر لكم
بشرط الايمان والطاعة. ان اجل الله: ان الاجل الذي قدره. اذا جاء
على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول. لا يؤخر: فبادروا الى
اوقات الامهال. لو كنتم تعلمون: لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك
وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت. قال رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا: اي دائما. فلم يزدهم دعائي الا فرارا
عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم

ايمانا. واني كلما دعوتهم: الى الايمان لتغفر لهم: بسببه جعلوا
اصابعهم في اذانهم: سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة. واستغشوا
ثيابهم: تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا
اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة. واصروا: اكبوا على الكفر و
المعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها. واستكبروا
عن اتباعي. استكبارا: عظيما. ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا: اي دعوتهم مرة بعد اخرى كرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت
الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والتراخي
بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر
محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا. فقلت
استغفروا ربكم: بالتوبة عن الكفر. انه كان غفارا: للتائبين وكانهم لما امرهم
بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا
من عصيناه. فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم
عليه بما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم
القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار
عما كانوا عليه بقوله. يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا. ولذلك شرع الاستغفار في
الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي
في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين. ما لكم لا ترجون
لله وقارا: لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال
تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا
تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع
لادنى الظن مبالغة. وقد خلقكم اطوارا: حال مقررة للانكار من حيث انها
موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات
تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما

ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم
بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من
آيات الآفاق فقال: الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا: اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن
لما بينهن من الملابسة. وجعل الشمس سراجا: مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الارض كما يزيلها السراج عما حوله. والله انبتكم من الارض نباتا: انشاكم منها فاستعير
الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا
فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية. ثم يعيدكم فيها: مقبورين. ويخرجكم
اخراجا: بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبداء
وانها تكون لا محالة. والله جعل لكم الارض بساطا: تتقلبون عليها. لتسلكوا منها
سبلا فجاجا: واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ. قال نوح رب انهم
عصوني: فيما امرتهم به. واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا: واتبعوا
رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة
خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم ادت بهم الى
الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن
والحزن او جمع كالاسد. ومكروا: عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا
كبارا: كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذاك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على
اذى نوح. وقالوا لا تذرن آلهتكم: اي عبادتها. ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا: ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين
كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما
طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث
لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب
ومنع صرفهما للعلمية والعجمة. وقد اضلوا كثيرا: الضمير للرؤساء او للاصنام
لقوله انهن اضللن كثيرا. ولا تزد الظالمين الا ضلالا: عطف على رب انهم
عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر

امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر. مما خطيئاتهم
وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم. اغرقوا: بالطوفان. فادخلوا نارا
المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال
او لان المسبب كالمتعقب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم
او لان المراد نوع من النيران. فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا: تعريض لهم باتخاذ
آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم. وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار
ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا. انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا: قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف
سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم. رب اغفر لي ولوالدي: لمك بن
متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين. ولمن دخل بيتي: منزلي او
مسجدي او سفينتي. مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات: الى يوم القيمة. ولا
تزد الظالمين الا تبارا: هلاكا. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلاة والسلام

سورة الجن وهي مكية

وآيها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي: وقرئ احي واصله
وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله. انه استمع نفر
من الجن: والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها
وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم
في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم. فقالوا انا
سمعنا قرآنا: كتابا. عجبا: بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه
وهو مصدر وصف به للمبالغة. يهدي الى الرشد: الى الحق والصواب. فآمنا
به: بالقرآن. ولن نشرك بربنا احدا: على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد

وانه تعالى جد ربنا : قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول
وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانه من
جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استيناف او
مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان كان من قولهم معطوف
على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقنا وانه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد
فلان من عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى
وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله : ما
اتخذ صاحبة ولا ولدا : بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق
ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطا ما اعتقدوه من الشرك و
اتخاذ الصاحبة والولد . وانه كان يقول سفيهنا : ابليس او مردة الجن
على الله شططا : قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط
لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى . وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا : اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا
لا يكذب على الله وكذبا نصب بالمصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف
اي قولا مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون
الا كذبا . وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن : فان الرجل
كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه . فزادوهم
فزاد الجن باستعاذتهم بهم . رهقا : كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس
غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشي . و
انهم : وان الانس ظنوا كما ظننتم : ايها الجن او بالعكس والايتان من
كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما
من الموحى به . ان لن يبعث الله احدا : ساد مسد مفعولي ظنوا . وانا لمسنا
السماء : طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه . فوجدناها ملئت حرسا : حراسا
اسم جمع كالخدم . شديدا : قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها . وشهبا : جمع

وصدقنا انه

باتباعهم

جمع شهاب وهو المضي المتولد من النار . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة
لنقعد او صفة لمقاعد . فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا : اي شهابا
راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم
جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات . وانا لا ندري اشر اريد بمن في
الارض : بحراسة السماء . ام اراد بهم ربهم رشدا : خيرا . وانا منا
الصالحون : المؤمنون الابرار . ومنا دون ذلك : قوم دون ذلك فحذف
الموصوف وهم المقتصدون . كنا طرائق : ذوي طرائق اي مذاهب او
مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق . قددا : متفرقة
مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع . وانا ظننا : علمنا . ان لن نعجز الله في
الارض : كائنين في الارض اينما كنا فيها . ولن نعجزه هربا : هاربين منها الى السما
او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا . وانا لما سمعنا
الهدى : اي القران . امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف : فهو لا يخاف وقرئ فلا
يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به . بخسا ولا رهقا
نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق
ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك . وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون : الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة . فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا : توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب . واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا : توقد بهم كما توقد بكفار الانس . وان لو استقاموا
اي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما . على الطريقة لاسقينا
على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر
لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب . لنفتنهم فيه : لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة
ونعذبهم في كفرانه . ومن يعرض عن ذكر ربه : عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه

هم ماء غدقا

يسلكه عذابا صعدا: شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به
وان المساجد لله: مختصة به. فلا تدعوا مع الله احدا: فلا تعبدوا
فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد
بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل
المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود
لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد. وانه لما قام عبد
الله: اي النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع
موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه. يدعوه: يعبده. كادوا:
كاد الجن. يكونون عليه لبدا: متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته
وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو
جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام
جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود. قال
انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا: فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او
اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ليوافق
ما بعده. قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا: ولا نفعا او غيا ولا رشدا
عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين. قل اني
لن يجيرني من الله احد: ان اراد بي سوءا. ولن اجد من دونه ملتحدا: منحرفا
او ملتجأ. الا بلاغا من الله: استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد
وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان
لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب. ورسالاته: عطف على بلاغا ومن الله
صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية. ومن يعص الله ورسوله: في الامر
بالتوحيد اذ الكلام فيه. فان له نار جهنم: وقرئ فان على فجزاؤه ان
خالدين فيها ابدا: جمعه للمعنى. حتى اذا راوا ما يوعدون: في الدنيا كوقعة
بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف
دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له. فسيعلمون من

جمع الارب وهو العضو

اضعف ناصرا واقل عددا: هو ام هم. قل ان ادري: ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا: غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن
لا ادري وقته. عالم الغيب: هو عالم الغيب. فلا يظهر: فلا يطلع. على غيبه
احدا: اي على الغيب المخصوص به علمه. الا من ارتضى: لعلم بعضه حتى يكون له
معجزة. من رسول: بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه
تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بتوسطه وكرامات الاولياء على
المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط
فانه يسلك من بين يديه: من بين يدي المرتضى. ومن خلفه رصدا: حرسا من
الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم. ليعلم ان قد ابلغوا:
اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله
انهم قد ابلغوا بمعنى ليتعلق علمه به موجودا. رسالات ربهم: كما هي محروسة
من التغيير. واحاط بما لديهم: بما عند الرسل. واحصى كل شيء عددا:
حتى القطر والرمل. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له
بعدد كل جني صدق محمدا او كذب عتق رقبة

سورة المزمل مكية

وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل
اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد
قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه
سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه
بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزل او تشبيها له
في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي
الذي تحمل اعباء النبوة. قم الليل: اي قم الى الصلاة او داوم عليها و

وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف. الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه: الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه. ورتل القران ترتيلا: اقراه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا. انا سنلقي عليك قولا ثقيلا: يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد النظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله. ان ناشئة الليل: ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحدا. وقيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشات اذا ابتدات. هي اشد وطا: اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب للسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص. واقوم قيلا: واسد مقالا او

التفليج كشاده كردن دندانها

الرزانة

مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات. ان لك في النهار سبحا طويلا: تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه. واذكر اسم ربك: ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران ودراسة علم. وتبتل اليه تبتيلا: وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا. رب المشرق والمغرب: خبر محذوف او مبتدا خبره. لا اله الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو. فاتخذه وكيلا: مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور. واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا: بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال. وذرني والمكذبين: دعني واياهم وكل الي امرهم فاني غنية عنك في مجازاتهم. اولي النعمة: ارباب التنعم يريد صناديد قريش. ومهلهم قليلا: زمانا او امهالا. ان لدينا انكالا: تعليل للامر والنكل القيد الثقيل. وجحيما وطعاما ذا غصة: طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم. وعذابا اليما: ونوعا اخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله. يوم ترجف الارض والجبال: تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل. وكانت الجبال كثيبا: رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته. مهيلا: منثورا من هيل هيلا اذا نثر. انا ارسلنا اليكم رسولا: يا اهل مكة. شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع. كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني

موسى لم العهد لان المقصود لم يتعلق. فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره
فاخذناه اخذا وبيلا: ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرى لثقله ومنه
الوابل للمطر العظيم. فكيف تتقون: انفسكم ان كفرتم: بقيتم على الكفر
يوما: عذاب يوم. يجعل الولدان شيبا: وهذا على الفرض او التمثيل و
اصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف
اليوم بالطول. السماء منفطر: منشق والتذكير على تاويل السقف و
اضمار شئ. به: بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها
والباء للالة. وكان وعده مفعولا: الضمير لله عز وعلا او لليوم على اضافة
المصدر الى المفعول. ان هذه: الايات الموعودة. تذكرة: عظة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا: اي يتقرب اليه بسلوك التقوى. ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه: استعار الادنى للاقل لان
الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب
عطفا على ادنى. وطائفة من الذين معك: ويقوم ذلك جماعة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار: لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم
اسمه مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله. علم ان لن تحصوه
اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات. فتاب عليكم
بالترخيص ترك القيام المقدر ورفع التبعة. فاقرؤا ما تيسر من القران
فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر
اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم
نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القران بعينه كيفما تيسر عليكم. علم ان
سيكون منكم مرضى: استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف
ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال. وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله: والضرب في الارض ابتغاء الفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم
وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه: واقيموا الصلوة
المفروضة. وآتوا الزكوة: الواجبة. واقرضوا الله قرضا حسنا: يريد

يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخيرات او باداء الزكوة على احسن وجه
والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله. وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله هو خيرا واعظم اجرا: من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من
متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة
ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر. واستغفروا
الله: في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط. ان الله غفور رحيم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا
والآخرة

سورة المدثر

وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر: المتدثر
وهو لابس الدثار روي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت
عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على العرش بين السماء والارض
يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبرئيل
فقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه
متفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات
النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ
المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به. قم: من مضجعك او قم قيام عزم وجد
فانذر: مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين
او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا. وربك فكبر: و
خصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء
فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فكبر ربك او الدلالة على
ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب
معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به. و
ثيابك فطهر: من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها

وذلك بغسلها وحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها
وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق
الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره
باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من
الحقد والضجر وقلة الصبر. والرجز فاهجر: واهجر العذاب بالثبات على
هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم
وهو لغة كالذكر. ولا تمنن تستكثر: ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار و
وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله
صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص و
الضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف
او الابدال من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب
على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال
عملها كما روي احضر الوغى بالرفع. ولربك: ولوجهه او امره. فاصبر:
فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين. فاذا
نقر في الناقور: في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله
القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب
تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله. فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين: فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك
اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل او ظرف لخبره
اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير. غير يسير: تاكيد يمنع ان
يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين. ذرني و
من خلقت وحيدا: نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء و
اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم

اوذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما او اراد انه وحيد ولكن في الشر
او عن ابيه لانه كان زنيما. وجعلت له مالا ممدودا: مبسوطا كثيرا او ممدا
بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة. وبنين شهودا: حضورا
معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته
ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم
واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة
خالد وعمارة وهشام. ومهدت له تمهيدا: وبسطت له الرياسة
والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة
والتقدم. ثم يطمع ان ازيد: على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه اما لانه
لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك
قال. كلا انه كان لآياتنا عنيدا: فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على
سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة عن الزيادة
قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك. سارهقه صعودا:
سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله
عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك
ابدا. انه فكر وقدر: تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل
طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه. فقتل كيف قدر: تعجب من تقديره
استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما
اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك
روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال
لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى
فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه
حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل
رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر

فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا مستعجبين منه . ثم
قتل كيف قدر : تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد
على اصلها . ثم نظر : اى فى امر القران مرة بعد اخرى . ثم عبس : قطب
وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم وقطب فى وجهه . وبسر : اتباع لعبس . ثم ادبر : عن الحق او الرسول و
استكبر : عن اتباعه . فقال ان هذا الا سحر يؤثر : يروى ويتعلم والفاء
للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر
ان هذا الا قول البشر : كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها
سأصليه سقر : بدل من سارهقه صعودا . وما ادراك ما سقر : تفخيم لها
وقوله لا تبقى ولا تذر : بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم
والمعنى لا تبقى على شىء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه . لواحة للبشر : مسودة لاعالى
الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص . عليها تسعة عشر : ملكا
او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية
فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم
سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد و
والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف
يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه و
يتولاه ملك او صنف وان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوة
فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ
تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة عشر
جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم وجمع عشر فيكون تسعين
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة : ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم
ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله وروى ان ابا جهل
لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت

فنزلت . وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا : وما جعلنا عددهم الا
العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على
انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم
ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن
تعليله بقوله . ليستيقن الذين اوتوا الكتاب : اى ليكتسبوا اليقين بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما فى كتابهم
ويزداد الذين امنوا ايمانا : بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب . ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون : اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة
الايمان ونفى لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة . وليقول الذين فى قلوبهم
مرض : شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة . والكافرون
الجازمون فى التكذيب . ماذا اراد الله بهذا مثلا : اى شىء اراد بهذا العدد
المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب . كذلك
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء : مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى
يضل الكافرين ويهدى المؤمنين . وما يعلم جنود ربك : جموع خلقه على ما
هم عليه . الا هو : اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها و
صفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة و
ما هى : وما سقر او عدة الخزنة او السورة . الا ذكرى للبشر : الا تذكرة لهم . كلا
ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها . والقمر والليل اذ ادبر : اى ادبر كقبل
بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضى . والصبح اذا
اسفر : اضاء . انها لاحدى الكبر : لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة
وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف
كالتاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم و
تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد لاحدى الكبر . نذيرا للبشر : انذارا
حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر : بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير

فرون

والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان تتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر. كل نفس بما كسبت رهينة: مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق
للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين. الا اصحاب اليمين: فانهم
فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال. في جنات
لا يكتنه وصفها وهو حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن
المجرمين: اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه
اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر: بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين
اجابوا بها. قالوا لم نك من المصلين: الصلاة الواجبة. ولم نك نطعم
المسكين: ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل ان الكفار مخاطبون بالفروع. وكنا
نخوض مع الخائضين: نشرع في الباطل مع الشارعين فيه. وكنا نكذب بيوم
الدين: اخره لتعظيمه اي كنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة. حتى اتانا اليقين
الموت ومقدماته. فما تنفعهم شفاعة الشافعين: لو شفعوا لهم جميعا
فما لهم عن التذكرة معرضين: اي معرضين عن التذكير يعني القران او ما يعمه ومعرضين
حال. كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة: شبههم في اعراضهم ونفارهم
عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة: قراطيس تنشر وتقرا وذلك
انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء
فيها من الله الى فلان اتبع محمدا. كلا: ردع عن اقتراحهم الايات. بل لا يخافون
الاخرة: فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف. كلا: ردع
عن اعراضهم. انه تذكرة: اي تذكرة. فمن شاء ذكره: فمن شاء ان يذكره
ذكره. وما يذكرون الا ان يشاء الله: ذكرهم او مشيتهم لقوله وما تشاؤن الا
ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرا نافع تذكرون بالتاء
وقرئ بهما مشددا. هو اهل التقوى: حقيق بان يتقى عقابه. واهل
المغفرة: حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم. عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات
حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية

وآيها تسع وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة
ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس
لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر قد مر الكلام في قوله
فلا اقسم بمواقع النجوم. ولا اقسم بالنفس اللوامة: المتقية التي تلوم
النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان
اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي
انه عليه الصلوة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها
يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت
قصرت او بنفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى القيمة
لان المقصود من اقامتها مجازاتها. ايحسب الانسان: يعني الجنس واسناد
الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك
او يجمع الله هذه العظام. الن نجمع عظامه: بعد تفرقها وقرئ ان لن
يجمع على البناء للمفعول. بلى: نجمعها. قادرين على ان نسوي بنانه: نجمع
سلامياته وضم بعضها الى البعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار
العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل
الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون. بل يريد الانسان
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون
الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام. ليفجر امامه: ليدوم على فجوره
فيما يستقبله من الزمان. يسأل ايان يوم القيمة: متى يكون استبعادا
واستهزاء. فاذا برق البصر: تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق
فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه

وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح . وخسف القمر : وذهب ضوءه وقرئ
على بناء المفعول . وجمع الشمس والقمر : في ذهاب الضوء او الطلوع
من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على
امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح
الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف . يقول الانسان يومئذ اين
المفر : اي الفرار يقول قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا : ردع عن طلب المفر . لا وزر : لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه
من الوزر وهو الثقل . الى ربك يومئذ المستقر : اليه وحده استقرار
العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشا
الجنة ومن يشاء النار . ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر : بما قدم
من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم عمله وما اخر من سنة عمل بها بعده او
بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره . بل الانسان على
نفسه بصيرة : حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز
او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء . ولو القى معاذيره : ولو جاء بكل
ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير
في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر . لا تحرك : يا محمد به : بالقرآن
لسانك : قبل ان يتم وحيه . لتعجل به : لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك
ان علينا جمعه : في صدرك . وقرآنه : واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي
فاذا قراناه : بلسان جبريل عليك . فاتبع قرآنه : قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ
في ذهنك . ثم ان علينا بيانه : بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل
على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب
العاجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف
بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات فقيل الانسان المذكور
والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به

من عمله

الخطاب مع

تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا
قراناه فاتبع قراءته بالاقرار او التامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه . كلا
ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله : بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة : تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال
وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر
والبصريين بالياء فيهما . وجوه يومئذ ناضرة : بهية متهللة . الى ربها ناظرة : تراه
مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا
في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى
الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان
الانتظار لا يستعقب العطاء . ووجوه يومئذ باسرة : شديدة العبوس والباسل
ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه . تظن : تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة : داهية تكسر الفقار . كلا : ردع عن ايثار الدنيا على
الآخرة . اذا بلغت التراقي : اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها
من غير ذكر لدلالة الكلام عليها . وقيل من راق : وقال حاضرو صاحبها من يرقيه
مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب
من الرقي . وظن انه الفراق : وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا و
محابها . والتفت الساق بالساق : والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها
او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة . الى ربك يومئذ المساق : سوقه
الى الله وحكمه . فلا صدق : ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه
ولا صلى : ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان . و
لكن كذب وتولى : عن الطاعة . ثم ذهب الى اهله يتمطى : يتبختر افتخارا
بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو
الظهر فانه يلويه . اولى لك فاولى : ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه
واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب

صلى الله عليه وسلم

كان في من ودله فعل من آل الأول بمعنى عقبك النار. ثم أولى لك فأولى أي تكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى. أيحسب الإنسان أن يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث أن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة. ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله. فجعل منه الزوجين الصنفين. الذكر والأنثى وهو استدلال آخر بالإبداء على الإعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال سبحانك بلى. وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا

سورة الإنسان مكية

وآيها إحدى وثلاثون. بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل لقوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم. حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود. لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الإنسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالإنسان الجنس لقوله إنا خلقنا الإنسان من نطفة أو آدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه. من نطفة أمشاج أخلاط جمع مشيج أو مشج من مشجت الشيء إذا خلطته وجمع النطفة لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كأعشار وأكياش وقيل ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرا أو أطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة. نبتليه في موضع الحال أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء. فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات

الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله إنا هديناه السبيل أي نصب الدلائل وإنزال الآيات. إما شاكرا وإما كفورا حالان من الهاء وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه في حاليه جميعا أو مقسوما إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل وإشعارا بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالبا وإنما المؤاخذ به التوغل فيه. إنا أعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون وأغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر سلاسلا للمناسبة. إن الأبرار جمع بر أو بار كأرباب وأشهاد. يشربون من كأس من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه. كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوج به. عينا بدل من كافورا إن جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف أي ماء عين أو خمرها أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها. يشرب بها عباد الله أي ملتذا أو ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة أو بمعنى من لأن الشرب مبتدأ منها كما هو. يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا إجراء سهلا. يوفون بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لله كان أوفى بما أوجبه الله عليه. ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي. ويطعمون الطعام على حبه حب الله أو الطعام أو الإطعام. مسكينا ويتيما وأسيرا يعني أسارى الكفار فإنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو الأسير المؤمن فيدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك

الاسير فاحسن الى اسيرك. انما نطعمكم لوجه الله: على ارادة القول بلسان الحال
او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله
عنها انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء
دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله. لا نريد منكم جزاء و
لا شكورا: اى شكرا. انا نخاف من ربنا: فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب
المكافاة منكم. يوما: عذاب يوم. عبوسا: تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد
العبوس في ضراوته. قمطريرا: شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من قمطرت
الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة. فوقيهم
الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه. ولقاهم نضرة وسرورا
بدل عبوس الفجار وحزنهم. وجزاهم بما صبروا: بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال. جنة: بستانا ياكلون منه. وحريرا
يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك
فنذر علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها وفضة جارية لهما صوم ثلث ان
برا فشفيا وما معهم شي فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري
ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص
فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فاثروه وباتوا لم يذوقوا
الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فاثروه
ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة و
قال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك. متكئين فيها على الارائك:
حال من هم في جزاهم او صفة لجنة. لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا:
يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء
معتدل لا حار محمي ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة
ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواها مضيء
بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر. ودانية عليهم ظلالها: حال او صفة اخرى معطو

معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين
لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال
او صفة. وذللت قطوفها تذليلا: معطوف على ما قبله او حال من دانية
وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا
ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب: واباريق بلا عروة. كانت
قوارير قوارير من فضة: اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها
وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى
لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير. قدروها تقديرا: اي قدروها
في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة
فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف
شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا
من قدر منقولا من قدرت الشيء. ويسقون فيها كاسا كان مزاجها
زنجبيلا: ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب
الممزوج به. عينا فيها تسمى سلسبيلا: لسلاسة انحدارها في الحلق و
سهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم
بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل
اصله سل سبيلا سميت به كتابط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها
سبيلا بالعمل الصالح. ويطوف عليهم ولدان مخلدون: دائمون
اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا: من صفاء الوانهم وانبثاثهم في
مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض. واذا رايت ثم:
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع
رايت نعيما وملكا كبيرا: واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف
اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار
قدس الجبروت. عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق: يعلوهم ثياب

الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم
او ملكا على تقدير مضاف اي اهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع
على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه
اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابن عامر بالعكس وقرأهما
نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة و
الفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب. وحلوا
اساور من فضة: عطف على يطوف عليهم ولا تخالفه قوله اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوا بايديهم حليا وانوارا تتفاوت
تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا
يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين. وسقاهم ربهم شرابا
طهورا: يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه
الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات
الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه
وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار. ان هذا كان
لكم جزاء: على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم. وكان سعيكم
مشكورا: مجازى عليه غير مضيع. انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به. فاصبر
لحكم ربك: بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم. ولا تطع منهم آثما او كفورا: اي
كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة
على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه
اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان تكون المطاوعة
في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور. واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا: وداوم على ذكره او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر
فان الاصيل يتناولهما. ومن الليل فاسجد له: وبعض الليل فصل له ولعل

ابو عمرو و

المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص. وسبحه ليلا طويلا: وتهجد له طائفة طويلة
ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم: امامهم او خلف ظهورهم
يوما ثقيلا: شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل
لما امر به ونهى عنه. نحن خلقناهم وشددنا اسرهم: واحكمنا ربط
مفاصلهم بالاعصاب. واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا: واذا
شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية
ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعي
ان هذه تذكرة: الاشارة الى السورة او الآيات القريبة. فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا: تقرب اليه بالطاعة. وما تشاؤون الا ان يشاء الله
وما تشاؤون ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر يشاؤون بالياء. ان الله كان عليما: بما يستأهل كل احد. حكيما
لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته. يدخل من يشاء في رحمته: بالهداية و
التوفيق للطاعة. والظالمين اعد لهم عذابا اليما: نصب الظالمين بفعل
يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ
بالرفع على الابتداء. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى
كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية

وآيها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في
امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من
العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين
او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب
والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق

والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء او بالنفوس الكاملة المرسلة الى
الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء
ففرقن بين الحق بذاته والباطل بنفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا
بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن
فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان
العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما
نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من
عرف الفرس وانتصابه على الحال. عذرا او نذرا: مصدران لعذر اذا محا
الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار
او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا
للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك و
الايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص
بالتخفيف. انما توعدون لواقع: جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه
من مجيء القيامة كائن لا محالة. فاذا النجوم طمست: محقت او ذهب نورها
واذا السماء فرجت: صدعت. واذا الجبال نسفت: كالحب
ينسف بالمنسف. واذا الرسل اقتت: عين لها وقتها الذي يحضرون غربال
فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها
الذي كانت تنتظره وقرا ابو عمرو وقتت على الاصل. لاي يوم اجلت
اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله
ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت. ليوم الفصل
بيان ليوم التاجيل. وما ادراك ما يوم الفصل: ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله.
ويل يومئذ للمكذبين: اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار
فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او
صفته. الم نهلك الاولين: كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من
هلكه بمعنى اهلكه. ثم نتبعهم الآخرين: اي ثم نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ

بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب
وموسى. كذلك: مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين: بكل من اجرم. ويل يومئذ
للمكذبين: بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين
بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد
حسن شائع في كلام العرب. الم نخلقكم من ماء مهين: نطفة مذرة ذليلة
فجعلناه في قرار مكين: هو الرحم. الى قدر معلوم: الى مقدار معلوم من الوقت
قدره الله للولادة. فقدرنا: على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع
والكسائي بالتشديد. فنعم القادرون: نحن. ويل يومئذ للمكذبين: بقدرتنا
على ذلك او على الاعادة. الم نجعل الارض كفاتا: كافتة اسم لما يكفت اي
يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت
كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها. احياء
وامواتا: منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم
بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل
على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات
ما لا ينبت. وجعلنا فيها رواسي شامخات: جبالا ثوابت طوالا والتنكير
للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير. واسقيناكم ماء فراتا: بخلق
الانهار والمنابع فيها. ويل يومئذ للمكذبين: بامثال هذه النعم. انطلقوا
اي يقال لهم انطلقوا. الى ما كنتم به تكذبون: من العذاب. انطلقوا:
خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم بالامر اضطرارا. الى
ظل: يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم. ذي ثلث شعب: يتشعب لعظمه
كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن
انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة
الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره
ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره. لا ظليل:
تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل. ولا يغني من اللهب. انها ترمي بشرر كالقصر

أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة
وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع
قصرة كحاجة وحوج وانها الشعب. كأنه جمالات صفر: فان الشرار لما
من النار يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة و
الاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة
الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة
وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده و
التفافه. ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون: اي بما يستحق فان النطق
بما لا ينفع كلا نطق او يشمي من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ
بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ
للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه
مطلقا ولو جعله جوابا لدل على عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان
لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل: بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين
تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون: تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين
في الدنيا واظهار لعجزهم. ويل يومئذ للمكذبين: اذ لا حيلة لهم في التخلص من
العذاب. ان المتقين: من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين. في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون: مستقرون في انواع الترفه. كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون: اي مقولا لهم ذلك. انا كذلك نجزي المحسنين: في العقيدة
والعمل. ويل يومئذ للمكذبين: يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد. كلوا
وتمتعوا قليلا انكم مجرمون: حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال
يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع
القليل على النعيم المقيم. ويل يومئذ للمكذبين: حيث عرضوا انفسهم للعذاب
الدائم بالتمتع القليل. واذا قيل لهم اركعوا: اطيعوا واخضعوا وصلوا
او اركعوا في الصلاة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة. وقيل هو يوم القيامة حين

جمع جمال او جمالة
جمع جمل

يدعون الى السجود فلا يستطيعون. لا يركعون: لا يمتثلون واستدل به
على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع. ويل يومئذ للمكذبين
فبأي حديث بعده: بعد القرآن. يؤمنون: اذ لم يؤمنوا به وهو معجز
في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة. قال صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ

وآيها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون: اصله عن ما
فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته
خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم
اي يدعونهم ويرونهم وللتسائل. عن النبإ العظيم: بيان للشأن المفخم او
صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه. الذي هم فيه
مختلفون: بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار. كلا سيعلمون: ردع
عن التساؤل ووعيد عليه. ثم كلا سيعلمون: تكرير للمبالغة وثم للاشعار
بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث
والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون. الم
نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا: تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب
صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا
وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه. وخلقناكم
ازواجا: ذكرا وانثى. وجعلنا نومكم سباتا: قطعا عن الاحساس والحركة
استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين
ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا. وجعلنا الليل لباسا: غطاء
يستتر بظلمته من اراد الاختفاء. وجعلنا النهار معاشا: وقت

معاشا تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا
فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور
الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار
اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس و
انزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية
اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات
الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه و
يؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه و
ثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا
ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا
ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق
او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضر وخضراء واخضار او
ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان ميقاتا حدا توقت به
الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور
بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور
الى المحشر روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف
من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم
يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون
جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل
السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء

في علم الله او في حكمه

العلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس
الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء
وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت
من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال
اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال
ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا
موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين لحرسهم
فانها مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد
الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام
الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح
لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها
اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك
الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان
كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا
بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا
ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه
الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا
يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق
ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق
رؤوس الاي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك
جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من
وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء و
كذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء
وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم
كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة
او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى
كاذبين ومكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة
فيكون صفة المصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه. وكل شيء احصيناه: وقرئ
بالرفع على الابتداء. كتابا: مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة
يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او
صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله. فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا:
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات
للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار. ان للمتقين
مفازا: فوزا او موضع فوز. حدائق واعنابا: بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة بدل الاشتمال او البعض. وكواعب: نساء فلكت ثديهن
اترابا: لدات. وكاسا دهاقا: ملآنا وادهق الحوض ملأه. لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا: وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا
يكذب بعضهم بعضا. جزاء من ربك: بمقتضى وعده. عطاء: تفضلا
اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به
حسابا: كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم
وقرئ حسابا بالتشديد اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك. رب السموات و
الارض وما بينهما: بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء
الرحمن: صفته وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب ورفع الرحمن
على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره. لا يملكون منه خطابا: والواو لاهل
السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او
عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك
لا ينافي الشفاعة باذنه. يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا: تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون

يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم
يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف
يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على
الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة. ذلك اليوم الحق
الكائن لا محالة. فمن شاء اتخذ الى ربه: الى ثوابه. مآبا: بالايمان والطاعة
انا انذرناكم عذابا قريبا: يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت
قريب ولان مبدأه الموت. يوم ينظر المرء ما قدمت يداه: يرى ما قدمه
من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه. ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا: في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر
الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها. عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات مكية

وآيها خمس او ست واربعون. بسم الله الرحمن الرحيم. والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا: هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح
الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان
او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق
من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج
الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى
الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان تهيئها لادراك ما اعد لها من الآلام
واللذات او الاوليان لهم اي لملائكة الموت والباقيات لطوائف من الملائكة
يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره

صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك
حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا
خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة
فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت
العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها
من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس
الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا
من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق
الى حظاير القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها
فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء
فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة
او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون
في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم
فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار
الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر
اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه. يوم
ترجف الراجفة: وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي
تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او
الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى. تتبعها الرادفة:
التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موضع
الحال. قلوب يومئذ واجفة: شديدة الاضطراب من الوجيف
وهي صفة القلوب والخبر. ابصارها خاشعة: اي ابصار اصحابها
ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب. يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة: في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان
في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة

عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال
حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة. ائذا كنا: وقرا نافع وابن عامر
والكسائي اذا كنا على الخبر. عظاما نخرة: بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو
والشامي وحفص وروح نخرة وهو ابلغ. قالوا تلك اذا كرة خاسرة: ذات
خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون
لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم. فانما هي زجرة واحدة: متعلق بمحذوف
اي لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة يعني النفخة الثانية. فاذا هم
بالساهرة: فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها
والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا
وقيل اسم لجهنم. هل اتاك حديث موسى: اليس قد اتاك حديثه فيسليك
على تكذيب قومك وتهددهم بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى: قد مر بيانه في سورة طه
اذهب الى فرعون انه طغى: على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء
من معنى القول. فقل هل لك الى ان تزكى: هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر و
الطغيان وقرا الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد. واهديك الى
ربك: وارشدك الى معرفته. فتخشى: باداء الواجبات وترك المحرمات
اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا
فاراه الآية الكبرى: اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب
العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالآية الواحدة. فكذب وعصى: فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور
الآية وتحقق الامر. ثم ادبر: عن الطاعة. يسعى: ساعيا في ابطال امره
او ادبر بعدما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه. فحشر: فجمع السحرة او
جنوده. فنادى: في المجمع بنفسه او بمناد. فقال انا ربكم الاعلى: اعلى
كل من يلي امركم. فاخذه الله نكال الآخرة والاولى: اخذا منكلا لمن

رآه أو سمعه في الآخرة بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق أو على كلمته الآخرة
وهي هذه وكلمته الأولى وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري أو للتنكيل فيهما
أو لهما ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله. إن في ذلك لعبرة
لمن يخشى: لمن كان من شأنه الخشية. أأنتم أشد خلقا: أصعب
خلقا. أم السماء: ثم بين كيف خلقها فقال بناها: ثم بين البناء فقال
رفع سمكها: أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب في
العلو رفيعا. فسواها: فعدلها أو فجعلها مستوية أو فتممها بما يتم به كمالها
من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره إذا أصلحه. وأغطش
ليلها وأخرج ضحاها: وأبرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار
والأرض بعد ذلك دحاها: بسطها ومهدها للسكنى. أخرج منها ماءها
بتفجير العيون. ومرعاها: ورعيها وهو في الأصل لموضع الرعي وتجريد الجملة
عن العاطف لأنها حال بإضمار قد أو بيان للدحو. والجبال أرساها
أثبتها وقرئ الأرض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لأن العطف
على فعلية. متاعا لكم ولأنعامكم: تمتيعا لكم ولمواشيكم. فإذا جاءت
الطامة: الداهية التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي. الكبرى: التي هي أكبر
الطامات وهي القيامة أو النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة
إلى الجنة وأهل النار إلى النار. يوم يتذكر الإنسان ما سعى بأن يراه
مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أو طول المدة وهو بدل من إذا جاءت
وما موصولة أو مصدرية. وبرزت الجحيم: وأظهرت. لمن يرى: لكل أحد بحيث
لا تخفى على أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله إذا
رأتهم من مكان بعيد أو أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لمن يراه من
الكفار وجواب فإذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر أو ما بعده
من التفصيل. فأما من طغى حتى كفر. وآثر الحياة الدنيا: فانهمك فيها
ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس. فإن الجحيم هي المأوى
هي مأواه واللام فيه سادّ مسدّ الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي

الطاغي وهي فصل أو مبتدأ. وأما من خاف مقام ربه: مقامه بين يدي ربه
لعلمه بالمبدأ والمعاد. ونهى النفس عن الهوى: لعلمه بأنه مرد. فإن الجنة
هي المأوى: ليس له سواها مأوى. يسألونك عن الساعة أيان مرساها
متى إرساؤها أي إقامتها وإثباتها أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة
وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه. فيم أنت من ذكراها: في أي شيء أنت من
أن تذكر وقتها لهم أي ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فإن ذكرها
لهم لا يزيدهم إلا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم إنكار
لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف معناه أنت ذكر من ذكراها أي علامة
من أشراطها فإن إرساله خاتما للأنبياء أمارة من أماراتها وقيل إنه
متصل بسؤالهم والجواب. إلى ربك منتهاها: أي منتهى علمها. إنما
أنت منذر من يخشاها: إنما بعثت لإنذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لأنه المنتفع به وعن أبي عمرو منذر
بالتنوين والإعمال على الأصل لأنه بمعنى الحال. كأنهم يوم يرونها لم
يلبثوا: أي في الدنيا أو في القبور. إلا عشية أو ضحاها: أي عشية
يوم أو ضحاه كقوله إلا ساعة من نهار ولذلك أضاف الضحى إلى العشية
لأنهما من يوم واحد. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
النازعات كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

سورة عبس مكية

وهي احدى اربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن
جاءه الأعمى: روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام فقال يا رسول الله علمني مما
علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه و
سلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على

جمع صنديد وهو السيد

المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على
اختلاف المذهبين وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك
وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه
وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى
لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي اي شيء يجعلك داريا
بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او
يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر
اي انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت
عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما
من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ
ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي
وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك
الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك
يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة
الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى و
تلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني
وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن
معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران
للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة
فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة
القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة
او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي
بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف
يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين
على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان

الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه
في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان
لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب
عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن
امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة
للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها
ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة و
الاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت
النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته كلا ردع للانسان
عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره
الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع
للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية
احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا
الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى
السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة
سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها
ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من ابّ
اذا امّ لانه يؤم وينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة
تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها
طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها
مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته

وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم
بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل
من ابويه بل من صاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه. وجوه يومئذ مسفرة
مضيئة من اسفر الصبح. ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم
ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة. ترهقها قترة يغشاها
سواد وظلمة. اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر
الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه الصلوة و
السلام من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك
مستبشر

سورة التكوير مكية

وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس
كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد
رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الافاق وزال اثره او القيت عن
فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع و
ارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل
واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر
او اظلمت من كدرت الماء فانكدر. واذا الجبال سيرت عن وجه الارض
او في الجو واذا العشار النوق اللاتي على حملهن عشرة اشهر
جمع عشراء. عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر
وقرئ بالتخفيف. واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت
للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس
حشرتهم وقرئ بالتشديد. واذا البحار سجرت احميت او
ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا
ملاه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف. واذا

النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها
او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين. واذا الموءودة
المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من
اجلهن. سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى
بقوله تعالى انت قلت للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وقرئ
قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية. واذا الصحف نشرت
يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت
فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد
للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير. واذا السماء
كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت
واعتقاب القاف والكاف كثير. واذا الجحيم سعرت اوقدت
ايقادا شديدا وقرا نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد. واذا
الجنة ازلفت قربت من المؤمنين. علمت نفس ما احضرت جواب اذا
وانما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي
قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل
لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير
من جرادة. فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر
وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس
اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه
وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر. والليل اذا عسعس اقبل ظلامه
او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر. والصبح
اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم. انه ان القرآن
لقول رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله. ذي قوة كقوله شديد
القوى. عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة. مطاع في ملائكته
ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما

للامانة وبعضها لها على سائر الصفات. وما صاحبكم بمجنون: كما
تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي عليه الصلوة والسلام
وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام
به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما. ولقد رآه: ولقد رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل. بالافق المبين: بمطلع الشمس الاعلى
وما هو: وما محمد. على الغيب: على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب
بظنين: بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر
بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من
اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره
والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا. وما هو بقول
شيطان رجيم: بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة
وسحر. فاين تذهبون: استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول
صلى الله عليه وسلم والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب. ان هو
الا ذكر للعالمين: تذكير لمن يعلم. لمن شاء منكم ان يستقيم: بتحري الحق
وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير
وما تشاؤن: الاستقامة يا من يشاؤها. الا ان يشاء الله: الا وقت
ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم. رب العالمين
مالك الخلق كله. قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة التكوير
اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار

وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت
انشقت. واذا الكواكب انتثرت: تساقطت متفرقة. واذا
البحار فجرت: فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا. واذا
القبور بعثرت: قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء

وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى. علمت نفس ما قدمت
من عمل او صدقة. واخرت: من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير
التضييع وهو جواب اذا. يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم: اي
شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار
فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع و
العاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام فربك كريم لا يعذب
احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته
لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه. الذي خلقك فسويك فعدلك
صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه
ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل
جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعد له من القوى
وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت
او صرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات. في اي صورة
ما شاء ركبك: اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية و
ركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان
لعدلك. كلا: ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين
اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون: تحقيق لما يكذبون
ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله
لتعظيم الجزاء. ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم: بيان لما يكتبون
لاجله. يصلونها: يقاسون حرها. يوم الدين وما هم عنها بغائبين
لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون
سمومها في القبور. وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين
تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار. يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله: تقرير لشدة هوله اجمالا ورفع

والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت

هوله وفخامته

ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال
عليه الصلوة والسلام من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد
كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المطففين مكية

مختلف فيها وآيها ست وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم ويل
للمطففين: التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي
حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي
الحديث خمس بخمس نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا
بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت
ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة
الا حبس عنهم القطر. الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون: اي اذا
اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على
ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم. واذا كالوهم او
وزنوهم: اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم. يخسرون: فحذف الجار و
اوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او
كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل
تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف
حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف
بعد الواو كما هو خط المصحف في نظايره. الا يظن اولئك انهم
مبعوثون: فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف بمن تيقنه
وفيه انكار وتعجب من حالهم. ليوم عظيم: عظمه لعظم ما يكون فيه. يوم
يقوم الناس: نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القرائة
بالجر. لرب العالمين: لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم
بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن

عن التطفيف وتعظيم اثمه. كلا: ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث و
الحساب. ان كتاب الفجار: ما يكتب من اعمالهم. لفي سجين: كتاب
جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال. وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم
مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب
لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم
المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف. ويل يومئذ
للمكذبين: بالحق او بذلك. الذين يكذبون بيوم الدين: صفة مخصصة او موضحة
او ذامة. وما يكذب به الا كل معتد: متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى
استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة. اثيم: منهمك في
الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين: من فرط جهله واعراضه عن الحق
فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل. كلا: ردع عن هذا القول
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون: رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى
هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدا على قلوبهم
فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال صلى
الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه و
الرين الصدا وقرا حفص بل ران باظهار اللام. كلا: ردع عن الكسب
الرائن. انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون: فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية
جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل
رحمة ربهم او قرب ربهم. ثم انهم لصالوا الجحيم: ليدخلون النار ويصلون بها
ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون: تقوله لهم الزبانية. كلا: تكرير للاول ليعقب
بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر
او ردع عن التكذيب. ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون
كتاب مرقوم: الكلام فيه ما مر في نظيره. يشهده المقربون: يحضرونه
فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة. ان الابرار لفي نعيم على الارائك

على الأرائك في الحجال ينظرون: إلى ما يسرهم من النعم والمتفرجات
تعرف في وجوههم نضرة النعيم: بهجة التنعم وبريقه وقرئ تعرف
على بناء المفعول ونضرة بالرفع. يسقون من رحيق: شراب خالص
مختوم ختامه مسك: أي مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته
أو الذي له ختام أي مقطع رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء أي
ما يختم به ويقطع. وفي ذلك: يعني الرحيق أو النعيم. فليتنافس المتنافسون
فليرتغب المرتغبون. ومزاجه من تسنيم: علم لعين بعينها سميت تسنيما
لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها. عينا يشرب بها المقربون: فإنهم
يشربونها صرفا لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب
عينا على المدح أو الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله
إن الذين أجرموا: يعني رؤساء قريش. كانوا من الذين آمنوا يضحكون: كانوا
يستهزؤون بفقراء المؤمنين. وإذا مروا بهم يتغامزون: يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون بأعينهم. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين: ملتذين بالسخرية
منهم وقرأ حفص فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون: و
إذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال. وما أرسلوا عليهم: على المؤمنين
حافظين: يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم. فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون: حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار و
قيل يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا أغلق دونهم
فيضحك المؤمنون منهم. على الأرائك ينظرون: حال من يضحكون. هل
ثوب الكفار: هل أثيبوا. ما كانوا يفعلون: وقرأ حمزة والكسائي
بإدغام اللام في الثاء. قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين
سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية

وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت
بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله تعالى عنه

تنشق من المجرة. وأذنت لربها: واستمعت له أي انقادت لتأثير
قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له. وحقت
أي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق. و
إذا الأرض مدت: بسطت بأن تزال جبالها وآكامها. وألقت ما فيها: ما
في جوفها من الكنوز والأموات. وتخلت: وتكلفت في الخلو أقصى جهدها
حتى لم يبق شيء في باطنها. وأذنت لربها: في الإلقاء والتخلية. وحقت
للإذن وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف
للتهويل بالإبهام أو الاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار أو لدلالة
قوله: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه: عليه وتقديره
لاقى الإنسان كدحه أي جهد يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه فملاقيه وما بينهما
إنك كادح إلى ربك اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه. وأما من أوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا: سهلا لا يناقش فيه. وينقلب
إلى أهله مسرورا: إلى عشيرته المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور. وأما من أوتي
كتابه وراء ظهره: أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى
عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورا: يتمنى الثبور ويقول
يا ثبوراه وهو الهلاك. ويصلى سعيرا: وقرأ الحجازيان والشامي و
الكسائي ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصله جهنم. إنه كان
في أهله في الدنيا مسرورا: بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة. إنه
ظن أن لن يحور: أن لن يرجع إلى الله. بلى: إيجاب لما بعد لن. إن ربه كان
به بصيرا: عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه. فلا أقسم بالشفق
الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب وعن أبي حنيفة رضي الله عنه البياض
الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة. والليل وما وسق: وما جمعه وستره من
الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن
سائقا أو طرده إلى أماكنه من الوسيقة. والقمر إذا اتسق: اجتمع وتم بدرا
لتركبن طبقا عن طبق: حالا بعد حال مطابقة لأختها في الشدة وهو لما

طبقا عن طبق فعيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي
الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ
او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال
ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس
وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او
مجاوزين له. فما لهم لا يؤمنون: بيوم القيمة. واذا قرئ عليهم القران لا
يسجدون: لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه صلى الله
عليه وسلم قرا واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق
فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن
سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله
ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون: اي القران. والله اعلم بما يوعون: بما
يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة. فبشرهم بعذاب اليم: استهزاء
بهم. الا الذين امنوا وعملوا الصالحات: استثناء منقطع او
متصل والمراد من تاب وامن منهم. لهم اجر غير ممنون: مقطوع او ممنون
به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت
اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية

وايها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات
البروج: يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا
لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور
واليوم الموعود: يوم القيمة. وشاهد ومشهود: ومن يشهد في ذلك اليوم
من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي شاهد

شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت
كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او
الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده
او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر وعرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه
يشهد له او كل يوم واهله. قتل اصحاب الاخدود: قيل انه جواب
القسم على حذف اللام للطول والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون
يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على
اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود والخد هو الشق
في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه
ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب
اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأل الملك عمن ابرأه فقال ربي
فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار
وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه
في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك
لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله
رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فامن الناس فامر باخاديد
واوقدت فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه
اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس
خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد
النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير
فاحرق في الاخاديد من لم يرتد. النار: بدل من الاخدود بدل الاشتمال
ذات الوقود: صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود
للجنس. اذ هم عليها: على حافة النار. قعود: قاعدون. وهم على ما

صلى الله عليه وسلم

يفعلون بالمؤمنين شهود: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يفرط فيما
امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وما نقموا منهم: وما انكروا منهم. الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد
استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم. بهن فلول من
قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى
ثوابه وقرر ذلك بقوله. الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء
شهيد: للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد. ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات: بلوهم بالاذى. ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم: بكفرهم. و
لهم عذاب الحريق: العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين
فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار
ذلك الفوز الكبير: اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه. ان بطش ربك لشديد
مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف. انه هو يبدئ ويعيد: يبدئ الخلق
ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة. وهو الغفور
لمن تاب. الودود: المحب لمن اطاع. ذو العرش: خالقه وقيل المراد
بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك. المجيد: في ذاته وصفاته
فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او
للعرش ومجده علوه وعظمته. فعال لما يريد: لا يمتنع عليه مراد من افعاله و
افعال غيره. هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود: ابدلهما من الجنود لان
المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم وما حاق بهم فتسل واصبر
على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم. بل الذين كفروا في تكذيب: لا
يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا
قصتهم وراوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم. والله من ورائهم محيط
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط. بل هو قرآن مجيد: بل هو الذي
كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن

رب مجيد. في لوح محفوظ: من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة
للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه
اللوح. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه
الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية

سبع عشرة آية. بسم الله الرحمن الرحيم. والسماء والطارق: والكوكب
البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي
فيه. وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب: المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ
فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم
فسره بما يخصه تفخيما لشانه. ان كل نفس لما عليها: اي ان الشان كل نفس لعليها
حافظ: رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم
لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم. فلينظر الانسان
مم خلق: لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر في مبدئه
ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته. خلق من ماء دافق
جواب الاستفهام وما دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من
المائين في الرحم لقوله. يخرج من بين الصلب والترائب: من صلب الرجل وترائب
المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم وتنفصل عن جميع
الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف
بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها
ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع
وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني
فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة
صالب. انه على رجعه لقادر: والضمير للخالق ويدل عليه خلق. يوم تبلى السرائر
تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه
فما له: فما للانسان. من قوة: من منعة في نفسه يمتنع بها. ولا ناصر: يمنعه. و

السماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع
المطر سمي به كما سمي أوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء
من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات
الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون انه اي
القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم
يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا و
اقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين
فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا
والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية

وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه
اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء
وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى في الحديث لما نزل فسبح باسم ربك
العظيم قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى
قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم
لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى
خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى
فوجهه الى افعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال
الآيات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته
غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته
سنقرئك على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اي
اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما س

ستعمل وقوعه كذلك انه من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله
السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة
وقيل المراد به القلة والندرة لما روى انه عليه الصلوة والسلام اسقط آية
في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان
راسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما
بطن او جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاح
من ابقاء او انساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ
الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف
على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الامر ان
نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول
الياس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار
او لذم المذكرين واستبعاد تاثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما
يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ
وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف
والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من
الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى
نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار
جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة
تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء
او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى
لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق
للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة
الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للاشقين على
الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو
بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل

لا الفلاح له. ان هذا لفي الصحف الاولى: الاشارة الى قوله
قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة. صحف ابراهيم و
موسى: بدل من الصحف الاولى. قال عليه الصلوة والسلام من قرأ
سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله
الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث
الغاشية: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله
وتغشى وجوههم النار. وجوه يومئذ خاشعة: ذليلة. عاملة ناصبة: تعمل
ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود
والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها
يومئذ. تصلى نارا: تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تُصلى من اصلاه
الله وقرئ تُصَلّى بالتشديد للمبالغة. حامية: متناهية في الحر. تسقى من
عين آنية: بلغت اناها في الحر. ليس لهم طعام الا من ضريع: يبيس الشبرق و
هو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام
هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل
وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال: لا يسمن ولا يغني من جوع: والمقصود
من الطعام احد الامرين. وجوه يومئذ ناعمة: ذات بهجة او متنعمة.
لسعيها راضية: رضيت بعملها لما رأت ثوابه. في جنة عالية: علية
المحل او القدر. لا تسمع: يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول
بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع. فيها لاغية: لغوا او كلمة ذات
لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم. فيها عين جارية: يجري ماؤها
ولا ينقطع والتنكير للتعظيم. فيها سرر مرفوعة: رفيعة السمك او القدر.
واكواب: جمع كوب وهو اناء لا عروة له. موضوعة: بين ايديهم ونمارق
وسائد جمع نمرقة بالضم والفتح. مصفوفة: بعضها الى بعض. وزرابي

زرابي: وبسط فاخرة جمع زربية. مبثوثة: مبسوطة. افلا ينظرون
نظر اعتبار. الى الابل كيف خلقت: خلقا دالا على كمال قدرته وحسن
تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل
ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار و
ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري
والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات
المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها
اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة
والى السماء كيف رفعت: بلا عمد. والى الجبال كيف نصبت
فهي راسخة لا تميل. والى الارض كيف سطحت: بسطت حتى صارت
مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع
المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب
به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال: فذكر انما انت مذكر: فلا
عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ. لست عليهم
بمصيطر: بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام
الا من تولى وكفر: لكن من تولى وكفر. فيعذبه الله العذاب الاكبر: يعني
عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم
بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله
فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول
انه قرئ الا على التنبيه. ان الينا ايابهم: رجوعهم وقرئ بالتشديد
على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعّال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها
في ديوان ثم الثانية للادغام. ثم ان علينا حسابهم: في المحشر
وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد. عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر

وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر: أقسم بالصبح
أو فلقه كقوله والصبح إذا تنفس أو بصلاته. وليال عشر: عشر ذي الحجة ولذلك
فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال
بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام. والشفع والوتر: والأشياء كلها
شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لأنه فرد
ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك والبروج والسيارات أو شفع الصلوات
ووترها أو بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر
من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا في الدين أو مناسبة
لما قبلها أو أكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو
وهما لغتان كالحبر والحبر. والليل إذا يسر: إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر
والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو
يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا و
قد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير
ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الإطلاق. هل في ذلك:
القسم أو المقسم به. قسم: حلف أو محلوف. لذي حجر: يعتبره ويؤكد
ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من
الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله
ألم تر كيف فعل ربك بعاد: يعني أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام
بن نوح قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه. إرم: عطف بيان
لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم وقيل
سمي أوائلهم وهم عاد الأولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث. ذات
العماد: ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات
وقيل لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر

لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها
في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم فلما تم سار إليها بأهله فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله
بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها. التي لم يخلق مثلها في البلاد
صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة. و
ثمود الذين جابوا الصخر: قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من
الجبال بيوتا. بالواد: وادي القرى. وفرعون ذي الأوتاد: لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد
الذين طغوا في البلاد: صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب
أو مرفوع. فأكثروا فيها الفساد: بالكفر والظلم. فصب عليهم ربك
سوط عذاب: ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وإنما سمي
الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل
شبه بالسوط ما أحل بهم في الدنيا إشعارا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في
الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف. إن ربك لبالمرصاد:
المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو
تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب. فأما الإنسان: متصل بقوله إن
ربك لبالمرصاد كأنه قيل إنه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها فأما
الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها. إذا ما ابتلاه ربه: اختبره بالغنى واليسر
فأكرمه ونعمه: بالجاه والمال. فيقول ربي أكرمن: فضلني بما أعطاني
وهو خبر المبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف
المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه
بالإنعام وكذا قوله: وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه: إذ التقدير
وأما الإنسان إذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه. فيقول
ربي أهانن: لقصور نظره وسوء فكره فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة
الدارين إذ التوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا و

لذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق
لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال
لا يكون اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله
ووافقهم نافع في الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد. بل لا تكرمون اليتيم ولا
تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال او
هو انهم لا يكرمون اليتيم بالتفقد والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم
وتاكلون التراث: الميراث واصله وراث. اكلا لما: ذا لم اي جمع بين الحلال
والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك. وتحبون المال حبا جما: كثيرا مع حرص
وشره. كلا: ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه. اذا دكت الارض
دكا دكا: دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا. و
جاء ربك: اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان
من آثار هيبته وسياسته. والملك صفا صفا: بحسب منازلهم ومراتبهم. و
جيء يومئذ بجهنم: كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها. يومئذ: بدل من اذا دكت
والعامل فيهما يتذكر الانسان: اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها
فيندم عليها. وانى له الذكرى: اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به
على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة. يقول يا ليتني قدمت
لحياتي: هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على
استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه. فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد: الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه
اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي
ويعقوب على بناء المفعول. يا ايتها النفس المطمئنة: على ارادة القول وهي
التي اطمانت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب
لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة

التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها. ارجعي الى ربك
الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان
موجودة في عالم القدس او بالبعث. راضية: بما اوتيت. مرضية: عند
الله. فادخلي في عبادي: في جملة عبادي الصالحين. وادخلي جنتي
معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرآة المتقابلة
او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي عددت
لك. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر
غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية

وآيها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد: اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه
وسلم اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل
تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من
النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح. ووالد وما ولد: عطف على هذا البلد و
الوالد آدم او ابراهيم عليهما السلام. وما ولد: ذريته او محمد صلى الله عليه و
سلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله تعالى والله اعلم بما
وضعت. لقد خلقنا الانسان في كبد: تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا
اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم
ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
بما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب: لبعضهم الذي كان يكابد
منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم
عكاظي فيجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان
ان لن يقدر عليه احد: فينتقم منه. يقول: اي في ذلك الوقت. اهلكت
مالا لبدا: كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او
معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم. ايحسب ان لم يره احد: حين كان

ينفق ويعدد ذلك فيسأل عنه يعني أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه
ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره
وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب و
غيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع
فلا اقتحم العقبة أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد
والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام في قوله وما
أدريك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة
أو مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع
لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا
والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في
النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على
الإبدال من اقتحم وقوله وما أدريك ما العقبة اعتراض معناه أنك لم تدر كنه
صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو فك بثم
لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات
به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى و
تواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله أولئك
أصحاب الميمنة اليمن أو اليمين والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه
دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم أصحاب المشأمة الشمال
أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن
لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته و
أغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من آصدته عن النبي صلى الله عليه و
سلم من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من
غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية

وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها ضوؤها

ضوؤها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك و
الضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر إذا تليها تلا
طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور
والنهار إذا جليها جلى الشمس فإنها تنجلي إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا
أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشيها يغشى الشمس
فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو
الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه
معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها
في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين
مختلفين والسماء وما بنيها ومن بناها وإنما أوثرت على من لإرادة
معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته
بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله والأرض وما طحيها ونفس
وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله
فألهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها إلا أن يضمر فيها اسم الله للعلم
وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم والإلهام الفجور والتقوى
إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما قد أفلح من زكيها أنماها
بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل
النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته
وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على
الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر
أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها
نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت
بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية
ثمود بطغويها
وأصله طغيا وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم

كالرجعى. اذ انبعث: حين قام ظرف لكذبت او طغوى. اشقاها: اشقى
ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تمالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل
اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر. فقال لهم رسول
الله ناقة الله: اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها. وسقياها: فلا
تذودوها عنها. فكذبوه: فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا
فعقروها فدمدم عليهم ربهم: فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة
مدمومة اذا البسها الشحم. بذنبهم: بسببه. فسواها: فسوى الدمدمة
بينهم او عليهم فلم تفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم او ثمود بالاهلاك. ولا يخاف
عقباها: اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء
والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف. عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه
الشمس والقمر

اثر عادته

سورة والليل مكية

وآيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى
اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه. والنهار اذا تجلى: ظهر
بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس. وما خلق الذكر والانثى: والقادر الذي خلق
صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء عليهما السلام وقيل ما
مصدرية. ان سعيكم لشتى: ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى: تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من
اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد
فسنيسره لليسرى: فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر
الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام. واما من بخل: بما امر به. واستغنى
بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى. وكذب بالحسنى: بانكار مدلولها. فسنيسره
للعسرى: للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار. وما يغني عنه
ماله: نفي او استفهام انكار. اذا تردى: هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة

حفرة القبر او قعر جهنم. ان علينا للهدى: للارشاد الى الحق بموجب قضائنا
او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل. وان
لنا للآخرة والاولى: فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدي
او فلا يضرنا ترككم الاهتداء. فانذرتكم نارا تلظى: تتلهب. لا يصلاها: لا
يلزمها مقاسيا شدتها. الا الاشقى: الا الكافر فان الفاسق ان دخلها
لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله. الذي كذب وتولى: اي كذب
الحق واعرض عن الطاعة. وسيجنبها الاتقى: الذي اتقى الشرك والمعاصي
فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك
دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق. الذي
يؤتي ماله: يصرفه في مصارف الخير لقوله. يتزكى: فانه بدل من يؤتي او
حال من فاعله. وما لاحد عنده من نعمة تجزى: فيقصد باتيانه مجازاتها
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى: استثناء منقطع او متصل عن محذوف
مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة. ولسوف يرضى: وعد
بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا
في جماعة تؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او
امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الليل اعطاه
الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية

وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والضحى: ووقت
ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي
السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا
والليل اذا سجى: سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه
وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار
الشرف. ما ودعك ربك: ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف
بمعنى ما تركك وهو جواب القسم. وما قلى: وما ابغضك وحذف المفعول

استغنى بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما
لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا
كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم. وللآخرة خير لك من الاولى: فانها باقية خالصة عن الشوائب
وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي
والكرامة في الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية
امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال. ولسوف يعطيك
ربك فترضى: وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء
الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد
حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على
المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء
كائن لا محالة وان تأخر لحكمة. الم يجدك يتيما فآوى: تعديد لما انعم عليه تنبيها
على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم
ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال. ووجدك ضالا: عن علم
الحكم والاحكام. فهدى: فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر و
قيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين
فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك.
ووجدك عائلا: فقيرا ذا عيال. فاغنى: بما حصل لك من ربح التجارة
فاما اليتيم فلا تقهر: فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس
في وجهه. واما السائل فلا تنهر: فلا تزجر. واما بنعمة ربك فحدث:
فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها
تبليغها. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الضحى جعله
الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية

وآيها ثمان. بسم الله الرحمن الرحيم. الم نشرح لك صدرك: الم

نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه
بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد
ما كان يشق عليك. وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه وغسله ثم ملأه ايمانا
وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في
اثباته ولذلك عطف عليه. ووضعنا عنك وزرك: عبأك الثقيل. الذي
انقض ظهرك: الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل
الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي
الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في
ايذائه حين دعاهم الى الايمان. ورفعنا لك ذكرك: بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان
قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين
بالصلوة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة.
فان مع العسر: كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم
يسرا: كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله
اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة
اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين. ان مع العسر يسرا: تكرير للتأكيد او
استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين
اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة
والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد
او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول. فاذا فرغت
من التبليغ. فانصب: فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم
السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة
او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء. والى ربك فارغب: بالسؤال
ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب الناس الى طلب
ثوابه. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية

مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون
خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم
ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة
ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع
من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد
ينبت حيث لا دهنية فيه وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق
وبيت المقدس او البلدان. وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى
عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه. وهذا البلد الامين
اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة شرفها
الله. لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص
بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات
ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين
وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منقطعا. فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم
مرتب على الاستثناء مقرر له. فما يكذبك اي فاي شيء يكذبك يا محمد صلى الله عليه و
سلم دلالة او نطقا. بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من
وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب
أليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد
باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما
مر. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين اعطاه الله خصلتين العافية و
اليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق [illegible]

وآيها تسع عشرة وهي اول سورة نزلت وقيل الفاتحة ثم هذه بسم

الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه
او مستعينا به. الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف
واظهر صنعا وتدبيرا او ادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق
الانسان او الذي خلق الانسان فابهم ثم فسره تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته
من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع فلما كان اول الواجبات معرفة الله
تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته. اقرأ تكرير للمبالغة
او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك قال
ما انا بقارئ فقيل له اقرأ. وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا
عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة. الذي علم بالقلم اي
الخط بالقلم وقد قرئ به لتقييد به العلوم ولتعليمه البعيد. علم الانسان ما لم يعلم
بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد
عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس
المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته
عقلا ثم نبه على ما يدل عليها سمعا. كلا ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم
يذكر لدلالة الكلام عليه. ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي ان رأى نفسه و
استغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين
لواحد. ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا و
تحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى. أرأيت الذي ينهى
عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه
فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة
فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي
أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت تكرير للاول وكذا الذي في قوله
أرأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب
الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن
ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما

يأمره من عبادة الاوثان كما يعتقد او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول انتم ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ و لم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة. كلا: ردع للناهي. لئن لم ينته: عما هو فيه. لنسفعا بالناصية: لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور. ناصية كاذبة خاطئة: بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب على الذم ووصفها بالكذب و الخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة. فليدع نادية: اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت. سندع الزبانية: ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء. كلا: ردع ايضا للناهي. لا تطعه: واثبت انت على طاعتك. واسجد: ودم على سجودك. واقترب: وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

مختلف

سورة القدر مكية

مختلف فيها وآيها خمس. بسم الله الرحمن الرحيم. انا انزلناه في ليلة القدر: الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله. وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر: وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزل جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعل السبب فيه والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي. تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم: بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين. من كل امر: من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان. سلام هي: ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين. حتى مطلع الفجر: اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية

مختلف فيها وآيها ثمان. بسم الله الرحمن الرحيم. لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب: اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين. والمشركين: وعبدة الاصنام. منفكين: عما كانوا عليه

من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم. حتى
تأتيهم البينة: الرسول صلى الله عليه وسلم او القرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول
عليه الصلوة والسلام باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به. رسول من
الله: بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ. يتلوا صحفا
مطهرة: صفته او خبره والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان اميا
لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف
مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون. فيها كتب
قيمة: مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق. وما تفرق الذين اوتوا الكتاب: عما
كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر
الا من بعد ما جاءتهم البينة: فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع
بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان
غيرهم بذلك اولى. وما امروا: اي في كتبهم بما فيها. الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين: لا يشركون به. حنفاء: مائلين عن العقائد الزائغة
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة: ولكنهم حرفوه وعصوا. وذلك
دين القيمة: دين الملة القيمة. ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في
نار جهنم خالدين فيها: اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك
واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف
لتفاوت كفرهما. اولئك هم شر البرية: اي الخليقة وقرأ نافع البريئة
بالهمز على الاصل. ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة
ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة
ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد. رضي الله عنهم
استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم. ورضوا عنه: لانه بلغهم اقصى

امانيهم. ذلك: اي المذكور من الجزاء والرضوان. لمن خشي ربه
فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير. عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة

مختلف فيها وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض
زلزالها: اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها
واللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا
في المضاعف. واخرجت الارض اثقالها: ما في جوفها من الدفائن او
الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت. وقال الانسان ما لها: لما
بهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها
يومئذ تحدث اخبارها: تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها
واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها
تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر. بان ربك اوحى لها: اي تحدث
بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها
ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او
على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة. يومئذ يصدر الناس
من مخارجهم من القبور الى الموقف. اشتاتا: متفرقين بحسب مراتبهم
ليروا اعمالهم: جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره: تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم
ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب
وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء
والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء
عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات

مختلف فيها وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات

ضبحا: اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند
العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على
الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة. فالموريات قدحا: فالتى تورى
النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى. فالمغيرات يغير
اهلها على العدو. صبحا: اى فى وقته. فاثرن: فهيجن بذلك الوقت
نقعا: غبارا او صياحا. فوسطن: فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو
او بالنقع اى ملتبسات به. جمعا: من جموع الاعدا روى انه صلى
الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان
يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف
والمغيرات على الهوى العادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس قال تعالى فاثرن به
شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين. ان الانسان لربه لكنود: لكفور
من كند النعمة كنودا او لعاصى بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب
القسم. وانه على ذلك: وان الانسان على كنوده. لشهيد: يشهد على
نفسه لظهور اثره عليه او ان الله تعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا. وانه
لحب الخير: المال من قوله ان ترك خيرا. لشديد: لبخيل او لقوى مبالغ فيه
افلا يعلم اذا بعثر: بعث. ما فى القبور: من الموتى وقرى بحثر و
بحث. وحصل: جمع محصلا فى الصحف او ميز. ما فى الصدور: من خير
او شر وتخصيصه لانه الاصل. ان ربهم بهم يومئذ لخبير: وهو يوم القيمة لخبير
عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ثم قال بهم لاختلاف
شانهم فى الحالين وقرى ان خبير بلا لام. عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات
بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية

وآيها عشر. بسم الله الرحمن الرحيم. القارعة ما القارعة وما
ادريك ما القارعة: سبق بيانه فى الحاقة. يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث: فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم و
انتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة. وتكون الجبال كالعهن:
كالصوف فى الالوان. المنفوش: المندوف لتفرق اجزائها
وتطايرها فى الجو. فاما من ثقلت موازينه: بان ترجحت مقادير انواع
حسناته. فهو فى عيشة راضية: ذات رضى او مرضية. واما من
خفت موازينه: بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته
فامه هاوية: فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك
ما هيه نار حامية: ذات حمى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا القارعة
ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية

مختلف فيها وآيها ثمان. بسم الله الرحمن الرحيم. الهيكم: شغلكم
واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل. التكاثر: التباهى
بالكثرة. حتى زرتم المقابر: اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر
فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان
بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم
ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة و
قيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين
اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخرتكم فتكون زيارة
القبور عبارة عن الموت. كلا: ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان
لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة. سوف
تعلمون: خطا رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا
وينتبهوا من غفلتهم. ثم كلا سوف تعلمون: تكرير للتاكيد وفى ثم دلالة
على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبور والثانى
عند النشور. كلا لو تعلمون علم اليقين: اى لو تعلمون ما بين ايديكم

علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا
يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم
جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم
منه بعد ابهامه تفخيما. ثم لترونها: تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد
والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار. عين اليقين
اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين. ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم: الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه
والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات
وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار. عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا الهاكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا
واعطي من الاجر كانما قرا الف آية

سورة العصر

واياتها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر: اقسم بصلاة العصر لفضلها
او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسارة
ان الانسان لفي خسر: ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم
والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات: فانهم
اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية. وتواصوا
بالحق: بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل. وتواصوا بالصبر
عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام
للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر
سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عدد
يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم. عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة

واياتها تسع بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة: الهمز الكسر
كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء
فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة
بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم
ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم. الذي جمع مالا: بدل من كل او ذم منصوب
او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير. وعدده: وجعله
عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك
الادغام. يحسب ان ماله اخلده: تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود
او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن
الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة. كلا: ردع له عن حسبانه
لينبذن: ليطرحن. في الحطمة: في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح
فيها. وما ادراك ما الحطمة: ما النار التي لها هذه الخاصية. نار الله تفسير
لها. الموقدة: التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه التي
تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف
ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد الزايغة ومنشا الاعمال
القبيحة. انها عليهم موصدة: مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة
في عمد ممددة: اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها
اللصوص وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين. عن النبي صلى الله عليه و
سلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد
من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل

واياتها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل: الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم
يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها

وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم
الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات
اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلوة والسلام
وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه
ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه و
قدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن
او الى جهة اخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي
رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس
الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم
وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام . الم يجعل كيدهم
في تعطيل الكعبة وتخريبها . في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم و
عظم شانها . وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي
الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد
لها كعبابيد وشماطيط . ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير
لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك . من سجيل من طين متحجر معرب
سنككل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال او من السجين ومعناه
من جملة العذاب المكتوب المدون . فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع
وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن
اكلته الدواب وراثته عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

[illegible]

وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق
فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى

ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى
الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر
اي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف أبي سورة
واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة
منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا
بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف
ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم . فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من
جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها
الجيف والعظام . وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف
في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله تعالى عشر
حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

[illegible]

مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت استفهام
معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديره
بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب
بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيده الثاني
قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا
ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ
يدع اي يترك . ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين
لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء . فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين
بها . الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها

ويمنعون الماعون: الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزاء
والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم
والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة
من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب
عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع
الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية

وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك: وقرئ
انطيناك. الكوثر: الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين
وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير
احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه
الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها
وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القران. فصل لربك
فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها
شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر. وانحر: البدن
التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم و
يمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسر
الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية. ان شانئك: ان من
ابغضك لبغضه لك. هو الابتر: الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه
نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك
الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب
له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم

في يوم النحر

وآيها

سورة الكافرون مكية

وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون: يعني كفرة
مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا
يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت. لا اعبد ما تعبدون
اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا
على مضارع بمعنى الحال. ولا انتم عابدون ما اعبد: اي فيما يستقبل لانه في قران
لا اعبد. ولا انا عابد ما عبدتم: اي في الحال او فيما سلف. ولا انتم عابدون
ما اعبد: اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما
لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام
وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة
كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان
بمعنى الذي والاخريان مصدريتان. لكم دينكم: الذي انتم عليه لا تتركونه. ولي
دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا
باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر
الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية

وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله: اظهاره اياك
على اعدائك. والفتح: فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر
البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجي تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة
من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته
فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره. ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب
ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت. فسبح
بحمد ربك: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او روي انه لما

عليه او فصل له حامدا

دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت
الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال
حامدا له على صفات الاكرام. واستغفره: هضما لنفسك واستقصارا
لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة
والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك
وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق
كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله. انه كان توابا: لمن استغفر مذ خلق
المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس رضي الله عنه فقال عليه الصلوة و
السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل
ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم
او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع
محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية

وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت: هلكت او خسرت و
التباب خسران يؤدي الى الهلاك. يدا ابي لهب: نفسه كقوله ولا تلقوا
بايديكم وقيل انما خصتا لانه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه وانذر عشيرتك
الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا و
اخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه و
التكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره
ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق لحاله او ليجانس قوله ذات
لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب. وتب: اخبار بعد
دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل. ويدل عليه انه قرئ وقد تب

تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه. ما اغنى عنه
ماله: نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له و
محلها النصب. وما كسب: وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح
والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه
الاسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد
وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان
حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه. سيصلى نارا ذات
لهب: اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون
صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا. وامراته: عطف
على المستكن في سيصلى او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان
حمالة الحطب: يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها كانت
توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل
في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالنصب على الشتم
في جيدها حبل من مسد: اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي
مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل
الحزمة وتربطها في جيدها تخسيسا لحالها او بيان لحالها في نار جهنم
حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها
سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به. عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين
ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية

مختلف فيها وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد
الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة
ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ

روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت
واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على
مجامع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء
التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية
وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز ذلك في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة للرسول
صلى الله عليه وسلم او موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان
يكون منه واما هذه فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى . الله
الصمد : السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف
على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع
جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار
بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها
كالنتيجة للاولى او الدليل عليها . لم يلد : لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما
يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق
قوله ولم يولد : وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم . ولم يكن
له كفوا احد : اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها و
كان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة
عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في
كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان
المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل و
قرا حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة
وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف
الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران

فان مقاصده محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله
اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأها فقال
وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال عليه الصلوة والسلام وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية

مختلف فيها واياتها خمس بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق : ما
ينفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة
العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا
بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة
فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ
ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية . من شر ما
خلق : خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره
اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم . و
من شر غاسق : ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت
العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان
دمعه . اذا وقب : دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف
ومن شر النفاثات في العقد : ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا
سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلوة
والسلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء
به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق
الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في
العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها
بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد . ومن شر حاسد اذا حسد
اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به

لاعتمادهن بسحره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان
يراد بالنفاثات النفوس او القوى النباتية فان قواها النباتية
من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلثة وبالحاسد
الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها
الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل
مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مكية

مختلف فيها واياتها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ
في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة
في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه
السورة من الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمه وخصصها
بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم
ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون
ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها
غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما عليه
من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل
وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق
للعبادة لا غير ويتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات
منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار
من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة
الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس
في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد
العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه و
تشككه ومحل الذي الجر على الصفة والنصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان
للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف
الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم
الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا
الكتب التي انزلها الله تعالى
والله اعلم

تم التفسير المسمى بانوار التنزيل واسرار التاويل الذي صنفه القاضي
الامام العلامة ناصر الحق والدين البيضاوي تغمده الله بالرحمة
والرضوان

كاتب الفقير درويش محمد اخلاقي وفقه الله الاحد الباقي

باتمام رسيد يوم ثلثه رابع وعشرين
ربيع الاول من شهور سنه ثلثه وتسعين
وتسعمائة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على نبينا محمد وعلى آله واصحابه الطاهرين
والمغفرة لنا ولوالدينا وللمسلمين
والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات
اجمعين